رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# جهود علماء المغرب

في

# الدفاع عن عقيدة أهل السنة

دراسة في المؤلفات العقدية في الغرب الإسلامي
من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن السادس

إعداد الدكتور
إبراهيم التهامي

دكتوراه دولة في العقيدة الإسلامية
من جامعة أم القرى بمكة المكرمة
وأستاذ بجامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - الجزائر

سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مؤسسة الريان ناشرون

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

# جهود علماء المغرب

في

## الدفاع عن عقيدة أهل السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

انتشار بألوان الطيف

مؤسسة الرسالة ناشرون

دمشق - سوريا

ص.ب : 30597

بيروت - لبنان
هاتف : ٥٤٦٧٢٠ - ٥٤٦٧٢١
فاكس : ٥٤٦٧٢٢ ١ (٩٦١)
ص.ب : ١١٧٤٦٠

Resalah Publishers

Tel: 546720 - 546721
Fax: (961) 1 546722
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

E-mail:
resalah@resalah.com
Web site:
Http://www.resalah.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

ISBN:9953-32-128-8

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٥م لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر. (١)

# جهود علماء المغرب

# في

# الدفاع عن عقيدة أهل السنة

## دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي
## من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس

إعداد الدكتور

**إبراهيم التهامي**

دكتوراه دولة في العقيدة الإسلامية
من جامعة أم القرى بمكة المكرمة
وأستاذ بجامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة الجزائر

سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

مؤسسة الرسالة ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ صدق الله العظيم

**هذا الكتاب**

هو دراسة لجهود تلك الطائفة المؤمنة من علماء المغرب الإسلامي في مقاومة كل ما من شأنه أن يغير الدين أو يحرفه تحت أي اسم من الأسماء أو شكل من الأشكال، وهو الجهد الذي بدأ مع الفاتحين الأول من الصحابة واستمر في الأجيال التي تلت ذلك الجيل وإلى اليوم.

وهو أيضاً دراسة للصراع العقدي الذي نشب بين أهل السنة وبين الفرق المختلفة في قضايا العقيدة والذي بدأ هو أيضاً مع الفاتحين واستمر إلى اليوم.

**المؤلف في سطور**

هو **إبراهيم التهامي** من مواليد سنة ١٩٥٦ بالمدية ـ الجزائر.

دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية "تخصص عقيدة" سنة ١٩٩٢ من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.

درَّس في معهد أصول الدين بالخروبة من سنة ١٩٩٣ إلى ١٩٩٧، ومنذ سنة ١٩٩٧ أستاذ بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

له عدة بحوث في العقيدة وفي غير ذلك منشورة بمجلات متخصصة ومحكَّمة بالجزائر.

كما له عدة مقالات في الدين والثقافة والسياسة منشورة في جرائد يومية وأسبوعية في الجزائر.

وكان قد نشر رسالته للماجستير وهي دراسة وتحقيق لكتاب "تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة" لأبي نعيم الأصبهاني، وذلك سنة ١٩٨٦.

شارك في عدة ملتقيات علمية في الجزائر.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله.

**أما بعد ...**

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة.

**وبعد :**

فإن العالم الإسلامي لم يمر في تاريخه الطويل بمرحلة أخطر ولا أشد من المرحلة التي يمر بها اليوم بسبب تسلط أعداء الإسلام من أهل الكفر والبدع عليه؛ فعمت البلوى وظهر الفساد وتعطلت أحكام الله وشرائعه واستبدلت بشرائع أخرى.

ولم يحدث في تاريخ المسلمين الطويل أن استبدلت شرائع الله بشرائع الجاهلية بالرغم مما كانت تعاني منه الخلافة الإسلامية في بعض الفترات من انحراف بعض الأمراء والسلاطين عن منهج الله وتسلطهم وظلمهم، إلا أن ذلك كله لم يجعلهم يناقشون قضية الحاكمية لأنها كانت قضية مسلمة عندهم لا تحتاج إلى مناقشة أو جدال. وقد تأكد لأعداء الإسلام أنهم لن يستطيعوا أن يتسلطوا على المسلمين أو يسيطروا على خيراتهم ما دام بناء الخلافة قائماً، وما دام المسلمون محتمين بهذا البناء المشيد، وكذلك ما دام القرآن هو الذي يقودهم ويرشدهم؛ فعملوا على هدم هذا البناء وتشكيك المسلمين في كتابهم، فإن لم يقدروا على ذلك فلا أقل من أن ينحرفوا بهم عن المنهج الإسلامي الصحيح، وعملوا على نشر الإسلام المحرف والمشوه ليكون بديلاً عنه.

ولم تستطع يد الغدر أن تمتد إلى جزء من العالم الإسلامي للسيطرة عليه إلا عندما تم لهم القضاء على الخلافة الإسلامية ـ بالرغم من ضعفها ـ عند ذلك قسموا العالم

الإسلامي إلى دويلات، وزرعوا بذور العصبية في كل بلد وفي كل شعب من شعوبه مما كان له الأثر البالغ في المصير المشؤوم الذي آل إليه واقع المسلمين، وأحيوا العصبيات القديمة التي تقوم على التمذهب فاستحكمت العداوة وقويت الشكيمة بين المسلمين وتشتت قواهم وذهبت ريحهم.

ولم يكن هذا الواقع المشؤوم هو وليد الساعة، ولم تكن الحرب على الإسلام وليدة اليوم، بل إن جذور ذلك كله تمتد إلى بزوغ فجر الرسالة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، الذي بعثه الله تعالى على حين فوضى وفساد من العالم، وانتشار للجهل والظلم والاستبداد فيه، فكان فيهم من كل ملة ودين، وكانت الزندقة والتعطيل في قريش، وكانت المزدكية والمجوسية في تميم، واليهودية والنصرانية في غسان، والشرك وعبادة الأوثان في سائرهم، كما يقول مطهر المقدسي في «البدء والتاريخ»: . . . وكانت شرائع الجاهلية هي التي يحتكم إليها الناس في قضاياهم إضافة إلى العادات والأعراف السيئة التي كانت تسيطر على واقعهم والتي لا تمت إلى الشرائع السماوية بصلة.

في هذا الواقع المظلم أضاءت رسالة الإسلام فانقشع بها الظلام، ورأت البشرية النور الإلهي، وشهدت الأمور على حقيقتها فخفَّت إلى صاحب النور والتفّت حوله، وسارت خلفه يقودها إلى الخير والسيادة والرفعة والعزة في الدنيا وإلى الجنة والنعيم الأبدي في الآخرة، ولم يلبث أن بدأ نور هذه الرسالة يمتد ليشمل بقاع الأرض، هنا بدأ الكيد للإسلام ووضع الحواجز في طريقه ليقف مَدُّهُ، وينطفئ نوره، ولكن الله يريد أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ففشلت محاولاتهم، ووقفت رهبة الإسلام وغيرة المسلمين مانعاً أمام كيدهم، ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، إلا بعد ما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة.

واستمر كيد الأعداء وحربهم للإسلام، فارتدت أقوام عنه في محاولة لتفريق كلمة المسلمين وشق صفهم وتشتيت شملهم، وحاول أناس تفريق شؤون الدنيا عن شؤون الدين بالامتناع عن أداء الزكاة، فقيض الله لهم أبا بكر الذي حاربهم وأخمد جذوتهم وأخفت صوتهم.

وكان عهد الفاروق عمر رضي الله عنه عهد قوة وعزة للمسلمين وعهد نكسة وخيبة أمل لأعدائهم، وكان عمر ـ فضلاً عن جهاده وفتوحاته ـ يشتد على كل من يحاول أن يثير في الإسلام قضايا لم يطرقها من قبلُ المسلمون، كإثارة قضية المتشابه وغير ذلك فكان لا يتردد في نفي من يسعى في ذلك، ولم يقر قرار أعداء الإسلام إلا بعد أن قضوا عليه رضي الله عنه، فثلموا بذلك في الإسلام ثلمةً كبيرةً لا يرتقها جبل ـ كما يقول

عبد الله بن مسعود ـ ، وقد مهدوا بقتله لظهور الفتن وتفريق المسلمين إلى فرق وأحزاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

ورغم ذلك فقد استمر المد الإسلامي في الانتشار واستمر دخول الناس في دين الله أفواجاً على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً لأن سني خلافته الأخيرة كانت ميداناً لظهور الفتن وتطاول الفاتنين وزاد حقد أعداء الإسلام عليه فكثفوا من جهودهم من أجل تقويض بنيانه وتمالأت من أجل ذلك قوى الكفر جميعها من اليهود والفرس الذين لم ينسوا في يوم من الأيام زوال دولتهم وسطوتهم على أيدي العرب الذين كانوا من قبل أقل الأمم خطراً، بل كانوا يعتبرونهم عبيداً، عند ذلك راموا كيد الإسلام بالمحاربة في شتى الأوقات فسلكوا من أجل ذلك شتى السبل و المسالك.

وكان من نتائج هذا الكيد وهذه الحرب الشرسة قتل الخليفة الثالث ـ رضي الله عنه ـ عثمان بن عفان وقيام الحرب بين الفئات المسلمة وظهور الفرق والمبتدعة، وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الإسلام يظهرون فيه، فظهرت أول بدعة في الإسلام على عهد علي ـ وهي بدعة الخوارج ـ ، الذين جزموا بالتكفير بالذنب والخروج على الإمام وقتاله، وكانوا بذلك أول المتجردين لتفريق كلمة الإسلام، وأَحْدَاثُهُم السُّود مما يُسَوِّدُ صحف التاريخ.

وكان عهد علي ـ رضي الله عنه ـ شديداً على المسلمين حيث توقف المد الإسلامي بسبب الفرقة التي حدثت بين المسلمين والاقتتال الذي وقع بينهم، والذي استغله المبتدعة في النيل من الإسلام، وقد عمل الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ طيلة خلافته لإرجاع الأمور إلى نصابها، ولكن الوضع كان قد بلغ مبلغاً خطيراً، و لم يتمكن ـ رضي الله عنه ـ من السيطرة عليه وانتهى عهده بقتله ـ رضي الله عنه ـ قتله الخوارج بعد أن قاتلهم قتالاً شديداً وقاومهم مقاومة عنيفة.

و لما انتقل الأمر إلى الإمام الحسن بن علي وابن فاطمة الزهراء ـ عليهم جميعاً رضوان الله ـ استمر في قتاله جيش الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، ولكنه توقف بعد ذلك وتنازل لمعاوية لما علم أن هذا الأخير لن يسلم له الأمر ولن يستسلم له فحقن بذلك دماء المسلمين ووفر عليهم آلاف الأرواح التي كانت ستزهق لو استمر في القتال، وسمي ذلك العام بعام الجماعة؛ لِما جمع الله فيه شمل المسلمين ولَمَّ شتاتهم، وكان النبي ﷺ قد بشر به المسلمين في لحظة من إطلاع الله له على الغيب إذ قال مشيراً إليه: **«إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين»**.

وكان عهد معاوية ﷺ بداية الانحراف الثاني، إذ حوَّل الحكم من خلافة راشدة تقوم على الشورى وانتقال الحكم في الرجال الأكفاء الذين تتوفر فيهم الشروط إلى ملك عضوض يقوم على الاستبداد بالرأي وانتقال الحكم بالعهد من غير مراعاة للكفاءة مما كان له الأثر السيّئ في وضع المسلمين.

ونعود بعد هذا إلى الحديث عن الفرق التي ظهرت في الإسلام وكانت وبالاً عليه، ولكن قبل ذلك أود أن أشير إلى حديث رواه المسلمون عن النبي ﷺ في افتراق المسلمين إلى فرق كثيرة، مثلهم في ذلك مثل من كان قبلهم من اليهود والنصارى، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**، قيل: اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال: **فمن؟ !**» في إشارة واضحة إلى أن هذه الأمة ليس لها فضل ولا مزية على من سواها من الأمم إلا بالإسلام فإذا انحرفت عنه صارت مثلها.

وهذا الحديث الذي في افتراق المسلمين رواه غير واحد من الأئمة مع اختلاف في اللفظ عن غير واحد من الصحابة، أمثال أبي هريرة وعبد الله بن عمرو ومعاوية وغيرهم: فقد رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٦) في كتاب السنة (باب شرح السنة)، والترمذي في سننه أيضاً (٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥) في كتاب الإيمان (باب افتراق هذه الأمة)، وابن ماجه في كتاب الفتن (باب افتراق الأمم) سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٢١ ـ ١٣٢٢)، وأحمد في المسند طبعة دار المعارف (١٧/ ١٦٩) عن أبي هريرة، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح». ونص الحديث كما رواه أبو داود: «**افترقت اليهود على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة**»، وزاد في رواية أخرى: «**اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**».

ولكن بعد أن رووه اختلفوا فيه بين مصحح ومضعف فمنهم من رده جملةً مثل ابن حزم، ومنهم من صحح الجزء الأول منه ورد الجزء الأخير كابن الوزير، ثم اختلفوا في المراد بالعدد هنا، فمنهم من جعله لمجرد التكثير، ومنهم من قال: إن العدد لا مفهوم له فلا مانع من الزيادة عليه وإن لم يجز النقصان، ومنهم من قال: إن المراد أصول الفرق دون فروعها، ومنهم من تكلف حصر العدد في فرق خاصة.

ومهما يكن، فإن الأمة قد أصابها الداء الذي أصاب الأمم السابقة فتفرقت كلمتها وتشتتت قوتها، وكانت بداية ذلك على يد الخوارج، ثم تبعهم الشيعة وقد حاول بعض

المتعصبين أن يرد نشأة التشيع إلى عهد النبي ﷺ فهو الذي زرع بذرته وتعهده بالعناية كما يقول صاحب "أصل الشيعة وأصولها" ، ولا يخفى على أحد ما في هذا الكلام من غلو وإجحاف، ونحن لا ننكر أنه كان على عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين من بعده قوم يكنون الحب والتقدير لعلي رضي الله عنه أمثال: سلمان والمقداد وأبي ذر وغيرهم ﷺ ، وكانوا يرون أنه أحق الناس بخلافة رسول الله ﷺ لأنه تربى في حضن النبوة ورضع من لبنها، إلا أن ذلك لم يكن ليحيف بهم عن تقدير غيره من الخلفاء الراشدين، بل إنهم لم يتلكؤوا لحظة في مبايعة أبي بكر وعمر وعثمان عندما بويعوا للخلافة.

ويذهب أهل السنة إلى أن أصل الشيعة اليهود، ذلك أن عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني هو الذي كان له الدور البارز والفعال في نشأتهم بأفكاره المنحرفة كما بينت ذلك بتوسع أثناء البحث.

ثم ما لبث أن تفرقت هاتان الفرقتان (الخوارج والشيعة) إلى فرق كثيرة بين غالية ومعتدلة، واحتدم الصراع بينهما، وكان ذلك عقاباً من الله تعالى على فسادهم وكشفاً لسوآتهم، ومن مذهب الشيعة خرج مذهب الإسماعيلية والمذاهب الباطنية الأخرى.

وفي أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجئة، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله ﷺ، ثم حدثت بعد ذلك في أواخر عهد التابعين بدعة الجهمية منكرة الصفات، وفي أثناء ذلك حدثت بدعة الاعتزال، بكل ما تحمله من انحراف عن منهج السلف ورد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتبعهم على بدعتهم خلق كثير، وألفوا في تقرير مذهبهم و الانتصار له مصنفات عديدة، وصارت طريقتهم عند كثير من النظار المتأخرين هي دين الإسلام، بل يعتقدون أن من خالفها فقد خالف الإسلام، فنهى الأئمة عن مذهبهم وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله، ثم حدث التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال.

ثم حدث في عهد المأمون ـ سابع خلفاء بني العباس ـ مذهب الفلاسفة، وانتشر في الناس واشتهرت كتبه بجميع الأمصار، وأقبلت فرق المسلمين على دراسته، فانجر على الإسلام وأهله من ذلك ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع وزادتهم كفراً إلى كفرهم.

ثم ما لبث هذه البدع أن انتشرت وعمت الآفاق وقويت شوكة المبتدعة حتى صارت لهم دول تحميهم وتشجعهم على باطلهم، وامتحنوا أهل السنة الذين وقفوا في وجههم،

وكان المغرب الإسلامي ميداناً لظهور هذه البدع فيه، حيث انتقلت إليه من المشرق عبر دعاتها، الذين هربوا من تضييق الخلفاء وتعقبهم، فاندسوا في البربر ونشروا باطلهم وأقاموا دولتهم.

وأصل كل بدعة في الدين ـ كما يقول المقريزي ـ : «البعد عن كلام السلف والانحراف عن اعتقاد الصدر الأول، حتى بالغ القدري في القدر فجعل العبد خالقاً لأفعاله، وبالغ الجبري في مقابلته فسلب عنه الفعل والاختيار، وبالغ المعطل في التنزيه فسلب عن الله تعالى صفات الجمال ونعوت الكمال، وبالغ المشبِّه في مقابلته فجعله كواحد من البشر، وبالغ المرجئ في سلب العقاب، وبالغ المعتزلي في التخليد في العذاب، وبالغ الناصبي في دفع علي ـ رضي الله عنه ـ عن الإمامة، وبالغت الغلاة حتى جعلوه إلهاً.

فتعارضت الظنون وكثرت الأوهام وبلغ كل فريق في الشر والعناد والبغي والفساد إلى أقصى غاية وأبعد نهاية، وتباغضوا وتلاعنوا واستحلوا الأموال، واستباحوا الدماء وانتصروا بالدول» [الخطط: ٣/ ٢١٣ ـ ٣١٢].

والسبيل الأجدى هو السبيل الوسط وهو سبيل أهل السنة والجماعة، ونقصد بأهل السنة أولئك المتبعين لآثار رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، الذين لم يتلوثوا بما تلوث به أهل الأهواء والبدع ولم يصبهم ما أصابهم، وقد سئل الإمام مالك عن تعريفهم فقال: «هم الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا خارجي ولا مرجئ».

و السنة هي الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ و صحابته قبل ظهور البدع والمقالات.

و الجماعة: المراد بهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولم يتهموا ببدعة في الدين.

يقول الإمام ابن تيمية في تعريفهم: «ويسمون أهل السنة والجماعة لأنهم على كتاب الله وسنة رسوله يجتمعون ولا يتفرقون». [مجموع الفتاوى: ٣/ ١٠٧]، ويقول ابن حزم: «أهل السنة هم أهل الحق كالصحابة و كل من سلك منهجهم من خيار التابعين ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيل إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم». [انظر الفصل: ٢/ ٣١١].

وقد كان لعلماء السنة وحكامهم سعي مشكور في محاربة أهل البدع ودفع شبههم في جميع أطوار التاريخ بشتى الوسائل الممكنة: بالحكمة تارة، والشدة تارة أخرى، وبالتأليف ونشر السنة تارة ثالثة، يجدر بمن يهتم بأمر دينه أن يطلع عليها ليزداد بصيرة في أمر دينه وتَصَوُّناً في عقيدته وعلماً بأطوار الفكر البشري في باب الاعتقاد، وكان للإمام أبي الحسن الأشعري جهد مشكور في كشف عوار هذه الفرق وتفنيد شبهها ورد كيد أصحابها، بما ألفه من مؤلفات في ذلك مثل "الإبانة" و"مقالات الإسلاميين"، وقد تبع هذا الإمامَ خلق كثير نشروا مذهبه في البلاد المختلفة.

وقد انتقل هذا المذهب إلى المغرب على يد ابن تومرت ـ كما هو موضح في موضعه من هذا البحث ـ ، وكان لعلماء السنة المغاربة جهد كبير في نشر السنة والوقوف بقوة في وجه المبتدعة ورد كيدهم بجهادهم وتفانيهم في مقاومتهم، وقد سلكوا في ذلك كل السبل واتخذوا كل الوسائل، وكان لجهادهم ذلك ثماره التي ظهرت جلية في بقاء المغرب الإسلامي مدداً طويلة ينعم فيها في ظلال المذهب السني الوارفة إلى أن غلب عليه وعلى غيره من بلاد الإسلام جيوش الغزو الصليبي كما بينت في بداية هذه المقدمة.

وهذا البحث محاولة متواضعة مني لإظهار الدور العظيم والجهد البارز لعلماء السنة بالمغرب وجهادهم وبذلهم في سبيل نشر المذهب السني في هذا الجزء من العالم الإسلامي الفسيح ومقاومة كل المذاهب البدعية التي تخالفه في الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس.

وقد جاء اختياري لهذا الموضوع لأنني ـ في حدود معرفتي ـ لم أطلع على بحث مستقل متعلق بهذا الجانب، فعقدت العزم على وضع رسالتي في الموضوع لعلها تساهم في التعريف بالفكر الإسلامي المغربي في مراحله الطويلة في الجانب العقدي منه.

ولهذا الموضوع أهمية كبيرة من حيث إنه يعرف بجانب من جوانب جهاد السلف ضد كل أشكال الانحراف، في جزء معين من أجزاء العالم الإسلامي، ويعرف أيضاً بالوسائل التي استعملها العلماء في جهادهم ذلك وهي وسائل تنفعنا حين نخوض التجربة مع أهل البدع اليوم وفي كل وقت.

وليس صحيحاً ما يردده بعض مفكري الإسلام اليوم من أن هذا التراث الكبير الذي خلفه علماء السنة طيلة القرون الماضية يجب أن يباد حتى لا يشوش على أفكار

المسلمين، ويجب أن يرد الناس مباشرة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دون أن نلوي على شيء من ذلك الفكر وبخاصة إذا علمنا أن تلك الفرق بادت وانتهت. والحقيقة أن ذلك التراث ما هو إلا تفسير عملي لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، واجتهاد في دين الله بما يوافق كل عصر.

وأيضاً فإن من الخطأ الاعتقاد بأن تلك الفرق والأفكار قد بادت وانتهت، بل هي باقية إلى يومنا هذا إما في شكل أفكار أو في شكل دول تنشر باطلها بما أوتيت من قوة، وبما تحصل عليه من دعم من الجهات التي لا تريد الخير للإسلام.

# عملي في البحث

هذا وقد قسمت البحث إلى ثلاثة أبواب وخاتمة:

خصصت **الباب الأول**: لدراسة مجملة لعقائد السلف، وقد اخترت كنموذج لهذه الدراسة الإمام مالكاً، لما يتمتع به ـ رحمه الله ـ من سمعة طيبة وتزكية عند علماء السنة، وأيضاً لما كان له من أثر في المغرب الإسلامي وعلمائه في الجانب العقدي والجانب الفقهي على حد سواء.

كما تناولت فيه الجوانب التي تأثر فيها علماء المغرب بالإمام مالك في الناحية العقدية، وقد قدمت لهذا البحث بتمهيد مقتضب في التعريف بالمغرب الإسلامي، وكذلك جهود الفاتحين من الصحابة والتابعين في نشر المذهب السني بالمغرب.

أما **الباب الثاني**: فقد تناولت فيه بالذكر جملة من علماء المغرب من أهل السنة الذين كان لهم دور بارز في إرساء قواعد مذهب أهل السنة و الجماعة بالمغرب وذكر جملة من أقوالهم، على امتداد الفترة التي أنا بصدد دراستها.

أما **الباب الثالث**: فقد تناولت فيه مقاومة هؤلاء العلماء لأصناف البدع والمبتدعة الذين دخلوا المغرب و أرادوا نشر باطلهم به مع ذكر وسائلهم في ذلك والمسالك التي سلكوها.

أما **الخاتمة** فقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وقد قمت بالترجمة للأعلام مع ذكر مصادر الترجمة (بالجزء والصفحة) ورقمها (الترجمة) ـ وربما ذكرت معها الطبعة ودار النشر ـ ، وإن كنت في الغالب أرجئ هذا العمل إلى فهرس المراجع والمصادر.

أما منهجي في البحث فيمكن أن أقول عنه: إنه منهج تاريخي نقدي موضوعي، حيث رتبت ذكر العلماء ترتيباً تاريخياً حسب الوفيات، وهو منهج نقدي، لأنني لم أكتف بالعرض، بل قمت بنقد الأقوال وبيان الصحيح والسقيم منها، وكان من منهجي أنني أعرض للمسألة التي أود الحديث فيها وأورد قول السلف فيها، وقبل ذلك أنظر إلى أصلها في الكتاب والسنة، ثم آتي إلى علماء المغرب فأعرض لأقوالهم في المسألة وأناقشها، فأثبت ما وافق الكتاب و السنة وأقوال السلف وأرد ما خالف ذلك، وكذلك

كان عملي في المسائل التي ابتدعها المبتدعة حيث أذكر أصل المسألة والشبه التي جعلتهم يخرجون بها عن سبيل السنة، أعرض لذلك كله بكل موضوعية، ثم أذكر مقاومة علماء السلف لتلك البدعة (أمثال مالك وابن المبارك و الفضيل بن عياض و الإمام أحمد والإمام ابن تيمية وغيرهم)، ثم يأتي بعد ذلك دور العلماء في مقاومة تلك البدعة.

وكان من منهجي أنني أذكر البداية التاريخية لظهور تلك المسائل البدعية وأسباب نشأتها وظهورها، كما أذكر بداية دخولها إلى المغرب وانتشارها به، قبل أن آتي إلى ذكر المقاومة وأسبابها وحجمها والنتائج التي ترتبت عنها.

بالإضافة إلى ذلك كله قمت بوضع مقدمات في دخول الإسلام إلى المغرب وجهود الصحابة والتابعين في نشر الإسلام والتمكين له في هذا الجزء من العالم الإسلامي الفسيح، وذكرت جهود عمر بن عبد العزيز في إرساء قواعد المذهب السني بالمغرب بإرساله للبعثة العلمية التي ساهمت مساهمة كبيرة في هذا الجانب، كما ذكرت في هذه المقدمات الإمام مالكاً كنموذج لعالم من علماء السلف وجهوده في نشر المذهب السني بالمغرب.

وقد قمت بتخريج الأحاديث التي ورد ذكرها، وعرفت بالفرق مع إعطاء لمحة عن نشأتها وعقائدها، كما عرفت ببعض المدن والبلاد التي ورد ذكرها في البحث.

وبعد ... فلست أدعي الإحاطة بجوانب الموضوع لأن دون ذلك خرط القتاد، ولكن أقول: إنني لم أدخر جهداً في محاولة لإلقاء الضوء على جوانب الموضوع وإبرازها بما يفي بالغرض، فإن كنت قد وفقت فذلك من الله وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان، ولكن حسبي أنني لم أفرط، والله ولي التوفيق.

**مكة المكرمة**

٢٤/ ٤/ ١٤١٢ هـ

٣٠/ ١٠/ ١٩٩١ م

**وكتبه: إبراهيم علي التهامي**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الباب الأول

## العقيدة الإسلامية في المغرب قبل ظهور الانحرافات العقدية

تمهيد: في فتح المسلمين للمغرب.

الفصل الأول: الفتح الإسلامي وأثره في نشر الإسلام ومعه ذكر الفتح.

الفصل الثاني: ظهور الإمام مالك وأثره في التمكين للاتجاه السني في المغرب.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


# تمهيد

لقد دخل الإسلام إلى أرض المغرب مبكراً، حيث كانت بدايته منذ عهد الخلافة الراشدة، وظل يبسط سلطانه وظلاله الوارفة على هذا الجزء من العالم الإسلامي إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - بإذن الله - إلا ما كان من بلاد الأندلس التي هي الجزء المكمل لبلاد المغرب، فقد اغتصبها أعداء هذا الدين باسم الصليب، وطمسوا معالم الإسلام فيها وسودوا تلك الصفحات البيضاء الناصعة من تاريخها المجيد.

ومع دخول الإسلام إلى هذه البلاد، دخلت عقائده وأحكامه السمحة لتنظيم حياة الناس وانتشالهم من وحل العقائد الباطلة التي كانوا يدينون بها، وإخراجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

وقد تحمل الفاتحون الأول العبء الأكبر من أجل أن يروا الإسلام يحكم هذه البلاد، ومن أجل أن تكون هذه البلاد خالصة للإسلام، ثم خلفهم في مهمتهم من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين واستمر الأمر على هذه الحال، كلما خلا جيل خلفه جيل آخر، وقد تزامن دخول الإسلام بعقائده الصافية إلى هذه البلاد، مع دخول بعض العقائد المنحرفة التي ضل أصحابها يكيدون للإسلام ويسعون لهدمه إلا أن سعيهم لم يؤت ثماره لظهور الإسلام بعقائده الحقة كما جاء بها القرآن الكريم والرسول العظيم ﷺ، ولكن خيبتهم هذه لم تثنهم عن مواصلة السير، والعمل في الظلام، وإعداد العدة حتى يأتي اليوم الذي يتمكنون فيه.

وكان لهم ما أرادوا واستطاعوا أن يثبتوا أقدامهم بالمغرب، بل ويقيموا الدول على أسس منحرفة ويبسطوا سلطانهم وينشروا عقائدهم بالقوة، إلا أن الله تعالى قيض لهذا الدين من يذود عنه ويحمي حماه، فكانت تلك الأجيال من العلماء العاملين الذين وقفوا حياتهم لنشر السنة ومقاومة البدعة.

وفي هذا الباب، سأحاول أن ألقي الضوء على الجهود التي بذلت من قبل الفاتحين ومن جاء بعدهم من العلماء، من أجل إرساء دعائم الإسلام في هذا الجزء من العالم الإسلامي، ونشر تعاليمه السمحة به.

ولكن قبل ذلك يتعين علي أن أعرف ببلاد المغرب، وأقدم لمحة موجزة عن فتح المسلمين لها، والله الموفق.

## التعريف ببلاد المغرب وفتح المسلمين لها

يعرف ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) المغرب بقوله: «المغرب - بالفتح - ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، قال بعضهم: حدها من مدينة مليانة، وهي آخر حدود إفريقية[١] إلى آخر جبال السوس[٢] التي وراءها البحر المحيط وفيه جزيرة الأندلس، وإن كانت إلى الشمال أقرب منها إلى الجنوب»[٣].

ويقول ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) أيضاً في تعريفه للمغرب، ما يدل على أن الأندلس جزء منه وليست منفصلة عنه: «وأما الأندلس فهي تتصل بالبر الأصغر من جهة جليقية[٤] وإفرنجية، وهي من جملة المغرب ويحيط بها الخليج المذكور»، ويقول المراكشي (ت ٦٩٥هـ) في "البيان المغرب"[٥]: «وبلاد الأندلس أيضاً من المغرب وداخلة فيه لاتصالها به».

ويقول الحميدي (ت ٤٨٨هـ) عند تناوله لحديث رسول الله ﷺ: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[٦]: «هذا النص وإن كان عاماً لما يقع عليه فللأندلس منه حظ وافر لدخولها في العموم ومزية لتحققها بالمغرب وأنها من آخر المعمور فيه»[٧].

---

(١) إفريقية: تطلق على تونس في الأزمنة المتقدمة.

(٢) السوس: وتسمى السوس الأقصى، وهي من أقصى بلاد البربر، يقال: إنه ليس ورآءها شيء يعرف. انظر عنها: "المشترك وضعاً والمفترق صقعاً" لياقوت الحموي (ص ٢٥٩).

(٣) المشترك وضعاً (ص ٢٥٩).

(٤) جليقية، قال ياقوت: «وجلق: ناحية بالأندلس بسرقسطة يسقي نهرها عشرين ميلاً من باب سرقسطة وليس بالأندلس أعذب من مائه». معجم البلدان (٢/ ١٥٥).

(٥) (٦/١).

(٦) الحديث أخرجه مسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، برقم: ١٩٢٦، (٣/ ١٥٢٥) بلفظ: "الغرب" بدل "المغرب"، وانظر: الاختلاف حول شرح الحديث في شرح مسلم للنووي (١٣/ ٦٨)، وعند الأبي (٥/ ٢٦٦)، والحلل السندسية في الأخبار التونسية (١/ ٢٢٠)، وفيه كلام جميل للطرطوشي حول هذا الموضوع.
والحديث أخرجه بسنده ابن أبي العرب التميمي القيرواني في "طبقات علماء إفريقية وتونس" (ص ٦٠ - ٦١، ٦٢ - ٦٣، ٦٤).

(٧) جذوة المقتبس (ص ٦).

وبهذا يتضح لنا أن الأندلس جزء لا يتجزأ من المغرب الإسلامي، وعلى هذا الأساس تكون دراستنا لعلماء المغرب، حيث تشمل العلماء الذين ظهروا في هذه البلاد: تونس والجزائر والمغرب والأندلس، والله الموفق.

**فتح المسلمين للمغرب:**

لقد جاءت فكرة فتح المغرب الإسلامي من قبل الجيوش الإسلامية على عهد عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ (ت ٢٤هـ) بعد فتح عمرو بن العاص (ت ٤٣هـ) لمصر وإقليمي برقة[١] وطرابلس[٢] سنة (٢٣هـ)، عند ذلك أراد عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يفتح ما وراء هذين الإقليمين من بلاد إفريقية إلا أن عمر بن الخطاب رفض ذلك إذ أنه خشي على الجيوش الإسلامية أن تتبعثر في هذه المناطق الشاسعة.

وبعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستخلاف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت ٣٥هـ)، قرر أن يرسل البعوث لفتح المغرب، فأرسل (سنة ٢٧هـ) عبد الله بن أبي سرح(ت ٥٩هـ)[٣]والي مصر على رأس حملة قوية اجتاز بها طرابلس واستولى على سفن للروم كانت راسية على الشاطئ هناك، ثم واصل سيره في إفريقية إلى أن التقى بجيوش البيزنطيين في مكان يسمى سبيطلة[٤]في جنوب القيروان.

(١) برقة: بفتح أوله والقاف، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، صورة الأرض (ص٦٩).

(٢) طرابلس ـ بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ـ تقع على شاطئ البحر، فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ عنوة. انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٥ ـ ٢٦).

(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، كتب الوحي للنبي ﷺ، ثم ارتد عن الإسلام وأهدر النبي ﷺ دمه، لكن عثمان أمّنه بعد أن تاب ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ ، ثم أسلم وحسن إسلامه، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وغزا إفريقية، اختلف في مكان وفاته، وزمن وفاته.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٧/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) التاريخ الكبير (٥/ ٢٩)، رقم: ٤٩، الجرح والتعديل (٥/ ٦٣) رقم: ٢٩٢، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣ ـ ٣٥)، رقم: ٨، الإصابة (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٨)، رقم: ٤٧١١ .

(٤) سبيطلة ـ بضم أوله وفتح ثانيه ـ : مدينة من مدن إفريقية، بينها وبين القيروان سبعون ميلاً. انظر عنها: معجم البلدان (٣/ ١٨٧).

وانتصر المسلمون في هذه الموقعة انتصاراً حاسماً، وقتل القائد البيزنطي على يد عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ)[١]، لكن عبد الله بن أبي سرح هذا لم يستطع الاستمرار في عملياته الحربية بالمغرب إذ اضطر إلى العودة إلى مصر لمحاربة أهل النوبة الذين هددوا مصر من الجنوب، لذلك عقد معاهدة مع البيزنطيين عاهدهم على إخلاء إفريقية في مقابل جزية سنوية كبيرة يدفعونها.

ولما ولي الخلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت ٦٠هـ) قرر إعادة الكرة لفتح إفريقية، فعهد بذلك إلى قائده معاوية بن حديج (ت ٥٢هـ)[٢]وكان ذلك سنة (٤٥هـ)، وقد اتخذ معاوية بن حديج من القيروان معسكراً، و صار يوجه بالسرايا منها، فمنها سرية عبد الله بن الزبير الذي فتح فيها قابس[٣]وبنزرت[٤] وسوسة[٥]، ولكن قيادة معاوية بن حديج لم تستمر طويلاً إذ عزله معاوية بن أبي سفيان وولى مكانه القائد

---

(١) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد، أحد العبادلة، ولد عام الهجرة، غزا إفريقية مع ابن أبي سرح، ثم غزا إفريقية ثانية مع ابن حديج وشهد فتح جلولاء كما شهد وقعة الجمل مع عائشة، حدَّث عن رسول الله ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعثمان وخالته عائشة وغيرهم، وروى عنه الكثير منهم: أولاده وأخوه عروة وطاوس وابن دينار وغيرهم، بويع بالخلافة بعد يزيد بن معاوية ٦هـ، قتله الحجاج سنة ٧٣هـ.

مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٥/ ٣٦٨)، رياض النفوس (١/ ٦٣ ـ ٦٤) رقم: ٣، المعالم (١/ ١١٢ ـ ١١٦) رقم: ١٣، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٦٣ ـ ٣٨٠) رقم: ٥٣، حلية الأولياء (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٧) رقم: ٤٦.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو نعيم معاوية بن حديج ـ بالحاء وقيل بالخاء خديج ـ الكندي، شهد فتح مصر، ثم غزا إفريقية ثلاث مرات، توفي سنة (٥٢هـ).

مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٧/ ٥٠٣)، أسد الغابة (٥/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، رقم: ٤٩٧٣، رياض النفوس (١/ ٩٢ ـ ٩٣) رقم: ٢٤٠، معالم الإيمان (١/ ١٤٠ ـ ١٤٤)، رقم: ٢٣، سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧ ـ ٤٠) رقم: ١٠.

(٣) قابس: هي مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، وهي من مدن تونس اليوم وتقع في الجنوب الشرقي.

انظر عنها: وصف إفريقيا (٢/ ٩١)، رحلة التيجاني (٨٦)، صورة الأرض (٧٢ ـ ٧٣).

(٤) بنزرت: مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، تقع على نحو ٣٥ ميل من تونس.

انظر عنها: وصف إفريقيا (٢/ ٦٨).

(٥) سوسة: انظر عنها: وصف إفريقيا (٢/ ٨٣ ـ ٨٤)، صورة الأرض (ص٧٤ ـ ٧٥).

عقبة بن نافع الفهري[١].

وقد استمرت ولاية عقبة على إفريقية من سنة ٥٠ إلى سنة ٥٥هـ ولم تكن ولايته تلك هي أول عهده بالمنطقة، بل كان قد دخلها من قبل ضمن جيوش عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ، مرابطاً هناك حتى عين والياً عليها يقاتل مع الجيوش الإسلامية.

وكان أول عمل قام به عقبة بن نافع بعد ولايته إفريقية هو تأسيس مدينة القيروان، وجعلها بمثابة قاعدة عسكرية ثابتة ليوطد بها نفوذ المسلمين.

وبعد أن أتم بناءها أتاه أمر الخليفة بعزله سنة ٥٥هـ وولى مكانه أبا المهاجر دينار (ت ٦٣هـ)[٢] الذي امتدت ولايته سبع سنوات (٥٥ ـ ٦٢هـ).

ولقد قام أبو المهاجر دينار بأعمال جليلة، وكان سياسياً محنكاً لم يعمل السيف في البربر[٣] كما فعل عقبة بن نافع، وإنما اتخذ سبيلاً آخر هو المداراة والملاينة واستمالة

---

(١) هو عقبة بن نافع بن قيس الفهري، ولد في أيام النبي ﷺ، ولّاه معاوية على إفريقية بعد عزل معاوية بن حديج الكندي، وهو الذي بنى مدينة القيروان ومسجدها سنة ٥٥هـ، كان مقتله رضي الله عنه سنة ٦٣هـ بعد أن فتح جميع بلاد المغرب.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٩٧ ـ ٩٨) رقم (٢٩)، أسد الغابة: (٤/ ٥٩ ـ ٦٠) رقم: ٣٧١٤، معالم الإيمان (١/ ١٤٦ ـ ١٦٧) رقم: ٣٣، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٢ ـ ٥٦٣٤) رقم: ١٣٨، الاصابة (٢/ ٤٩٢) رقم: ٥٦١٣.

(٢) هو: أبو المهاجر دينار والي إفريقيا عينه عليها والي مصر مسلمة بن مخلد سنة ٥٥هـ، ولما وصل إلى القيروان سجن عقبة بن نافع، حارب أبو المهاجر وهزم بقرطاجنة، وقد وصل حتى ضواحي تلمسان، قتل سنة ٦٣هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص٥٧)، النجوم الزاهرة (١/ ١٦٩، ٧٠، ٧٧، ٧٨)، البيان المغرب (١/ ١٧).

(٣) البربر: هو اسم يشمل قبائل كثيرة في جبال المغرب، أولها برقة ثم إلى آخر المغرب الأقصى والبحر المحيط، وهم أمم وقبائل لا تحصى، ينسب كل موضع إلى القبيلة التي تنزله، ويقال لمجموع بلادهم: بلاد البربر، واختلف في أصل نسبتهم، فأكثر البربر تزعم أن أصلهم من العرب، وقال الطبري: «هم من بقايا العماليق، ولما ساقهم إفريقيش الحميري بأمر النبي داود إلى إفريقية سموها باسم الذي ساقهم إليها فقالوا: إفريقية»، وقال ابن عبد البر: «البربر من القبط من ولد حام بن نوح، أول ما نزل قبط بن حام مصر وأورث فيها بنيه، وهم القبط الذين كان ملوكهم الفراعنة ومنهم تنسلت البربر»، وقيل غير ذلك في نسبهم. =

البربر بنشر الإسلام فيهم، وقد نجحت سياسته هذه نجاحاً كبيراً، إذ أسلم كسيلة زعيم البربر وكان نصرانياً، وكانت النتيجة أن تحالف البربر مع العرب الفاتحين، واستطاع أبو المهاجر بفضل هذا التحالف أن يجتاح المغرب الأوسط (الجزائر)ويحتل مدنه الساحلية حتى مدينة تلمسان.

وفي سنة ٦٠هـ توفي معاوية بن أبي سفيان وخلفه ابنه يزيد[١] الذي أعاد عقبة إلى ولاية إفريقية وعزل أبا المهاجر سنة ٦٢هـ، وهذه هي الولاية الثانية لعقبة على إفريقية والتي استمرت سنتين (٦٢ ـ ٦٤هـ)، ولم يستمر في معاملة البربر بالسياسة التي كان يعاملهم بها أبو المهاجر، بل كان يسخر من سياسة أبي المهاجر ويسخر من قوة كسيلة، وقام رضي الله عنه بحملته المشهورة حتى بلغ المحيط الأطلسي واقتحمه بفرسه قائلاً عبارته المشهورة:

«اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد سواك».

ولكنه عاد مضطراً إلى إفريقية لأن أخباراً سيئة بلغته، والتقى مع جيش كسيلة في مدينة تهودة[٢] بالقرب من بسكرة[٣].

---

= انظر: عنهم: معجم البلدان (١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩)، جذوة الاقتباس (١/ ١٤ ـ ١٦)، صورة الأرض (ص ٩٨).

(١) هو: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو خالد القرشي، تسلم الملك عند موت أبيه سنة ٦٠هـ، وله ثلاث وثلاثون سنة، له هنات كثيرة، وكان أمير الجيش في غزو القسطنطينية، قال عنه الذهبي: «كان قوياً شجاعاً ذا رأي وحزم وفطنة وكان ناصبياً [أي ممن ينصب العداء لعلي]، فظًا غليظاً جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، توفي سنة ٦٤هـ، وكانت ولايته ٣ سنوات وشهوراً».
مصادر ترجمته: المعارف لابن قتيبة (ص٣٥١)، الكامل في التاريخ: (٤/ ١٢٥ ـ ١٢٨)، البداية والنهاية (٨/ ٢٢٩ ـ ٢٤١)، سير أعلام النبلاء (٣٥ ـ ٤٠) رقم: ٨، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) رقم: ٦٩٩ .

(٢) تهودة: هي من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة وهي من أعمال الجزائر اليوم.
انظر عنها: الروض المعطار في خبر الأقطار (١٤٢ ـ ١٤٣)، وقد فصل قصة استشهاد عقبة رحمه الله.

(٣) بسكرة: مدينة بالمغرب الأوسط (الجزائر) من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، وهي مشهورة بالنخيل.
انظر عنها: معجم البلدان (١/ ٤٢٢).

وأمام حشد كبير من البربر والبيزنطيين انهزم جيش المسلمين، واستشهد عقبة وأبو المهاجر رضي الله عنهما سنة ٦٤هـ، وانسحب زهير بن قيس[١] (ت ٧٦هـ) إلى طرابلس.

وفي تلك السنة التي استشهد فيها عقبة، توفي يزيد بن معاوية، وصار الأمر لعبد الملك بن مروان[٢] (ت ٨٦هـ)، وكان ذلك سنة ٦٥هـ، فأمد جيش زهير بمدد وأمره بأن يستعيد القيروان وينتقم لمقتل عقبة، وتقدم زهير في حملته التأديبية والتقى بكسيلة في معركة عنيفة انتهت ـ بحمد الله ـ بقتل كسيلة وهزيمة جيشه ومطاردته من قبل المسلمين.

واكتفى زهير بن قيس بما حققه وأراد العودة إلى طرابلس إلا أنه اعترضه جيش البيزنطيين في معركة انتهت باستشهاد زهير ومعظم جيشه، ووقف بذلك فتح المغرب للمرة الثانية.

ولكن عبد الملك بن مروان لم ييأس، بل أعد جيشاً قوياً قوامه أربعون ألفاً وزوده بأسطول بحري وجعل قيادته في يد حسان بن نعمان الغساني(ت ٨٠هـ) [٣].

وخرج حسان في حملة ضخمة إلى إفريقية، وبدأ بقتال الروم فاستولى على

---

(١) هو: أبو شداد زهير بن قيس البلوي، معدود في جملة الصحابة، غزا إفريقية ووليها ورجع إلى مصر كراهة في الإمارة بعد أن سار بسيرة أهل العدل، استشهد ببرقة سنة ٧٦هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٩٣ ـ ٩٤) رقم: ٢٥، تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧)، أسد الغابة (٢/ ٢٦٧) رقم: ١٧٨٣، الإصابة (١/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) رقم: ٢٨٤١.

(٢) هو: أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الأموي، سمع من عثمان وأبي هريرة وأم سلمة ومعاوية وابن عمر وغيرهم، وعنه رجاء بن حيوة والزهري وربيعة بن يزيد وغيرهم، توفي في شوال سنة ٨٦هـ، وكانت خلافته ٢١سنة.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٣٥)، تاريخ البخاري: (٥/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) رقم: ١٣٩٧، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٨ ـ ٣٩١) رقم: ٥٥٦٨، سير أعلام النبلاء (٢٤٦ ـ ٢٤٩) رقم: ٨٩ .

(٣) هو: حسان بن النعمان بن المنذر الغساني من ملوك العرب، ولي المغرب فهذبه وعمره، كان بطلاً شجاعاً لبيباً، حكم المغرب نيفاً وعشرين سنة، كان يدعى الشيخ الأمين لثقته وجلالته، توفي سنة ٨٠هـ.
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤٠) رقم: ٤٧، العبر (١/ ٦٨)، النجوم الزاهرة (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، تهذيب تاريخ دمشق (١/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

قرطاجنة[١] وطرد البربر منها، ثم توجه نحو البربر وكانت تقودهم امرأة تسمى داهية وتلقب بالكاهنة[٢].

والتقى حسان بالكاهنة سنة ٧٥هـ في نفس الموقع الذي استشهد فيه عقبة، وانهزم حسان وانسحب إلى إقليم برقة حيث أقام في موضع لا يزال يسمى "قصور حسان"، حيث لبث خمس سنوات.

والتقت الجيوش الإسلامية مرة أخرى بجيوش الكاهنة بعد أن انضم عدد كبير من البربر لصفوف المسلمين بعدما نقموا عليها إحراق وتدمير كل شيء، وألقت الرعب في قلوب البربر بحجة أن العرب إنما جاؤوا لينهبوا خيرات البلاد، فإذا قضت عليها رجعوا من حيث أتوا، واستراحت منهم، هذا السلوك ـ كما قلت ـ جعل البربر ينقمون عليها ويعلنون الانضمام لجيوش المسلمين.

والتقى جيش المسلمين بجيش الكاهنة سنة ٨٢هـ في مكان يعرف ببئر الكاهنة في جبال أوراس[٣]، حيث انهزم جيش الكاهنة وأخذ حسان يطاردها حتى قتلها، ثم أخذ يعمل على استمالة البربر فولى عليهم عمالاً وقواداً منهم وقام بإصلاحات عظيمة في المجال البحري والاقتصادي.

ولما ولي الخلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦هـ[٤] عزل حسان بن النعمان، وولى

---

(١) قرطاجنة: من ضواحي تونس الشمالية حالياً، وكانت دار ملك إفريقية.
انظر: البكري (٤١ ـ ٤٥)، البيان المغرب (١/ ٢٣).

(٢) لم أجد لها ترجمة، ولكن كل من تعرض للحديث عن الفتح الإسلامي للمغرب ذكرها على أنها كانت زعيمة للبربر، ثم قتلت كما ذكرت.

(٣) الأوراس: هي كتلة جبلية شاهقة تقع على بعد نحو ستين ميلاً من بجاية وثمانين ميلاً من قسنطينة، وهي ممتدة على نحو ستين ميلاً.
انظر عنها: وصف إفريقيا (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٤) هو: الخليفة أبو العاص الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية، بويع بعهد من أبيه، فتح الأندلس وبلاد الترك، توفي سنة ٩٦هـ، وله إحدى وخمسون سنة.
مصادر ترجمته: المعارف: ٣٥٩، تاريخ ابن الأثير (٥/ ٨ ـ ١١)، البداية والنهاية (٩/ ٧٠ ـ ٧١، ١٦١)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) رقم: ١٢٠ .

مكانه التابعي المشهور موسى بن نصير (ت٩٧ أو ٩٩هـ)[(١)] الذي سار فيهم سيرة أبي المهاجر وسيرة حسان من استمالة البربر وإشراكهم في جيشه على نطاق واسع وقد عهد إلى فقهاء المسلمين بتعليمهم قواعد الإسلام.

وفتح المغرب الأقصى بعد أن وطد نفوذه بالمغرب الأدنى والأوسط، وساعده على ذلك أسطوله القوي الذي بناه عرض البحر ليحمي به ظهره من البيزنطيين ويتجنب ما وقع فيه عقبة من الخطأ، واستطاع أن يقدم باطمئنان على فتح الأندلس.

**فتح المسلمين للأندلس:**

ثم جاء فتح المسلمين للأندلس نتيجة تخطيط دقيق ودراسة شاملة وتدريب محكم؛ فقبل العبور إلى الأندلس وفتحها نهائياً، كان موسى بن نصير قد قام بعدة غارات استكشافية على الجنوب لجس النبض.

كان أول عمل قام به هو استدعاؤه لحاكم سبتة الكونت يوليان الذي كان يحرضه على غزو الأندلس وطمأنه بأنه سوف لن يجد مقاومة ذات بال لضعف ملكهم، وكانت بين يوليان هذا وحاكم الأندلس أمور جعلت يوليان يحنق عليه، فكان وجود المسلمين فرصة للإطاحة به وشفاء غليله منه[(٢)].

ولكن موسى بن نصير قبل أن يقدم على ما طلبه يوليان استدعى أحد قواده وهو أبو زرعة طريف بن مالك[(٣)]، وأمره بشن غارة على ساحل الأندلس الجنوبي، فعبر طريق

---

(١) هو: أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي، فاتح الأندلس، كان شجاعاً مقداماً، وهو من التابعين، روى عن تميم الداري وغيره، وروى عنه يزيد ابن مسروق اليحصبي وغيره، توفي بمر الظهران أو بوادي القرى على اختلاف فيه، وذلك سنة ٩٧ أو ٩٩هـ رحمه الله.

مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧) رقم: ١٤٥٦، جذوة المقتبس (ص٣٣٨) رقم: ٧٩٣، بغية الملتمس (ص ٤٤٢)، رقم: ١٣٣٤، البداية والنهاية (٩/ ١٧٨ ـ ١٨١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٩٦ ـ ٥٠٠) رقم: ١٩٥ .

(٢) انظر: عن هذه القصة وصف إفريقيا (١/ ٣١٦)، واسم الملك لذريق.

(٣) هو: أبو زرعة طريف بن مالك المعافري، مولى موسى بن نصير، وهو من البربر، كان موسى بن نصير قد أرسله في أربعمئة رجل معهم مئة فرس، فنزل بجزيرة تعرف بالخضراء، يقال لها اليوم "جزيرة طريف".

انظر عن خبره: نفح الطيب (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤)، صفة جزيرة الأندلس (ص١٢٧)، آثار الأندلس الباقية لعبد الله عنان (٢٧٨).

المضيق في مئة فارس وأربعمئة رجل وذلك في رمضان من سنة (٩١هـ)، فأغاروا على تلك المناطق وأصابوا سبياً ومالاً كثيراً ورجعوا سالمين، عند ذلك تأكد لموسى بن نصير ضعف المقاومة كما أخبره يوليان، فأعد جيشاً كبيراً قوامه سبعة آلاف محارب لغزو الأندلس بقيادة طارق بن زياد[١]، ومضى طارق لسبتة[٢] وجاء في مراكبه إلى جبل طارق[٣] المعروف باسمه إلى الآن وذلك سنة ٩٢هـ، وأراد العدو أن يمنعه من النزول فعدل عنه إلى موضع آخر وعبر فنزل فيه، ولما كان الليل كرّ على العدو فانقض عليه فجأة وأباده عن آخره وغنم ما معه من خيرات.

ثم أقام طارق عند الجبل الذي أصبح يدعى باسمه عدة أيام، وهناك روايات تقول بأن طارقاً أحرق سفنه حتى لا يفكر جيشه في الرجوع والارتداد إلى الوراء، وأعد قاعدةً عسكريةً بجوار الجبل لحماية ظهره من الانسحاب والهزيمة، وعلم ملك إسبانيا بنزول المسلمين فأرسل بجميع قواته ومعداته وأمواله لملاقاتهم، أما طارق فكان قد زحف نحو الغرب، وعلم من عيونه المنبثين بأنباء الحشود الضخمة التي حشدها ملك إسبانيا، فانزعج لذلك وأرسل إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد، فاستجاب موسى لطلبه وأمده بخمسة آلاف جندي، فصار مجموع الجيش حوالي اثني عشر ألفاً.

ثم كانت المعركة الفاصلة التي وقعت أحداثها في كورة شذونة (جنوب غرب إسبانيا)[٤] والتي دامت ثمانية عشر يوماً، كان النصر فيها حليف المسلمين بعد اقتتال شديد لم يكن في المغرب أعظم منه.

---

(١) هو: طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، له فتوحات عظيمة بالمغرب، وهو الذي فتح جزيرة الأندلس ودوخها، وإليه ينسب جبل طارق، رحل مع سيده بعد فتح الأندلس إلى الشام وانقطع خبره بعد ذلك.
مصادر ترجمته: بغية الملتمس (ص١١، ٣١٥) رقم: ٨٤٦، تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٤١ ـ ٤٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٠ ـ ٥٠٢)، رقم: ١٩، نفح الطيب (١/ ٢٢٩) وما بعدها.

(٢) سبتة: مدينة عظيمة، سماها الرومان سيفطاس، وسماها البرتغاليون سوبتة، أسسها الرومان على أصح الروايات، وهي الآن تحت حكم الإسبان.
انظر عنها: وصف إفريقيا (١/ ٣١٦ ـ ٣١٨).

(٣) جبل طارق: جبل فيه خرج طارق بن زياد ومنه افتتح الأندلس وهو عند الجزيرة الخضراء.
انظر عنه: صفة جزيرة الأندلس لمحمد بن عبد الله الحميري (ص ١٢١)، الآثار الأندلسية الباقية (ص٢٨٤ ـ ٢٩١).

(٤) شذونة ـ بفتح أوله وبعد الواو نون ـ: مدينة بالأندلس ينسب إليها كثير من العلماء، وهي كورة=

ولقد فتح هذا النصر أبواب الأندلس للمسلمين، حيث توجه طارق شمالاً نحو العاصمة طليطلة[١]، وأرسل بقوات أخرى إلى المناطق الجنوبية مثل قرطبة[٢] وألبيرة[٣] فاستولوا عليهما، ودخل طارق طليطلة دون مقاومة؛ إذ فرَّ منهما أهلها حتى أصبحت شبه خالية، وغنم المسلمون غنائم عظيمة من الكنوز والذخائر، وخشي طارق أن يفتتنوا بها فيباغتهم العدو وهم على تلك الحال من الافتتان، فاستنجد بقائده موسى بن نصير، فعبر موسى إلى الأندلس في جيش قوامه ثمانية آلاف مقاتل معظمهم من العرب، ومن بينهم عدد من التابعين وذلك في رمضان سنة ٩٣هـ، ولم يسلك موسى بن نصير الطريق نفسه الذي سلكه طارق بل اتجه غرباً، حيث استولى على مدن لم يكن طارق استولى عليها، ثم التقيا عند نهر تاجه[٤] بالقرب من العاصمة طليطلة، وتابعا السير إلى أقصى

---

= جامعة لخيرات البر والبحر، كريمة البقعة، وهي التي كان فيها النصر على لُذريق حين افتتحت الأندلس سنة ٩٦هـ.

انظر عنها: صفة جزيرة الأندلس (١٠٠ ـ ١٠١)، معجم البلدان (٣/ ٣٢٩).

(١) طليطلة: بضم الطاءين وفتح اللامين، مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، كانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم، ولا تزال في أيدي المسلمين منذ الفتح إلى أن سقطت في أيدي الأفرنج سنة ٤٧٠هـ وإليها ينسب كثير من العلماء.

انظر عنها: صفة جزيرة الأندلس (ص١٣٠ ـ ١٣٥)، معجم البلدان (٤/ ٣٩ ـ ٤٠)، الآثار الأندلسية الباقية (٨٠ ـ ٩٢).

(٢) قرطبة: هي قاعدة الأندلس، وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين، وفضائل قرطبة، ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وإليها ينسب أعلام العلماء وسادة الفضلاء، جاء في وصفها وحسنها قول الشاعر:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة ... منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم أعظم شيء وهو رابعها

انظر عنها: صفة جزيرة الأندلس (ص ١٥٣ ـ ١٥٨)، معجم البلدان (ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥)، الآثار الأندلسية الباقية (ص١٨ ـ ٣٤)، نفح الطيب (٢/ ٩).

(٣) ألبيرة: من كور الأندلس، جليلة القدر، أسسها عبد الرحمن بن معاوية وأسكنها مواليه، كانت من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة، بينها وبين غرناطة ستة أميال وإليها ينسب كثير من العلماء.

انظر عنها: صفة جزيرة الأندلس (ص٢٩ ـ ٣٠)، معجم البلدان (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٤) نهر تاجه: نهر عظيم يشق طليطلة، وهو نهر موصوف من أنهار العالم.

انظر عنه: وصف جزيرة الأندلس (ص٦٢).

الشمال، وأخذت المدن تتهاوى في أيديهما تباعاً حتى بلغا شاطئ بحر الشمال عند حدود فرنسا الجنوبية.

وهكذا انتهى كل من موسى وطارق من فتوحاتهما، وكانت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك قد قضت برجوعهما إلى دمشق، فرجع موسى ومعه طارق بعد أن خلفا على الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير وذلك أواخر سنة ٩٥ هـ، وقد قام عبد العزيز بفتح شرق الأندلس، أما الركن الشمالي الغربي فقد تركه المسلمون ولم يفرضوا سلطانهم عليه لوعورة مسالكه وبرودة مناخه.

هذه مقدمة عن فتح المسلمين للمغرب الإسلامي لخصتها من عدة مراجع ككتب التراجم التي كلما ذكرت علماً من أعلام الفتح ذكرت صلته به، وكتب الجغرافية التي تعرف بالمدن، كذلك كلما ذكرت مدينة ذكرت علاقتها بالفتح، وهناك كتب التاريخ الخالصة التي أسهبت في ذكر وقائع الفتح، وقد أشرت إلى كل ذلك أثناء الترجمة للأعلام، أو التعريف بالمدن.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الأول
# أثر الفتح الإسلامي في نشر الإسلام ببلاد المغرب

المبحث الأول: جهود الفاتحين من الصحابة والتابعين في نشر الإسلام بالمغرب.

المبحث الثاني: بعثة عمر بن عبد العزيز.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الأول
## جهود الفاتحين من الصحابة والتابعين في نشر الإسلام بالمغرب

يرجع استقرار المذهب السني بالمغرب إلى عهد الفاتحين الأول الذين كانوا يحملون معهم النور الرباني الذي اهتدوا به، فكان أول عمل يقومون به هو نشر الدعوة الإسلامية وتبليغ دين الله إلى الأمم وتفقيه الداخلين فيه وتعليمهم أمور هذا الدين، بل لقد كان الغرض الأول والهدف الأسمى من الفتح هو نشر دين الله في الأمم وإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وهذا المعنى هو الذي عبر عنه ربعي بن عامر[١] ﷺ حين سأله ملك الروم: «ما الذي جاء بكم؟ فأجاب: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

لقد كانت هذه سيرتهم، وكان هذا دأبهم في كل بلد حلوا به، والغريب في الأمر أن قادة الفتح أنفسهم، هم الذين كانوا يتولون توعية الناس وتعليمهم أمر دينهم ونشر الإسلام فيهم، وإن كان هذا قليلاً، لأن هؤلاء القادة كانت تشغلهم عن القيام بأمر التعليم مهمات أخرى مثل إعداد الجيوش وتنظيم البلاد التي حلوا بها والتفكير في فتوحات أخرى، لذلك كان وراء هؤلاء القادة فئة أخرى هي أقدر على نشر الدعوة وتعليم الناس منها على الغزو والحرب، وهذه الفئة هي التي اشتهرت بالعلم والصلاح، وهي التي تولت مهمة القيام بنشر العلم والدعوة إلى هذا الدين.

لقد كان أول عمل قام به عقبة بن نافع بعد فتح القيروان هو بناء مسجدها العظيم وجعله مركزاً لنشر الدعوة الإسلامية بين سكان المغرب، كما جعل القيروان مركزاً تنطلق منه الجيوش الإسلامية لفتوحات أخرى.

ومن هذا المسجد انطلقت الدعوة بين أهالي المغرب، وأقبل الناس عليه لتلقي العلوم الإسلامية، والرجوع إلى أهلهم بعد ذلك لتلقينهم إياها، هذا بالإضافة إلى أولئك

---

(١) هو: ربعي بن عامر بن خالد، كان من أشرف العرب وكان ممن شارك في غزوة نهاوند، وممن بنى فسطاطاً، ولاه الأحنف بن قيس على طخارستان.
مصادر ترجمته: الإصابة (١/ ٥٠٣) رقم: ٢٥٧٢ .

المعلمين العرب أو البربر الذين كانت ترسلهم الدولة إلى الأقاليم المختلفة لتعليم الناس بعد أن يكونوا قد تكونوا في العاصمة[(١)].

وقد قام بتنظيم البلاد التي فتحها على أسس إسلامية، ففرض على العرب وعلى غيرهم أحكام الإسلام، وكان قصده من بناء القيروان ومسجدها أن تكون عاصمة للحكم الإسلامي ومركزاً لنشر الدعوة، وقال في ذلك: «إني أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحرموا بالإسلام، فإذا خرج عنها رجع كل من أجاب منهم عن دين الله، فهل لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لكم عز الأبد»؟[(٢)].

وبعد مقتل عقبة بن نافع ارتد كثير من البربر في أنحاء المغرب عن الإسلام، الأمر الذي أقنع حسان بن النعمان بأن يركز جهوده الدعوية بإفريقية (تونس) لأنه خشي أنه إذا تجاوزها إلى الأنحاء الأخرى النائية أن يحدث له ما حدث لعقبة.

ولما جاء دور موسى بن نصير ﷺ ركز هو الآخر على جانب التعليم، حيث سخر سبعةً وعشرين رجلاً من العرب ممن ساهموا معه في الفتح لتعليم الناس أمور الدين والدنيا[(٣)].

وكان لموسى بن نصير دور بارز ـ بفضل الله ـ في استقرار كلمة الإسلام في البربر، حيث كان قدومه إلى المغرب مرحلة مهمة من مراحل نشر الإسلام به.

يقول عنه ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ)[(٤)]: «إن البربر ارتدوا اثني عشر مرة، وإنهم لم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد موسى بن نصير»[(٥)].

---

(١) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (ص ٩٤).

(٢) الاستبصار في عجائب الأمصار (ص ١١٣) الإسكندرية: ١٩٥٨م.

(٣) تاريخ ابن خلدون (١/ ١٢٦).

(٤) هو: الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني النفزي، ولد بالقيروان وأخذ بها عن عدد من العلماء منهم ابن اللباد وأبو الحسن الخولاني وأبو العرب وغيرهم، وذاع صيته حتى لقب بمالك الصغير، توفي بالقيروان سنة ٣٨٦هـ، وكانت ولادته سنة ٣١٠هـ.
مصادر ترجمته: فهرست ابن خير (ص٤٤)، الديباج المذهب (١/ ٤٢٧ ـ ٤٣٠) رقم: ١١، معالم الإيمان (٣/ ١٣٥ ـ ١٥١)، النجوم الزاهرة: (٤/ ٢٠٠)، شجرة النور الزكية (ص٩٦)، وانظر مقدمة الجامع التي كتبها أبو الأجفان، مقدمة الرسالة الفقهية له ـ أيضاً ـ.

(٥) انظر: الاستقصاء (١/ ٦٠).

ولقد ساهمت حنكته السياسية التي اشتهر بها في الإقبال الكبير على الإسلام من جانب البربر، إذ كان إشراكه لهم في الحكم سبباً في هذا الإقبال ومحاولة منهم لفهم هذا الدين الجديد بعد أن كانوا قد ارتدوا عنه مرات عديدة، وقد أخذ موسى بن نصير على عاتقه مهمة تفقيه البربر في أمور دينهم، فأنشأ لهم المساجد وهيأ لهم المعلمين، فكان قدوم موسى بن نصير إلى المغرب مرحلة جديدة من مراحل انتشار الإسلام في المغرب الإسلامي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الثاني
## بعثة عمر بن عبد العزيز

وقد دعمت هذا الاتجاه بعثة عمر بن عبد العزيز إلى المغرب، التي تعتبر البدء الفعلي في تعلم علوم الدين بالمغرب، والتي كانت تتكون من عشرة فقهاء ـ وقيل: تسعة ـ ليفقهوا أهلها ويعلموهم الحلال والحرام، وهؤلاء الفقهاء هم:

موهب بن حي المعافري[١] الذي سكن القيروان وبث فيها علماً كثيراً[٢]، وحبان ابن أبي جبلة (ت١٢٢ أو ١٢٥هـ)[٣] الذي سكن القيروان وانتفع به أهلها، وإسماعيل بن عبيد الله بن الأعور القرشي (ت١٣١ أو ١٣٢هـ)[٤] الذي استعمله عمر على أهل إفريقية[٥]، ليحكم بينهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ويفقههم في الدين، فسار

---

(١) هو: موهب بن حي المعافري، تابعي صحب ابن عباس وروى عنه وعن غيره من الصحابة، سكن القيروان وبها توفي، لم تذكر المصادر سنة وفاته.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص٨٤)، رياض النفوس (١/ ١١٠ ـ ١١١) رقم: ٣٤، معالم الايمان (١/ ٢١٣) رقم: ٥٩ .
ووردت في المعالم (ابن حبي) بدل (ابن حي)، وقال: وهو الصحيح، وأما أبو زرعة فقال: «الصحيح: حي بن موهب».
انظر: المعالم (١/ ٢١٣) هامش رقم: ٢ .

(٢) انظر: المعالم (١/ ٢١٣).

(٣) هو: حبان بن أبي جبلة القرشي المصري، تابعي روى عن جماعة من الصحابة، منهم: عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص وولده عبد الله، وروى عنه أبو شيبة عبد الرحمن بن يحيى الصدفي وغيره، توفي سنة ١٢٢ أو ١٢٥هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ١١١ ـ ١١٢)رقم: ٣٥، معالم الإيمان (١/ ٢٠٩) رقم: ٥٦، الإصابة (١/ ٣٧٢) رقم: ١٩٤٥، نفح الطيب (١/ ٢٧٨)، (٣/ ٩) رقم: ٦٠ .

(٤) هو: أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الأعور القرشي المخزومي، ولاه عمر ابن عبد العزيز إفريقية عام (١٠٠هـ)فكان لها خير وال وخير أمير، كان من أهل الدين والزهد، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد الله وغيرهما، وروى عنه الأوزاعي وغيره، توفي بالقيروان سنة ١٣٢هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص٨٤)، رياض النفوس (١/ ١١٥ ـ ١١٧) رقم: ٣٨، معالم الإيمان(١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦) رقم: ٥٤ .

(٥) إفريقية: المقصود بها تونس الحالية.

فيهم بالحق والعدل وعلمهم السنن، وكان حريصاً على إسلام البربر، وقد أسلم على يديه خلق كثير منهم[(١)]، وإسماعيل بن عبيد الله مولى الأنصار (ت ١٠٧هـ)[(٢)] هو الآخر انتفع به أهل القيروان انتفاعاً كبيراً، وبث فيهم علماً كثيراً[(٣)].

ومنهم طلق بن جابان[(٤)]، وبكر بن سوادة الجذامي (ت ١٢٨هـ)[(٥)]، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي (ت ١١٣هـ)[(٦)] الذي استقضاه موسى بن نصير بالقيروان، وهو أول من استقضي بها بعد الفتح، وقد انتفع به أهلها أيما انتفاع، وعبد الله بن يزيد (ت ١٠٠هـ)[(٧)] الذي انتفع به أهل المغرب انتفاعاً عظيماً، وبث

---

(١) انظر: مصادر ترجمته.

(٢) هو: إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري الملقب بتاجر الله، صحب جماعة من الصحابة، وروى عنهم، منهم: عبد الله بن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ وروى عنه عدد كبير من أهل المغرب ومصر، قيل: هو الذي بنى مسجد الزيتونة سنة ٧١هـ، توفي غريقاً أثناء خروجه غازياً سنة ١٠٧هـ، سمي بتاجر الله لأنه جعل ثلث كسبه لصرفه في وجوه الخير.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص٨٤ ـ ٨٦)، رياض النفوس (١/ ١٠٦ ـ ١٠٩) رقم: ٣٢، معالم الإيمان (١/ ١٩١ ـ ١٩٥) رقم: ٤٨ .

(٣) انظر مصادر ترجمته.

(٤) هو: طلق بن حابان ـ ويقال: ابن جابان، ويقال: ابن جعبان ـ الفارسي، كان فقيهاً عالماً، روى عنه موسى بن علي وعبد الرحمن بن أنعم.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (٨٦)، رياض النفوس (١/ ١١٧ ـ ١١٨) رقم: ٣٩، معالم الإيمان (١/ ٢١٥) رقم: ٦١ .

(٥) هو: أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي المصري الفقيه، تابعي، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب وعطاء بن يسار، وعنه عبد بن عمرو بن الحارث والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم، وثقه النسائي واستشهد به البخاري، سكن القيروان وغزا، توفي سنة ١٢٨هـ في خلافة هشام بن عبد الملك.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ١١٢ ـ ١١٣) رقم: ٣٦، معالم الإيمان (١/ ٢١١ ـ ٢١٣) رقم: ٥٨، طبقات ابن سعد (٧/ ٥١٤)، بغية الملتمس (ص٢٣٢) رقم: ٥٨٦ .

(٦) هو: أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي، أحد العشرة التابعين، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجماعة من الصحابة، روى عنه عبد الرحمن بن أنعم وغيره، توفي بالقيروان سنة ١١٣هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ١١٠) رقم: ٣٣، معالم الإيمان (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩) رقم: ٥١، تهذيب التهذيب (٦/ ١٦٨) رقم: ٣٤٥ .

(٧) هو: أبو عبد الرحمن الحبلي عبد الله بن يزيد المعافري تابعي، روى عن جماعة من الصحابة =

فيهم علماً كثيراً، وكان الشيخ أبو الحسن القابسي (ت ٤٠٣هـ)[١] إذا ترحم على والديه يضيف: «ورحمك الله يا أبا عبد الرحمن» لما كان له من جهد كبير وأثر عميق في نشر الإسلام والعلم بتلك المنطقة، ومنهم سعيد بن مسعود التجيبي[٢].

وكان السبب ـ كما ذكر ـ في إرسال عمر بن عبد العزيز هذه البعثة: ما لاحظه من أن شيوع الإسلام بالمغرب لم يكن إلا أمراً سطحياً لا يقيها كيد الكائدين ولا يحقق فيها ما يشد أزر الدين.

وقد كان لهذه البعثة أثر كبير في نشر السنة وتفقيه أهل المغرب أمر الدين حيث «اختط كل واحد منهم داراً لسكناه وبنى مسجداً بحذائها لعبادته ومجالسه، واتخذ بقربه كتاباً لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العربية لصغار أطفال البلد، وأشاعوا الرشد وعلموا الحلال والحرام وحرصوا على الأمن والتآخي والمواساة، فكان إسلام البربر نهائياً من آثار هذه البعثة الكريمة»[٣].

---

= منهم: أبو أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن زيد الأنصاري وغيرهم، روى عنه يزيد بن عمرو وعامر بن يحيى المعافري وغيرهما، شهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير، سكن القيروان وبها توفي سنة ١٠٠هـ.

مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٧/ ٥١١)، رياض النفوس (١/ ٩٩ ـ ١٠١) رقم: ٣٠، معالم الإيمان (١/ ١٨٠ ـ ١٨٤) رقم: ٤٣، تهذيب التهذيب (٦/ ٨١ ـ ٨٢) رقم: ١٦١.

(١) هو: الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي المالكي، سمع من أبي يزيد المروزي وجماعة، كان عارفاً بالعلل والرجال، له مؤلفات كثيرة منها: "الملخص فيما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس"، وكتاب "الممهد في الفقه"، وكتاب "أحكام الديانات"، وكتاب "المنقذ من شبه التأويل"، وغيرها.

مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٣/ ١٣٤، ١٤٣) رقم: ٢٦٤، ترتيب المدارك (٤/ ٦١٦، ٦٢١)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢) رقم: ٤٤٦، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥٨ ـ ١٦٢) رقم: ٩٩.

(٢) هو: أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي الكندي، مصري، صحب جماعة من الصحابة، وروى عنهم، منهم: أبو الدرداء وغيره، روى عنه جماعة منهم: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وزيد بن أبي حبيب وغيرهما، شهر بالدين والعقل وقلة الهيبة للملوك، سكن القيروان وبها توفي.

مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (٢١)، أسد الغابة (٢/ ٣٧٣) رقم: ٢٠٤٤، رياض النفوس (١/ ١٠٢ ـ ١٠٦) رقم: ٣١، معالم الإيمان (١/ ١٨٤ ـ ١٨٧) رقم: ٤٤.

(٣) محمد الفاضل بن عاشور، أعلام الفكر الإسلامي (ص ١٠).

وكان قدوم هؤلاء الفقهاء إلى المغرب وانتشارهم في ربوعه يفقهون الناس أمور دينهم، مرحلة هامة من مراحل انتشار الإسلام في المغرب.

ويلاحظ أن هؤلاء الفقهاء كانوا من قبائل مختلفة من العرب، وبعضهم من العجم، يجمع بينهم معتقد واحد ومعرفة معمقة في الدين.

والدليل على أن هذه البعثة كان لها أثر عميق في نشر الإسلام بالمغرب ما أشار إليه د.هويدي في كتابه "تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية"[(١)] من أن الأجيال التي جاءت بعدهم إلى يومنا هذا: «تعدهم أصحاب الفضل الأكبر في نشر الثقافة الإسلامية في القارة الإفريقية كلها».

وإلى جانب نشاطهم الدعوي والعلمي كان لهم نشاط آخر سياسي، حيث كانوا مع حنظلة بن صفوان[(٢)] والي القيروان، عندما التفوا حوله لمَّا ثار عليه ميسرة المدغري الصفري[(٣)] بطنجة، وكتبوا له رسالة هامة بعث بها إلى أهل طنجة، وهي توضح قواعد الدين وطرق النجاة في الدنيا والآخرة، وهذه الرسالة هي:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة، أما بعد:

فإن أهل العلم بالله وكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ قالوا: إنه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل إلى عشر آيات: آمرة وزاجرة ومبشرة ومنذرة ومخبرة ومحكمة ومشتبهة وحلال وحرام وأمثال؛ فآمرة بالمعروف، وزاجرة عن المنكر، ومبشرة بالجنة، ومنذرة بالنار،

---

(١) انظر ص: ١٤٥.

(٢) هو: حنظلة بن صفوان، كان والياً على مصر عندما كانت الجيوش الأموية تتلقى الهزائم المتتالية أمام البربر أيام عبيد الله بن الحبحاب وكلثوم بن عياض، فأمر الخليفة هشام بن عبد الملك حنظلة بالإسراع إلى المغرب لإنقاذ الموقف، فوصل إلى القيروان سنة ١٢٤هـ واستطاع أن يحرز نصراً على جيوش البربر سنة ١٢٥هـ، واستمر في ولاية إفريقية مدة سنتين، استتب فيهما الأمر وهدأت الأحوال إلى أن أخرجه منها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري سنة ١٢٧هـ.
انظر عنه فجر الأندلس للدكتور: حسين مؤنس (ص١٧٦ ـ ١٨٠)، أعمال الأعلام (القسم الثالث ـ ص٦، هامش ٢).

(٣) سيأتي الحديث عن ثورات الخوارج بإسهاب في الفصل الذي عقدته لمقاومة الفكر الخارجي من قبل علماء المغرب.

ومخبرة بخبر الأولين والآخرين، ومحكمة يعمل بها، ومتشابهة يؤمن بها، وحلال أمر أن يؤتى، وحرام أمر أن يجتنب، وأمثال واعظة؛ فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة، ومن يحلل الحلال ويحرم الحرام ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله ـ مع طاعة واضحة ونية صالحة ـ فقد فلح وأنجح، في حياة الدنيا والآخرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

والتفافهم هذا إلى جانب حنظلة بن صفوان يعكس معرفتهم التامة بما يمثله الفكر الخارجي من خطر، وخروج عن الجماعة.

وكان من الآثار الكثيرة لهذه البعثة أن الخمرة كانت منتشرة كأنها حلال عند أهل إفريقية، حتى بعث عمر بن عبد العزيز هؤلاء الفقهاء فعرفوا أنها حرمت[٢].

ولم يقتصر جهد هذه البعثة على تبيين الحلال والحرام، بل اهتموا بما هو أجل من ذلك؛ اهتموا بتطهير المعتقدات وإزالة ما علق بها من أدران الدعوة الخارجية.

ولم يقتصر نشر الإسلام على بعثة عمر بن عبد العزيز، بل كان لغيرهم من التابعين فضلهم أيضاً في تعليم أهل المغرب أمر دينهم، ونشر علوم الكتاب والسنة فيهم ودعوتهم إلى الإسلام.

فهذا أبو عبد الله علي بن رباح بن نصير اللخمي (ت١١٤هـ)[٣] الذي قدم المغرب غازياً مجاهداً، وسكن القيروان واختط بها داراً ومسجداً، وانتفع به وتفقه على يديه أهل القيروان[٤]، وكذلك عبد الله بن أبي بردة القرشي[٥] انتفع به أهل المغرب انتفاعاً كبيراً.

---

(١) انظر: رياض النفوس للمالكي (١/ ١٠٣).

(٢) طبقات أبي العرب (ص ٩٧).

(٣) هو: أبو عبد الله علي بن رباح بن نصير اللخمي، كان فاضلاً جليلاً، روى عن جماعة من الصحابة، منهم: عمرو بن العاص وولده عبد الله، وأبو هريرة وعائشة ﷺ، قدم إفريقية مجاهداً في سبيل الله وبها توفي سنة ١١٤هـ، وقيل: ١١٧هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص١٨)، رياض النفوس (١/ ١١٩ ـ ١٢٠)رقم: ٤٠، معالم الإيمان (١/ ١٩٦ ـ ٢٠١) رقم: ٥٢، تهذيب التهذيب (٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) رقم: ٥٤٠، حسن المحاضرة (١/ ٢٩٧).

(٤) انظر: مصادر ترجمته.

(٥) هو: أبو المغيرة عبد الله بن أبي بردة القرشي، من فضلاء التابعين، روى عن سفيان بن وهب =

إلى جانب هؤلاء المعلمين الذين جاؤوا من المشرق، فإن أهل المغرب ما لبثوا، وبأعداد كبيرة أن رحلوا إلى المشرق للحج ولقاء من وجدوا من التابعين و الأئمة الفقهاء، والأخذ عنهم بالمدينة والشام ومصر، فأخذوا عنهم أصول الدين والفقه والحديث، وعادوا إلى بلادهم واستقروا فيها يعلمون الناس ويجتهدون في حل ما يعرض لهم من مشاكل[١].

وكانت قد تكونت حول التابعين الذين استقروا بالمغرب الإسلامي نتيجةَ الفتح، أو الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز، تكونت حول هؤلاء التابعين جماعات مؤمنة متمسكة بالكتاب والسنة، نافرة من أصحاب الرأي؛ لأن نفوسهم تربَّت على الخوف من الرأي والابتداع، وعلى النفور مما لقيهم في طريقهم من آراء الاعتزال والتخريج والتأويل والكلام، واستقر في نفوسهم أن الدين إنما هو القرآن والسنة ولا شيء بعد ذلك[٢].

---

= الخولاني صاحب رسول الله ﷺ ، روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وابن لهيعة وخالد بن ميمون وابن أنعم، سكن القيروان وبها توفي، ولم أجد ذكراً لسنة وفاته.

مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص٢٢)، رياض النفوس (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧) رقم: ٤٥، معالم الإيمان (١/ ٢١٠ ـ ٢١١) رقم: ٥٧ .

(١) حسين مؤنس، مقدمة رياض النفوس (ص ١١ ـ ١٢)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (٩٧).

(٢) حسين مؤنس، مقدمة رياض النفوس (١١ ـ ١٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الثاني
# ظهور الإمام مالك وأثره في التمكين للاتجاه السني بالمغرب

المبحث الأول: الإمام مالك والتزامه بالسنة.

المبحث الثاني: الإمام مالك وآراؤه العقدية.

المبحث الثالث: تأثير الإمام مالك في علماء المغرب في الجانب العقدي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



# ظهور الإمام مالك رحمه الله[(١)] وأثره في التمكين للاتجاه السني في المغرب

**تمهيد:**

لقد جاء اختياري لشخصية الإمام مالك في هذا البحث لسببين اثنين:

**الأول**: لأنه واحد من أئمة السلف وعلم من أعلامهم المنصوبة، الذين أثر عنهم حديث كثير في الجانب العقدي، والدليل على ذلك أقواله المبثوثة في كتب العقائد والتراجم كما يأتي النقل عنها في ثنايا البحث.

**الثاني**: صلته القوية بالمغرب عن طريق كتبه وتلاميذه الذين نشروا مذهبه بالمغرب، حتى أصبح هو المذهب السائد بعد مذهب الأوزاعي (ت ١٥٧هـ)[(٢)] الذي كان ينتشر في الأندلس[(٣)]، ومذهب أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) الذي كان موجوداً بنواحي المغرب، جاء في ترتيب المدارك[(٤)]: «وأما إفريقية (أي تونس) وما وراءها (أي الجزائر والمغرب والأندلس) فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد (ت ١٨٤هـ)[(٥)] وغيره بمذهب مالك»، وبقي هذا المذهب يفشو وينتشر إلى أن جاء

---

(١) هو: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ولد بالمدينة واختلف في السنة التي ولد فيها، وهي بين سنة ٩٠ و٩٧هـ، وهو إمام دار الهجرة وأحد أئمة المذاهب الأربعة المتبوعة، توفي سنة ١٧٩هـ بالمدينة.
مصادر ترجمته: الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء (ص٩ ـ ٦٣)، ترتيب المدارك (١/ ١٠٢ ـ ٢٥٤)، حلية الأولياء (٦/ ٣١٦ ـ ٣٥٥) رقم: ٣٨٦، صفة الصفوة (٢/ ١٧٧ ـ ١٨٠) رقم: ١٨٩، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨ ـ ١٣٥) رقم: ١٠، تهذيب التهذيب (١٠/ ٥ ـ ٩).

(٢) هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، سمع من عطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري وغيرهم، من أوائل من صنَّف كتباً مبوبة في السند، توفي ببيروت سنة ١٥٧هـ، وكانت ولادته سنة ٨٨هـ.
مصادر ترجمته: المعارف لابن قتيبة (٤٩٦ ـ ٤٩٧)، حلية الأولياء (٦/ ١٣٥ ـ ١٤٩)، رقم: ٣٥٤، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧ ـ ١٣٤) رقم: ٤٨٠ .

(٣) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني (٣/ ٢٣٠).

(٤) ترتيب المدارك (١/ ٢٥).

(٥) هو: أبو الحسن علي بن زياد التونسي، كان تلميذاً لمالك، وألف عدة كتب حول آراء مالك، توفي حوالي سنة ١٨٤هـ. =

الإمام سحنون[١] (ت ٢٤٠هـ): «فغلب في أيامه، وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا»[٢].

وكما انتشر مذهبه الفقهي بالمغرب، انتشر مذهبه في العقيدة أيضاً، والذي كان يقوم على أساس الكتاب والسنة، وكما تأثر علماء المغرب بمذهبه الفقهي تأثروا أيضاً بمذهبه في العقائد، ولم يكتفوا بنشر آرائه في الفروع، بل نشروا أيضاً آراءه في العقيدة، وقد عقدت مبحثاً لتأثير الإمام مالك في المغرب في الجوانب العقدية.

وقد كان تلاميذه وأتباعه من بعده هم حملة لواء السنة في المغرب. نعم، قد يأتي ذكر لبعض العلماء من غير المالكية في هذا البحث لكن ذلك على الندور، أما الغالب والأكثر فهم المالكية.

---

= مصادر ترجمته: طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ١٢٩)، الديباج لمذهب (٢/ ٩٢ ـ ٩٣) رقم: ١ .

(١) تأتي ترجمته .

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٥٤)، ويقول المقريزي في الخطط (٣/ ٢٦١): «ثم لما ولي سحنون بن سعيد القضاء نشر فيهم مذهب مالك، ثم إن المعز بن باديس حمل جميع أهل إفريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه من المذاهب، فرجع أهل إفريقية وأهل الأندلس كلهم إلى مذهب مالك إلى اليوم».

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الأول
## الإمام مالك والتزامه بالسنة

في النصف الأول من القرن الثاني كان أمر مالك بن أنس قد بدأ يعلو، وأخذ مذهبه في الفقه يتحدد بما امتاز به من التزامه بالقرآن والسنة والابتعاد عن التأويل، والاقتصاد في القياس ما أمكن، فأقبل عليه طلبة المغرب ووجدوا فيه طلبتهم وضالتهم التي كانوا ينشدونها، فهو يدرس في مسجد رسول الله ﷺ فهو في عرفهم، أقرب إلى روح الإسلام ممن يدرس في الكوفة أو البصرة أو دمشق، وهو يلتزم الكتاب والسنة ولا يفتي إلا بحذر شديد وبحث طويل، وهو عالم بدقائق الكتاب، حافظ لحديث رسول الله ﷺ، عارف بصحيحه من سقيمه[١].

لذلك كله افتتن به أهل المغرب واقتدوا به في كل شيء حتى في أحواله الخاصة: بمعاشه ولباسه وهندامه وجلوسه للاستماع، كما جاء في ترجمة يحيى بن يحيى الليثي عند ابن بشكوال، أنه كان قد أخذ على نفسه وهيئته ومقعده هيئة مالك، وكل ذلك أصبح عندهم المثل الأعلى الذي ينبغي أن يُحتذى، وأقبلت جماعات من طلبة المغرب يأخذون عنه، ويدونون كل ما يسمعونه منه ويعودون به إلى بلادهم ليعلموه أهلها، ويخف إلى المشرق من استطاع من أولئك الطلبة ليلقى مالكاً، وليأخذ عنه مباشرة فيرتفع شأنه بين قومه إلى طبقة الآخذين عن مالك[٢].

وأحس مالك بهذا الإعجاب وهذا التقدير، فأقبل عليهم ـ هو الآخر ـ وأوسع لهم في مجالسه[٣]، واهتم بتلقينهم فقهه، وجعل يتتبع أخبارهم ومسالكهم في الحياة،

---

(١) مقدمة حسين مؤنس على رياض النفوس (ص ١٢).

(٢) مقدمة حسين مؤنس (ص ١٢).

(٣) من ذلك ما ورد في ترجمة ابن فروخ رحمه الله «أنه لما قدم المدينة في طريقه إلى الحج دخل على مالك في مجلسه بمسجد النبي ﷺ فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقام إليه ـ وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس ـ ، وكان لمالك موضعٌ في مجلسه يقعد فيه وإلى جانبه المخزومي (المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي من كبار أصحاب مالك، توفي سنة ١٨٨هـ) معروف له ذلك لا يستدعي مالك أحداً للقعود فيه، فأقعده فيه وسأله عن أموره وأحواله وقال له: "متى كان قدومك يا أبا محمد؟" ، فأعلمه ابن فروخ أن قدومه كان في الوقت الذي وفد إليه، قال له: "صدقت، لو كان قدومك تقدم إذًا لعلمت بك، ولو علمت لأتيتك" ، وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله =

وجعلوا يتصلون به بكتابات منتظمة، كانوا يعنون بكتابتها ويُعنى هو بالرد عليها.

وإذا علمنا أن تلاميذ مالك من أهل المغرب هم الذين كانوا يتولون الفتيا ونصح الأمراء في المغرب، وأن أحكامهم كانت تجري على الكبير والصغير لاستطعنا أن نقول ـ وبدون مبالغة ـ: إن مالكاً كان يحكم المغرب في هذه المرحلة عن طريق موطئه وتلاميذه.

ولم ينتقل مالك رحمه الله إلى الرفيق الأعلى سنة ١٧٩هـ حتى كانت مدرسته بالمغرب أقوى المدارس في نواحي الدولة الإسلامية كلها وأشدها استمساكاً بآرائه واعتصاماً بها.

ومما زاد في استمساك أهل المغرب بالنصوص الشرعية من قرآن وسنة والإعراض عن التخريج والتأويل وإعمال الرأي، التمرد السياسي وظهور الفرق وثورات الخوارج والشيعة(١).

---

= حاضر إلا قال: "أجب يا أبا محمد"، فيجيب عبد الله، ثم يقول مالك للسائل: "هو كما قال"، ثم التفت مالك إلى أصحابه وقال: "هذا فقيه أهل المغرب"». انظر: رياض النفوس (١/ ١٧٩).
وهكذا كان يفعل أيضاً بابن غانم إذا دخل عليه وقت إسماعه، فإنه يجلسه إلى جانبه ويقول لأصحابه: "قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه**»، وهذا كريم في بلده".
وقيل: إنه عرض عليه أن يزوجه ابنته ويقيم عنده بالمدينة، ولكن ابن غانم امتنع وقال: "إذا أخرجتها معي إلى القيروان تزوجتها". انظر الرياض (١/ ٢١٧).
وانظر الحديث في: المقاصد الحسنة (ص٣٢)، والفتح الكبير (١/ ٦٥)، وأخرجه ابن ماجه في السنن في كتاب الأدب، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، رقم: ٣٧١٢، السنن (٢/ ١٣٣٢)، وقال صاحب مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: «في إسناده محمد بن مسلمة وهو ضعيف»، وانظر ترجمته في الميزان (٢/ ١٥٨)، وكذا في تهذيب التهذيب (٤/ ٨٣ ـ ٨٤).

(١) مقدمة طبقات أبي العرب (ص ١٣ ـ ١٤).

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الثاني
## الإمام مالك وآراؤه العقدية

قلت ـ قبل قليل ـ: إن علماء المغرب تأثروا بالإمام مالك في العقائد كما تأثروا به في الفقه، وقبل أن أشرع في بيان ذلك لا يسعني إلا أن ألقي الضوء على موقف الإمام مالك من مسائل العقيدة، وهل خاض فيها كما خاض غيره أم لا ؟ وهل كانت له مؤلفات في هذه الناحية يمكننا أن نستشف منها آراءه العقدية ونكون منها فكرة واضحة حول هذا الجانب في فكر الإمام مالك كما كونا فكرة واضحة عن منهجه في الناحية الفقهية والحديثية أم لا ؟

المعروف عن السلف ﷺ أنه لم يكن من منهجهم الخوض في مسائل العقيدة ولا محاولة إثارتها إلا إذا ألجأتهم الضرورة إلى ذلك فيجيبون بقدر الحاجة دون محاولة التوسع في ذلك حتى لا يفتح باب يصعب بعد ذلك سده[(١)]، وإنما كان منهجهم هو بيان السنة وتوضيحها للناس وتعليمهم إياها دون جدال حولها، سئل الإمام مالك عن الرجل يكون عالماً بالسنة هل يجادل عنها فقال: «لا، ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت منه وإلا سكت»[(٢)].

هكذا كان سلوكهم، والإمام مالك ـ رحمه الله ـ كان من أشدهم حرصاً على هذا الجانب، لذلك وقف حياته لتحصيل حديث رسول الله ﷺ وبثه في الناس، فكان محدثاً وفقيهاً، بل من أعظم الفقهاء والمحدثين، يقول الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): «إذا ذكر العلماء فمالك النجم»[(٣)]، وقد حمل كثير من العلماء قوله عليه الصلاة والسلام: «**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل طلباً للعلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة**»[(٤)].

**قلت**: لقد حمل كثير من العلماء هذا الحديث على أن المقصود به الإمام مالك،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥).
(٢) جامع بيان العلم (٢/ ٩٤).
(٣) انظر هذا القول في الحلية (٢/ ٣١٨)، السير (٨/ ٩٦).
(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩) والترمذي في كتاب العلم (باب ما جاء في عالم المدينة) (٥/ ٤٧) رقم: ٢٦٨٠، وقال: «هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة»، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٠ ـ ٩١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، والبيهقي في كتاب الصلاة، السنن (١/ ٣٨٦)، وابن حبان (٢٣٠٨): كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن ابن جريج =

لأنه لم يكن في عصره بالمدينة مثله والله أعلم، وهو قول منقول عن سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) وابن جريج (ت ١٥٠هـ)، وعبد الرزاق (ت٢١١هـ) وغيرهم[١].

فقد كان المحدثَ الفاحص للرجال، الناقد المختص لما يتلقى، وكان في الفقه الإمام الذي يرجع إليه ويهتدى بهديه وتوزن الآراء على رأيه[٢]. ولم يكن معنياً بمدارسة الذين يبثون علماً غير المعتمد على علم السلف، ولم يعرف بمدارسة أهل الأهواء ولا مذاكرة أحد من أهل الفرق المختلفة[٣].

وقد كان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

وخير أمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع[٤]

وكان يدعو إلى العودة إلى المصادر الأساسية لهذا الدين: الكتاب والسنة، لأنهما العاصم الذي يعصم من الزلل والانحراف حيث يقول: «الحكم على وجهين: فالذي يحكم بالقرآن والسنة الماضية فذلك الصواب، والذي يجهد نفسه فيما لم يأت فيه شيء فلعله (يعني يوفق)، وثالث متكلف لما لا يعلم فما أشبه ألا يوفق»[٥]، ويقول أيضاً: «دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي»[٦].

وكان يروي قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله ويحفظه ويذكره في كثير من المناسبات وهو قوله: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده أشياءَ الأخذ بها اتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، وليس لأحد بعدُ تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهدي، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»، كان مالك إذا حدث بهذا الكلام المأثور ارتج سروراً منه وتصديقاً له[٧].

---

= عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة ورجاله ثقات، إلا أن ابن جريج وأبا الزبير مدلسان، وأعله الإمام أحمد بالوقف.

(١) انظر ترتيب المدارك (١/ ٨٢ ـ ٨٦). انظر سنن الترمذي (٥/ ٤٧ ـ ٤٨).
(٢) الإمام مالك لأبي زهرة (ص ١٥١).
(٣) نفس المصدر (ص ١٥١).
(٤) لم أجد نسبته.
(٥) جذوة المقتبس (ص٢٧٨).
(٦) جذوة المقتبس (ص١٧٢).
(٧) انظر هذا القول في الجامع لابن أبي زيد (ص١١٧).

# موقف الإمام مالك من علم الكلام[(١)]

أما موقفه من علم الكلام والخوض فيه: فقد كان يقف موقفاً متشدداً منه وممن يتعاطاه، يتبين لنا ذلك مما نقل عنه، فقد نقل الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٢هـ) في كتابه: "مختصر جامع بيان العلم وفضله"[(٢)] عن مصعب بن عبد الله الزبيري (ت١٥٧هـ) قال: «كان مالك بن أنس يقول الكلام في دين الله أكرهه ولم يزل أهل بلدنا[(٣)] يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم[(٤)]، القدر وما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، وأما الكلام في دين الله وفي الله فالسكوت أحب إلي، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل»[(٥)].

وقول الإمام مالك: "إلا فيما تحته عمل" المقصود به كما يشرح ذلك الإمام ابن عبد البر: «الأحكام: من الصلاة والزكاة والطهارة والصيام والبيوع ونحو ذلك، ولا

---

(١) اختلف العلماء في تعريف علم الكلام: فعرفه الإيجي في "شرح المواقف" (١/ ٢٣ ـ ٢٤)، والتفتازاني في "شرح المقاصد" (١/ ٥) بأنه: «العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإبراز الحجج ودفع الشبه».
ويعرفه الغزالي في "المنقذ من الضلال" (ص١٨) بأنه: «علم مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها من تشويش أهل البدعة».
وعرفه ابن خلدون في "المقدمة" (ص٤٢٣) بقوله: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة».

(٢) (٢/ ٩٥).

(٣) قول الإمام مالك أهل بلدنا، وأهل العلم عندنا، المقصود بهم ربيعة الرأي وابن هرمز، انظر التمهيد (٣/ ٤).

(٤) هو: أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي المتكلم، أس الضلالة ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات بدعوى التنزيه، ويقول بخلق القرآن، قتل سنة ١٢٨هـ، قتله مسلم بن أحوز.
مصادر ترجمته: الطبري (٧/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٧)، الملل والنحل (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠)، الفصل (٤/ ٢٠٤)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦) رقم: ١٥٨٤، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦ ـ ٢٧) رقم: ٨٠، الكامل في التاريخ (٥/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤).

(٥) انظر هذا الكلام في التمهيد (١٩/ ٢٣٣) وفي مصادر ترجمته.

يجوز عنده الجدال فيما تعتقده الأفئدة مما لا عمل تحته أكثر من الاعتقاد، وفي مثل هذا خاصة نهى السلف عن الجدال وتناظروا في الفقه وتقايسوا فيه»[(١)].

وذكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) عنه أنه قال: «"إياكم والبدع" قيل: "يا أبا عبد الله وما البدع؟"، قال: "أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"»[(٢)]، وقال: «لو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام، ولكنه باطل يدل على باطل»[(٣)].

ونقل من طريق ابن مهدي (ت ١٩٨هـ) أنه قال: «دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال: "لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد[(٤)]، لعن الله عَمْراً فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع"»[(٥)].

من هنا يتبين بأن بغضه لعلم الكلام إنما كان لاعتقاده بأنه من البدع التي حدثت بعد عهد الصحابة والتابعين وهم خيار المسلمين ولو كان خيراً ما تركوه، بل حتى إذا قلنا: إن هذه البدع حدثت في عهدهم، فقد أنكروها وأنكروا على من يتعاطاها أشد الإنكار.

وقد حذر النبي ﷺ من البدع والمحدثات في مناسبات كثيرة لعلمه عليه السلام بالآثار السيئة التي تحدثها هذه البدع إذا دخلت الدين.

والأمة الإسلامية لم تشوه عقيدتها وتنحرف عن منهاجها القويم إلا حينما دخلت

---

(١) انظر التمهيد (١٩/ ٢٣٣).

(٢) انظر صون المنطق (ص٣٢)، شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧)، وابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٢٢٧).

(٣) نفس المراجع ونفس الصفحات.

(٤) هو: أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، ولد في بلخ سنة ٨٠هـ، وكان جده من سبي فارس، تتلمذ أول الأمر على الحسن البصري إلى أن انفصل عنه هو وواصل بن عطاء، ويعتبر هذان الرجلان مؤسسي مذهب الاعتزال توفي سنة ١٤٤هـ.
مصادر ترجمته: البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٢٣)، السير (٦/ ١٠٤ ـ ١٠٦) رقم: ٢٧، المعارف لابن قتيبة (٤٨٢ ـ ٤٨٣)، تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٦ ـ ١٨٨) رقم: ٦٦٥٢، ميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٢ ـ ٢٨٠) رقم: ٢٤٠٤، فؤاد سزكين (١/ ٤/ ٢٠ ـ ٢١).

(٥) صون المنطق (ص ٣٢ ـ ٣٣).

الأهواء والبدع فيها، وعندما ارتضى كثير من المسلمين المناهج الكلامية والجدل والخصومات في الدين، وعندما أدخلوا منطق اليونان والمباحث الفلسفية ضمن العقيدة الإسلامية.

**قلت**: لقد حذر النبي عليه السلام من خطر البدع في كثير من المناسبات، من ذلك ما جاء في حديث العرباض بن سارية، قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[(١)].

وقال في حديث آخر: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٢)] أي: مردود عليه.

وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الوعيد الشديد لمن أحدث في دين الله ما ليس منه، ونهى النبي ﷺ عن الخوض في مسائل العقيدة خاصة حين خرج يوماً على جماعة من الصحابة وهم يتنازعون في القدر فغضب حتى احمر وجهه عليه الصلاة والسلام، ثم قال: « **أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة (باب لزوم السنة) رقم الحديث: ٤٦٠٧ (٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) والإمام الترمذي في كتاب العلم ( باب ما جاء في الأخذ بالسنة) رقم: ٢٦٧٦ (٥/ ٤٢ ـ ٤٤)، وأحمد في المسند (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥ ـ ٩٧) من أكثر من طريق قال في إحداها: «هذا حديث صحيح ليس له علة»، وقال في آخر: «هذا إسناد صحيح على شرطهما جميعاً ولا أعرف له علة».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح (باب إذا اصطلحوا على صلح بجوز فالصلح مردود)، رقم الحديث: ٢٦٩٧ الفتح (٥/ ٣٠١)، ومسلم في كتاب الأقضية (باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور)، رقم الحديث: ١٧١٨ (٣/ ١٣٤٣ ـ ١٣٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.
وأخرجه أبو داود في السنة (باب في لزوم السنة) رقم: ٤٦٠٦، سنن أبي داود (٤/ ٢٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي في القدر(باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر) رقم: ٢١٣٣، السنن (٤/ ٧٥٢)، وفي سنده صالح بن بشير بن وادع المري وهو ضعيف كما قال الحافظ في التقريب =

وقال عليه الصلاة والسلام: « **ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل**، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]»(١).

وهذا الذي قاله الإمام مالك هو الذي كان عليه سلف الأمة، فلم يكونوا يخوضون في هذا العلم إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل، أو صرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا(٢).

ولكن ليس معنى ذلك أن كل من يضطر إليه فله الحق أن يخوض فيه، بل ينبغي لمن يضطر إلى ذلك أن يكون متمكناً له قدرة فائقة في الرد على المخالفين من المبتدعة حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى نتائج لا تحمد عقباها، وقد نبه الإمام مالك على ذلك في رسالة أرسل بها إلى عبد الله بن فروخ (ت ١٧٦هـ)(٣).

نقل أبو العرب (ت٣٣٣ هـ) فقال: «كان ابن فروخ كتب إلى مالك يخبره أن بلدنا كثير البدع، وأنه ألف لهم كتاباً في الرد عليهم، فكتب إليه مالك يقول له: "إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول، لا يقدرون أن يعرجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإنني أخاف أن تكلمهم فتخطئ

---

= (ص٢٧١) رقم: ٢٨٤٥ بتحقيق محمد عوامة، ولكن للحديث شاهد عند ابن ماجه في المقدمة (باب في القدر) رقم: ٥ (١/ ٣٣)، وقال الهيثمي في الزوائد: «إسناده صحيح ورجاله ثقات»، وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٢/ ٧٥٢) رقم الحديث: ١٢٦٠.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة الزخرف) رقم: ٣٢٥٣، السنن (٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وابن ماجه في المقدمة (باب اجتناب البدع والجدل) رقم: ٤٨، سنن ابن ماجه (١/ ١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٥٢، ٢٥٦) وانظر: جامع الأصول (٢/ ٧٤٩) رقم الحديث: ١٢٥٦.
قال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥).

(٣) هو: أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، فقيه ومحدث من أهل المغرب سكن القيروان وعرض عليه القضاء فأبى، خرج حاجًا فمر بمصر في طريق عودته وبها توفي، من آثاره: "ديوان" يعرف باسمه، جمع فيه مسموعاته وسؤالاته للإمامين مالك وأبي حنيفة، وكتاب في "الرد على أهل البدع والأهواء"، توفي سنة ١٧٦هـ وكانت ولادته سنة ١١٥هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص١٠٧ ـ ١١١) رقم: ٤، رياض النفوس (١/ ١٧٦ ـ ١٨٧) رقم: ٧٢، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) رقم: ٦١٢، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٧١ ـ ٤٧٢) رقم: ٤٥٠٧، معجم المؤلفين (٢/ ١٠٢).

فيمضوا على خطئك، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تمادياً على ذلك»[١]، وهذا الذي خشيه مالك هو الذي وقع لابن فروخ فقد كان يتهم بالاعتزال ثم برَّأه الله منه[٢].

## موقف العلماء من الاشتغال بعلم الكلام والرد على أهله

سأحاول في هذا المبحث أن أعرض أقوال العلماء في جواز الاشتغال بعلم الكلام والخوض فيه، وجواز الاشتغال بالرد على أهل البدع من أهل الكلام وغيرهم.

**فأقول** : لقد اتفقت كلمة العلماء على ذم الكلام وأهله، وهذه جملة من أقوالهم في ذلك، وقد مر ذكر أقوال مالك في الموضوع فلا داعي لإعادتها هنا، وإنما أذكر ما قاله غيره من العلماء.

فمن أقوال الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ)، ما رواه عنه محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ) قال: «**قال أبو حنيفة: لعن الله عمرو بن عبيد، فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام**»، **قال محمد بن الحسن**: «وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن **الكلام**»[٣].

وكان الإمام الشافعي من أشد الناس على علم الكلام وأهله، وقد نقل عنه في ذم الكلام الشيء الكثير، من ذلك قوله: «**حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ**[٤]».

---

(١) طبقات أبي العرب (ص١٠٨)، المدارك (١/ ٣٤٦)، وقيل: إنما قال ذلك إشفاقاً منه أن يكون ذلك سبباً لإظهار طريقة الجدل بإفريقية فيؤدي ذلك إلى أسباب يخاف غوائلها ولا يؤمن شرها، فأراد حسم الباب والله أعلم. انظر رياض النفوس (١/ ١٧٧).
والذي قاله مالك هو دأب العلماء مع تلامذتهم، فهذا الإمام سحنون يقول لابنه محمد عندما دخل عليه يوماً، فوجده يؤلف كتاباً في تحريم النبيذ يرد فيه على الأحناف القائلين بإباحته قال: «يابني إنك ترد على أهل العراق ولهم لطافة أذهان وألسنة حداد؛ فإياك أن يسبقك قلمك إلى مايعتذر منه». انظر ترتيب المدارك (٣/ ١٠٧).

(٢) المدارك (١/ ٣٤٦).

(٣) صون المنطق والكلام (١/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٤) كان من أهل الأهواء يسأل عن متشابه القرآن، وقصته مع عمر بن الخطاب ﷺ مشهورة ذكرها غير واحد، وهي: «أن صبيغاً جاء إلى عمر يسأل عن المتشابه ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتناً بين العامة، فطلبه عمر وقال له: "من أنت؟" فقال: "أنا عبد الله صبيغ"، وقال عمر، "أنا عبد الله عمر"، فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه، فقال صبيغ: "حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي"، ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله». =

وقال أيضاً: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم: "هذا جزاء من ترك السنة وأقبل على الكلام"»[١].

وقال أيضاً: «مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم في البلاد»، وقال أيضاً: «لأن يبتلي الله المرء بكل ما نهى عنه خلا الشرك خير من أن يبتليه بالكلام»[٢].

وأما موقف الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) من أهل الكلام فهو أشهر من أن يذكر، وكلامه فيهم يدل على بغضه الشديد لهم وتحذيره منهم، من ذلك قوله: «أئمة الكلام زنادقة»[٣].

وفي مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) عن عبد الله بن أحمد (ت ٢٩٠هـ) عن أبيه أنه كتب: «لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ أو عن صاحب، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[٤].

وهكذا كان موقف غيرهم من أهل السنة ينهون عن الكلام ويذمون أهله، كالإمام عبد الرحمن بن مهدي الذي قال: «ومن طلب الكلام فآخر أمره زندقة»[٥].

---

= وروى اللالكائي بسنده عن رجل يقال له: فلان بن زرعة عن أبيه قال: «لقد رأيت صبيغ بن حسل بالبصرة كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلق فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين»، انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٦٣٦) رقم: ١١٤٠، وانظر سنن الدارمي في المقدمة (باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع)، (١/ ٥٤ ـ ٥٥، ٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٨)، وابن عبد البر في الانتقاء (ص ٨٠)، والبيهقي في مناقب الإمام الشافعي (١/ ٤٦٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ٣٣٥، ٣٣٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٦)، وابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ١٨٢)، وابن عبد البر في الانتقاء (ص٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١١) وغيرها.

(٣) صون المنطق (ص١٥٠).

(٤) مناقب الإمام أحمد (ص٢٥٤).

(٥) صون المنطق.

وكان سفيان الثوري (ت ١٦١هـ)[١] يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهي ويقول: «عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله»[٢].

وقد استمرت هذه المواقف المتشددة في من بعدهم من العلماء في المراحل المتأخرة، ففي شرحه لحديث: «**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»[٣]، يقول الإمام القرطبي (ت٦٧١هـ) في بيان المقصود من هذا الشخص في الحديث: «هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله و سنة رسوله ﷺ وسلف الأمة»[٤].

هذه نتف من أقوال علماء السنة المقتفين آثار سلف الأمة في هذا الباب وهي غيض من فيض، ولست أقصد هنا ذكر كل ما قالوه في هذا الشأن؛ لأن ذلك باب واسع لكن جئت ببعضه ليفيدنا في بحثنا.

ولم يقتصر ذم الكلام والخوض فيه على علماء السنة وأهل الحديث فقط، بل قد شاركهم في ذلك كثير من خواص علماء الكلام المشاهير بصفاء الأذهان ولطافة الأفهام: فالإمام الغزالي ـ مثلاً ـ (ت٥٠٥هـ) الذي عرف بعلمه الغزير بهذا النوع من

---

(١) هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، كان ثقة مأموناً، وكان عابداً، توفي سنة ١٦١ هـ، كانت ولادته سنة ٩٧هـ.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٤)، التاريخ الكبير (٤/ ٩٢ ـ ٩٣) رقم: ٢٧٧، المعارف (٤٩٧ ـ ٤٩٨) حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦ ـ ٧/ ١٤٤)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ ـ ٢٧٩) رقم: ٨٢.

(٢) صون المنطق (ص ١٥٠).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في التفسير، (باب وهو ألد الخصام) من حديث عائشة رضي الله عنها رقم: ٤٥٣٣ الفتح (٨/ ١٨٨)، وفي كتاب الأحكام (باب الألد الخصم) رقم: ٧١٨٨، الفتح (١٣/ ١٨٠)، ومسلم في كتاب العلم (باب في الألد الخصم) رقم: ١٦٦٨ (٤/ ٢٥٤)، والترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة البقرة) رقم: ٢٩٥٥ (٥/ ٢٠٤).
والألد: شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر.
والخصم: الحاذق في الخصومة.

(٤) انظر فتح الباري (١٢/ ٣٤٩).

العلوم وممارسته الطويلة له وغوصه في أعماقه، يصل إلى النتيجة التي يقول فيها: «وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم تلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخرى تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الطريق مسدود، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الندور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام»[(١)].

وكثير من كبار المتكلمين رجعوا عن الكلام وتركوا وصايا لتلاميذهم يحذرونهم فيها من الخوض فيه وولوج بابه: فمنهم الإمام أبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ) الذي كان يقول: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام»[(٢)]، وكان يقول: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به»[(٣)].

وحكى أبو الفتح الطبري الفقيه قال: «دخلت على أبي المعالي في مرضه فقال: "اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وإني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور"»[(٤)]، ومنهم الوليد بن أبان الكرابيسي (ت ٢١٤هـ)[(٥)] الذي قال لبنيه لما حضرته الوفاة: «"أتعلمون أن أحداً أعلم مني؟ قالوا: لا، قال: أفتتهموني؟ قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم، قال: "عليكم بما عليه أهل الحديث فإني رأيت الحق معهم"»[(٦)].

وهذا أبو الوفاء ابن عقيل (ت ٥١٣هـ) الذي كان معتزلياً ثم تاب وأشهد على نفسه بذلك، وصحت توبته كما يقول الإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في لسان

---

(١) الإحياء (١/ ١٦٨)، الروض الباسم (ص٢١٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٣).
(٣) السير (١٨/ ٤٧٤).
(٤) السير (١٨/ ٤٧٤).
(٥) هو: الوليد بن أبان المعتزلي، متكلم من أهل البصرة، له في الاعتزال مقالات، توفي سنة ٢١٤هـ.
مصادر ترجمته: النجوم الزاهرة (٢/ ٢١٠)، معجم المؤلفين (١٣/ ١٦٩ ـ ١٧٠).
(٦) الروض الباسم (٢/ ١٤).

الميزان[١]؛ يقول بعد توبته: «لقد بالغت في الأصول طول عمري ثم عدت القهقرى إلى مذهب المكتب»[٢].

وهذا الإمام الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) صاحب "نهاية الإقدام في علم الكلام" يصف حاله فيما وصل إليه من الكلام والنتيجة التي انتهى إليها من اشتغاله به فيقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وَسَيَّرْتُ طرفي بين تلك المعاهد
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائر على ذقنه أو قارعاً سنَّ نادم

ثم قال: «عليكم بدين العجائز فإنه أسنى الجوائز»[٣].

ومتكلم آخر كان لا يجارى في علم الكلام والعلوم العقلية المختلفة هو الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) صاحب التفسير المشهور، الذي يدل على عقلية جبارة وذكاء حاد يصل هو الآخر إلى النتيجة نفسها التي يقررها في قوله:

«لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم، لأنه يسعى إلى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع من التمعن في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية».

ومن شعره في هذا المعنى قوله:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[٤]

ولكن ما هو السبب في هذه الخصومة الشديدة من علماء السنة لأهل الكلام؟

الأسباب في واقع الأمر كثيرة أحاول أن أذكر بعضها هنا:

١ ـ أولى هذه الأسباب أن علم الكلام بدعة في الدين لم يقل به سلف هذه الأمة وخيارها من الصحابة والتابعين، ولو كان خيراً ما تركوه، بل أثر عنهم أنهم خاصموا من

---

(١) (٤/ ٢٤٣).

(٢) الروض الباسم (٢/ ١٤).

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٣ ـ ٤)، طبعة ألفرد جوم، بدون تاريخ، الروض الباسم (٢/ ١٤ ـ ١٥).

(٤) طبقات الشافعية (٨/ ٩١ ـ ٩٦).

قال به ومارسه وأنكروا عليه، حيث تحدثوا «فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلق صفات الله تعالى وتقديرها واتحادها في نفسها، وهل هي الذات أو غيرها؟، وفي الكلام هل هو متحد أو منقسم؟ وعلى الثاني هل ينقسم بالنوع أو بالوصف؟ إلى غير ذلك مما ابتدعوه مما لم يأمر به الشارع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم، بل نهوا عن الخوض فيه»(١).

٢ ـ ما ترتب عن هذه البدعة من أمور منكرة مخالفة لما جاء به نبينا ﷺ حيث اخترعوا «قوانين جدلية مدار أكثرها على آراء سوفسطائية أو مناقضات لفظية ينشأ بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها وشكوك يذهب الإيمان معها»(٢).

٣ ـ ابتدعوا طرقاً لمعرفة الله لا يقدر عليها إلا الحذاق منهم، ومن ثم نشأ لهم القول بتكفير عوام المسلمين حيث «زعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين»(٣)، وكذلك قولهم: «إن أول الواجب الشك، إذ هو اللازم عن وجوب النظر أو القصد إلى النظر»(٤).

٤ ـ كون علم الكلام ليس علماً إسلامياً، وإنما نقل إلينا من الثقافات الأجنبية اليهودية والنصرانية، وذلك أن نصارى العراق هم أول من ترجم كتب أرسطو الفيلسوف اليوناني المعروف، وأقاموا عليها دراسات وتفسيرات، وقد ناقش هؤلاء النصارى قضايا فلسفية من قبيل القضاء والقدر وخلق الإنجيل وصفات الخالق(٥).

ثم إن هؤلاء النصارى احتكوا بالمسلمين بعد الفتح وأسلم بعضهم وترك ديانته النصرانية، وعن طريق هؤلاء النصارى انتقلت الأفكار الفلسفية إلى المسلمين(٦) فظهر

---

(١) انظر فتح الباري (١٣/ ٣٤٩) نقلا عن القرطبي في المفهم.

(٢) المصدر نفسه (١٣/ ٣٤٩).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٤٩) نقلا عن الإمام الغزالي.

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٣٩).

(٥) انظر: "النصرانية وعلم الكلام عند المسلمين"، مقال لجاسم صكبان علي في مجلة كلية التربية (العراق) (العدد ١/ سنة ١٩٧٩/ (ص ١٩٩).
انظر أيضاً: "نصارى العراق في العصر الأموي" للأستاذ جاسم صكبان، مخطوطة بمكتب البحث العلمي بجامعة أم القرى (ص ٤٧٥)، وما بعدها (وهي رسالة علمية).

(٦) المصدر نفسه.

علم الكلام عند المسلمين وقد ذهب إلى هذا الرأي غير واحد من علماء السنة من القدماء والمحدثين وغيرهم من المستشرقين، حيث أشاروا إلى أن سوسن[١] الذي كان نصرانياً، هو أول من تكلم في القدر، وأخذ عنه ذلك معبد الجهني[٢]، وعن طريق هذا الرجل انتقل الكلام في القدر والصفات إلى المسلمين وكان الصحابة ينكرون عليه ذلك.

فمن القدماء الذين ذهبوا إلى هذا الرأي نجد الأستاذ أبا المظفر الإسفرايني (ت ٤٧١هـ) في كتابه "التبصير في الدين"[٣] الذي يقول فيه: «وظهر في أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية، وكانوا يخوضون في القدر والاستطاعة كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي[٤]، وكان ينكر عليه من قد بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس».

ونقل اللالكائي (ت ٤١٨هـ) في شرح السنة عن الأوزاعي أنه قال: «أول من نطق في القدر من أهل العراق رجل يقال له: سوسن، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد»[٥].

---

(١) لم أجد له ترجمة إلا ما ذكره العلماء من صلة معبد الجهني به وأخذه عنه.

(٢) هو: معبد بن خالد الجهني البصري، اختلفوا في اسم أبيه، وهو أول من تكلم في القدر، رأى من يتعلل في المعصية بالقدر، فأراد أن يرد عليه فأخطأ الطريق وقال: «لا قدر والأمر أنف»، فنبذه الصحابة والتابعون، قال أبو حاتم: «قدم المدينة فأفسد بها ناساً»، خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج بعد سنة ٨٠ هـ.

مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٧/ ٣٦٩ ـ ٤٠٠) رقم: ١٧٤٥، المعارف (٥٤٧)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١) رقم: ٨٦٤٦، السير (٤/ ١٨٥ ـ ١٨٧) رقم: ٧٦، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) رقم: ٤١٤.

(٣) (ص ١٣، ٤٠).

(٤) هو: أبو مروان غيلان بن مسلم الدمشقي، كان أتباعه من أوائل القدرية قتله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ.

مصادر ترجمته: البيان والتبيين (١/ ٢٩٥)، الفرق بين الفرق (ص١٩٠، ١٩٣، ١٩٤)، الملل والنحل (١٠٣)، لسان الميزان (٤/ ٤٢٤) رقم: ١٣٠٣، المعارف (٤٨٤).

(٥) لم أعثر على هذا القول في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ولكن نقله الكوثري في تعليقه على التبصير في الدين (ص ٤٠).

وعن مسلم بن يسار (ت ١٠٠هـ)[١] أنه قال: «إن معبداً يقول بقول النصارى»[٢]، ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): «أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد، إن معبداً كان يقول بقول النصارى وكان رأس القدرية»[٣].

وقال ابن كثير: «كان أول من تكلم في القدر معبد الجهني، ويقال: إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له: سوسن وأخذ غيلان القدر عن معبد»[٤]، وجاء في ميزان الاعتدال قول الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ): «معبد الجهني: تابعي صدوق، ولكنه سن سنة سيئة، فكان أول من تكلم في القدر»[٥].

هذه أقوال المتقدمين من العلماء وهي أيضاً أقوال المحدثين منهم كالأستاذ الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ الذي يقول في الظلال مشيراً إلى التأثيرات اليهودية والنصرانية في علم الكلام: «وما كان الجدل الكلامي الذي ثار بين علماء المسلمين حول هذه التعبيرات القرآنية (يقصد الصفات) إلا آفة من آفات الفلسفة الإغريقية والمباحث اللاهوتية عند اليهود والنصارى عند مخالطتها للعقلية العربية الصافية وللعقلية الإسلامية الناصعة، وما كان لنا نحن اليوم أن نقع في هذه الآفة فنفسد جمال العقيدة وجمال القرآن بقضايا علم الكلام»[٦].

كما يذهب كثير من المستشرقين إلى هذا الرأي مثل "دي بور" الذي يقول: «وقد نشأت البواكير العقلية عند المسلمين من مؤثرات نصرانية مصطبغة بالفلسفة اليونانية»[٧].

---

(١) هو: أبو عبد الله مسلم بن يسار البصري، مولى بني أمية القدوة الفقيه الزاهد، روى عن ابن عباس وابن عمر وعن أبيه يسار، وحدث عنه ابن سيرين وقتادة وثابت البناني وغيرهم، كان خامس خمسة فقهاء في البصرة، وكان لا يفضُل عليه أحد في زمانه. توفي رحمه الله سنة ١٠٠ هـ وقيل: ١٠١هـ. مصادر ترجمته: تاريخ البخاري (٧/ ٢٧٥) رقم: ١١٦٦، الحلية (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٨) رقم: ١٩٣، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٠ ـ ٥١٤) رقم: ٢٠٣، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٠ ـ ١٤١) رقم: ٢٦٠.

(٢) انظر: مقال: "النصرانية وعلم الكلام عند المسلمين" ص ١٩٩ مصدر سابق.

(٣) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٦٦).

(٤) البداية والنهاية (٩/ ٣٤).

(٥) ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١).

(٦) الظلال (١/ ٥٣).

(٧) النصرانية وعلم الكلام عند المسلمين (ص ٢٠٣) مصدر سابق.

وهكذا يتضح لنا جلياً تأثير العناصر الأجنبية في هذا العلم، وعلى هذا فإن كثيراً من أهل العلم وحتى المتكلمين منهم الذين مارسوا علم الكلام، يرون أن هذا العلم ليس وراءه فائدة تذكر «لأن المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم، وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع»[(١)].

بعد هذا العرض لأقوال علماء السنة في ذم الكلام وأهله واتفاقهم على ذلك، نصل إلى نقطة أخرى مهمة يقتضيها سياق الكلام، وهي موقف هؤلاء العلماء من الخوض في علم الكلام وتعلمه إذا قصد به الرد على الشبهات التي يلقيها المبتدعة في محاولة لتشكيك الناس في عقائدهم.

لكن قبل ذلك يجدر بي أن أشير إلى ما ذكره القرآن في شأن جدال[(٢)] أهل الباطل من المخالفين، القرآن ذكر نوعين من المجادلة: مجادلة مدحها وحث عليها، وهي المجادلة الشرعية كالتي ذكرها الله تعالى عن الأنبياء عليهم السلام. في مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وأمثال هذا، فهذا النوع من المجادلة قد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لم يكن مذموماً في الشرع[(٣)].

ويقول الإمام القرطبي في معنى هذه الآيات مشيراً إلى دلالتها على إثبات المناظرة في الدين: «وتدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، وفي القرآن والسنة من هذا كثير لمن تأمله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١][(٤)]، وقد وصف خصومة إبراهيم ﷺ مع قومه ورده عليهم في عبادة الأوثان كما في سورة الأنبياء

---

(١) المنقذ من الظلال (٦٧).

(٢) الجدال أو المجادلة: دفع القول عن طريق الحجة بالقوة، مأخوذ من الأجدل: طائر قوي، وقيل: هو مأخوذ من الجدالة، وهي الأرض فكأنه يقلبه بالحجة ويقهره حتى يصير كالمجدول بالأرض، وقيل: هو مأخوذ من الجدل، وهو شدة الفتل، فكأن كل واحد من المتجادلين يفتل حجة صاحبه حتى يقطعه، انظر تفسير القرطبي (٧/ ٧٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٥٦ ـ ١٧٤).

(٤) وانظر سورة الأنبياء: ٢٤، النحل: ٦٤، القصص: ٧٥.

وغيرها، وقال في قصة نوح عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ الآيات، وكذلك مجادلة موسى مع فرعون إلى غير ذلك من الآي، فهو كله تعليم من الله عز وجل للسؤال والجواب والمجادلة في الدين؛ لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل»[(١)].

هذا فيما يتصل بالنوع الأول من أنواع المجادلة وهو النوع الممدوح الذي مدحه القرآن، وهو ما يسمى بالمجادلة بالحق لإظهار الحق ودحض الباطل.

النوع الثاني: المجادلة بالباطل وهو النوع المذموم:

والنوع الثاني من أنواع المجادلة، هو المجادلة بالباطل، وهو النوع الذي ذمه القرآن وحذر منه في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، يقول الإمام القرطبي في تفسيره لآية آل عمران: «في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له والحظر على من لا تحقيق عنده»[(٢)].

ويقول في معنى قوله تعالى في سورة غافر ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ الآية: «سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله تعالى، وأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله»[(٣)].

فهذا النوع ـ كما ترى ـ هو الذي ذمه السلف؛ لأنه مخالف للكتاب والسنة، وهذا لا يكون في نفس الأمر إلا باطلاً، فمن جادل به جادل بالباطل، وإن كان ذلك الباطل لا يظهر لكثير من الناس أنه باطل لما فيه من الشبه، فإن الباطل المحض الذي يظهر بطلانه مشوباً بحق كما قال الله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠][(٤)]، ويقول ابن تيمية (ت ٧٢٦هـ): «فالمذموم شرعاً ما

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٦) طبعة دار الكتب المصرية.
(٢) تفسير القرطبي (٣/ ١٠٨).
(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٢).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٦٧ ـ ١٧١).

ذمه الله ورسوله كالجدل بالباطل والجدل بغير الحق بعدما تبين»[١].

من هذا العرض، نخلص إلى أن هناك نوعين من المجادلة ذكرهما القرآن الكريم، نوع مدحه وحث عليه وهو المجادلة بالحق لإظهار الحق وإبطال الباطل، ونوع ذمه القرآن وحذر منه وهو المجادلة بالباطل لدحض الحق وإظهار الباطل.

## موقف علماء الإسلام من الاشتغال بعلم الكلام بقصد الرد على المخالفين:

بعد هذا نأتي إلى موقف علماء السنة من الاشتغال بهذا العلم بقصد الرد على المخالفين من أهل البدع هل هو جائز أم لا؟

والجواب على ذلك هو أننا بعد ما عرفنا اتفاق العلماء على ذم الكلام وأهله، للأسباب التي ذكرتها وغيرها، اختلفوا في جواز الاشتغال به، بغرض الرد على أهله إلى فريقين.

**الفريق الأول: فريق المجيزين:**

ذهب قوم إلى جواز ذلك لكن بشرط «أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا»، كما نقلنا ذلك عن ابن البر وكما يقول غيره: «إلا أن يرى موضع حاجة يظن أنه إذا تكلم بالحق قبل منه، ويحذر أن يخطئ على الله فيرد الباطل بالباطل»[٢]، وهو قول ابن تيمية أيضاً الذي كان يذهب إلى أنه يجوز مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه[٣].

من هذه الأقوال مجتمعة يتبين لنا أن هناك فريقاً من العلماء يذهب إلى جواز الرد على أهل الأهواء ومجادلتهم، ولكن ليس الأمر على إطلاقه، وإنما إذا طمع في رد الباطل ورجا صرف مبطل عن عقيدته ومذهبه، أو خشي فتنة العامة وضلالها.

هذا هو الشرط الأول الذي شرطه علماء السلف في جواز الرد على أهل الأهواء، أما الشرط الثاني فهو مترتب على الأول، وهو أن يشترط فيمن يتولى جدال المبتدعة أن

---

(١) درء التعارض (٧/ ١٧٤).

(٢) صون المنطق (ص٨٤).

(٣) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ٢٣).

يكون ملمّاً بطرقهم حتى لا يقدروا عليه كما سبق ذكر ذلك في قول مالك رحمه الله في رسالته لابن فروخ.

فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق[١].

هذا هو رأي الفريق الأول وهو فريق المجيزين لأن يتولى فريق من الناس مجادلة المبتدعة بشرطين اثنين: **الأول**: أن تدعو الحاجة إلى ذلك، **والثاني**: أن يكون له علم بالرد حتى لا يخطئ فيرد الباطل بالباطل.

**الفريق الثاني:**

هو فريق المانعين منعاً باتاً من الخوض في مجادلة المبتدعة، وبالتالي تعلم طرقهم الكلامية، ولم يستجيزوا أن يقابلوا الفاسد بالفاسد ويردوا البدعة بالبدعة[٢] حتى لو كان صاحبه يقصد به نصرة الكتاب والسنة.

وفي هذا يقول الإمام ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)[٣]: «فأما الدخول في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض، وقل من دخل في شيء من ذلك إلا تلطخ في بعض أوضارهم، قال الإمام أحمد: "لا يخلو من نظر في الكلام أن يتجهم"، وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة»[٤].

ويقول الإمام الآجري (ت ٣٦٠هـ)[٥]: «وكل من نسبه أئمة المسلمين إلى أنه

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ٢٤).

(٢) انظر درء التعارض (٧/ ٢٨٨)، و«سئل ابن مهدي عن رجل ألف كتاباً يرد فيه على الجهمية، فأجاب: "رد عليهم بكتاب الله وسنة رسوله؟" قالوا: "بل بالرأي والمعقول"، قال: "أخطأ، ردَّ بدعة ببدعة"»، انظر ترتيب المدارك (١/ ٤٠٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٩).

(٣) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي المحدث الفقيه الزاهد، ألف مؤلفات عديدة وجيدة، وأكثر من الشيوخ توفي سنة ٧٩٥هـ.
مصادر ترجمته: الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩)، شذرات الذهب (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)، البدر الطالع (١/ ٣٢)، الرسالة المستطرفة (ص١١١)، معجم المؤلفين (٥/ ١١٨).

(٤) فضل علم السلف على الخلف (ص١٠٥).

(٥) هو: أبو بكر محمد بن الحسين الآجري الفقيه الشافعي المحدث، كان صالحاً عابداً، له مصنفات عديدة منها كتاب "الشريعة"، جاور بمكة ثلاثين عاماً، وبها توفي رحمه الله سنة ٣٦٠هـ.

مبتدع بدعة ضلالة فلا ينبغي أن يكلم ولا يسلم عليه ولا يناظر ولا يجادل»[١].

والسبب في هذا التشديد من قبل هؤلاء العلماء ما كانوا يخشونه من الوقوع في بدعتهم، أو ما يصيبهم من أوضارهم، وفوق ذلك ما يخشى عليهم من الفتنة، يقول الآجري: «فإن قال قائل: "فلم لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله؟"، قيل له: "لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلاماً يفسد عليك قلبك، ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان فتهلك أنت"»[٢]، ويقول الإمام الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في بيان السبب في ترك السلف النظر في علم الكلام ومناظرة أهله مبيناً أن ذلك ليس عن عجز منهم، «بل إنما تركوا هذه الطريقة وأعرضوا عنها لما تخوفوه من فتنتها وحذروه من سوء مغبتها»[٣].

بل إن مقاطعة هؤلاء المبتدعة فيها سد لباب الشر وإغلاق لطرق الفساد؛ لأن في جدالهم وتكليمهم نشراً لأفكارهم وفسادهم، يقول الإمام اللالكائي: «فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر وإذلال أعظم مما تركهم السلف على تلك الحالة يموتون من الغيظ كمداً ودرداً ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً، حتى جاء المغرورون ففتحوا إليهم طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً، حتى كثرت بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة»[٤].

ومن هذه المفاسد التي ترتبت على الخوض مع المتكلمين ما كتبه هؤلاء في قضايا مختلفة، «وتركوها بين أيدي الجماهير فأفسدوا عليهم معتقداتهم، وأثاروا الشبه في الإسلام بتصريحهم في الشرع بما لم يأذن به الله، فإنه ليس في الشرع الحديث مثلاً عن الله بأنه مريد بإرادة حادثة ولا قديمة، وما قاله المتكلمون في مسألة حدوث العالم ليس كذلك في شريعة المسلمين ولا يقوم عليه برهان»[٥].

---

= مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) رقم: ٦٢٣، السير (١٦/ ١٣٣ ـ ١٣٦) رقم: ٩٢٠، طبقات الشافعية (٣/ ١١٩) رقم: ١٣٣، البداية (١١/ ٢٧٠).

(١) كتاب الشريعة (١/ ٣٤٠).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٣٤٠).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٤) صون المنطق (ص ١٠٧).

(٥) الكشف عن الأدلة لابن رشد (٢٠٦ ـ ٢٠٧).

ويحدثنا الخطابي عن الطريقة التي سوغ بها العلماء اللجوء إلى جدال أهل البدع بعد أن يذكر الأئمة الماضين وإمساكهم عن ذلك: «فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة، وقلت عنايتهم واعترضهم الملحدون بشبههم والمتحذلقون بجدلهم، حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل لم يقووا بهم ولم يظهروا في الحجاج عليهم، فكان ذلك ضلة من الرأي وغبناً فيه وخدعة من الشيطان والله المستعان»[١].

وكان السبب في هجر الإمام أحمد بن حنبل للحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، حيث قال له: «ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث؟»[٢].

بعد ذكر الفريق الثاني وأدلته يجدر بي أن أشير إلى أنه بالنظر إلى كلام الإمام ابن تيمية نلاحظ أنه يوجه كلام المانعين بحيث يتفق مع كلام المجيزين حيث يقول في ذلك: «إنهم لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات أو الألفاظ كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم من الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه».

ثم يقول: «فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها ووزنت ذلك بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، كان ذلك هو الحق»[٣].

ويقول في موضع آخر في توجيه هذا المنع أيضاً: «والمقصود أنهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال».

هذه خلاصة الحديث في هذه المسألة والتي يترجح عندي فيها مذهب الفريق المجيز إذا غضضنا الطرف عن توجيه ابن تيمية لكلام الفريق الثاني وذلك نظراً لأدلتهم القوية من الكتاب والسنة وعمل السلف والله أعلم.

---

(١) الغنية عن الكلام (١/ ١٣٩ ـ ١٤٠)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ١٦٤)، وكذلك طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٨).

(٣) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ٢٤).

**عود إلى الحديث عن الإمام مالك في آرائه العقدية:**

وإذا كان الإمام مالك رحمه الله يكره الكلام في دين الله وفي صفات الله عز وجل، فإنه اضطر ـ بتعبير ابن عبد البر ـ إلى بيان رأيه في هذه المسائل، ولم يكن ذلك عن جهل، ولكنه كان عن علم ودراية، فقد بينت من قبل كيف كان يحذر من أن يتولى الرد على المبتدعة غير المتمكن المتمرس، ومن هنا فإن مالكاً كان له علم بالرد على المخالفين من أهل الفرق، فمن أين حصل على هذا العلم يا ترى؟

الروايات تشير إلى ابن هرمز (ت ١٤٨هـ)[١] الذي لازمه الإمام مالك سبع سنين وقيل: ثمان لم يخلطه بغيره[٢]، هذا الرجل الذي تأثر به مالك تأثراً بالغاً هو الذي أخذ عنه هذا العلم، كان كما يقول مالك نفسه: «من أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء وما اختلف فيه الناس»[٣]، وذكر أنه «كان يأتيه إلى بيته بكرة فما يخرج من عنده حتى الليل»[٤].

ومن هنا فلا نستغرب إذا وجدنا للإمام مالك "رسالة في الرد على أهل الأهواء" هي من خيار الكتب الدالة على سعة علمه في هذا الباب[٥]، إلا أن هذه الرسالة لم تصلنا، ولو وصلتنا لاستطعنا أن نتعرف من خلالها على المواضيع التي تدور حولها، ونخرج بالتالي بفكرة واضحة عن منهجه في العقائد، وفي الرد على المخالفين من أهل الأهواء، ولكن عدم وصول هذه الرسالة إلينا لا يعني أننا لم نصل إلى معرفة آرائه في هذا الجانب، بل إن المطلع على ترجمته وأقواله في المصادر المختلفة يستطيع أن يكوّن لديه فكرة ولو جزئية عن منهجه في العقائد.

---

(١) هو: الإمام أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم، أحد الأعلام، عداده في التابعين كان يتعبد ويتزهد، وكان مالك يجالسه كثيراً وقال: «كنت أحب أن أقتدي به»، توفي سنة ١٤٨ هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ البخاري (٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) رقم: ٧٣٣، الجرح والتعديل (٥/ ١٩٩) رقم: ٩٢٤، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧١ ـ ٣٨٠) رقم: ١٥٩، وانظر المجلة التاريخية المصرية (٧/ ١٩٥٨/ ص ٥٥) مقال لجمال الشيال: "من أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي عبد الرحمن بن هرمز الأعرج التابعي الجليل".

(٢) الإمام مالك لأبي زهرة (ص٨٩).

(٣) كتاب الجامع لابن أبي زيد (ص ١٤٩).

(٤) الإمام مالك لأبي زهرة (ص ٨٩).

(٥) الإمام مالك لأمين الخولي (ص ٧١).

ومن خلال اطلاعي على المصادر المختلفة بهذا الشأن وجدت أن الإمام مالكاً تكلم في كل المواضيع المتصلة بالعقيدة تقريباً، وفيما يلي من البحث أحاول أن أتعرض لآرائه فيها، وهذه المسائل هي:

١. البدعة عموماً.

٢. الإيمان.

٣. القدر.

٤. صفات الله تعالى ومنها (صفة الكلام وصفة الاستواء).

٥. رؤية الله تعالى.

٦. التفاضل بين الصحابة.

٧. موقفه من التصوف.

وغيرها من المسائل التي تتصل بالعقيدة والتي سوف أتعرض لها بالحديث إن شاء الله، ولكن بإيجاز شديد لأن الغرض من البحث هو بيان تأثير الإمام مالك في أتباعه من علماء المغرب وليس القصد دراسة شخصيته.

# ١ ـ موقف الإمام مالك من البدعة

## ١ ـ تعريف البدعة:

أما في اللغة فالأصل فيها الاختراع على غير مثال سابق.

قال في الصحاح: «أبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، والله تعالى بديع السماوات والأرض، والبديع: المبتدِع، والبديع: المبتدَع أيضاً»[١].

ويقول الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في تعريف البدعة في اللغة: «وأصل مادة بدع للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي: مخترعها على غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة، يعني: ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق»[٢].

هذا في اللغة، أما تعريف البدعة في الاصطلاح فهي: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»[٣]، والفرق بين التعريفين «أن البدعة في الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال سابق يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً»[٤].

فالبدعة على هذا إنما يقصد منها صاحبها الزيادة في التعبد والتقرب إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، أي: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين:

**أحدهما**: الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

**الثاني**: عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل[٥].

فصاحب البدعة يقع في المحظور من هذا الباب، لأنه يحاول أن يزيد على القدر

---

(١) الصحاح للجوهري (٣/ ١١٨٣).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٦).

(٣) الاعتصام (١/ ٣٧).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٢٥٣)، والاستذكار (٢/ ٢٣٢).

(٥) تفسير ابن الكثير (٤/ ٤٩٢)، ط دار الفكر (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الذي حدده الشارع ظنًّا منه أنه بذلك يزداد قربة إلى الله، وما درى أن ذلك منه يعد اتهاماً للسلف الصالح، وهو أكبر ناقض لشرعة المهديين، حيث إنه استحسان ما لم يأت بتحسينه نقل، ورد ما ثبت بنقل العدل"(١)، ووجه ذلك أن نبينا ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى، حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهي دليل على أنه تعالى أكمل الدين للمؤمنين فلا يحتاجون معه إلى زيادة أبداً(٢).

فمن أراد أن يتقرب إلى الله بغير ما شرعه الله وبينه رسوله ﷺ، فكأنما أراد أن يتقرب بشيء قصر عنه النبي ﷺ والصحابة ﵃، وهذا هو الباطل بعينه، ولذلك كان السلف الصالح يحذرون من الوقوع في مثل هذا الضلال، كما نقل عن مالك أنه قال: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»(٣).

والنبي ﷺ كان شديد الحرص على تربية أتباعه على هذه المفاهيم، شديد الإنكار على من يرتكب مثل هذه الأخطاء كما جاء ذلك في حديث أنس ﵁: «أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا بعض أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فلما أخبرنهم كأنهم تقالوها فقالوا: "وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"، فقال أحدهم: "أما أنا فأصلي أبداً"، وقال آخر: "أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر"، وقال آخر: "أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج أبداً".

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٤).

---

(١) "عقد الزبرجد في تحية أمة محمد" للسيوطي (ص ٥)، "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" للسيوطي (ص٦).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠).
(٣) الاعتصام (١/ ٤٩).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح (باب الترغيب في النكاح) رقم: ٥٠٦٣ الفتح (٩/ ١٠٤)، ومسلم في كتاب النكاح (باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة) (٢/ ١٠٢٠) رقم: ١٤٠١، والنسائي في كتاب النكاح (باب الحث على النكاح) (٦/ ٤٩ ـ ٥٠)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥).

وقد ورد في ذم البدع أحاديث وآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين نقلها الإمام الشاطبي وغيره، أورد بعضها هنا للتنبيه فقط:

فأما الأحاديث فقد ورد في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[١] أي: مردود عليه.

قال الإمام الشاطبى: «هذا الحديث عده العلماء ثلث الإسلام، لأنه جمع وجوه المخالفة لأمره عليه السلام ويستوي في ذلك ما كان بدعة أو معصية»[٢].

وأخرج الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجال دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الاعتصام (١/ ٦٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة (باب تخفيف الصلاة والخطبة) رقم الحديث: ٨٦٧ صحيح مسلم (٣/ ٥٩٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب العلم (باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) رقم الحديث ٢٦٧٤، انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٠)، وأبو داود في كتاب السنة (باب لزوم السنة) رقم: الحديث: ٣٦٠٩ سنن أبي داوذ (٤/ ٢٠١)، والترمذي في كتاب العلم (باب فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة) رقم: ٢٦٧٤ سنن الترمذي (٥/ ٤٢)، وابن ماجه في المقدمة (باب من سن سنة حسنة أو سيئة) رقم: ٢٠٦. سنن ابن ماجه (١/ ٧٥)، والإمام أحمد في المسند (٣/ ١٨).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقائق (باب في الحوض) رقم الحديث ٦٥٧٦ انظر الفتح (١١/ ٤٦٣)، وفي كتاب الفقه (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ رقم الحديث ٣٦٣٩، المسند (٥/ ٢٣١) بتحقيق أحمد شاكر، والإمام مسلم في كتاب الإمارة (باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش) رقم الحديث: ١٨٢٢ صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٣ ـ ١٤٥٤).

هذا عن الأحاديث، أما الآثار عن السلف من الصحابة والتابعين فهي كثيرة أيضاً، من ذلك ما روي عن حذيفة بن اليمان ﵁ أنه «أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه: "هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟"، قالوا: "يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً"، قال: "والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين الحجرين من النور، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا: تركت السنن"»(١).

وعن ابن عباس ﵄ قال: «ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن»(٢).

وعن ابن مسعود ﵁ قال: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»(٣).

وعن الحسن البصري (ت١١٠ هـ) قال: «صاحب البدعة لا يزداد اجتهاداً صياماً وصلاة إلا ازداد من الله بعداً»(٤).

هذه بعض الأحاديث وبعض الآثار في ذم البدع وأهلها، وهي كلها تحذر ـ كما رأينا ـ من الوقوع في البدعة؛ لأنها هدم للدين وصد عن السنة التي أمرنا أن نتمسك بها؛ لأن فيها النجاة في الدنيا والآخرة.

ومن هنا وجدنا الإمام مالكاً رحمه الله من أشد الناس تحذيراً من البدع مهما كانت صغيرة، وكانت مواقفه مع المبتدعة مشهورة، وقد نقل إلينا من تلك المواقف شيء كثير:

فمن ذلك ما رواه أبو مصعب الزبيري صاحب مالك في تخوف مالك من البدعة

---

(١) انظر الاعتصام (١/ ٧٨).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٨) وقال: رواه الطبراني ورجاله موثقون. وهو في المطالب العالية لابن حجر رقم: ٢٩٦٤، المطالب العالية (٣/ ٩٠) وهو في الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٢).

(٣) أخرجه اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) (١/ ٥٥، ٨٨)، والدارمي في السنة رقم: ٢٢٣، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٩) وهو في المطالب العالية من طريق عبد الرحمن بن زيد مرفوعاً رقم: ٢٩٦٣ المطالب (٣/ ٩٠) وقال عنه الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو في زوائد الهيثمي (١/ ١٧٣) قال عنه الهيثمي: "فيه محمد بن بشير الكندي، قال يحيى بن معين: ليس بثقة".

(٤) انظر ابن وضاح في البدع (ص ٢٧)، والاعتصام (١/ ٨٢)، وروي مرفوعاً وهو منكر، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ١٤٩٣، (٣/ ٦٨٤).

وإشفاقه، منها: قصته مع إمام من أئمة السنة وهو عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله حين قدم المدينة «فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف، فلما سلم الإمام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكاً ـ وكان قد صلى خلف الإمام ـ فلما سلم قال مالك: "من ههنا من الحرس؟" فجاءه نفسان، فقال: "خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه" فحبس، فقيل له: "إنه ابن مهدي"، فأرسل إليه وقال: "أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر إليه وأحدثت في مسجدنا شيئاً ما كنا نعرفه، وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في مسجدنا هذا حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1]"، فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبداً في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره»[2].

وفي رواية أخرى: «قال مالك: "آلله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليهم؟ قال: "الله"، قال مالك: "خلياه"»[3]. وهناك واقعة أخرى أوردها ابن العربي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وهي «أن مالكاً أتاه رجل فقال: "يا أبا عبد الله من أين أحرم؟"، قال: "من ذي الحليفة[4]، من حيث أحرم النبي ﷺ"، فقال الرجل: "إني أحب أن أحرم من المسجد"، فقال: "لا تفعل فإني أخاف عليك الفتنة"، قال الرجل: "وأي فتنة هذه؟ إنما هي أميال أزيدها"، فقال الإمام مالك عند ذلك: "وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾" [النور٦٣]».

وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تفسيراً للآية الكريمة هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنه نبيه ﷺ دون ما اهتدوا إليه بعقولهم.

---

(١) الحديث بهذا اللفظ لم أعثر عليه وإنما الموجود: «المدينة حرام ما بين عير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، أخرجه البخاري في الجزية (باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة) رقم: ١٨٧ (الفتح ٤/ ٨١)، ومسلم في الحج (باب فضل المدينة) رقم الحديث: ١٣٧.

(٢) الاعتصام (١/ ١١١).

(٣) المدارك (١/١١٧).

(٤) هو ميقات أهل المدينة للحج والعمرة وقته لهم رسول الله ﷺ.

وفي مثل ذلك يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ حينما مر بقوم يجمعهم رجل يقول لهم: "رحم الله من قال كذا وكذا مرة(سبحان الله)" فيقول القوم. ويقول: "رحم الله من قال كذا وكذا مرة(الحمد لله)". يقول ابن مسعود: «لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم، وإنكم لتمسكون بذنب ضلالة»(١).

وهذا الذي ذهب إليه مالك في تفسير الآية الكريمة يدل على علمه الواسع بدقائق القرآن(٢). وسيأتي في ثنايا هذا البحث ما يدل على ذلك أكثر.

وكانت أكثر مواقفه قوة وصلابة وجرأة تلك التي كانت موجهة ضد المبتدعة من أهل الفرق الذين أحدثوا في دين الله أموراً لم يأذن بها الله تعالى ولا رسوله ﷺ، وقد أحدثت هذه البدع التي أحدثوها في دين الله شرخاً كبيراً في جسد الأمة الإسلامية، وما هذه الانقسامات وهذه الصراعات التي تنهك قوة المسلمين إلا نتيجة لما أحدثته تلك الفرق من البدع في دين الله، إن الإسلام الذي جاء به نبينا ﷺ واحد، وكتابه واحد هو القرآن الكريم.

إن المتتبع لسيرة السلف الصالح ﷺ لا يكاد يعثر على نقاش واحد دار بينهم في مسائل العقيدة، «ولم يستفسروا عن شيء بصددها كما كانوا يفعلون في شأن الزكاة والصيام والحج و ما إليه، ولم يرد في دواوين الحديث وآثار السلف أن صحابياً سأل رسول الله ﷺ عن صفات الله، أو اعتبرها صفات ذات أو صفات فعل»(٣)، لما كان يعتري هذا الجانب عندهم من الوضوح الذي لا لبس فيه ولا غموض، فكان موقفهم منها التسليم بكل ما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى، «وكانوا كلهم على إثبات ما

---

(١) الاعتصام(١/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، وأخرجه الدارمي في السنن(١/ ٦٨ ـ ٦٩)، وابن وضاح في البدع (٨ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣) من طرق عدة عن ابن مسعود، و ابن الجوزي في تلبيس إبليس(ص١٦ ـ ١٧).

(٢) في مناظرة للإمام الشافعي مع محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ـ رحمهم الله جميعاً ـ قال الشافعي: «هل صاحبكم [يعني أبا حنيفة] أعلم بكتاب الله أم صاحبنا [يعني مالكاً]؟ قال محمد بن الحسن: بل صاحبكم». انظر: الحلية (٢/ ٣٢٩)، ومن هذا القبيل ما نقله الشاطبي عن الإمام مالك أنه حمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى قوله ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء، قال مالك: «ما آية في كتاب الله أشد على أهل الأهواء من هذه الآية». انظر الاعتصام (١/ ٥٦)، ويقول الإمام أبو عمرو البهلول بن عمرو بن صالح بن عبيدة التجيبي (ت ٢٣٤هـ): «ما رأيت أنزع بآية من كتاب الله عزوجل من مالك». معالم الإيمان (٢/ ٧٦).

(٣) الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٦)، ط بولاق سنة ١٢٧٠.

نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية، كلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم»[١]، تلك كانت سيرتهم ﷺ مع قربهم من الوحي وعلمهم بأسرار اللغة العربية التي هي لغة القرآن.

والذي ساعدهم على ذلك عدة عوامل:

**أولها**: أن الصحابة عايشوا الرسول ﷺ وأدركوا زمان الوحي وشرف الصحبة، وأزال نور الصحبة عنهم ظلمة الشكوك والأوهام[٢].

**ثانيها**: أنهم انصرفوا للفتوح بكل إيمانهم، فلم يبق لديهم متسع من الوقت لمثل تلك المباحث.

**ثالثها**: حمتهم سليقتهم اللغوية من الوقوع في الخلط بين مستويات اللغة، فكانت لهم القدرة على التصرف في فهمها والتعامل مع النص القرآني.

واستمر الأمر على ذلك حتى نبتت نابتة في الإسلام تجادل في دين الله وتشكك في عقائد المسلمين، وكان ذلك نتيجة لاتساع رقعة الفتوحات الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وكان فيمن دخل في هذا الدين قوم ليس حباً فيه، ولكنهم دخلوه وهم يحملون معهم أوزار الجاهلية التي تربوا عليها، ورضعوا من لبنها من حقد دفين لهذا الدين، ووثنية متأصلة في قلوبهم، فرأوا أن هدم صرح هذا الدين لا يتم من خارجه، بل يجب أن يكون من الداخل، كالجرثومة التي تسكن الجسم ولا تزال به حتى ترديه قتيلاً.

وهكذا بدأت سلسلة الكيد للإسلام ـ والتي لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ، وإذا كان أولئك قد أثاروا شبهات حول العقيدة، فإن أحفادهم اليوم يثيرون شبهات حول الإسلام نفسه وحول رسول الإسلام ﷺ، لذلك يمكننا أن نقول: لو وجه لأي دين أو أي نظام في الكون عشر معشار ما وجه للإسلام من سهام لانهارَ، أما الإسلام فلم تزده تلك السهام إلا شموخاً وعظمة في نفوس الناس، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٩).
(٢) مفتاح دار السعادة لطاش كبرى زاده (٢/ ٣٢).

ويلخص لنا الإمام ابن زيد القيرواني هذا المعنى بقوله: «رحم الله بنى أمية لم يكن فيهم خليفة قط ابتدع في الإسلام بدعة، وكان أكثر عمالهم وأصحاب ولايتهم العرب، فلما زالت الخلافة ودارت إلى بني العباس قامت[1] دولتهم بالفرس، وكانت الرياسة فيهم وفي قلوب أكثر الرؤساء منهم الكفر والبغض للعرب ودولة الإسلام، فأحدثوا في الإسلام الحوادث التي تؤذن بهلاك الإسلام، ولولا أن الله تبارك وتعالى وعد نبيه ﷺ أن ملته وأهلها هم الظاهرون إلى يوم القيامة لأبطلوا الإسلام، ولكنهم قد ثلموه وعوروا أركانه والله منجز وعده إن شاء الله»[2].

نعم إن ديناً قد تكفل الله بحفظه وتأييده ونصرته وإتمامه لن تستطيع قوى الأرض ـ ولو اجتمعت ـ أن تنال منه.

**قلت**: إن كثيراً من الذين دخلوا هذا الدين كانوا يحملون معهم موروثات الجاهلية التي كانوا يعيشونها، وبدأت سلسلة الكيد للإسلام بإثارة قضايا العقيدة التي انتهى المسلمون منها وفرغوا من بيانها؛ فكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ قد تكفلا ببيان هذه المسائل بحيث لا يشك فيها ولا يجادل إلا مريض القلب كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، فبين الله تعالى أن الذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف إنما يثيرون هذه المسائل لا ابتغاء المعرفة والبحث عن الحقيقة كما يزعمون، وإنما ابتغاء الفتنة وتشكيك الناس في عقائدهم.

لقد بدؤوا بإثارة مسائل الصفات هل هي قديمة أم حادثة؟ وإذا كانت قديمة فهل يلزم من ذلك تعدد القدماء أم لا؟ وهل هي زائدة على الذات أم هي نفس الذات؟ وهل القرآن كلام الله مخلوق أم قديم؟ وهل الإنسان في هذا العالم مخير أم مسير؟ وكانوا قبل ذلك قد أثاروا مسألة الإمامة، والتي تولى كبرها عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني[3] الذي دخل الإسلام ظاهراً، ولكن باطنه كان مشحوناً بالحقد على هذا

---

(١) أي: استعانت.

(٢) صون المنطق (ص٧٥٦).

(٣) هو: عبد الله بن سبأ ويدعى ابن السوداء نسبة إلى أمه التي كانت سوداء اللون، ذكره غير واحد من المؤرخين من السنة والشيعة وغيرهم أمثال الطبري (ت ٣١٠هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ) من أهل السنة، والجاحظ (ت ٢٥٥هـ) من المعتزلة، والنوبختي من الشيعة =

الدين، فزعم أنه جاء ليرد حق آل البيت المسلوب من قبل الخلفاء، وصار يمشي في الناس ويبث سمومه في شكل أفكار، فقال بإمامة علي والوصية[١] والرجعة[٢]

= هؤلاء القدماء، وذكره أيضاً من جاء بعدهم أمثال الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، وعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، وابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، والإسفراييني (ت ٤٧١هـ)، والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، وابن تيمية، وابن القيم (ت ٧٥١هـ) وغيرهم، وكلهم أثبت سعيه في الفتنة، وأنه كان يهودياً فأسلم ظاهراً في عهد عثمان رضي الله عنه بغرض إحداث الفتنة والشقاق في صفوف المسلمين، يقول ابن قتيبة عنه في المعارف (ص ٢٦٧): «السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ، وكان أول من كفر من الرافضة وقال: "علي رب العالمين" فأحرق علي أصحابه بالنار»، ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة (٨/ ٤٧٩): «وكان عبد الله بن سبأ شيخ الرافضة لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه فأظهر النسك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى سعى في فتنة عثمان وقتله».

وهو أول من ابتدع القول بالرجعة، أي رجعة علي في الدنيا، والقول بالوصية، وبالطعن على الخلفاء، والقول بإلهية علي رضي الله عنه، يقول المقريزي في الخطط (٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٣): «وابن سبأ هذا هو الذي ابتدع عقيدة الرجعة بعد الموت في الدنيا لعلي ـ كرم الله وجهه ـ ولغيره من الأئمة، والقول بتناسخ الأرواح وتقمصها في الأجساد كما هو المتوارث في تلمود اليهود، وكان يزعم أن علياً لم يقتل وأنه حي وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يجيء في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه، ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وعنه أخذوا القول بحلول الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي كرم الله وجهه».

ويقول الإمام ابن تيمية أيضاً (منهاج السنة: ٧/ ٢٢٠): «وهو الذي ابتدع النص في علي وابتدع أنه معصوم، فالرافضة الإمامية هم أتباع المرتدين وعلماء الملحدين وورثة المنافقين».

وتعجب بعد هذا البيان عن حقيقة هذا اليهودي أن تسمع أصواتاً ممن ينتمون إلى الإسلام تنكر حقيقة هذا الرجل وسعيه في الفتنة، ولذلك يقول الشيخ الكوثري رحمه الله: «فاستبعاد سعي ابن سبأ في الفتنة في عهد عثمان بعد اعتراف مثل جولد سيهر بذلك تحزب لليهود فوق اليهود أنفسهم» انظر: مقدمة الكوثري على رسالة "المقدمات الخمس والعشرون في إثبات وجود الله ووحدانيته وتنزهه" لأبي عمران موسى بن ميمون الفيلسوف الإسرائيلي القرطبي (ت ٦٠٥هـ).

وابن سبأ لم تذكر المصادر سنة وفاته وإنما ذكرت أن علياً نفاه إلى ساباط والمدائن، فلما قتل علي ادعى أنه لم يمت، إنما هو في السماء إلى آخر مقالته، انظر: (التبصير في الدين ص ٧٢).

(١) الوصية التي يقول بها الشيعة هي أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه من بعده.

(٢) انظر عن عقيدة الرجعة عند الشيعة رسالة "الرد على الرافضة" لأبي حامد محمد المقدسي (ت ٨٨هـ) تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، طبعة: الدار السلفية بالهند، (الطبعة الأولى ١٤٠٣) ص ١٠٣.

والعصمة[١] والتقية[٢]، وكل المبادئ التي تتبناها الشيعة اليوم هي بنات فكر هذا اليهودي الحاقد، وغير ذلك من المقالات كثير مثل حكم مرتكب الكبيرة، وهل يخرج بكبيرته عن دائرة الإيمان؟ وهل يخلد في النار أم لا ؟

كل هذه الأفكار كان لها الأثر البالغ في تفرق المسلمين وتمزقهم، ولو أنها لم تصادف قلوباً مريضة اعتنقتها، وحكاماً متساهلين تركوا لها المجال مفتوحاً نمت فيه، ولو أنهم اتخذوا منها موقفاً حازماً منذ البداية لكانوا قد قضوا عليها في مهدها ولم يكن لها كل هذا الانتشار وهذا التأثير والخطر.

المهم أن هذه الأفكار وهذه الضلالات انتشرت وتأثر بها كثير من الناس، ولكن الله تعالى قيض لها من العلماء المخلصين من يردها ويدفعها ويفضحها، ولم يخل زمان ولا مكان إلا أظهر الله فيه من يذود عن دينه ويدفع عنه كيد الأعداء مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**يحمل هذا العلم من كل خلف**

---

(١) أي عصمة الإمام من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً، لأن الإمام عندهم أعلى مرتبة من النبي، لأن النبي ﷺ يتلقى الوحي بالواسطة، أما الإمام فيتلقاه مباشرة.
انظر عنها: المصدر السابق (٧٩ ـ ٨١).

(٢) التقية في حقيقة أمرها معناها الكذب والنفاق، أي: أنهم يجوزون الكذب والنفاق والخداع والتظاهر بغير ما يبطنون، وهي عند الشيعة دين وشرعة، بل هي من أفضل الأعمال، والتقية عند أهل السنة تختلف تماماً عنها عند الشيعة، فهي عندهم: أن كل مؤمن وقع في ضيق لا يستطيع أن يظهر دينه لتعرض المخالفين له وكان له عذر شرعي ففيه رخصة.
انظر: المرجع السابق (ص ١٠٤ ـ ١٠٦).

(٣) هذا الحديث روي بألفاظ مختلفة عن المغيرة بن شعبة وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله ومعاوية ابن أبي سفيان وغيرهم، حديث المغيرة أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (باب قول النبي: لا تزال طائفة من أمتي ...) رقم: ٧٣١١، الفتح (١٣/ ٢٩٣)، ومسلم في الإمارة (باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ...) رقم: ١٩٢١ (٣/ ١٥٢٣).
وروي من طرق أخرى أيضاً انظر مسلم: رقم: ١٩٢٠، ١٩٢٢، ١٩٢٣ (صحيح مسلم ٣/ ١٥٢٢ ـ ١٥٢٤ ـ ١٥٢٥).
انظر مسند أحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤)، وأبو داود رقم: ٤٢٥٢ (٤/ ٩٨)، وابن ماجه رقم: ٣٩٥٢ (٢/ ١٣٠٤).

**عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»**(١)، وفيه تخصيص لعلماء السنة وبيان لجلالة قدرهم؛ لأنهم يحمون مشارع الشريعة ومتون الروايات من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين(٢).

ولقد كان الإمام مالك رحمه الله تعالى من هذه الفئة، فلقد وقف نفسه لنشر السنة ومحاربة البدعة؛ أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء(٣) أن الإمام مالكاً رحمه الله سئل عن القدرية(٤)فقال «رأيي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا»، وكان رأيه أن لا يصلى خلف المبتدعة ولا يشهد جنائزهم ولا يصلى عليها ولا يحمل عنهم الحديث، ويعني بالمبتدعة الذين لا يأخذ عنهم الحديث الذين يدعون إلى بدعتهم، كما قال: «لا يؤخذ العلم عن أربعة: ـ وذكر ـ لا يؤخذ عن مبتدع يدعو إلى بدعته»(٥)، وقال: «وإن وافيتموهم في ثغرنا فأخرجوهم منه».

---

(١) انظر إرشاد الساري (١/ ٤)، حيث يقول القسطلاني بعد أن ذكر جملة من الصحابة ممن روى هذا الحديث، ومنهم علي وابن عمر وابن مسعود وأسامة وغيرهم رضي الله عنهم قال: "وأورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن عبد البر، لكن يمكن أن يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسناً كما جزم به ابن كيكلدي العلائي"..
وانظر عن هذا الحديث التمهيد (١/ ٥٩)، والكامل لابن عدي (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣)، ومجمع الزوائد (١/ ١٤٠)، وميزان الاعتدال (١/ ٦٣٥).
وانظر ما قيل فيه بتوسع في فتح المغيث (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧).

(٢) إرشاد الساري (١/ ٤).

(٣) (٨/ ١٠٠)، وانظر حلية الأولياء (٦/ ٣٢٦).

(٤) القدرية: هم الذين ينكرون القدر. قال الإمام أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ): «سموا بذلك قيل: لأنهم نفوا القدر كما سمي داود الظاهري بالقياسي لأنه نفى القياس، وقيل: سموا بذلك لأنهم ادعوا أن لهم قدرة على خلق أفعالهم ونفوا قدرة الباري سبحانه عليها» المنتقى (٧/ ٢٠٥)، وأول من قال بالقدر معبد الجهني وتبعه على ذلك غيلان الدمشقي كما سبق بيانه.
انظر: شرح مسلم للنووي (١/ ١٥٠ ـ ١٥١)، والفرق بين الفرق (ص٧٠).

(٥) هذا الأثر ذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص ١٤٧) عن معن بن عيسى صاحب مالك، وفي رواية أخرى: «لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك: لا يؤخذ عن سفيه، ولا يؤخذ عن صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله ﷺ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث». وانظر التمهيد لابن عبد البر (١/ ٦٦ ـ ٦٧).

واستدل مالك على معاداة القدرية وعدم مجالستهم بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم، قال أشهب: قال مالك: لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية[(١)].

وكان يرى أنه لا يحق للمسلم أن يسلم على أهل الأهواء، والأولى أن يعتزلوا كما نقل ابن عبدالبر ذلك في الانتقاء[(٢)]، حيث يقول الإمام مالك: «أهل الأهواء بئس القوم هم، لا يسلم عليهم واعتزالهم أحب إلي»[(٣)]، ويقول أيضاً: «لا تسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم ولا يعاد مريضهم ولا يحدث عنهم الأحاديث»[(٤)]، ويقول أيضاً: «لا تجوز الإجارات في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم»[(٥)].

وجاءه رجل كان يتهم بالإرجاء فقال: «يا أبا عبد الله إسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك، فقال الإمام مالك: فإن غلبتني؟، قال: اتبعتني، قال: فإن غلبتك؟، قال: اتبعتك، قال: فإن جاء رجل فكلمناه فغلبنا؟، قال: اتبعناه، قال الإمام مالك: إن الله بعث محمداً بدين واحد، وأراك تنتقل، قال عمر بن عبد العزيز: "من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل»[(٦)].

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٨).

(٢) (ص ٣٤).

(٣) ذكره البغوي في شرح السنة (١/ ٢٢٩) وابن عبد البر في الانتقاء (ص ٣٤).

(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص١٢٥).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦).

(٦) الأثر عن مالك أورده الإمام ابن عبد البر في الانتقاء (ص٣٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى رقم: ٥٦٢ (ص ٣٧٢)، أما أثر عمر بن عبد العزيز الذي استشهد به مالك فرواه الدارمي في السنن برقم: ٣١٠ (١/ ٧٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم: ٢١٦ (١/ ١٢٨)، وابن بطة: الإبانة رقم: ٥٤٤، ٥٤٨ (ص ٣٧٦)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٣)، وعبد الله ابن أحمد في السنة رقم: ٨٠٣ (١/ ١٣٨)، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص٦٣).

وقال ابن وهب (ت١٩٧هـ): «سمعت مالكاً إذ جاءه بعض أهل الأهواء يقول: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاكٌّ فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه، ثم قرأ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[يوسف: ١٠٨]»[١].

وكان رأيه في الإباضية أن يستتابوا وإلا قتلوا، ولما علم أن عكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٤ هـ)[٢] كان على رأي الخوارج، فإنه أسقط ذكره من الموطأ، يقول الإمام ابن المديني (ت٢٣٤ هـ)[٣]: «لم يسم مالك عكرمة في شيء من كتبه إلا في حديث ثور (الديلي)[٤] عن عكرمة عن ابن عباس في الذي يصيب أهله وهو محرم قال يصوم ويهدي»[٥]،

---

(١) الحلية (٦/ ٣٢٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٩).

(٢) هو: العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله عكرمة القرشي مولاهم المدني البربري، حدث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وابن عمر، وعنه إبراهيم النخعي وعمرو بن دينار وغيرهم، وكان يذهب مذهب الصفرية توفي سنة ١٠٤هـ وهو ابن ثمانين سنة.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨٧ ـ ٢٩٣)، حلية الأولياء (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٤٧) رقم: ٢٤٥، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦) رقم: ٤٢١، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣ ـ ٢٧٣) رقم: ٤٧٥، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢ ـ ٣٦) رقم: ٩ وغيرها.

(٣) هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن المديني الحافظ، أحد الأعلام الأثبات، كان إماماً في معرفة الحديث والرجال والعلل، له نحو مئتي مصنف توفي سنة ٢٣٤ هـ.
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٦/ ٢٨٤) رقم: ٢٤١٤، السير (١١/ ٤١ ـ ٦٠) رقم: ٢٢، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨ ـ ١٤١) رقم: ٥٨٧٤، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٥ ـ ١٥٠) رقم: ٣٤، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٤٩ ـ ٣٥٧) رقم: ٥٧٥.

(٤) هو: ثور بن زيد الديلي مولاهم المدني، روى عن أبي الزناد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم وعنه مالك وغيره، وكان ينسب إلى قول الخوارج والقول بالقدر ولم يكن يدعو إلى شيء من ذلك. توفي سنة ١٣٥هـ.
مصادر ترجمته: ميزان الاعتدال (١/ ٣٧٣) رقم: ١٤٠٤، تهذيب التهذيب (٢/ ٣١ ـ ٣٢) رقم: ٥٥، التمهيد لابن عبد البر (٢/ ١).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٨٤) في الحج (باب من أصاب أهله قبل أن يفيض أي قبل أن يطوف طواف الإفاضة) رقم: ١٥٦، ١٥٧.

وقال معن (ت ١٩٨هـ)(١): «كان مالك لا يرى عكرمة ثقة»(٢).

وكان موقفه من الروافض من أبرز الأدلة على تشدده مع المبتدعة، هذا الموقف الذي وقفه مالك من الروافض هو حكمه عليهم بالكفر، وقد انتزع هذا الحكم من القرآن الكريم وهو ما يؤكد قولنا من قبل بسعة علم الإمام مالك بدقائق القرآن وأسراره، لقد انتزعه من قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[الفتح: ٢٩].

قال الإمام مالك: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية»(٣).

---

(١) هو: أبو يحيى معن بن عيسى بن يحيى بن دينار من كبار أصحاب مالك، ومن أشد الناس ملازمة له وأثبتهم فيه، وكان مالك يتكئ عليه عند خروجه إلى المسجد حتى قيل له: عصية مالك، توفي سنة ١٩٨ هـ.
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٧/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) رقم: ١٧٠٣، الجرح والتعديل (٨/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) رقم: ٩١، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) رقم: ٤٥٢، شذرات الذهب (١/ ٣٥٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦)

(٣) ذكر ذلك الإمام القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢٩٦) فقال: «الخامسة (أي المسألة الخامسة) روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير قال: كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية حتى بلغ ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ فقال مالك هذا القول».
وقال الإمام ابن الكثير في تفسيره (٧/ ٣٤٧): «ومن هذه الآية انتزع مالك القول بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة»، قال: «لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية»، قال ابن كثير: «ووافقه طائفة من العلماء ﷺ على ذلك».
وانظر قول مالك هذا في الحلية (٦/ ٣٢٦)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٩)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٩٦). **قلت**: وممن كان يذهب إلى تكفير من سب الصحابة: أبو القاسم عبد الله بن الحسين ابن محمد القاضي الصيمري (ت ٣٨٦هـ) فقد كان يقول: «من سب الصحابة معتقداً مصراً عليه كفر كما لو سب رسول الله ﷺ...».
انظر طبقات الشافعية (ص٣٨).
وللإمام مالك قول آخر في المسألة ذكره له القاضي عياض في الشفا وهو عدم تكفيرهم، وإنما =

فانظر رحمني الله وإياك إلى موقف هذا الإمام العظيم الذي أجمعت الأمة على صدقه وعدالته وتسننه، لنعلم أنهم كانوا حماة حقيقة للإسلام، ولترى عبث الجهود التي تبذل من أجل التقارب بين السنة والشيعة.

= كان يرى تغليظ العقوبة عليهم حتى يعودوا أو يموتوا تحت العذاب. الشفا (٢/١١٠٨ ـ ١١٠٩).
وبالمناسبة أحاول هنا أن ألخص أقوال العلماء في المسألة فأقول: اختلف العلماء فيمن سب أصحاب النبي ﷺ فبعد أن اتفقوا على أن من سبهم بالكفر والردة أو الفسق جميعهم أو معظمهم كفر، لأن في ذلك تكذيباً للقرآن الكريم من الرضى عنهم والثناء عليهم: حيث يقول الإمام ابن تيمية في الصارم المسلول (ص٥٩١، ٥٩٢): «وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين...إلى أن قال... وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من الدين».
ويقول الهيثمي في الصواعق المحرقة (ص ٣٧٩): «ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر».
وكذلك من سب بعضهم بالكفر والفسق، وكان ممن تواترت النصوص بفضله كالخلفاء الراشدين؛ فذلك كفر على الصحيح، أو رمى عائشة كَفَرَ لأن الله يقول: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]. انظر الصواعق المحرقة (٣٨٤).
ويقول الخرشي في شرحه على مختصر الإمام خليل (٨/ ٧٤): «من رمى عائشة بما برأها الله منه، أو أنكر صحبة أبي بكر أو إسلام العشرة أو إسلام جميع الصحابة أو كفر الأربعة أو واحداً منهم كفر».
ويقول البغدادي في الفَرق بين الفِرق (ص ٣٦٠): «وقالوا بتكفير كل من أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن».
وذهب بعض العلماء ممن قال بعدم الكفر إلى أنه فاسق لارتكابه كبيرة من الكبائر يستحق التعزير عليها، على حسب منزلة الصحابي يقول الهيثمي (ص ٣٨٣): «أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق، وأما من سب من دونهم ممن لم يتواتر النقل بفضله فالجمهور على عدم كفره، وكذلك لو سب الصحابة سباً لا يطعن في دينهم فلا يكفر ويستحق التعزير»، يقول الإمام ابن تيمية: «وأما سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك فهو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك» انظر الصارم المسلول (٥٦١)، وانظر كذلك الشفا للقاضي عياض (٢/١١٠٨ ـ ١١١٢) تحقيق علي محمد البجاوي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه.

وكان يرى رحمه الله أنه لا ينبغي الإقامة في الأرض التي يكون فيها العمل بغير الحق وبالسب للسلف[١]، واستدل بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨، ٩، ١٠] على أن من سب السلف الصالح ليس له حق في الفيء، إنما الفيء لهذه الأصناف الثلاثة[٢].

قال الإمام ابن كثير (ت٧٧٤ هـ) عند تفسيره لهذه الآيات: «وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآيات الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء»اهـ[٣].

## ٢ ـ موقف الإمام مالك من التصوف والصوفية[٤]

لقد كانت الصوفية أيضاً ممن فرق شمل المسلمين وانحرفوا بالزهد عن معناه الحقيقي، وإذا كان الزهد الأول عبارة عن رد فعل لإقبال الناس على الدنيا وافتتانهم بها، فنشأت طائفة أعرضت عن بهرجها وزينتها وزهدت في متاعها وأقبلت على الله وطلب الآخرة.

إذا كان الزهد كذلك في بدايته؛ فإنه مع مرور الزمن دخلته انحرافات خطيرة، أصبحت هي السمة الغالبة عليه من التواكل، وإسقاط لذروة سنام الإسلام الذي هو الجهاد في سبيل الله بحجة أن الجهاد الأكبر، والأهم من ذلك هو جهاد النفس، واستدلوا لذلك بحديث لا أصل له: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس»، وفهم القضاء والقدر على غير حقيقته: فزعموا أن الغزو الأوربي للبلاد

(١) الانتقاء (ص٣٦).

(٢) الانتقاء (ص٣٦)، حلية الأولياء (٦/ ٣٢٦)، الشفا (٢/ ١١١١ ـ ١١١٢)، شرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٩)، الاعتصام (٢/ ٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٩٩) طبعة دار الشعب.

(٤) اختلف الذين كتبوا عن التصوف في اشتقاق كلمة (صوفي) هل هي من لبس الصوف، أو من الصُّفة، أو من الصفاء، أو من الصف، والنسبة لا تصح إلا إلى لبس الصوف وهو الذي ذهب إليه ابن خلدون وغيره (المقدمة: ٣٣٤)، ولا يقدح في هذه النسبة ما قاله القشيري (الرسالة: ٢١٧) من أن الصوفية ليسوا مختصين بلبس الصوف، بل يشاركهم غيرهم، لأن هذا الأمر غلب في الصوفية وهم يفعلونه زهداً وتورعاً عن لبس فاخر الثياب كما يقول ابن خلدون (المقدمة: ٣٣٤).

الإسلامية إنما هو قضاء من الله وقدره، ولو شاء الله لأخرج الغزاة فلا يحتاج إخراجهم إلى جهاد ولا إلى أي جهد من قبلنا[١]، هذا فضلاً عن المفاهيم الخاطئة والخطيرة التي وقع فيها هؤلاء في الجوانب العقدية مثل القول بالاتحاد[٢] والحلول وغير ذلك من الطامات التي وقعوا فيها.

ولم يكن عصر الإمام مالك قد عرف هذه الفئة ولم يكن لفظ التصوف أو الصوفية قد اشتهر بعد، لأن هذه اللفظة لم تشتهر إلا في القرن الثالث الهجري كما يقول الإمام ابن تيمية: «إن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك»[٣].

وهو قول ابن خلدون[٤] وابن الجوزي[٥]، لكن إذا كانت هذه الطائفة لم تشتهر إلا بعد القرن الثالث فإن ذكرها ورد على ألسنة بعض الأئمة كالإمام أحمد والإمام الشافعي وغيرهما، فمما قاله الإمام الشافعي: «لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق»، وقال أيضاً: «ما لزم أحدٌ الصوفيين يوماً فعاد عقله أبداً»، وأنشد[٦]:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا  وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وقال أيضاً عندما سافر إلى مصر: «تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة شيئاً يسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن»[٧]، والتغبير هو الضرب بالقضيب، غبر؛ أي: أثار غباراً وهو آلة من الآلات التي تقرن بتلحين الغناء[٨].

ولكن حتى ولو كان التصوف ذكر قبل ذلك، إلا أن وجود هذه الطائفة لم يكن بالمدينة المنورة ولا بمكة المكرمة لوجود عدد كبير من التابعين وتابعي التابعين، وهؤلاء

---

(١) حول عقيدة الجبر عند الصوفية ينظر مقال توفيق بن عامر "الصوفية والعقيدة الجبرية" حوليات الجامعة التونسية (١٨/ ٧٥ ـ ٨٨).

(٢) القول بالاتحاد يقول به: الاتحادية وهم قوم يقولون بوحدة الوجود، وهو مذهب باطل يخرج صاحبه من الإسلام لأنه يعد الله والوجود شيئاً واحداً.

(٣) الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥).

(٤) المقدمة (ص ٤٦٧).

(٥) تلبيس إبليس (ص ١٥٧).

(٦) تلبيس إبليس (ص ٣٧١).

(٧) تلبيس إبليس (ص ٣٧١)، الاستقامة (١/ ٢٣٨).

(٨) الاستقامة (١/ ٢٣٨).

كما بينا كانوا قائمين على السنّة ينشرونها في الناس واقفين في وجه البدعة والمبتدعة، وإنما كان ظهورها هناك بالبصرة[١].

لذلك كله فإننا لا نستطيع أن نخرج برأي واضح عن موقف الإمام مالك في هذه الطائفة، ولكن هناك إشارات في بعض المصادر يمكن أن نكوّن منها فكرة عن موقفه هذا: من هذه الإشارات ما ذكره القاضي عياض (ت٥٤٤ هـ) في مداركه[٢] عن المسيبي أنه قال: «كنا عند مالك ـ وأصحابُه حوله ـ فقال رجل من أهل نصيبين[٣]: يا أبا عبد الله، إن بناحيتنا قوماً يدعون الفقراء[٤]، يأكلون كثيراً، ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون، فقال الإمام مالك: أصبيان هم؟، قال: لا، قال: أمجانين هم؟، قال: لا، قوم مشائخ وغير ذلك عَقَلاً، قال مالك: ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا».

فإن صحت هذه الرواية عنه فإن الإمام مالكاً قد بين حكم الإسلام في هؤلاء القوم، فإن أهل الإسلام لم يفعل منهم أحد ذلك على الرغم من قرب عهد الإمام مالك من عهد النبي ﷺ، وعلى الرغم مما نعرفه عنه من أنه كان من أشد الناس حرصاً على السنة، وعلى معرفة كل ما يتصل بسيرة النبي ﷺ وسيرة الصحابة والتابعين ﷺ، ولو كان الأمر معروفاً عندهم لما أنكر الإمام مالك أن يكون من أهل الإسلام من فعل ذلك.

هذا، وهناك حادثة أخرى حول هذا الموضوع يصحح فيها الإمام مالك مفهوماً خطيراً من المفاهيم التي يقول بها الصوفية ويؤمنون بها ويستدلون لها بالقرآن والسنة وهو استدلال باطل، وهذا المفهوم هو ما يسمونه بعلم الباطن، وأن للقرآن الكريم ظاهراً وباطناً، ويقصدون بعلم الظاهر علم الشريعة التي تعبدنا الله بها، وهذا العلم عندهم علم العوام، أما العلم الثاني وهو المقصود الحقيقي من نزول القرآن الكريم فهو علم الباطن، وهذا العلم لا يقدر عليه ولا يتمكن منه إلا من سلك طريق القوم.

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٧).

(٢) (١/ ١٨٠).

(٣) نَصِيبِين: بالفتح ثم الكسر، تقع بين الموصل والشام، وهي مدينة عامرة كثيرة البساتين، انظر عنها معجم البلدان (٥/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص٥٧٧)، معجم ما استعجم (٢/ ١٣١٠).

(٤) الفقراء لقب يطلق على المريدين المنخرطين في الطرق الصوفية.

وكما قلت فإنهم يستدلون لهذا بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فأما القرآن الكريم فقصة موسى عليه السلام مع الخضر[1] عليه السلام، والتي جاء ذكرها في سورة الكهف في قوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧ ـ ٨٢].

---

(١) ذكر ابن قتيبة في المعارف (ص ٤٢) أن اسم الخضر: بليا بن ملكان بن فالخ بن شامخ بن أرفخشند بن سالم بن نوح عليه السلام، ويلقب بالخَضِر وهو بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها، كما في نظائره (تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ١٧٦).
وأما تسميته بالخضر فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خضراء»، أخرجه البخاري في الأنبياء [باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام]، رقم: ٣٤٠٢ الفتح (٦/ ٤٣٣)، والترمذي في التفسير [باب ومن سورة الكهف] رقم: ٣١٥١ السنن (٥/ ٣١٣)، وانظر جامع الأصول (٨/ ٥٢٤) رقم الحديث: ٦٣٢٢، والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات قاله عبد الرزاق [أحمد: ٢/ ٣١٨].
وقد انقسم الناس في حياة الخضر ولقائه الناس إلى فريقين، قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧٧): «واختلفوا في حياة الخضر ونبوته؛ فقال الأكثرون من العلماء، هو حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر»، ونقل عن ابن الصلاح قوله في فتاويه: «هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين»، [تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ١٧٧].
وقد ذهب إلى هذا القول من علماء المغرب ابن أبي زيد القيرواني، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المؤمن المتكلم وغيرهما، وقد سئل الإمام ابن أبي زيد عن الخضر: «فقيل له: هل يقال إنه باق في الدنيا مع هذه القرون ثم يموت لقيام الساعة؟ أو هل يرد هذا لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[الأنبياء: ٣٤]؟ فأجاب: "إن ذلك ممكن جائز، وأن يبقى الخضر عليه السلام إلى النفخ في الصور، وإن الخلود إنما هو اتصال بقائه ببقاء الآخرة، وإن البقاء إلى النفخ ليس بخلود، ألا ترى أن إبليس لعنه الله لا يسمى خالداً وإن كان من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم». انظر ترتيب المدارك (٢/ ٤٩٦). =

وهي قصة ـ في الواقع ـ ليس فيها حجة على ما يذهبون إليه: «من الاطلاع على الغيب الذي لا يعلمه عموم الناس وإنما ـ كما يقول الإمام ابن تيمية ـ فيها علمه (أي

= واستدلوا على ذلك بحكايات وآثار عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث قال ابن كثير عنها في تفسيره (٣/ ١٦٢): «ولا يصح شيء منها، وأشهر هذه الأدلة حديث التعزية الذي ورد ذكره في المهذب للشيرازي [١/ ١٤٦] حيث قال الشيرازي: يستحب أن يعزى بتعزية الخضر عليه السلام أهل بيت النبي ﷺ وهو أن يقول: "إن في الله سبحانه وتعالى عزاء من كل مصيبة وخلفاً عن كل هالك ومن كل فائت، فبالله ثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب»، قال ابن كثير عنه: «إسناده ضعيف».

وحديث رياح عن عبادة بن الصامت: «رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز يعتمد على يده، فقال رياح: من هذا الذي رأيتك تعتمد عليه؟ فقال: إنه الخضر». وهو في الحلية (٥/ ٢٥٤)، والسير (٥/ ١٢٢)، وأورده الهندي في تذكرة الموضوعات (ص ١٠٨)، ونقل عن السيوطي قوله فيه: «حديث رياح كالريح»، وقال ابن حجر: «هو أصح ما ورد في بقائه، والحديث تفرد به ضمرة وهو معدود في جملة منكراته، وقد أخرجه الترمذي وقال: لا يتابع ضمرة عليه وهو خطأ».

وذهب المحققون من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام ميت وليس حيًا كما يزعم هؤلاء، أشهرهم ابن المبارك وإبراهيم الحربي وأحمد بن حنبل والبخاري وابن حزم وابن العربي وابن الجوزي وابن تيمية وابن حجر وغيرهم.

يقول الإمام ابن تيمية جواباً لمن سأله عن الخضر وإلياس هل هما مُعَمَّران: «إنهما ليسا في الأحياء ولا مُعَمَّرَان، وقد سأل إبراهيمُ الحربي أحمدَ بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس وأنهما باقيان يُرَيَان ويُروَى عنهما، فقال الإمام أحمد: "من أحال على غائب لم ينصف، وما ألقى هذا إلا الشيطان»، الفتاوى (٤/ ٣٣٧).

واستدل هؤلاء بعدة أدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقوله عليه الصلاة والسلام يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض»، أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ،باب الإمداد بالملائكة، رقم: ١٧٦٣ [صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨٣ ـ ١٣٨٤]، والترمذي في تفسير القرآن، باب من سورة الأنفال، رقم: ٣٠، [السنن: ٥/ ٢٦٩]، وأحمد في المسند (١/ ٣٠)، وبأن الخضر لم ينقل عنه أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه، ولو كان حيًا لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه، لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين الجن والإنس وقد قال: «لو كان موسى حيًا لما وسعه إلا اتباعي»، انظر صحيح مسلم (٥/ ١٥٦)، مسند أحمد (١/ ٣٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢)، وفي هذا الدليل يقول ابن تيمية أيضاً في الفتاوى (٢٧/ ١٠): «وإذا كان الخضر حيًا أو دائماً فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدون». =

الخضر عليه السلام) بأسباب لم يكن علم بها موسى، مثل علمه بأن السفينة لمساكين ووراءهم ملك ظالم، وهذا أمر قد يعلمه غيره، وكذلك كون الجدار لغلامين يتيمين، وأن أباهما كان رجلاً صالحاً هذا مما قد يعلمه كثير من الناس، وكذلك الصبي مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه لكن لحبهما له لا ينكران عليه أو لا يقبل منهما الإنكار))[1].

ويستدلون لذلك أيضاً ببعض الأحاديث، منها حديث أبي هريرة ﷺ الذي يقول فيه: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قُطع هذا البلعوم»[2].

وهو استدلال باطل أيضاً، لأن الذي كتمه أبو هريرة ﷺ أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين، ولهذا لما كان مقتل عثمان بن عفان ﷺ وفتنة عبد الله بن الزبير ﷺ، قال عبد الله بن عمر ﷺ: «لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت وغير ذلك لقلتم كذب أبو هريرة»، فكان أبو هريرة يمتنع عن التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها، لأن ذلك مما لا تحتمله رؤوس العوام[3].

قال ابن المنيِّر (ت٦٩٥ هـ): «جعل الباطنية[4] هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح

---

= والدليل الآخر إخباره عليه الصلاة والسلام أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مئة سنة من ليلته تلك عين تطرف.

وقالوا في الأحاديث التي استدل بها الفريق الآخر بأن «بعضها كذب، وبعضها مبني على ظن رجل مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر، أو أنها أدخلت على الثقات استغفالاً»، انظر الفتاوى (٢٧/ ١٠).

وأختم كلامي هذا بما قاله ابن حزم رداً على دعواهم حيث يقول: «فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام، حيَّان وادعى بعضهم أنه يلقى إلياس في الخلوات والخضر في المروج والرياض وأنه متى ذكر حضر على ذاكره... ـ ثم قال ابن حزم ـ ...فإن ذكر في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وفي ألف موضع في دقيقة واحدة كيف يصنع؟»، انظر الفصل (٤/ ١٨٠).

(١) انظر درء التعارض (٨/ ٤٢٩)، وانظر أيضاً المجلد الثاني من مجموعة الرسائل لابن تيمية (ص ٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، (باب حفظ العلم)، رقم: ١٢٠، الفتح (١/ ٢١٦).

(٣) فتح الباري (١/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٤) الباطنية: هم فرق متعددة من أهل الضلال، وقولهم: إن للنصوص الشرعية ظاهراً وباطناً، فالظاهر للعوام والمحجوبين، والباطن للخواص.

باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين».

قال: «وإنما أراد أبو هريرة بقوله "قطع" أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم»(١).

ورد في المدارك(٢) للقاضي عياض أن رجلاً سأل الإمام مالكاً عن علم الباطن فأجاب: «لا يعرف علم الباطن من لا يعرف علم الظاهر، فمن عرف علم الظاهر وعمل به، فتح الله عليه علم الباطن»(٣)، والباطن الذي يقصده مالك ليس هو الذي يرمي إليه الصوفية، والذي يعني الزندقة والإلحاد في آيات الله وتعطيل شعائر الله وتحليل ما حرم الله، وإنما المقصود منه ما يلقيه الله في قلب المؤمن من نور الإيمان، وهذا الذي قاله الإمام مالك هو الحق، وهو الذي كان عليه أئمة الصوفية وهذه بعض أقوالهم في ذلك:

يقول أبو سليمان الداراني (ت ٢١٥هـ)(٤): «ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة»(٥)، ويقول أحمد الحواري (ت٢٣٠ هـ)(٦): «من عمل بلا اتباع السنة فباطل عمله»(٧)، ويقول أبو حفص النيسابوري (ت٢٧٠ هـ)(٨): «من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم

---

(١) الفتح (١/ ٢١٧).

(٢) (١/ ١٧٢).

(٣) ترتيب المدارك (١/ ١٧٢).

(٤) هو: أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني العنسي من أئمة الصوفية، من قرية داريا من قرى دمشق: توفي سنة ٢١٥هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (ص ٧٥ ـ ٨٢) رقم: ٩، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠) رقم: ٥٣٦٧، وفيات الأعيان (٣/ ١٢١) رقم: ٣٦٣، الرسالة القشيرية (١/ ٩٦ ـ ٩٨)

(٥) الرسالة القشيرية (١/ ٩٦) الاستقامة لابن تيمية (١/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٦) هو: أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري، صحب أبا سليمان الداراني وكان من شيوخ الصوفية، توفي سنة ٢٣٠هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (ص٩٨ ـ ١٠٢) رقم: ١١٢، الرسالة القشيرية (١/ ١٥٥)، شذرات الذهب (٢/ ١١٠ ـ ١١١)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٩) رقم: ٨٤.

(٧) الرسالة القشيرية (١/ ١٠٥) الاستقامة (١/ ٩٦).

(٨) هو: أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد النيسابوري، من شيوخ الصوفية توفي سنة ٢٧٠ وقيل: ٢٦٧هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (ص١١٥ ـ ١٢٢) رقم: ١٥، الرسالة القشيرية (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

يتهم خواطره، فلا تعده في ديوان الرجال»[١]، وقال الجنيد محمد (ت٢٧٩ هـ)[٢]: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر النبي ﷺ»[٣]، وقال أيضاً: من لم يحفظ القرآن الكريم ويكتب الحديث لا يُقْتَدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة»[٤].

وقال سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـ)[٥]: «احتفظوا بالسواد على البياض (يعني تقييد العلم) فما أحد ترك الظاهر إلا خرج إلى الزندقة»، ويقول: «أصولنا ستة: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، والتوبة، وأداء الحقوق»[٦].

---

(١) الرسالة (١/ ١٠٦)، الاستقامة (١/ ٩٦).

(٢) هو: أبو القاسم الجنيد البغدادي الخزاز، أصل أبيه من نهاوند وكان يبيع الزجاج، وهو إمام الصوفية، ويقال له: سيد الطائفة، توفي ببغداد سنة ٢٧٩ هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (١٥٥ ـ ١٦٣) رقم: ١، وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥) رقم: ١٤٤، الرسالة القشيرية (١/ ١١٦ ـ ١١٩)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠).

(٣) الرسالة القشيرية (ص١١٧)، والاستقامة (١/ ٩٧).

(٤) الرسالة القشيرية (ص١١٧)، والاستقامة (١/ ٩٧).
يقول الإمام الشاطبي حول التلازم بين الظاهر والباطن بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر، وصحة أحدهما دليل على صحة الثاني وفساده دليل على فساده ما لفظه: «ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلاً على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرماً حكم على الباطن بذلك أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً، وهو أصل عام في الفقه وسائر الأحكام العاديات والتجريبيات، والأدلة على صحته كثيرة جداً، وكفى بذلك عمدة أنه الحاكم بإيمان المؤمن وكفر الكافر وطاعة المطيع وعصيان العاصي وعدالة العدل وجرح المجرح». الموافقات (١/ ٢٣٣).
ويقول الإمام ابن تيمية في المعنى ذاته، عند قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» متفق عليه. يقول: «إن الإيمان قول وعمل، قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له حتى إذا صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد، ولهذا قال من الصحابة عن المصلي العابث بلحيته: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"» انظر الإيمان (ص ١٥٩).

(٥) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري من كبار الصوفية ولد سنة ٢٠٠، وتوفي سنة ٢٨٣هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (ص٢٠٦ ـ ٢١١) رقم: ١٠، حلية الأولياء (١٠/ ١٨٩ ـ ٢١٢) رقم: ٥٤٦، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣) رقم: ١٥١، شذرات الذهب (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٤)، الأعلام (٣/ ٢١٠).

(٦) الحلية (١٠/ ١٩٠)، السير (١٣/ ٣٣٢).

وقال أبو عثمان النيسابوري (ت٢٩٨ هـ)[١]: «من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]»[٢].

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الصوفية الأوائل كانوا حريصين كل الحرص على الاستقامة على شريعة الله ونهجه محكمين لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ في أقوالهم وأفعالهم مقتدين برسول الله وصحابته الكرام، وهذا هو الطريق الموصل إلى الحقيقة التي يسعون إليها، فالإمام مالك رحمه الله بهذا النص الذي أوردناه سبق كل هؤلاء المتصوفة، ورد على المدعين للحقيقة بدون الاستقامة على الشريعة والاقتداء بسيرة الرسول ﷺ والاقتفاء بآثاره، وإذا كان الصوفية الأوائل على هذه الحال من الاستقامة ـ كما يقول القشيري (ت٤٦٥ هـ)[٣] ـ بعد ذكره لطائفة من أقوالهم مما أوردت بعضه هنا: «هذا ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة، كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم كانوا مجتمعين على تعظيم الشريعة، متفقين على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة»[٤].

إذا كان أولئك كذلك، فإن المتأخرين منهم انحرفوا عن ذلك الطريق، وأصبحوا يفرقون بين علم الظاهر وعلم الباطن وينفون أي علاقة بينهما، بل أصبحوا يعتقدون أن علم الباطن معناه نبذ الشريعة لذلك فلا تعجب إذا وجدنا منهم من أسقط التكاليف وأباح المحرمات ووجوه المخالفات، ويجلي لنا ابن حزم (ت٤٥٦ هـ) هذا الأمر بقوله: «إن

---

(١) هو: أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري، أصله من الري، وهو شيخ الصوفية بنيسابور، وبها توفي سنة ٢٩٨هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (ص١٧٠ ـ ١٧٥) رقم: ٣، حلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥ ـ ٢٨٧) رقم: ٥٧١، الرسالة القشيرية (١/ ١١٦ ـ ١١٩)، تاريخ بغداد (٩/ ٩٩ ـ ١٠٢) رقم: ٤٦٩، والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ١٠٦ ـ ١٠٨) رقم: ١٤١، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢ ـ ٦٦) رقم: ٣٣.

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ١١١)، الاستقامة (١/ ٩٧)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٤).

(٣) هو: أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة النيسابوري القشيري، ولد سنة ٣٧٦هـ وكانت إقامته بنيسابور، وبها توفي سنة ٤٦٥هـ، من تصانيفه: "الرسالة القشيرية"، "لطائف الإرشادات".
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٧ ـ ٢٣٣) رقم: ١٠٩، وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٨) رقم: ٣٩٤، تاريخ بغداد (١١/ ٨٣) رقم: ٥٧٢٣، شذرات الذهب (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٢)، تبيين كذب المفتري (ص٢٧١).

(٤) الرسالة القشيرية (١/ ١٨٦).

من الصوفية من يقول: من عرف الله سقطت عنه الشرائع»[١]، ويقول أيضاً: «قالوا: إن في أولياء الله من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا: من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها»[٢].

ولي عودة إلى موضوع التصوف والانحراف الذي نجم عنه عند الحديث عن مقاومة علماء المغرب له.

## ٣ ـ موقف الإمام مالك من الصفات

عرفنا مما سبق من البحث أن الإمام مالكاً رحمه الله كان يكره الخوض في صفات الله تعالى، لأن سلف الأمة وخيارهم من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيها، بل كانوا يسلمون بكل ما ورد في ذلك عن النبي ﷺ، ولم يثر جدال حول الصفات لا في عهد الصحابة ولا التابعين، ثم جاء من بعدهم فساروا على منوالهم، لم يسألوا عن مثل هذا، بل كان تفسيرهم لها هو إمرارها كما جاءت.

يقول الإمام ابن عبد البر: «وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قال: أمِرُّوها كما جاءت، نحو حديث التنزل[٣]، وحديث: أن الله خلق آدم على صورته[٤]، وأنه يدخل

---

(١) الفصل (٤/١٨٨).

(٢) الفصل (٤/٢٢٤)، تلبيس إبليس (ص ٢١٧)، الحضارة الإسلامية لآدم متر (٢/ ٣٥ ـ ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، (باب الدعاء والصلاة من آخر الليل) عن أبي هريرة ﷺ رقم: ١١٤٥، الفتح (٣/ ٢٩)، وفي كتاب الدعوات، (باب الدعاء نصف الليل) رقم: ٦٣٢١ الفتح (١١/١٢٨ ـ ١٢٩)، وفي كتاب التوحيد (باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ رقم: ٧٤٩٤ الفتح (١٣/ ٤٦٤)، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، (باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل) رقم: ٧٥٨ (١/ ٥٢١ ـ ٥٢٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة، (باب أي الليل أفضل) رقم: ١٣١٥ (٢/ ٣٤)، وفي كتاب السنة، (باب الرد على الجهمية) رقم: ٣٧٣٤ (٤/ ٢٣٤)، وأفرد له ابن خزيمة فصلاً كاملاً من كتابه التوحيد (ص٨٣ ـ ٩٠). ولفظ الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

(٤) حديث الصورة أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان (باب بدء الإسلام) رقم: ٦٢٢٧ =

قدمه في جهنم[١] وما كان مثل هذه الأحاديث»[٢]، وسئل ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات فقال: «بدعة ابتدعوها، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين مثل مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى ابن يحيى وابن المبارك وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف يتكلمون في ذلك وينهون عن الخوض فيه ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة»[٣]، ويقول سفيان بن عيينة: «كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه»[٤]، ويقول الإمام مالك أيضاً: «أمض الحديث كما ورد بلا قيد ولا تحديد»[٥].

---

= انظر الفتح (١١/ ٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٣١٥)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (ص٣٩ ـ ٤١) من طريق معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يحيونك به، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه: رحمه الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن»، وأخرجه مسلم برقم: (٢٦١٢) (٤/ ٢٠١٧) في كتاب البر والصلة (باب النهي عن ضرب الوجه)، وأحمد (٢/ ٤٦٣، ٥١٩)، وابن خزيمة (ص ٣٦ ـ ٣٨) بلفظ آخر من طريق قتادة عن أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته».

وأخرجه من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٢٩٠)، والآجري في الشريعة ولنا عودة مع هذا الحديث لنرى أقوال العلماء فيه.

(١) أخرجه البخاري في التفسير (باب وتقول هل مزيد) رقم: ٤٨٤٨، ٤٨٥٠ الفتح (٨/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥)، وفي كتاب الإيمان (باب الحلف بعزة الله وصفاته) رقم: ٢٢٢١ الفتح (١١/ ٥٤٥)، وفي كتاب التوحيد (باب قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ رقم: ٧٣٨٤ الفتح (١٣/ ٣٦٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) رقم: ٢٨٤٦، ٢٨٤٧، ٢٨٤٨ (٤/ ٢١٨٦ ـ ٢١٨٨)، والترمذي في كتاب التفسير، (باب ومن سورة ق) رقم: ٣٢٧ (٥/ ٣٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٦٩، ٥٠٧) (٣/ ١٣)، ولفظ الحديث: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه، فتقول: قط قط وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض».

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢).

(٤) انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص ٧٨)، وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (١٣/ ٤٠٧).

(٥) الصواعق المرسلة (٢/ ٢٥١)

ويزيد الشيخ أبو نصر السجزي(ت٤٤٤هـ) في كتابه "الإبانة" توضيحاً لمذهبهم فيقول: «وأئمتنا كسفيان الثوري ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء»(١).

فمذهب السلف إذاً كما يلخصه لنا الإمام الذهبي هو «إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات المقدسة، وقد علم المسلمون أن ذات الباري موجودة لا مثيل لها، وكذلك صفاته تعالى موجودة لا مثيل لها»(٢).

ويقول الإمام الترمذي (ت٢٧٩هـ): «وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا، فيه أمر الرؤية أن الناس يرون ربهم، وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء والمذاهب في هذا عن أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: نروي هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث: أن نروي هذه الأشياء كما جاءت ونؤمن بها ولا تفسر ولا توهم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»(٣).

هذا، وقد ذكر الإمام الذهبي عن الإمام مالك أنه لما سئل عن الأحاديث التي مر ذكرها وهي أحاديث النزول والصورة والقدم أنكر ذلك أشد الإنكار ونهى أن يحدث بها أحد(٤).

ثم اعتذر له بقوله: «أنكر الإمام مالك ذلك لأنه لم يثبت عنده ولا اتصل به فهو معذور» اهـ.

**قلت**: الحقيقة أن اعتذار الإمام الذهبي هذا لا يقوم عليه دليل، وبخاصة إذا علمنا أن الذي ذهب إليه الإمام مالك هو الذي كان عليه كثير من علماء السلف وهو الامتناع عن التحديث ببعض العلم دون بعض، خشية أن يحمل على غير وجهه أو يفسر على غير

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢).
(٣) سنن الترمذي (٤/ ٦٩٢).
(٤) السير (٨/ ١٠٤).

حقيقته فيقع صاحبه في المحظور، وقد عقد له الإمام البخاري (ت٢٥٦ هـ) بابًا في صحيحه فقال: "باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا"، واستدل له بقول علي ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[١]؟ ومثله قول ابن مسعود ﷺ: «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[٢]، وقال الإمام ابن حجر بعد ذكر هذه الآثار: «وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ومالك في أحاديث الصفات وأبو يوسف في الغرائب»[٣].

**قلت:** وممن كره التحديث ببعض دون بعض أبو هريرة ﷺ في أحاديث الفتن كما رأينا.

ويؤكد الإمام ابن عبد البر هذا المعنى بقوله: «وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا»[٤]، وينقل عن يحيى بن إبراهيم بن مزين[٥](ت٢٥٩ هـ) قوله في تفسير كراهية مالك: «إنما كره مالك أن يحدث بتلك الأحاديث، لأن فيها حداً وصفة وتشبيهاً»[٦].

وعلى هذا فاعتذار الإمام الذهبي ليس في موضعه والله أعلم.

ولكن رغم امتناعه وكراهته التحديث بهذا العلم إلا أنه اضطر بعبارة ابن عبد البر إلى بيان رأيه في مسائل العقيدة، وفيما يلي المسائل التي تكلم فيها كما نقلتها عن كتب العقائد والتراجم:

---

(١) انظر الفتح (١/ ٢٢٥).

(٢) رواه مسلم (١/ ١١) في المقدمة (باب النهي عن التحديث بكل ما سمع).

(٣) فتح الباري (١/ ٢٢٥).

(٤) انظر التمهيد (٧/ ١٥٠) وامتناع الإمام مالك عن الخوض في هذا العلم ليس له علاقة بكتمان العلم، لأنه كان يرى أن هذا العلم ضرره أكثر من نفعه من حيث إنه يثير الشبهات لدى العامة، وقد يوقعهم في التشبيه، ومن هنا فالامتناع عن الخوض فيه والاهتمام بغيره من العلوم أولى.

(٥) هو: يحيى بن زكريا بن إبراهيم بن مزين مولى رملة بنت عثمان بن عفان، أصله من طليطلة، انتقل إلى قرطبة فأقطعه الأمير عبد الرحمن قطائع، روى عن عيسى بن دينار وغازي بن قيس وغيرهما، ورحل إلى المشرق فدخل مصر والمدينة والعراق وسمع بها، وكان حافظاً للموطأ فقيهاً فيه، وكان موصوفاً بالفضل والدين، توفي سنة ٣٥٩هـ بطليطلة.
مصادر ترجمته: الديباج المذهب (٢/ ٣٦١) رقم: ١٤.

(٦) التمهيد (٧/ ١٥١ ـ ١٥٢).

**أ ـ قوله في الاستواء:**

لقد تواتر عن الإمام مالك أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]: كيف استوى؟ فأجاب: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»[(١)].

وهو قول مروي عن أم سلمة ﵂ وربيعة بن أبي عبد الرحمن (ت١٣٦هـ)، وهو مذهب السلف وعقيدتهم إثبات المعنى وهو أمر معلوم لا يجهله أحد، لكن الذي نجهله هو الكيف لأنه في حق الله تعالى، والكيف لا يعرف إلا بالمشاهدة أو بالسماع أو بالقياس وهي منتفية في حق الله تعالى، فليس هناك من رأى الله حتى يمكنه أن يصفه لنا، لأن رؤيته في الدنيا ممنوعة كما قال تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي في الدنيا، أما في الآخرة فالرؤية ثابتة للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢].

الأمر الآخر وهو الإخبار عنه سبحانه فهو أيضاً منتف في حقه سبحانه، لأنه مترتب على الرؤية، ولما كانت الرؤية منتفية فكذلك الإخبار عن صفاته سبحانه منتف، وفي هذا المعنى يقول الإمام الذهبي: «وإنما الصفة تابعة للموصوف فإذا كان الموصوف عز وجل لم نره ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى: ١١]، فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية الباري، تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته المقدسة نقربها ونعتقد أنها حق ولا نمثلها أصلاً ولا نتشكلها»[(٢)].

وعلى هذا فلم يبق لنا إلا إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه، وبهذا نسلم من الوقوع في الخطأ

(١) أورده الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٣٣)، واللالكائي (٣/ ٣٩٨)، والذهبي في العلو عن يحيى بن يحيى التميمي، وجعفر بن عبد الله وطائفة، قالوا: «جاء رجل إلى مالك فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ قال: فما رأيته وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء ـ يعني العرق ـ ثم سري عنه وقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأُخرِج»، انظر مختصر العلو (ص ١٣٢).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧): «وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال .. وذكر قول مالك» وانظر التمهيد (٧/ ١٣٨)، والحلية لأبي نعيم (٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٧٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١١).

والاضطراب كما حصل لأولئك الذين خاضوا في هذه الدروب، ولم يسعهم ما وسع سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين كانوا يؤمنون بما ورد في صفاته دون البحث فيها كما قال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة في صفاته»[١]، بل ذهب مالك إلى أن «من وصف شيئاً من ذات الله مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فأشار إلى عينه وأذنيه أو شيء من بدنه قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه»، ثم مثل مالك على ذلك بقصة البراء حين حدث عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يضحى بأربع من الضحايا...» وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ بيده، ثم قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ[٢] إجلالاً، وهو مخلوق فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء[٣].

والإمام مالك يقصد بقوله هذا: من قصد إلى تشبيه صفات الله بخلقه فهذا جزاؤه، أما من أراد تحقيق إثبات السمع والبصر وبيان محلهما من الإنسان فلا، لأنه قد ورد عن النبي ﷺ فعل ذلك، فقد روى أبو داود (ت٢٧٥هـ) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] ووضع إبهامه ﷺ على أذنه والتي تليها على عينه» وكذلك فعل أبو هريرة[٤].

قال البيهقي (ت٤٥٨هـ): «أراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر وبيان محلهما من الإنسان، ولم يرد بذلك الجارحة، فإن الله منزه عن مشابهة المخلوقين»[٥]، وإذا كان الله تعالى مستوياً على عرشه، فإن علمه في كل مكان لا يخلو منه شيء[٦]، وهو

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الضحايا (باب ما ينهى عنه من الضحايا) رقم الحديث: ١ الموطأ (٢/ ٨٢)، والنسائي في كتاب الضحايا، (باب ما نهى عنه من الضحايا) (٧/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٠٠).

(٣) انظر التمهيد (٧/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنة (باب في الجهمية) رقم: ٤٧٢٨ (٤/ ٢٣٣)، والحاكم في مستدركه (١/ ٢٤) وقال: «صحيح ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «على شرط مسلم».

(٥) انظر فتح الباري (١٣/ ٣٧٣).

(٦) الانتقاء (٣٥).

ما كان يقوله الإمام مالك أيضاً، وهو الذي عليه السلف رضي الله عنهم وهو الذي دل عليه القرآن والسنة قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[المجادلة: ٧]، أي بعلمه، قال ابن عبد البر في التمهيد[1]: «وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج به».

## ب ـــ قوله في رؤية الله تعالى:

هذه المسألة كذلك مما لم يختلف فيها السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين، فكانوا يثبتونها تبعاً للنصوص الواردة فيها من القرآن والسنة النبوية الشريفة التي أثبتت رؤية الله تعالى في الآخرة ونفتها عنه في الدنيا إلا مناماً[2].

---

(١) (٧/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) الدليل على جواز رؤية الله تعالى في المنام ما رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث: ٢٥٨٠ (٤/ ٢٠١) دار المعارف، ورقم: ٢٦٣٤ (ص ٢٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي تبارك وتعالى»، وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديثين، وقال: «وهو في مجمع الزوائد ١/ ٧٨»، وقال البيهقي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وعقد أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنة فصلاً بعنوان (باب ما ذكر من رؤية النبي ﷺ ربه) (ص ١٨٨ ـ ١٩٣) أورد فيه عدة أحاديث منها حديث ابن عباس (رقم: ٤٣٣)، وصححه الألباني، وقال: «أخرجه أحمد والآجري (٤٩٤) والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٤٤»، وقد علق في صحيح الجامع الصغير (٣/ ١٦٨) على حديث ابن عباس بقوله: «يعني في المنام، كما تدل عليه الروايات الأخرى».

وأما ما ورد عنه ﷺ أنه رأى ربه ليلة المعراج فقد قال ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل" (٥/ ٣٨٤) «وأما ليلة المعراج فليس في شيء من الأحاديث المعروفة أنه رآه ليلة المعراج، لكنه روي في ذلك حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ...»، وقال في موضع آخر وهو ينتقد كتاب "إبطال التأويل" لأبي يعلى: «والأحاديث التي وردت فيه منها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عياناً ليلة المعراج». انظر "درء تعارض العقل والنقل" (٥/ ٢٣٧).

وهذه الأحاديث أوردها ابن الجوزي في موضوعاته (١/ ١٥) والسيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ١٣ ـ ١٤)، منها حديث: "لما أسري بي إلى السماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى رأيت ربي عز وجل بيني وبينه حجاب بارز، فرأيت كل شيء منه حتى رأيت تاجاً مخوصاً من لؤلؤ".

وانظر حول هذه الأحاديث وما قيل فيها: "تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث" (ص ٧٩) (ط صبيح ١٣٤٧)، "تذكرة الموضوعات" للفتني (ص ١٢)، وموضوعات علي القاري (ص ٤٤)، "تنزيه الشريعة" (١/ ١٤٥).

فقد جاء إثبات الرؤية في الآخرة للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر العلماء هذه الزيادة برؤية الله تعالى يوم القيامة، قال ابن عطية (ت٥٤١ هـ) في تفسيره[١]: «قالت طائفة وهم الجمهور: الحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»، وروي في نحو ذلك حديث عن النبي ﷺ.

وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة وأبي موسى الأشعري وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٢] وعن صهيب الرومي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقرَّ لأعينهم وهو الزيادة**»[٣].

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**»[٤]، وهذا تشبيه للرؤية لا للمرئي، فإن الله تعالى

---

(١) (٩/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) هو: الإمام أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي الفقيه، ولد في خلافة الصديق، وقيل غير ذلك، روى عن عمر بن مرة والأعمش وغيرهما، قتل رحمه الله في موقعة الجماجم سنة ٨٢هـ.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٩ ـ ١١٣)، تاريخ البخاري (٥/ ٣٦٨) رقم: ١١٦٤، تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٩ ـ ٢٠٢)، رقم: ٥٣٤٨، الحلية (٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥٨) رقم: ٢٧٨، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٢ ـ ٢٦٧) رقم: ٩٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه) رقم: ٢٩٧ (١/ ١٦٣)، والترمذي في كتاب صفة الجنة (باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى) (٤/ ٥٩٢) رقم: ٢٥٥٢، وفي كتاب التفسير (تفسير سورة يونس) (٥/ ٢٦٧) رقم: ٣١٠٥، وابن ماجه في المقدمة (باب فيما أنكرت الجهمية) رقم: ٧١٧ (١/ ٦٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾) رقم: ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦ الفتح (١٣/ ٤١٩)، والإمام مسلم في المساجد (باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما) رقم: ٦٣٣ (١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥)، وأبو داود في السنة (باب في الرؤية) رقم: ٤٧٢٩ (السنن ٤/ ٢٣٣)، والترمذي في صفة الجنة (باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى) رقم: ٢٥٥٤ (السنن =

لا شبيه له ولا نظير[١].

ونفى الله تعالى الرؤية في الآخرة عن الكافرين فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وهو دليل أيضاً على رؤية الله للمؤمنين، لأنه لما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق[٢].

كما أنه سبحانه نفى الرؤية في الدنيا عن الجميع، فقال سبحانه لموسى عليه السلام حين سأله النظر إليه ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي في الدنيا، يقول ابن عطية: «نص من الله على منعه الرؤية في الدنيا، ولن تنفي الفعل في المستقبل ولو بقينا مع هذا النفي بمفرده لقضينا أنه لا يراه أبداً ولا في الآخرة ولكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة فموسى عليه السلام أحرى برؤيته»[٣].

تلك كانت عقيدة السلف الصالح ﷺ إثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين في الآخرة، ونفيها عنهم في الدنيا ونفيها عن الكافرين في الدارين، وهي عقيدة ـ كما نرى ـ مبنية على النصوص الصحيحة والصريحة في ذلك والتي لا تحتمل الشك أو التأويل، وبقيت هذه العقيدة منتشرة بين المؤمنين حتى ظهر المبتدعة، وأثاروا مسألة الرؤية وقالوا: إنها مستحيلة بناء على أصلهم الفاسد الذي أصلوه لأنفسهم بمحض عقولهم وهو أن الرؤية تقتضي أن يكون الله سبحانه وتعالى في مكان، والله سبحانه ليس له مكان، إذ الذي يحل في المكان الأجسامُ، والله تعالى منزه عن الجسمية وعن كل شيء من صفات الحوادث، إذ هو واجب الوجود فلا يتصف إلا بما يليق بواجب الوجود فلو كان يرى لكان جسماً، ولأن الله سبحانه قال لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وهذه كلمة تدل على تأبيد النفي واستحالة الفعل، ولقد رشح معنى هذا التأبيد بقوله بعد ذلك: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقد علق الرؤية على استقرار الجبل عند تجلي الله سبحانه وتعالى، ولم يستقر بل صار دكاً وخر موسى صعقاً.

---

= ٤/ ٥٩٤)، ومعنى "لا تضامون": أي لا تتضامون في رؤيته بالاجتماع في جهة. انظر الاعتقاد للبيهقي (ص ١٢٨).

(١) انظر لمعة الاعتقاد لموفق الدين المقدسي (ص ٢٨).

(٢) لمعة الاعتقاد (ص ٢٧).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٥).

وأولوا الآية الدالة على الرؤية حتى تتفق معانيها مع هذا التنزيه فقالوا في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي منتظرة للثواب، وقالوا أيضاً: النظر بمعنى التوقع أي: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه[1]وهو تأويل باطل من وجهين:

**الوجه الأول:** أنه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، والآية خرجت مخرج البشارة، ولأن النظر إذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه.

**الوجه الثاني:** أنه قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ونظر الانتظار لا يكون مقروناً بـ إلى لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار إلى، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩] لم يقل إلى، إذ كان معناه الانتظار، ولا يجوز أن يكون معناه إلى ثواب ربها ناظرة، لأن ثواب الله غير الله، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة»[2].

المهم أنهم أولوا الآية، ونشروا هذه المقالة في أوساط المسلمين، فرأى مالك أن فيها ما يخالف منهج السلف الصالح، وفيها تخريج للقرآن على غير ظاهره، فأنكرها وأثبت رؤية الله تعالى في الآخرة لا في الدنيا، قال أشهب: «قلت: يا أبا عبد الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] أينظرون إلى الله؟، قال: نعم بأعينهم هاتين، قلت: فإن قوماً يقولون: ناظرة بمعنى منتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا بل تنظر إلى الله، أما سمعت قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أتراه سأل محالاً[3]؟ فقال الله: ﴿لَن تَرَانِي﴾ في الدنيا لأنها دار فناء، ولا ينظر إلى

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٥) طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٣٥٤ هـ.

(٢) انظر هذه الردود عند البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص ٢١)، وانظر أيضاً التفسير الكبير للرازي (٢٩/ ١٤٥).

(٣) نلاحظ أن الإمام مالكاً رحمه الله استعمل هنا دليلاً عقلياً، وهو دليل استدل به غير واحد من العلماء؛ فالإمام البيهقي مثلاً يقول عن هذا الدليل في كتابه الاعتقاد (١٢٢ ـ ١٢٣): «ومما يدل على أن الله عز وجل يرى بالأبصار قول موسى الكليم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، ولا يجوز أن يكون نبي من الأنبياء قد ألبسه الله جلباب النبيين، وعصمه مما عصم منه المسلمين يسأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا أنه لم يسأل مستحيلاً، وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل».

ما لا يفنى بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى، وقال تعالى عن العصاة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥][١]، وليس في كلام مالك ما يدل على أن إنسان الآخرة غير إنسان الدنيا، ولا أنه ذو طبيعة مغايرة لطبيعته، ولكن كل ما في الأمر أن الله يجعل في إنسان الآخرة قوة ذاتية يستطيع بها أن يعيش دائماً، وأن يرى بها ما لم يكن يستطيع أن يراه في الدنيا.

فأنت ترى كيف أثبت مالك رؤية الله تعالى واستدل على جوازها بالآيات التي استدل بها النافون للرؤية، واستدل بطلب موسى عليه السلام رؤيته تعالى، وموسى لا يطلب محالاً، فلو كانت محالاً ما طلبها، وأن النفي للرؤية إنما يقع على الرؤية في الدنيا، لأنها دار فناء فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى.

**ج ـ قوله في القرآن:**

القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ أي هو المتكلم به ابتداءً ولم يخلقه في غيره، وإليه يعود حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية[٢]، ولم يكن السلف ﷺ يخوضون في مسألة القرآن كما هو شأنهم في جميع صفات الله تعالى، وكانوا يخشون أن يكون الخوض فيها ضلالاً للفكر وفساداً في العقيدة حتى جاء الجعد بن درهم (ت١١٨هـ)[٣] فأثار مسألة خلق القرآن وقالها بعده الجهم بن صفوان،

---

(١) انظر الانتقاء (ص ٣٦)، حلية الأولياء (٦/ ٣٢٦)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٢).

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٥)، مختصر الصواعق المرسلة (١/ ١٦٢)، شرح الطحاوية (ص ١٢١).

(٣) هو: الجعد بن درهم كان من الموالي، وكان مؤدباً لمروان بن محمد ـ آخر خلفاء بني أمية ـ، وقد اتفقت كتب التاريخ والملل والنحل على أنه أول من قال بخلق القرآن ثم الجهم بن صفوان ثم تبعهما بشر المريسي، وكان يقول: «إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولا كلَّم موسى تكليماً، وأن ذلك لا يجوز على الله»، السير (٥/ ٤٣٣)، قال عنه ابن حجر في اللسان (٢/ ١٥٥): «مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر».
وكان قتله على يد خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة بأمر من هشام بن عبد الملك، وكان ذلك يوم النحر حين خطب خالد الناس فقال: «أيها الناس ضحوا تُقبل ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد ابن درهم، إنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً». ثم نزل فذبحه وكان ذلك سنة ١١٨ هـ.
انظر: منهاج السنة (١/ ٣٠٩)، ميزان الاعتدال (١/ ١٨٥)، لسان الميزان (٢/ ١٠٥)، الكامل في التاريخ (٥/ ١٦٠)

واعتنقتها القدرية والمعتزلة وأخذوا ينشرونها بين المسلمين، وزعموا أن نشر هذه المقالة ليس زيغاً في الدين، لأن كون القرآن مخلوقاً لا يمنع أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد وقف علماء السلف إزاء هذه المقالة موقفاً حازماً وقوياً، وامتحن بسببها كثير من علماء الأمة، وعلى رأسهم الإمام القدوة أحمد بن حنبل رحمه الله فصبر، وباءت كل المحاولات لإقناعه بمذهب المعتزلة بالفشل، وكان هذا الموقف العظيم من الإمام سبباً في إقرار مذهب السلف بعد ذلك وعلو درجة الإمام أحمد بين الناس حتى كأنما كانت تلك السياط التي ضربها حلياً حلي به.

وكان الإمام مالك من أوائل من بيَّن مذهب السلف في هذه المسألة، ومن أوائل من أنكر هذه المقالة ورمى من خاض فيها بالزيغ والانحراف والزندقة، فقال: «القرآن كلام الله تعالى، وكلام الله منه وليس من الله شيء مخلوق»[(١)]، وقال أيضاً: «القرآن كلام الله وكلامه لا يبيد ولا ينفد وليس بمخلوق»[(٢)]، فهو يقرر أن كلام الله تعالى صفة قائمة به سبحانه، ولا يزال الله تعالى متكلماً وكيف يكون منه شيء مخلوقاً وهو قائم به؟

وسئل عن من يقول: القرآن مخلوق. فأجاب: «زنديق فاقتلوه»[(٣)]، وقال: «ومن قال: القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا قتل»[(٤)]، هكذا وبدون هوادة، لأن وجود أمثال هؤلاء بين الناس يؤدي إلى فتنة، والناس سراع إلى كل مبتدع وجديد.

**د ــ قوله في الإيمان:**

هذه المسألة أيضاً مما لم يختلف فيها السلف ﷺ فقد كانوا يرون أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما نطق بذلك الكتاب و السنة، فالقرآن الكريم كلما ذكر الإيمان

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٩).

(٢) جامع ابن أبي زيد القيرواني (ص ١٢٣)، حلية الأولياء (٦/ ٣٢٥)، وقال الألباني: «أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (٢٤ ـ ٢٥)، ورجاله ثقات غير أبي بكر أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه». انظر: مختصر العلو(ص١٤٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٩).

(٤) قال الألباني فيه: «إسناده لا بأس به، ميمون بن يحيى البكري قال ابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٢٤٠) عنه: شيخ، وسائر رجاله ثقات، أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (ص ٥) من طريق أخرى عن مالك بلفظ .... يوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب، وسنده صحيح».

ذكره مقروناً بالعمل الصالح ورتب الجزاء في الدنيا والآخرة على ذلك.

فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التي لا معنى للإيمان بدونه، فقد جعل الله الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها للذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥]، فرتب سبحانه الجزاء في الدنيا ـ وهو التمكين في الأرض واستبدال خوفهم أمناً ـ على الإيمان مقروناً بالعمل الصالح، وكذلك رتب الجزاء في الآخرة على ذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى.

ويعرف الله المؤمنين بأنهم هم الذين آمنوا بالله وصدّقوا بما جاء به رسوله ﷺ، ثم لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل ترجموا هذا الإيمان إلى واقع عملي، حين امتثلوا أوامر الله ونواهيه، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ٥].

ولما كانت الأعمال تابعة للإيمان ومتصلة به كان لا بد أن يكون لها تأثير فيه من حيث الزيادة والنقصان، ومن هنا قال أهل السنة بزيادة الإيمان ونقصانه، وهو القول الذي نطق به الكتاب والسنة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وإذا كان الإيمان قولاً وعملاً والأعمال داخلة في مسمى الإيمان، فما هو الفرق بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة إذًا؟ يحاول الإمام ابن حجر العسقلاني أن يجيب على

هذا السؤال عند قول الإمام البخاري رحمه الله: «كتبت عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»، قال ابن حجر تعليقاً على هذا الكلام: «الإيمان عند السلف هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان، والمرجئة[١] قالوا: هو اعتقاد ونطق فقط، والمعتزلة[٢] قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد، والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته، والسلف جعلوها شرطاً في كماله»[٣].

وهناك فرق آخر مهم وهو أن الإيمان عند أهل السنة يقبل التبعيض والتجزئة، وأن قليله يخرج صاحبه من النار إن دخلها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٤]، بينما يرى الخارجون عن مقالة أهل السنة أنه لا يقبل التبعيض والتجزئة، بل هو شيء واحد إما أن يحصل كله، وإما أن لا يحصل منه شيء[٥].

وقد علق ابن حجر في شرحه على البخاري عند إيراده حديث «أخرجوا من كان في قلبه . . .» الحديثَ بقوله: «وأراد بإيراده الرد على المرجئة لما فيه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان وعلى المعتزلة في أن المعاصي موجبة للخلود»[٦]، لأنهم يجعلون الإيمان شيئاً واحداً فإذا ذهب جزؤه ذهب كله.

ويبين لنا ابن عيينة مذهب أهل السنة في الإيمان بياناً شافياً، وأنه وسط بين المذاهب

---

(١) يأتي الحديث عن المرجئة في الفصل الذي عقدته للحديث عن جهود العلماء في مقاومة الإرجاء.

(٢) يأتي تعريفهم والحديث عنهم.

(٣) الفتح (١/ ٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان (باب أمور الإيمان) رقم: ٩ الفتح (١/ ٥١)، ومسلم في الإيمان (باب بيان عدد شعب الإيمان رقم: ٣٥ صحيح مسلم (١/ ٦٣)، وأبو داود في السنة (باب في الإرجاء) رقم: ٤٦٧٦ السنن (٤/ ٢١٩)، وأخرجه الترمذي في الإيمان، (باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه) رقم: ٢٦١٢ السنن (٥/ ١٠)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (باب في الإيمان) رقم: ٥٧ السنن (١/ ٢٢).

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).

(٦) الفتح (١/ ٧٣).

بقوله لما قيل له: إن أقواماً يقولون: الإيمان كلام، فأجاب: «كان هذا قبل أن تنزل الأحكام، فأمر الناس أن يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم فلما علم صدقهم أمرهم بالصلاة ففعلوا، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار... ـ إلى أن قال: ـ... فلما علم الله ما تتابع عليهم من الفرائض وقبولهم لها وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فمن ترك شيئاً من ذلك كسلاً ومجوناً أدبناه عليه، وكان ناقص الإيمان، ومن تركها جاحداً كان كافراً»(١).

ومن هنا فقد كان الإمام مالك يذهب إلى أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان كما دل على ذلك القرآن ويحتج لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾(٢) [البقرة: ١٤٣]، ويقول: «وإني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان».

وكما كان يقول بدخول الأعمال في مسمى الإيمان، فإنه كان يقول أيضاً بزيادة الإيمان ونقصانه تبعاً للنصوص الواردة في ذلك، وكان يقول قبل ذلك بالزيادة فقط، لأن القرآن لم يذكر النقصان وقد فسر بعض أهل العلم هذا التوقف عن القول بالنقصان من الإمام مالك بقوله: «إنما توقف مالك عن نقصانه في هذه الرواية خوفاً من الذريعة أن تتأول أنه ينقص حتى يذهب كله فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحبطون الإيمان بالذنوب، ولكن إنما نقصه عنده فيما وقعت فيه الزيادة وهو العمل»(٣).

ولكنه عاد بعد ذلك إلى قول أهل السنة فقال: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض»(٤).

### هـ ـ قوله في التفاضل بين الصحابة:

لم تكن قضية التفاضل بين صحابة الرسول ﷺ وبخاصة الخلفاء الأربعة، قضية

(١) الفتح (١/ ١٠٥) وانظر أيضاً في المصدر نفسه قول عبد الله بن سلام وغيره.

(٢) ذكروا في سبب نزول هذه الآية أنه كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ قد ماتوا على القبلة الأولى منهم سعد بن زرارة وأبو أمامة أحد بني النجار والبراء بن معرور أحد بني سلمة وأناس آخرون، جاءت عشائرهم فقالوا: «يا رسول الله توفي إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى وقد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس».
انظر: أسباب النزول للواحدي (ص ٧٧)، تفسير الطبري (٣/ ١٧)، الدر المنثور (١/ ٣١٣).

(٣) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٢١ ـ ١٢٢)، الانتقاء (ص ٣٣).

(٤) الانتقاء (ص ٣٣)، حلية الأولياء (٦/ ٣٢٧).

تشغل الجيل الأول أو السلف ﷺ لأنهم لم يكن لديهم الوقت لأن يشغلوا أنفسهم بهذه القضايا، بل كانوا منصرفين إلى ما هو أعظم من ذلك إلى تبليغ الإسلام للأمم التي لم تر هذا النور الرباني وتربية الأجيال على الإسلام النقي الصافي كما جاء به النبي ﷺ، ولكن مع ذلك كان هناك تفاوت واضح بين الصحابة من حيث الجهاد والسابقة والنصرة، وهذه الأفضلية بيّنها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، فالأفضلية في الإسلام ليست مبنية على صلة القرابة أو وشائج الجنس، ولكن على الجهاد والبلاء في سبيل الله والإسراع إلى دعوة الإسلام، هذه هي مقومات التفاضل التي يجب أن تراعى.

ومن هنا فالصحابة كانوا يدركون أن هذه المقومات كانت أبرز ما تكون في الخلفاء الأربعة الذين تولوا أمر المسلمين بعد النبي ﷺ، فكانوا على عهد النبي ﷺ يعرفون لهؤلاء الأربعة فضلهم وسابقتهم، فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: «كنا على عهد النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم»[١]، وكذلك بناء على ما سمعوه من النبي ﷺ فيهم من المدح والتفضيل والمناقب.

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ) رقم: ٣٦٥٥ الفتح (٧/ ١٦)، وفي فضائل الصحابة أيضاً (باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه) رقم: ٣٦٩٧ الفتح (٧/ ٥٣ ـ ٥٤)، وأخرجه أبو داود في السنن (باب في التفضيل) رقم: ٤٦٢٧، ٤٦٢٨، سنن أبي داود (٤/ ٢٠٦)، وأخرجه الترمذي في المناقب (باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه) رقم: ٣٧٠٧ السنن (٥/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠).

وانظر ما قيل في الحديث وطعن بعض العلماء فيه، لكونه لم يذكر علياً رضي الله عنه كابن عبد البر استناداً إلى قول ابن معين الذي تكلم فيمن يذكر الثلاثة ويسكت عن علي بكلام غليظ، وتوجيه قول ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال ابن حجر في توجيهه: «قد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان، ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها، وغير ذلك، فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهوراً بيناً فيجزمون به، ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص...» الفتح (٧/ ٥٨).

ولم تظهر مسألة التفاضل هذه للوجود إلا عندما ظهرت الفتن التي كانت ليلاً طويلاً حالكاً على المسلمين، فنبتت نابتة تجادل فيمن هو أفضل من الخلفاء الأربعة وظهر الغلو فيهم، فكان كل فريق من الفرق الغالية التي ظهرت ترى أفضلية ذلك الصحابي على غيره وبالغت في ذلك حتى فسقت من لم يقل بقولها، وسعى كل فريق إلى تدعيم مذهبه بوضع الأحاديث في ذلك.

وإزاء هذا الوضع كان لزاماً على علماء السنة أن ينهضوا لبيان حقيقة الأمر مع موالاة جميع الصحابة رضوان الله عليهم وعدم التنقص من أحدهم كما فعلت الفرق المبتدعة، وكان الإمام مالك أحد هؤلاء الذين نهضوا بهذا الأمر وبينوا مذهب أهل السنة في هذا الموضوع، فكان يقول: «إن التفاضل بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا، وإنما كان هديهم الإمساك عن مثل هذا».

ومع ذلك فقد كان يقدم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويقف في عثمان وعلي رضي الله عنهما في إحدى الروايتين عنه[1]، وهو مذهب بعض أهل المدينة كما أشار إلى ذلك ابن تيمية عندما قال: «وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي وهي إحدى الروايتين عن مالك، ولكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة، كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء من الأئمة»[2].

هذه كانت بعض آراء الإمام مالك في مسائل العقيدة وهي آراء كما رأينا لا تخرج عن إطار الكتاب والسنة وأقوال السلف رضي الله عنهم، وبهذا نكون قد أخذنا فكرة عن الجانب العقدي عند الإمام مالك قبل أن ننتقل إلى الحديث عن تأثيره في أتباعه من علماء المغرب في هذا الجانب، والله المستعان.

(١) الانتقاء (ص ٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٦).

## المبحث الثالث
## تأثير الإمام مالك في علماء المغرب

بعد هذا العرض لأهم الأسباب التي مكنت للمذهب السني أن ينتشر ويستقر في المغرب وهي كما قدمنا:

١ ـ الفتح الإسلامي.

١ ـ بعثة عمر بن عبد العزيز.

١ ـ إقبال علماء المغرب على الإمام مالك وتأثرهم به ونشرهم مذهبه بالمغرب.

وقد ركزت على السبب الأخير لما رأيت فيه من تأثير كبير على المغرب وعلمائه، بعد ذلك ننظر إلى أي مدى بلغ هذا التأثير؟ وهل كان تأثرهم به إلى درجة أنهم كانوا مجرد نقلة لآرائه، أم أنهم كانت لهم آراء مستقلة عن آرائه؟ وهل كانوا يصدرون في كل ذلك من مواقف الإمام مالك أم لا؟

والجواب عن ذلك هو: إننا إذا أمعنا النظر في مؤلفات علماء المغرب في العقيدة وتراجمهم لا يسعنا إلا أن نقول: إن تأثير الإمام مالك في علماء المغرب كان كبيراً، هذا ما يمكن أن يستنتجه كل من درس حياة العلماء بالمغرب ومؤلفاتهم، فآراؤهم في مسائل العقيدة تكاد تكون موافقة تماماً لآرائه، ومؤلفاتهم تزخر بالاستشهاد بأقواله، وسوف يظهر هذا جلياً عند الحديث عن آراء علماء المغرب في مسائل العقيدة، وأكتفي هنا بذكر أمثلة.

فإذا أخذنا بالمقارنة بين آراء الإمام مالك وآراء علماء المغرب في الجوانب العقدية، لاحظنا التوافق التام بينهما، فمثلاً نلاحظ على علماء المغرب هو قلة خوضهم في مسائل العقيدة تماماً كما كان الحال بالنسبة لإمامهم مالك ـ كما رأينا ـ، الذي كان يكره الكلام في هذه المسائل، لأنها ليس تحتها عمل، ومما يدل على أنهم كانوا قليلي الكلام في مسائل العقيدة قلة إنتاجهم فيها إذا قورن بإنتاج علماء المشرق، وعبارة الإمام أسد بن الفرات (ت ٢١٠ هـ)[1] لما

---

(١) هو: الإمام أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان ولد بحران سنة ١٤٢ هـ، وقدم طفلاً مع أبيه إلى القيروان، وبعد مدة رجع إلى المشرق لطلب العلم فأخذ بالمدينة عن مالك موطأه وغير ذلك، وأخذ بالعراق عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن صاحبي أبي حنيفة، ثم رحل إلى مصر ثم إلى القيروان، تولى قضاء القيروان سنة ٢٠٣ هـ توفي وهو يجاهد سنة ٢١٠هـ.

بلغه أن بشراً المريسي[١](ت٢١٨ هـ)ـ وكان يكفره ـ وضع كتاباً سماه كتاب التوحيد، قال: «أوَ جهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتاباً؟ هذه نبوة ادعاها»[٢].

هذه العبارة تنم عن عقلية مفطورة على رفض الخوض في هذا الجانب، فهي ترى أن هذا الجانب لا يحتاج إلى من يوضحه ويعلمه للناس، لأن الناس مفطورون على معرفة ربهم، ولا يحتاجون إلى من يعرفهم به، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية بيَّنا وفصلا بما يكفي أمر التوحيد فلا يحتاج معه إلى كل هذه الكتب و المؤلفات لبيانه، زيادة على أنهم اقتدوا بإمامهم مالك في نهيه عن الخوض في ما ليس تحته عمل من أمور العقائد، وكذلك عبارة عبد الواحد المراكشي (ت٦٤٧ هـ) في معجبه[٣] التي يقول فيها: «وكان أهل المغرب ينافرون هذه العلوم ... ووجد ابن تومرت[٤] جواً خالياً وقوماً لا يدرون الكلام».

وهي عبارة تدل أيضاً على أن أهل المغرب لم تكن لهم عناية بأصول الدين، بل كان جل

= مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص١٦٣)رقم :٣٧، رياض النفوس (١/ ٢٥٤ ـ ٢٧٣)رقم: ١٠٤، معالم الإيمان (٢/ ٣ ـ ٢٦)رقم: ٨٧، ترتيب المدارك (١/ ٤٦٥ ـ ٤٨٠)، الديباج المذهب (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) رقم: ٢ .

(١) هو: أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي العدوي بالولاء، كان والده يهوديًا قصاباً برع في علم الكلام، ثم جرد القول بخلق القرآن، ولم يدرك الجهم بن صفوان وإنما أخذ مقالته ودعا إليها، وهو رأس الطائفة المريسية توفي سنة ٢١٨هـ.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) رقم:١١٥، سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٢) رقم:٤٥، البداية والنهاية (١٠/ ٢٨١)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) رقم: ١٢١٤، لسان الميزان (٢/ ٢٩ ـ ٣١) رقم: ١٠٤.

(٢) انظر مصادر ترجمته.

(٣) انظر (ص١٤٦).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن تومرت البربري المدعي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي، خرج شاباً إلى المشرق ولقي عدداً كبيراً من العلماء وأخذ عنهم، منهم الكياهراسي وأبو حامد الغزالي والطرطوشي، وهو الذي فرض المذهب الأشعري على أهل المغرب كما يأتي الحديث عنه في الفصل الذي عقدته لمقاومة الأشعرية بالمغرب توفي سنة ٥٢٤هـ.
مصادر ترجمته: الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٦٩ ـ ٥٨٢)، وفيات الأعيان (٥/ ٤٥ ـ ٥٥) رقم: ٦٨٨، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٣٩ ـ ٥٥٢) رقم: ٣١٨، طبقات السبكي (٦/ ١٠٩ ـ ١١٧) رقم: ٢٤، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (٢٤٥ ـ ٢٦٢).

اهتمامهم بالفروع[(١)]، وسيأتي الحديث عن قصة إحراق الإحياء للإمام الغزالي، وهي تدل أيضاً على إنكار أهل المغرب ورفضهم لكل اتجاه فلسفي أو محاولة عقلانية في دين الله.

ولكن كل هذا لا يعني أنهم لم يخوضوا البتة في هذه المسائل، بل إننا نستطيع القول: إنهم رغم امتناعهم هذا إلا أن الظروف التي وجدوا فيها أنفسهم اضطرتهم إلى الإدلاء بدلوهم في هذه المسائل كما سيأتي ذلك بالتفصيل فيما بعد، ولكن يجدر بي هنا وأنا أتحدث عن تأثير الإمام مالك والمقارنة بينه وبين أتباعه من أهل المغرب أن أشير إلى الجانب الثاني من هذا التأثير وهو ما يتعلق بالآراء العقدية نفسها، فنلاحظ أيضاً التأثير الكبير في هذا الجانب تماماً كما هو الحال بالنسبة للجانب الأول جانب الفروع.

ففي خوضهم في المسائل العقدية نلاحظ أنهم كانوا يقفون عند ظواهر النصوص لا يزيدون عليها ولا ينقصون كما هو شأن إمامهم، بل كثيراً ما يستدلون على آرائهم بأقواله، مثل قول الإمام ابن أبي زيد القيرواني في جامعه[(٢)]: «وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم علي، وقيل ثم عثمان ثم علي، ويكف عن التفضيل بينهما، روي ذلك عن مالك وقال: ما أدركت أحداً أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه»، وقول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقري الأندلسي في الجزء الأول من كتاب الاهتداء لأهل الحق والاقتداء مستشهداً بقول مالك رحمه الله على ما ذهب إليه: «وقال مالك بن أنس: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان»[(٣)].

وكذلك أبو عمرو الطلمنكي (ت٤٢٩ هـ)[(٤)] فقد ساق بسنده قول مالك: «الله في

---

(١) انظر عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (١/ ٧٨) لعبد الله عنان.

(٢) (ص ١١٥)، وقد ذكرت مذهب مالك في مسألة التفضيل بما يكفي، والمقصود هنا هو بيان تأثر علماء المغرب به ونقلهم عنه وليس بيان مذهبه.

(٣) اجتماع الجيوش (ص ٨٩).

(٤) هو: الإمام أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الطلمنكي، أصله من طَلَمَنْكَة (بفتح الطاء واللام والميم وسكون النون وهي من ثغر الأندلس الشرقي)، سكن قرطبة وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عون وغيره، ورحل إلى المشرق فحج، ولقي بمكة أبا حفص عمر بن محمد بن عراك وغيره وبالمدينة أبا الحسن محمد بن الحسين المطلبي، وأخذ بالمدينة والقيروان أيضاً، ثم انصرف إلى الأندلس بعلم كثير من القرآن والحديث والتوحيد، ذكر ابن بشكوال في وفاته: «أنه خرج ذات يوم على تلاميذه فقال لهم: اقرؤوا وأكثروا فإني لا أتجاوز هذا =

السماء وعلمه في كل مكان» في كتابه في الأصول[١]، وابن عبد البر في عدة مواضع من كتابه جامع بيان العلم وفضله[٢]: يأتي بقول مالك ثم يبني عليه حكماً وغير ذلك كثير.

أما موقفهم من البدع والمبتدعة فقد كانوا فيه من أشد الناس مقاومة لها ومن أشدهم تحذيراً منها، وقد رأينا كيف كانت شدة مالك مع المبتدعة، ولا شك أن موقفهم ذلك تمتد جذوره إلى موقفه وتستمد وجودها من وجوده، وهذا لا يقتصر على البدع الكبيرة فقط، بل إنه كان موقفاً واحداً مهما كانت تلك البدع صغيرة أو كبيرة.

وموقف آخر يمكن أن نستشف منه بغض علماء المغرب للبدعة ومخالفة السنة؛ وهو موقف أبي جعفر موسى بن معاوية (ت ٢٢٠هـ)[٣] الذي كان مجانباً لأهل البدع حذراً من مخالفة السنة، من ذلك أنه لقي في رحلته محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة فلم يأخذ عنه، فلما سئل في ذلك قال: «لو ملأ لي مسجدي هذا ذهباً ما سمعت منه حرفاً» وذكر أنه بلغه عنه شيء من مخالفة السنة[٤]، هذا بالرغم من أن محمد بن الحسن كان من كبار

---

= العام فقيل له: ولم؟ فقال: رأيت البارحة في منامي منشداً ينشدني:

اغتنموا البر بشيخ ثوى ... يفقده السوقة والصيد

قد ختم العمر بعيد مضى ... ليس له من بعده عيد

فتوفي في ذلك العام أي عام: ٤٢٩هـ».

مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (١/ ٤٤ ـ ٤٥) رقم: ٩٢، ترتيب المدارك (٤/ ٧٤٩ ـ ٧٥١)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٧ ـ ٥٦٩) رقم: ٣٧٤، جذوة المقتبس (ص ١١٤) رقم: ١٨٧، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧) رقم: ١٣٢٤، الديباج المذهب (١/ ١٧٨ ـ ١٨٠) رقم: ٥٦.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٩٠).

(٢) انظر (٢/ ٩٥ وما بعدها).

(٣) هو: الإمام أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي، كان عالماً بالفقه والحديث رحل إلى الشرق سنة ١٩٤هـ وعاد سنة ١٩٦هـ، ولقي في رحلته كثيراً من العلماء وأخذ عنهم، منهم وكيع بن الجراح، والفضيل بن عياض وغيرهما، توفي سنة ٢٢٠هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص١٩٠ ـ ١٩٤) رقم: ٦٨، معالم الإيمان (٢/ ٥٠ ـ ٥٨) رقم: ٩٢، المدارك (٢/ ٥ ـ ٩).

(٤) ترتيب المدارك (٣/ ٥)، طبعاً هذا الحكم فيه غلو لأنه لا ينبغي أن ننسف كل حسنات أي كان لمجرد هفوة أو خطأ ارتكبه، وإنما العدل أن نأخذ الجانب الإيجابي من علمه وسلوكه ونترك الجانب السلبي، بل الحكمة ضالة المؤمن يأخذ بها أينما وجدها، والإمام محمد بن الحسن هو إمام من الأئمة لا يشك في ذلك أحد.

العلماء المشهود لهم بالفضل والعلم، إلا أن حذرهم الشديد وخوفهم البليغ من الوقوع في البدعة ومخالفة السنة جعلهم يقفون مثل تلك المواقف، بل بلغ بهم الأمر أنهم ربما سكتوا عن المعاصي إذا كان كلامهم فيها يعرضهم للمخاطر، وليس كذلك البدع فلم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالسكوت عنها لكون البدع أخطر من المعاصي عندهم؛ لأن المعاصي معلوم قبحها عند من يرتكبها وعند غيره[(١)]، فلا يستطيع مرتكبها أن يُلَبِّسَها على أحد وترجى له التوبة منها والإقلاع عنها، بخلاف البدعة فإن صاحبها يرى أنه مطيع ببدعته ويعتقد أنها طاعة وقربة كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤]، وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٧]، وعلى هذا فهو يغوي الناس ويدعوهم إلى بدعته ظناً منه أنه يدعوهم إلى الخير.

كذلك فإن ضرر المعاصي إنما هو في أعمال الجوارح الظاهرة، أما ضرر البدع فهو في الأصول وهي العقائد، وإذا فسد الأصل ذهب الأصل والفرع جميعاً، أما إذا فسد الفرع، فيبقى الأصل ويرجى أن ينجبر الفرع، وحتى إذا لم ينجبر لم تذهب منفعة الأصل.

لذلك كانوا ربما سكتوا عن المعاصي أما البدع فلم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالسكوت عنها: قيل لحمديس القطان (ت ٢٨٩هـ)[(٢)]: «فلو أن إماماً عمل بالمعصية أكنت تأمره وتنهاه؟ فقال: لا، واحتج بالحديث «ينبغي للمؤمن أن لا يذل نفسه»، قالوا:

---

(١) يقول الإمام ابن تيمية في هذا المعنى: «والبدعة شر من المعصية»، ونقل عن سفيان الثوري قوله: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها»، ويحكي قصة وقعت له مع بعض المتصوفة الذي قال له: «نحن نُتَوِّبُ الناس، فقلت (القائل ابن تيمية): مماذا تتوبونهم؟، قال: من قطع الطريق والسرقة، فقلت: لَحَالُهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم، فإنهم كانوا فساقاً يعتقدون تحريم ما هم عليه ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين خارجين عن شريعة الإسلام، ونثبت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي»، انظر مجموعة الرسائل والمسائل (المجلد الأول ص ١٥٣).

(٢) هو: أبو جعفر حمديس القطان، واسمه أحمد بن محمد الأشعري ولد أبي موسى الأشعري، كان من أصحاب سحنون، مشهوراً بالفضل مجانباً لأهل الأهواء والبدع، قرأ على سحنون ورحل فلقي بمصر أصحاب ابن القاسم وأشهب وابن وهب وأخذ بالمدينة عن أبي مصعب، توفي سنة ٢٨٩هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) رقم: ١٥٩، ترتيب المدارك (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٩)، معالم الإيمان (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٥) رقم: ١٣٦، الديباج المذهب (١/ ١٤٨) رقم: ٨.

وكيف يذل نفسه؟ قال: «يعرضها من البلاء إلى ما لا طاقة لها به»[١]، وذكر عن مالك قوله: «أدركت سبعة عشر تابعياً، فما سمعت أنهم قاموا إلى إمام جائر فوعظوه»، قيل لحمديس: فلو أن إماماً دعا إلى البدعة وأمر بها؟ قال: نجاهده»[٢].

وفي مواقفهم من أهل الفرق نلاحظ أيضاً أنهم يتفقون مع الإمام مالك الذي كان من أشد الناس على أهل البدع كما بينا من قبل، ونذكر من تلك المواقف مثلاً واحداً هو موقف الإمام سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ)[٣] الذي قاوم أهل البدع وأخفت كل صوت مارق وكل نزعة عقلية، ومنع دروس الإباضية والصفرية والمعتزلة.

وكان موقفهم من الروافض من أبرز الأدلة على بغضهم للمبتدعة، وعلى تأثير الإمام مالك الكبير فيهم، فلقد قالوا بكفرهم كما هو قول إمامهم مالك، وقالوا بوجوب قتالهم، ومن هنا جاءت مواقفهم الحازمة المتشددة من دولة العبيديين، فهذا جبلة بن حمود الصدفي (ت ٢٩٩هـ)[٤] يُسأل عن سبب تركه الرباط وسكناه بالقيروان فيجيب:

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن (٤/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) رقم: ٢٢٥٤ في كتاب الفتن، وقال: «هذا الحديث حسن غريب»، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٢) رقم: ٤٠١٦ في كتاب الفتن، (باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾)، والإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٠٥).

(٢) انظر رياض النفوس (١/ ٤٨٩)، ولكن أكمل الناس هو من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في كل الأحوال لقوله عليه الصلاة والسلام: **«سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله»**.

(٣) هو: الإمام عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون، باسم طائر شديد لشدته في المسائل، ولد بالقيروان سنة ١٦٠هـ وبدأ دراسته بها على أشهر شيوخها، ثم رحل إلى المشرق للأخذ على أشهر تلاميذ مالك أمثال ابن القاسم وأشهب وابن وهب، وعاد من رحلته سنة ١٩١هـ، وتولى منصب القضاء، وتوفي بالقيروان سنة ٢٤٠هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص١٨٤ ـ ١٨٧) رقم: ٦٦، طبقات الخشني (ص ٢٣٦)، رياض النفوس (١/ ٣٤٥ ـ ٣٧٥) رقم: ١٢٦، ترتيب المدارك (١/ ٥٨٥ ـ ٦٢٦)، وفيات الأعيان (٣/ ١٨٠ ـ ١٨٢) رقم: ٣٨٢، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣ ـ ٦٩) رقم: ١٥.

(٤) هو: أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي، سمع من سحنون وغيره، وكان رحمة الله عليه شديداً على أهل البدع لا يداري أحداً، ولم يكن أحد أكثر مجاهدة للروافض وشيعتهم منه، فنجاه الله تعالى منهم وتوفي سنة ٢٩٩هـ، وكانت ولادته سنة ٢١٠هـ.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٥٤)، رياض النفوس (٢/ ٢٧ ـ ٤٥) رقم: ١٧١، معالم الإيمان (٢/ ٢٧٠) رقم: ١٥٢، الديباج المذهب (١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) رقم: ١.

«كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر، والآن حل العدو بساحتنا وهو أشد علينا من ذلك»[١]، وكان هذا الإمام ينكر على من خرج من القيروان إلى سوسة ونحوها من الثغور ويقول: «جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك»[٢].

وقد أثارت فتوى أبي إسحاق التونسي (ت ٤٤٣هـ)[٣] المتضمنة تقسيم الشيعة إلى قسمين: قسم يقف عند تفضيل علي على سائر الصحابة، وهؤلاء لا يدخلون في الكفر وتجوز مناكحتهم، وقسم آخر يفضله ويسب غيره فهو بمنزلة الكافر لا تحل مناكحته، أثارت هذه الفتوى منه ثائرة علماء المغرب وغضبهم وأنكروا عليه وأرسلوا إليه أن يعاود النظر فيها ويرجع عنها، وطلبوا منه أن يعلن توبته على المنبر، فلم يفعل وإن كان رجع أمامهم ظاهراً[٤]، وفتواه هذه في حقيقة الأمر لا غبار عليها، بل هي الحق كما يقول القاضي عياض: «ولا امتراء عند كل منصف أن الحق ما قاله أبو إسحاق، وأنه جرى في فتواه على العلم وطريق الحكم، ومع هذا ما نَقَصَهُ عند أهل التحقيق ولا حَطَّ من منصبه عند أهل التوفيق وإن رأي الجماعة في النازلة كان أَسَدَّ»[٥].

هذا الموقف من علماء المغرب مع واحد من أصحابهم يُظهر بوضوح مدى ما كان ينطوي عليه أهل المغرب من البغض الشديد للشيعة، ويدل على حرصهم على إشاعة أن الشيعة مطلقاً كفار، حتى لا يتردد واحد في معاداتهم وإيذائهم، بل وقتالهم إذا دعا الأمر لذلك.

وكما اعتبر علماءُ المغرب الروافضَ كفاراً، فقد اعتبروا دارهم دار كفر، وهذا الموقف أيضاً يلاحظ فيه تأثير الإمام مالك، وعلى ذلك فكثير من علماء المغرب فكر في الهجرة، وكثير منهم رأى أن لا تقام فيها صلاة الجمعة[٦].

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٢٥١).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٢٥١).

(٣) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن حسن إسحاق القيرواني التونسي، تفقه بأبي عمران الفاسي، وقرأ الأصول على الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري، توفي سنة ٤٤٣هـ.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٧٦٦ ـ ٧٦٩)، شجرة النور الزكية (ص١٠٨ ـ ١٠٩) رقم: ٢٨٥، معالم الإيمان (٣/ ١٧٧ ـ ١٨٠) رقم: ٢٩٨.

(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٧٦٨).

(٥) ترتيب المدارك (٢/ ٧٦٨)، يأتي الحديث بتوسع عن هذه المسألة في فصل مقاومة علماء المغرب للتشيع.

(٦) ملتقى الإمام ابن عرفة مجموعة محاضرات (ص ١٠٤).

**أما موقفهم من التصوف**: فقد كان هو الآخر متأثراً بموقف الإمام مالك رحمه الله، ولكن إذا كان موقف الإمام مالك يقف عند حدود الإنكار فقط كما بينتُ من قبل، وذلك لأن التصوف كان يومها في بدايته؛ فإن موقف علماء المغرب تُرجم إلى واقع عملي، والذي تمثل في حرق الإحياء للإمام الغزالي رحمه الله كما سيأتي في الفصل الذي عقدته لذلك، وغيرِه من الكتب التي صنفت في مجال التصوف.

**وفي موقفهم من صفات الله تعالى**: نلاحظ أنهم كانوا ملتزمين بالنص لا يحيدون عنه قيد شعرة، قال ابن عبد البر: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله تعالى وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله يسلم له ولا يناظر فيه»[١].

وقد اعتبروا أهل الكلام أهل بدع وأهواء سواء منهم من كان أشعرياً أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها[٢]، وكانوا يرون أن القائل بخلق القرآن زنديق ـ وهو قول الإمام مالك ـ وما دام كذلك فلا يستتاب، وقد خالفهم أسد بن الفرات في ذلك وقال: يستتاب[٣]، وهو أيضاً قول الإمام مالك الذي أثر عنه في المسألة قولان.

كما كانوا يمنعون من الخوض في الحديث عن الأفضل والمفضول، وحرموا الوقيعة في أصحاب رسول الله ﷺ وأن ما وقع بينهم لا حق لهم بالخوض فيه[٤] ـ وهو قول الإمام مالك كما رأينا من قبل ـ ، كما كانوا يرون اعتزال المبتدعة من أهل الفرق وعدم السلام عليهم.

هذه نماذج قليلة من الموافقات التي كانت بين علماء المغرب وبين الإمام مالك في العقيدة، وهي تدل على التأثير الكبير الذي كان لهذا الإمام على علماء المغرب، وكان من أثر ذلك أن وجدنا المغرب إلى يومنا هذا لا يعاني مما يعاني منه المشرق من

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٩٢).
(٣) انظر الصراع العقائدي في الفلسفة الإسلامية، مجموعة محاضرات (ص ٣٣).
(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٦٠٠).

الصراعات العقدية بين أهل الفرق المختلفة: السنة والشيعة والنصيرية[١] والإسماعيلية[٢] وغيرهم من الفرق، وقد لاحظ هذا الفرق بين المغرب والمشرق من حيث السلامة من البدع علماءُ المغرب الذين رحلوا إلى المشرق للدراسة ودونوا هذه الملاحظات، فهذا الإمام أبو بكر ابن العربي يثني على المغرب لسلامته من تلك البدع والتي يعاني منها المشرق فيقول: «خرجت من بلادي على الفطرة فلم ألق في طريقي إلا ما كان على سنن الهدى يغبطني في ديني ويزيدني في يقيني، حتى بلغت بلاد هذه الطائفة (يقصد مصر أيام حكم الفاطميين) فلم يبق باطل إلا سمعته ولا كفر إلا شوفهت به ووعيته»[٣].

ويقول ابن جبير صاحب الرحلة المشهورة (ت ٦١٤هـ): «وليتحقق المتحقق ويعتقد صحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب، لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع إلا من عصم الله عز وجل من أهلها»[٤]، وكل هذا إنما كان من أثر عالم المدينة الذي كان ينفي خبث البدع عن أهل مذهبه فلا تجد بين المالكية بدع الاعتزال والتشبيه وغيرها[٥].

---

(١) تنسب هذه الفرقة لمحمد بن نصير النميري، وقد كان ابن نصير بصرياً مرموق المكانة أعلن نفسه حوالي سنة ٢٤٥هـ باباً للإمام الشيعي العاشر علي نقي ولابنه محمد المتوفى سنة ٢٤٩هـ، أما المؤسس الحقيقي فهو أبو عبد الله الخصيبي (ت ٣٥٨هـ) الذي جاء بعد محمد بن نصير بحوالي قرن من الزمن، والنصيرية فرقة كافرة يعتقدون الألوهية في علي ﷺ، وقد فصل الإمام ابن تيمية عقائدهم في فتاويه (٣٥/ ١٤٥)، وانظر عنهم أيضاً: فؤاد سزكين (١/ ٣/ ٣٨١).

(٢) يأتي الحديث عنهم بتوسع عند الحديث عن التشيع في المغرب.

(٣) آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية (٢/ ٥٩ ـ ٦٠)، ولا بد من الاستثناء، لأن الخير والشر موجود في كل مكان وفي كل الأقوام، والصحيح هو قول ابن جبير الذي يلي هذا القول حيث استثنى من عصم الله.

(٤) انظر الرحلة ( ص ٥٥).

(٥) في ترجمته لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حصين بن أحمد بن حزم الغافقي الذي كان مالكياً في الفروع يذهب إلى آراء المعتزلة في الأصول، قال المقري في النفح (٢/ ٦٥): «ما سمعت بمالكي معتزلي غير هذا، ولعله كان مالكياً بالمغرب فلما دخل في خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبة الاعتزال».

و قال غيره: «ولم أر مذهباً أبعد عن الزيغ من مذهب مالك، فإني ما سمعت أن أحداً تقلد مذهبه قال بشيء من بدع الجهمية والرافضة والخارجية»، انظر مسألة الزنديق أبي الخير الإشبيلي، مجلة حوليات الجامعة التونسية (١/ ١٩٦٤/ ٧٤).

بعد ما عرفنا تأثير الإمام مالك في علماء المغرب في النواحي العقدية وقوة هذا التأثير يمكننا أن نقول كذلك: إن هناك جوانب أخرى كانت مواقفهم فيها مستقلة، وذلك نظراً للمستجدات التي حدثت بعد الإمام مالك رحمه الله حيث كانت الأمور في عهده في بدايتها ولم تكن قد بلغت من الانتشار والخطر ما بلغته من بعده حيث أصبحت لتلك الأفكار والمذاهب البدعية دول، وبعدما كانت تلك الأفكار تنتشر في السر في ظل الحكومات السنية أصبحت فيما بعد تفرض بالقوة والسيف، وليس أدل على ذلك من الدولة العبيدية[١] التي ناصبت أهل السنة العداء، ونشرت أفكارها بالقوة وكانت أفكارها من قبل قد دخلت في ثوب رجال مخلصين جاؤوا ليعلموا الناس القرآن وعلوم الدين المختلفة، وإزاء هذه المستجدات كان لزاماً أن تستجد مواقف وتستحدث آراء؛ فكانت تلك المواقف من قتال الشيعة ورفع السلاح في وجوههم حتى إنهم آزروا مخلد بن كيداد[٢]في قتاله للشيعة وكان هذا الرجل خارجياً لكنه أظهر في البداية اتجاهاً سنياً مما جعل الفقهاء ينخدعون به، ويفتون بوجوب اتباعه ومؤازرته في قتال ملوك الشيعة من بني عبيد، ولما أوشكت المعركة على النهاية وأوشك تحالف مخلد مع الفقهاء السنيين أن ينتصر أسفر مخلد عن وجهه القبيح المعادي لأهل السنة، وأمر جنده بضربهم ووقعت مذبحة عظيمة استشهد فيها خمسة وثمانون من أئمة القيروان وعبادها[٣].

كما استجدت قضايا تتعلق بالقرآن، فبعد أن كان القول بخلق القرآن قولاً شاذاً منكراً يدعو إليه بعض الشواذ، أصبح هو القول الرسمي الذي تدين به الدولة، وقد امتحنت هذه الدولة كثيراً من العلماء بسبب هذه المسألة، وفي الوقت الذي كان يمتحن فيه الإمام أحمد بن حنبل في المشرق كان الإمام سحنون هو الآخر يمتحن في المغرب[٤]، وكان

---

(١) يأتي الحديث عن هذه الدولة وحكمها للمغرب وامتحانها لعلمائه.

(٢) هو: مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي، نشأ بتوزر، وتعلم القرآن وخالط الإباضية وأخذ بمذهبهم، وسافر إلى تاهرت وأقام بها يعلم الصبيان، فلما دخل الشيعة إلى تاهرت خرج منها وأخذ يعلم الصبيان ويدعو إلى تكفير الشيعة، ثم قام عليهم، قتل سنة ٣٣٦هـ.
مصادر ترجمته: البيان المغرب (١/ ١٩٣، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠)، وفيات الأعيان (١/ ٢٣٥)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر (ص ١٧٥ ـ ١٨٧)، وانظر الهامش (١) من (ص ١٧٥) من نفس المصدر .

(٣) البيان المغرب (١/ ٢٢٣).

(٤) كتاب المحن لأبي العرب (ص ٤٤٦).

علماء المغرب يقدرون جهود الحنابلة في الذب عن السنة والدفاع عن حياضها، وينظرون إليهم على أنهم حراس العقيدة.

كما أصبحت مسائل العقيدة تعقد لها المناظرات بين العلماء من مختلف الاتجاهات حتى يعرف المذهب الذي يجب أن يتبع كما حدث أيام زيادة الله[١] (ت ٣٠٤هـ) الذي كان يسمح بالمناظرة بين يديه في مختلف الموضوعات العقدية كالصفات وخلق القرآن وحتى النبيذ هل هو حلال أم حرام[٢]؟.

وإذا أقمنا مقارنة بين المشرق والمغرب في هذا المجال بالذات نجد أن أهل المشرق كانوا سباقين إلى مثل هذه المناظرات، وذلك لأن وجود هذه التيارات والمذاهب البدعية بالمشرق أقدم منها في المغرب، بل إن وجودها في المغرب تابع لوجودها في المشرق: يحدثنا أحمد بن محمد بن سعدي[٣] عن نوعية هذه المجالس

---

(١) هو: أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية (تونس)، توفي بالرملة فاراً من المهدي العبيدي سنة ٣٠٤هـ.
مصادر ترجمته: تهذيب ابن عساكر (٥/٣٩٨ ـ ٣٩٩)، وفيات الأعيان (٢/١٩٣ ـ ١٩٤)، سير أعلام النبلاء (١٤/١٩٧).

(٢) الصراع العقدي في الفلسفة الإسلامية مجموعة محاضرات (ص ٣٣).
من ذلك ما ذكره أبو العرب عن أبي محمد عبد الله بن حسان اليحصبي أنه قال: «دخلت على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب فأصبت عنده أسد بن الفرات وأبا محرز وهما يتناظران في النبيذ المسكر، وأبو محرز يذهب إلى تحليله وأسد يذهب إلى تحريمه، فلما أن قعدت قال لي زيادة الله: ما تقول يا أبا أحمد؟ فقلت: قد علمت سوء رأيي فيه، وقاضياك يتناظران فيه بين يديك، فقال لي: ناظرني أنت ودعهما، ثم قال لهما: اسكتا، فقال لي: ما تقول؟ فقلت: أصلح الله الأمير، كم دية العقل، فقال: وماذا عن هذا؟ فقلت: بجوابك ينتظم سؤالي، فقال: دية العقل ألف دينار، فقلت له: أصلح الله الأمير، فيعمد الرجل إلى ما فيه ألف دينار فيبيعه بزجيجة تسوى نصف درهم! فقال لي: يا أبا أحمد إنه يزول ويرجع، قلت له: بعد ماذا أصلح الله الأمير؟ بعد أن قاء على لحيته، وكشف سوءته إلى أهله، وسب هذا وقتل هذا، وضرب هذا؟ فقال لي: صدقت والله، صدقت»، طبقات أبي العرب (ص ١٧١ ـ ١٧٢).

(٣) هو: الإمام أبو عمر أحمد بن محمد بن سعدي الأندلسي، فقيه فاضل محدث، رحل قبل الأربعمئة، فلقي أبا محمد بن أبي زيد القيرواني بالقيروان، وأبا بكر محمد بن عبد الله الأبهري وغيرهما، بقي بعد الأربعمئة مدة، ثم رجع إلى مصر بعد هذه الرحلة، وذلك أيام الفتن الكائنة بالمغرب كان حياً سنة ٤٠٩هـ. =

والتي حضرها أثناء رحلته إلى المشرق وعن هيئتها وقد سأله الإمام ابن أبي زيد القيرواني عن مجالس علم الكلام التي حضرها خلال رحلته إلى المشرق وبالذات إلى بغداد حيث قال له: «هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ فقال: بلى حضرتهم مرتين ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها، فقال أبو محمد: ولم؟، فقال: أما أول مجلس حضرته فرأيت مجلساً قد جمع الفرق كلها، المسلمين من أهل السنة والبدعة والكفار من المجوس والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه، فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان قامت الجماعة إليه قياماً على قيامه حتى يجلس فيجلسون بجلوسه، فإذا غص المجلس بأهله ورأوا أنه لم يبق لهم أحدٌ ينتظرونه، قال قائل من الكفار: قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم عليه الصلاة والسلام فإنا لا نصدق بذلك ولا نقِرُّ به، وإنما نتناظر بالحجج العقلية وما يحتمله النظر والقياس، فيقولون: نعم لك ذلك، قال أبو عمر: فلما سمعت ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس، ثم قيل لي: ثَمَّ مجلس آخر للكلام، فذهبت إليه فوجدته مثل سيرة أصحابهم فقطعت مجالس الكلام ولم أعد إليها.

قال أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني: ورضي المسلمون بهذا من الفعل والقول؟ قال أبو عمر: هذا الذي شاهدت منهم، فجعل أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني يتعجب من ذلك ويقول: ذهب العلماء وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه، وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين والكفار؟ وهذا لا يجوز أن يُفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالإسلام، وبمحمد ﷺ، وإنمايدعى من كان على بدعة من منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى السنة والجماعة، فإن رجع قبل منه، وإن أبى ضربت عنقه، وأما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام فإن قبلوا كف عنهم، وإن أبوا وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كف عنهم وقبل منهم، وأما أن يناظروا على أن لايحتج عليهم بكتابنا ولا بنبينا ﷺ فهذا لا يجوز، فإنا لله وإنا إليه راجعون»(١).

ومثل هذه المجالس كانت منتشرة بكثرة في المشرق بين رجال الفرق المختلفة، ثم انتقلت إلى المغرب كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه من هذا البحث، والسبب في هذا

---

= مصادر ترجمته: جذوة المقتبس (١٠٩ ـ ١١٠) رقم: ١٨٠، بغية الملتمس (١٤٤ ـ ١٤٧) رقم: ٣٤١، شجرة النور الزكية (١/١٠٦) رقم: ٢٧٤.

(١) جذوة المقتبس (ص ١٠٩ ـ ١١٠).

الانتقال هو ما كان يتمتع به العالم الإسلامي من وحدة بحيث كان كل ما يقع في المشرق تقريباً يجد له صدى في المغرب.

ومثل هذه المجالس لم تكن قد وجدت أيام الإمام مالك رحمه الله أو ـ على أقل تقدير ـ لم تكن بهذا الحجم، كما أنها لم تكن بالمدينة ولا بمكة لوجود عدد كبير من علماء السنة بهما، الذين لم يكونوا يسمحون أن يقع مثل هذا على مرأى ومسمع منهم، ولذلك وجدنا الاهتمام بها من قبل العلماء مالك وغيره قليلة في تلك الفترة.

وإزاء هذه المستجدات كان لزاماً على علماء السنة أن ينبروا للكتابة لبيان عقيدة أهل السنة والرد على المخالفين ودحض شبهاتهم، فكان ذلك الكم الكبير من المصنفات في هذا الجانب.

بهذا يتضح أن تأثير الإمام مالك في المغرب كان كبيراً، ولكنه كان في جوانب معينة، وكانت هناك جوانب أخرى لم يكن للإمام مالك فيها تأثير، وذلك بسبب تأخر ظهور كثير من القضايا عن عهد الإمام مالك، والتي لم يكن له فيها رأي، فكان لا بد على العلماء أن يجتهدوا حتى يكون لهم رأيهم فيها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الباب الثاني

## علماء السنة المغاربة وجهودهم في الدفاع عن عقيدة السلف

الفصل الأول: علماء المغرب وتمسكهم بالسنة .

الفصل الثاني: الضوابط والمصنفات والمسائل التي تناولوها بالبحث .

رَفعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


# تمهيد

في هذا الباب سوف أتحدث عن جهود علماء المغرب في نشر المذهب السني بهذا الجزء من العالم الإسلامي، ودفاعهم عنه، ووقوفهم في وجه المذاهب المنحرفة الأخرى، التي حاولت أن تبسط سلطانها على حساب مذهب السلف، وسوف أبين كيف استمرت هذه الفئة من العلماء تجاهد وتضحي من أجل الحفاظ على هذا الكيان السني.

فبعد أن انتهى عهد الصحابة والتابعين الذين جاؤوا لينشروا دين الله تعالى في هذا الجزء من العالم الإسلامي، وينشروا سنة نبيه ﷺ وهدي السلف؛ جاء دور علماء المغرب الذين أخذوا عن هؤلاء التابعين وتتلمذوا عليهم، أو الذين رحلوا إلى المشرق للأخذ عن علمائه، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مواقف علماء المغرب مرت بمرحلتين:

**المرحلة الأولى**: كان العلماء فيها يعبرون عن مواقفهم بالكلمة من خلال الفتاوى والدروس، التي كانوا يلقونها في المساجد على تلاميذهم، ولم يكونوا يعتنون بتدوينها للأسباب التي ذكرتها من قبل[١].

**أما المرحلة الثانية**: فقد تطورت فيها وسائل التعبير عن المواقف بحيث أصبحت تدون وتقدم للناس علماً مدوناً له مصنفاته ومراجعه الخاصة به، وسوف تكون دراستي مرتبة وفق هاتين المرحلتين إن شاء الله.

لقد ظلت هذه الفئة تسير على بصيرة من الله غير عابئة بما يعده لها الأعداء، وغير ملتفتة إلى المخاطر التي تعترض طريقها، لقد ظلت كذلك تنشر دين الله تعالى كما جاء به رسول الله ﷺ ونشره السلف الصالح من الصحابة والتابعين حتى مكن الله تعالى لها في الأرض، وأصبح المغرب الإسلامي سنياً مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[٢].

---

(١) نذكر من هذه الأسباب:

١ ـ اقتداؤهم بالإمام مالك رحمه الله الذي كان يكره الخوض فيما ليس تحته عمل.

٢ ـ بغضهم الشديد لكل محاولة عقلانية في دين الله.

٣ ـ الانحرافات في عهدهم لم تكن قد بلغت مبلغاً كبيراً، بل كانت في بدايتها.

(٢) سبق تخريجه.

أما القضايا والمسائل العقدية التي تناولها هؤلاء العلماء فهي التي كان الجدال يدور حولها آنذاك، وقد أشرت إلى بعضها حين عقدت مقارنة بين الإمام مالك رحمه الله، وأتباعه من أهل المغرب وبينت كيف كانت تعقد لهذه القضايا المجالس لمناقشتها والخروج بالرأي الصائب فيها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنني سوف لن أتناول بالحديث جميع العلماء الذين كان لهم جهد في نشر المذهب السني بالمغرب، وإنما سأكتفي بالحديث عمن توفرت عنهم المراجع والمصادر الموثقة والمتاحة لي، لأن الغرض من البحث هو إبراز جهود هؤلاء العلماء والآثار المترتبة على ذلك.

وسأشرع الآن في ذكر جهود هؤلاء العلماء بادئاً بما أثير عنهم في علمهم بالسنة والدفاع عنها كمرحلة أولى في البحث.

وأما مواقفهم مع الفرق المختلفة فهي مرحلة تالية سأرجئ الحديث عنها إلى ذكر مقاومة هذه الفرق من قبل هؤلاء العلماء.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


# الفصل الأول

## علماء المغرب وتمسكهم بالسنة ودفاعهم عن العقيدة

### المرحلة الأولى: نشر عقيدة أهل السنة عن طريق الدروس والفتاوى (مرحلة ما قبل التصنيف)

لقد كان الإمام عبد الله بن فروخ الفارسي (ت ١٧١هـ) من أوائل من رحلوا في طلب العلم، وكان من شيوخ المغرب الكبار، وكان مالك يجله ويعرف له فضله وكان يبغض أهل البدع ويعتزلهم(١).

وكان الإمام بهلول بن راشد (ت ١٨٢هـ) من أعلام السنة الذابين عنها، وكان كثيراً ما يسمع وهو يقول: «السنة السنة» ويلح عليها(٢)، وكان أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي (ت ٢٠٢هـ) منافياً لأهل البدع وحذراً من مخالفة السنة، وقد رأينا من قبل كيف ترك الأخذ في رحلته عن محمد بن الحسن لمجرد أنه بلغه عنه شيء من مخالفة السنة، وقد امتحن هذا الرجل لشدته في السنة وكان امتحانه في مسألة القرآن(٣).

ولقد كان الإمام أسد بن الفرات (ت ٢١٠هـ) هو الآخر من أعلام السنة في تلك الفترة، وكان مشهوراً بالفضل والدين، ودينه ومذهبه السنة ولم يكن فيه شيء من البدع، بل كان معادياً لأصحابها ومقاوماً لهم، وآراؤه العقدية هي آراء علماء السلف الذين أخذ عنهم وتربى على أيديهم، لقد جاء في ترجمته أنه كان يفسر قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٣ ـ ١٤] فقال عند ذلك: «ويح أهل البدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أن الله عز وجل خلق كلاماً يقول ذلك الكلام المخلوق أنا الله لا إله إلا أنا»(٤)، وكان يقول: «القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق» ويبدِّع من يقول غير ذلك، وكان يقول: «إن الله على العرش استوى بلا كيف، ويرى في الأخرى

(١) رياض النفوس (١/ ٢٣٤).
(٢) طبقات أبي العرب (ص ١٢٩).
(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٨).
(٤) طبقات أبي العرب (ص ١٦٥).

كيف شاء لا كما يشاء العباد»، ويكفر من يقول غير ذلك.

وكان يقول برؤية الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب السلف ويقول: «والله لو أدخلت الجنة فحجبت عن رؤيته لشككت، ولأنا أسرُّ برؤية ربي مني بالجنة»[١].

وهذا الإمام أحمد بن أبي محرز (ت ٢٢١هـ)[٢] فقد كان بحراً من بحور العلم، حافظاً للسنن، جامعاً، إماماً عارفاً بأصول الديانات وعلى هدي وسنة واستقامة، وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة شديداً في ذات الله[٣].

وممن كان على مذهب السلف من العلماء في تلك المرحلة عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت ٢٢٦هـ)[٤] فقد كان شديد التمسك بالسنة ،شديد الذب عنها، شديداً على أهل البدع، وكان ينكر على من يخوض في القرآن[٥].

وكانت مسألة الإمامة والخلافة في ذلك العهد والخلاف حولها قد امتد إلى المغرب بعد أن ذاق المشرق منها الويلات، فسألوه مرة عن الذي يقوله الناس في أبي بكر وعلي يعني أيهما أفضل من الآخر فرفع يده وضرب السائل ثم قال: «ليس هذا دين قريش، ولا دين العرب، هذا دين أهل قم[٦] ـ قرية من قرى خراسان ـ»، ثم قال: «والله ما يخفى

---

(١) انظر هذه الأقوال في رياض النفوس (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، ترتيب المدارك (٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٢) هو: أحمد بن أبي محرز، ولي القضاء بعد أبيه الذي كان من مشايخ المغرب وقضاته، وكان ابن أبي محرز ورعاً فاضلاً، وكان سحنون إذا تكلم فيمن تقدمه من القضاة فذكر له أحمد بن أبي محرز لم يتكلم فيه إلا بخير لفضله، توفي سنة ٢٢١ هـ.

مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ١٦٧ ـ ١٦٨) رقم: ٤٠، الخشني (ص٢٣٥)، والرياض (١/ ٣٩٥ ـ ٤٠١) رقم: ١٣٥، المعالم (٢/ ٤٠ ـ ٤٨) رقم: ٩٠ .

(٣) المعالم (٢/ ٤٠).

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي، من أشراف إفريقية (تونس) صاحب فقه وأدب وعلم بالتاريخ، ولد سنة ١٤٠ هـ، ورحل إلى مالك وأخذ عنه وعن أبي ذئب وابن عيينة، روى عنه سحنون وابن وضاح وغيرهما، توفي سنة ٢٢٦ هـ.

مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ١٥٥ ـ ١٥٦) (١٧٠ ـ ١٧٣) رقم: ٢٢، رياض النفوس (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٩) رقم: ١٠٩، المدارك (٢/ ٣١٠ ـ ٣١٥)، المعالم (٢/ ٥٨ ـ ٦٢) رقم: ٩٣.

(٥) المدارك (١/ ٤٨٠).

(٦) قُم ـ بضم القاف وتشديد الميم ـ: كلمة فارسية، وهي مدينة مستحدثة إسلامية، أول من مصَّرها طلحة ابن الأحوص الأشعري، وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرداً، وهي اليوم من مدن إيران.

انظر عنها: معجم البلدان (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

علينا نحن من يستحق الولاية بعد والينا، ولا من يستحق القضاء بعد قاضينا، فكيف يخفى على أصحاب محمد ﷺ من يستحق الأمر بعد نبيهم»[(١)]، وكان عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ)[(٢)] شديداً على أهل البدع قائماً بالسنة مدافعاً عنها.

ولكن ذروة هذا العهد بلا منازع هو الإمام سحنون بن سعيد (ت ٢٤٠هـ) الذي تميز بعلمه الغزير وشجاعته النادرة وتنظيمه للمجتمع على أسس سنية ثابتة، وهو الذي فرَّق حِلَق أهل البدع وشرد أهل الأهواء من الصفرية والإباضية والصوفية، وكانت لهم قبلها حلقات بالمسجد يتناظرون فيها ويظهرون زيغهم، وعزَلهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم، وأدَّب جماعة منهم بعد ذلك خالفوا أمره، وتوَّب جماعة فكان يقيم من أظهر التوبة منهم فيعلن توبته عن بدعته[(٣)].

وكان مذهبه في العقائد مذهب السلف رحمهم الله كما يكشف لنا ذلك هذه المناقشة القصيرة التي دارت بينه وبين ابن القصار فقد «دخل يوماً عليه وهو مريض (أي ابن القصار) وكان من أصحابه، وأصابه في علته قلق، فقال له سحنون: يا ابن القصار ما هذا القلق الذي أنت فيه؟، قال: الموت والقدوم على الله عز وجل، فقال له سحنون: ألست مصدِّقاً بالرسل أولهم وآخرهم والبعث والحساب والجنة والنار؟ وأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر؟ وأن القرآن كلام الله غير مخلوق؟ وأن الله تعالى يُرى يوم القيامة؟ وأنه على العرش استوى؟ ولا تخرج عن الأئمة بالسيف وإن جاروا؟ قال ابن القصار: أي والله الذي لا إله إلا هو، فضرب سحنون بيده على ضبعيه ثم قال له: "مت إذا شئت، مت إذا شئت، ثم خرج عنه»[(٤)]، فقد لخص له عقيدة أهل السنة والجماعة التي يكون بها الإنسان ناجياً يوم القيامة من عذاب الله.

وكان يقول في مسائل العقيدة: «من العلم بالله: الجهل بما لم يخبر به عن

---

(١) رياض النفوس (١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٢) هو: الإمام أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي من أهل القيروان، رحل في طلب العلم بعد موت مالك، سمع من ابن وهب والمفضل بن فضالة وغيرهما، توفي في جمادى الأولى سنة ٢٣٩هـ، وكانت ولادته سنة ١٤٧هـ أو ١٥٠هـ.

مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (١٨٨ ـ ١٩٠) رقم: ٦٧، رياض النفوس (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧) رقم: ١٢٨، معالم الإيمان (٢/ ٧٢ ـ ٧٦) رقم: ١٠١، ترتيب المدارك (١/ ٦٢٧ ـ ٦٣٠).

(٣) ترتيب المدارك (١/ ٦٠٠).

(٤) انظر رياض النفوس (١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

نفسه»[١]، وقد امتحن هذا الإمام في بدعة القول بخلق القرآن وسلَّمه الله كما سيأتي ذكره في موضعه من هذا البحث وأقام الله به السنة وقمع به البدعة.

بهذا الإمام العظيم يكاد ينتهي الجيل الأول من علماء المغرب الذين حملوا لواء السنة، ونشروا مذهب السلف وقاوموا الانحرافات العقدية التي كانت تعمل على أن تجد لها أرضية تنشر عليها زيغها وانحرافها، وأذَكِّر مرة أخرى إلى أن هؤلاء العلماء هم الذين تلقوا العلم عن مالك وأصحابه، أو الذين عاصروه ولم يتمكنوا من لقائه لقلة ذات اليد أو لأسباب أخرى كما هو الشأن بالنسبة لسحنون الذي لم تسعفه ظروفه أن يرحل إلى مالك واكتفى بالأخذ عن كبار تلاميذه وأصحابه.

وهذه المرحلة كما ذكرت من قبل تميزت بأن العلماء فيها لم يدونوا آراءهم العقدية، بل كانت آراؤهم عبارة عن مواقف أو فتاوى صدرت عنهم أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم أو أثناء مناقشتهم لأهل الفرق الأخرى.

## المرحلة الثانية: مرحلة الكتابة وتدوين الآراء العقدية

ثم إن المدرسة السنية استمرت في أداء رسالتها في المرحلة الثانية على يد الجيل الثاني من علماء المغرب وهم الذين تتلمذوا على أيديهم وتخرجوا في مدرستهم، وكانوا حقاً خير خلف لخير سلف، لقد استمروا في حمل هذه الرسالة دون توان ولا تراجع ولا تردد بالرغم من الظروف القاسية التي نشؤوا فيها واضطروا إلى مواجهتها.

لقد كانت هذه الظروف غاية في القسوة، إنها ظروف الثورات المستمرة وظهور الفتن والخلافات، وقد أعطت هذه الثورات المتتالية الحياة الدينية طابعاً خاصاً فالتمرد السياسي وظهور الفرق والبدع وثورات الخوارج والشيعة أعدت أهل المغرب لأن يتمسكوا بالنصوص الشرعية من قرآن وسنة وأن يقفوا وقفة قوية في وجه هؤلاء الدخلاء الذين كانوا حريصين على نقل عقائدهم المنحرفة إلى المغرب ونشرها به، وسيأتي ذكر العقائد المنحرفة التي دخلت إلى المغرب في الفصل الذي عقدته لمقاومتها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه مع مجيء هذه المرحلة تطورت وسائل الرد على المخالفين والدفاع عن عقيدة أهل السنة؛ فبعد أن كانت هذه الوسائل عبارة عن فتاوي

---

(١) التمهيد (٧/ ١٤٦)، وهذا القول يشبه قول أبي بكر الصديق ﷺ المشهور: «العجز عن الإدراك إدراك».

تلقى في المساجد، أو مواقف فردية صدرت عن أولئك العلماء أصبحت في هذه المرحلة آراء مدونة لها كتبها ومراجعها وتدرس لطلاب العلم في المساجد، ومن خلال هذه الآراء يقيَّم صاحبها ويعرف اتجاهه.

لقد برز في هذه المرحلة عدد كبير من العلماء كان لهم الفضل بعد الله تعالى في التمكين للمذهب السني في هذا الجزء من العالم الإسلامي الفسيح، ودحض كل الاتجاهات والعقائد المنحرفة عنه.

فمن هؤلاء العلماء الذين برزوا في هذه المرحلة محمد بن نصر بن حضرم[١] شيخ محمد بن سحنون، فقد كان ذا جدال وحجة وكان إماماً في النظر[٢].

وأبو العباس عبد الله بن طالب (ت ٢٧٦هـ)[٣] الذي اشتهر أيضاً بالمناظرة، ومما كان يقوله في خطبه مما يدل على تسننه وانتحاله مذهب أهل السنة قوله: «الحمد لله الذي عذَّب على ما لو شاء عصم، والحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»، وكان متطلعاً إلى المناظرة شغوفاً بها[٤].

والإمام بقي بن مخلد (ت ٢٧٦هـ)[٥] الذي نشر الله به الحديث بالأندلس وقد لقي

---

(١) هو: محمد بن نصر بن حضرم توفي بصقلية، انظر عنه طبقات الخشني (ص ١٩٨).

(٢) طبقات الخشني (ص ١٩٨).

(٣) هو: أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب، سمع من سحنون، وحج فلقي ابن عبد الحكم وولي القضاء مرتين، وكان لقناً فطناً جيد النظر، توفي سنة ٢٧٦هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص١٣٦ ـ ١٣٨)، رياض النفوس (١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٩) رقم: ١٥٥، ترتيب المدارك (٢/ ١٩٤ ـ ٢١٢)، معالم الإيمان (٢/ ١٥٩ ـ ١٧٤) رقم: ١٢، الديباج المذهب (١/ ٤٢١ ـ ٤٢٣) رقم: ٨ .

(٤) طبقات الخشني (ص ١٣٦).

(٥) هو: الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد، من أهل قرطبة سمع من عدد كبير من الشيوخ بلغ عددهم ٢٨٤ شيخاً، ولد في رمضان من سنة ٢٠١ وتوفي سنة ٢٧٦هـ، وألف كتباً كثيرة ممتعة منها: "تفسير القرآن الكريم"، الذي قال فيه ابن حزم: «لم يؤلف مثله في الإسلام لا تفسير ابن جرير ولا غيره»، ومصنف في الحديث رتبه على أسماء الصحابة ﷺ، و"مصنف في فتاوي الصحابة والتابعين" ومن دونهم أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور.

بسبب ذلك كثيراً من الأذى، وكان في العقائد على مذهب السلف، وجاءت آراؤه

= مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٩١ ـ ٩٣) رقم: ٢٨٣، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٥ ـ ٢٩٦) رقم: ١٣٧، نفح الطيب (٢/ ٥١٨ ـ ٥٢٠) رقم: ٢٠٩، طبقات الحفاظ (٢/ ٦٢٩ ـ ٦٣١)، طبقات المفسرين (١/ ١١٦ ـ ١١٧) رقم: ١١٠.

ولهذا الإمام قصة عجيبة مع أهل الأندلس هي قصة التعصب المذهبي الذي بدأ يغزو تلك المنطقة، والتعصب على ما فيه من جوانب إيجابية من التنافس وشحذ الهمم في إثراء هذه المذاهب، لكن فيه أيضاً جوانب حالكة وقاتمة هي محاولة الظهور على أنقاض المذاهب الأخرى، والذي يرتضى ـ كما يقول الإمام المقري رحمه الله في نفح الطيب: ٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١ ـ: «إن من قلد إماماً من المجتهدين لا ينبغي له أن يغض الطرف من قدر غيره، وإن كان ولابد من الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الأئمة ﷺ فإنهم على هدى من ربهم، وقد ضل بعض الناس فحمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في حق العلماء الذين هم نجوم الملة ولا حول ولا قوة إلا بالله».

لقد كان الإمام بقي بن مخلد ضحية للتعصب المذهبي مثله في ذلك مثل كثير من العلماء غيره الذين تركوا التقليد واتبعوا الدليل، لقد كان ضحية تعصب المالكية، فبالرغم مما يعرف عن المالكية أنهم كانوا في الجوانب العقدية يقفون عند نصوص الكتاب والسنة إلا أنهم كانوا في الناحية الفقهية شديدي التعصب لمذهب مالك ينافرون كل من خالف مذهبه، وقد صور لنا الإمام منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ) تعصب المالكية في عصره أروع تصوير بأبيات له قال فيها:

عذيري من قوم إذا ما سألتهم ... دليلاً قالوا هكذا قال مالك

فإن زدت، قالوا قال سحنون مثله ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك

فإن قلت قال الله ضجوا وأعولوا ... علي وقالوا أنت خصم مماحك

نفح الطيب (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

وقد بلغ من تعصب المالكية في المغرب أنهم كانوا لا يولون القضاء إلا من كان على مذهب مالك كما يقول ابن حزم رحمه الله: «مذهبان انتشرا بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله فكان لا يولي قضاء البلاد من أقصى الشرق إلى أقصى أعمال إفريقية (تونس) إلا أصحابه المنتمين إلى مذهبه، ومذهب مالك بن أنس عندنا فإن يحيى بن يحيى (ت ٢٣٤هـ) كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاة فكان لا يلي قاض في أقطارنا إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا والرياسة فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به». جذوة المقتبس (ص٣٨٢ ـ ٣٨٤).

وقد بلغ هذا التعصب ذروته في عهد المرابطين إذ لم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عَلِم عِلمَ الفروع على مذهب مالك، وقد صور لنا عبد الواحد المراكشي في معجبه (ص ٢٣٦) =

الموافقة لمذهبهم في تفسيره الذي لم يصلنا، ذكر ذلك الإمام ابن تيمية في درء تعارض

= سلوك المالكية في ذلك الزمان أبرع تصوير حين قال: «فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب (مذهب مالك) وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء».

وقد عظم شأن الفقهاء المالكية في ذلك الزمان وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أقوالهم واتسعت مكاسبهم، وفي ذلك يقول أحمد بن محمد المعروف بابن البني - من أهل مدينة جيان من جزيرة الأندلس - مخاطباً فقهاء ذلك الزمان ويسخر منهم:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم ... كالذئب أدلج في الظلام القاتم
فملكتموا الدنيا بمذهب مالك ... وقستموا الأموال بابن القاسم
وركبتموا شهب الدواب بأشهب ... وبأصبغ صبغت لكم في العالم

انظر المعجب (ص ٢٣٥ - ٢٣٦).

ولا بأس أن أنقل هنا بعض صور هذا التعصب غير التي ذكرت:

منها: وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ للاستدلال على ما خالفوا فيه السنة الصريحة، كما فعل أصبغ بن خليل الذي افتعل حديثاً ليستدل به على عدم مشروعية رفع اليدين في غير تكبيرة الإحرام هذا نصه: أصبغ بن خليل عن غازي بن قيس عن سلمة بن ورد عن ابن شهاب عن الربيع بن خيثم عن ابن مسعود قال: صليت وراء رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر سنتين، وخلف عمر عشر سنوات وخلف عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلف علي بالكوفة خمس سنوات، فما رفع واحد منهم يديه إلا في تكبيرة الإحرام.

ودليل الوضع واضح من الإسناد ومن المتن جميعاً، فإن سلمة بن ورد لم يرو عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن الربيع بن خيثم حرفاً قط ولا رآه، وقال ابن مسعود: صلى خلف علي كرم الله وجهه بالكوفة وابن مسعود، مات في خلافة عثمان ﵁، [انظر هذا الحديث ونقده في ترجمة أصبغ بن خليل في تاريخ علماء الأندلس (١/ ٧٧ - ٧٩)، وانظر أيضاً ترتيب المدارك (٢/ ١٤٣)].

وكان أصبغ هذا شديد البغض لبقي بن مخلد، ذكر ابنه أنه كان ينهاه عن السماع من بقي، وكان لهم جاراً بل نقل عنه أنه قال: «لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون مسند ابن أبي شيبة»، فانظر إلى هذا التعصب الذي يعمي ويصم.

وهذا التعصب للأسف الشديد استمر على مدى العصور المختلفة، ففي ترجمة أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي، أن السبب في خروجه من الأندلس وهجرته منها: أنه كان يرفع يديه في الصلاة في غير تكبيرة الإحرام على ما صح من الحديث، فبلغ ذلك السلطان فتوعده بقطع يديه، فضج أبو جعفر من ذلك وقال: «إن إقليماً تُمات فيه سنة رسول الله ﷺ حتى يتوعد بقطع من يقيمها لجدير =

العقل والنقل[١] حيث يقول: «والتفاسير المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين: - وذكر منها تفسير بقي بن مخلد وقال: - وفيها - أي في هذه التفاسير - من هذا الباب الموافق لقول المثبتين مالا يحصى».

ومنهم: الإمام أحمد بن محمد القطان (ت ٢٨٩هـ) الذي كان شديداً في مذاهب أهل السنة مجانباً لأهل الأهواء، وكان له جهد عظيم في النهي عن من ينحرف عن طريقة أهل السنة، لا يُسَلِّمُ على أحد منهم[٢].

ومنهم: يحيى بن عمر (ت ٢٨٩هـ)[٣] الذي كان كثير النهي عن كل محدثة وبدعة

---

= أن يرحل منه»، وقدم ديار مصر وسمع الحديث، [انظر نفح الطيب (٢/ ٦٥٥ - ٦٥٦)، المنهل الصافي (١/ ٢٩٩)].

بعد هذا أعود إلى بقي بن مخلد الذي كان ضحية هذا التعصب كما قلت، فبعد أن رجع من رحلته المشرقية بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية، وكان لا يقلد أحداً، أغاظ ذلك فقهاء قرطبة أصحاب التقليد الزاهدين في الحديث، فحسدوه ووضعوا فيه القول القبيح عند الأمير حتى ألزموه البدعة وتخطى كثير منهم إلى رميه بالإلحاد والزندقة، وتشاهدوا عليه بغليظ الشهادة، ودعوا إلى سفك دمه، وخاطبوا الأمير بذلك وأكثروا عليه بكل ما يرجون به الوصول إلى دمه، وسألوه تعجيل الحكم فيه، فاشتد خوف بقي جداً واستتر خوفاً على دمه ثم هداه الله إلى التعلق بحبل هاشم بن عبد العزيز - وهو صاحب الأمير محمد بن عبد الرحمن الداخل - ، وسأله الأخذ بيده فألقى الله في روع هاشم الإصغاء إلى شكواه والفهم عن مغزاه والاعتناء بأمره، ثم حددوا له موعداً يحضر فيه إلى القصر هو وخصومه للمناظرة، فأدلي بحجته وبز خصومه واستبان للأمير حسدهم إياه وتخلفهم عن مداه فدفعهم عنه، وأمر بنشر علمه فاعتلى ذروة العلم ولم يزل عظيم القدر عند الناس.

انظر القصة في كتاب المقتبس (ص ٢٤٨ - ٢٥٠) والتعليق رقم ٤١١ (ص٥٢٢).

وانظر حول تعصب المالكية أيضاً ما قاله ابن عبد البرفي الجامع (٢/ ٢٠٧)، والمقدسي في أحسن التقاسيم (ص ٢٣٦).

(١) (٢/ ٢٢)، وانظر أيضاً موافقة صحيح المنقول لصريح العقول (٢/ ١٣).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٤٥٢)

(٣) هو: يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي، كان من أهل الصيام والقيام، وكان مجاب الدعوة حريصاً على العلم، توفي سنة ٢٨٩هـ.

مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤٩٠ - ٥٠٤) رقم: ١٦، طبقات الخشني (ص ١٣٤ - ١٣٦)، ترتيب المدارك (٢/ ٢٣٤ - ٢٤١)، معالم الإيمان (٢/ ٢٣٣ - ٢٤٦) رقم: ١٤٣، لسان الميزان (٦/ ٢٧٠ - ٢٧٢) رقم: ٩٥.

وألف عدة تآليف في الرد على المبتدعة، منها: الرد على المرجئة.

ومنهم: الإمام جبلة بن حمود الصدفي (ت ٢٩٩هـ) الذي كان هو الآخَر شديداً على أهل البدع لا يداري أحداً منهم، ولم يكن أحد أكثر مجاهدة للروافض منه.

ومنهم: الإمام محمد بن عمر بن لبابة (ت ٣١٤هـ)[١] والذي كان من كبار علماء الأندلس وكان يقارن بالإمام محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ) ومحمد بن عبدوس (ت ٢٦٠هـ)، وكان ينادي بالالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأنهما الحق الذي لا شك فيه، وأما الرأي فمرة يصيب ومرة يخطئ كالذي يتكاهن[٢].

ومنهم: الإمام محمد بن أحمد الفارسي (ت ٣٥٩هـ)[٣] كان رجلاً خيراً فاضلاً متمسكاً بالسنة، شديد الإنكار على أهل البدع صلباً في ذلك، وكان قد امتحن من أجل صلابته تلك[٤].

ومنهم: الإمام أحمد بن عون البزاز (ت ٣٧٨هـ)[٥] كان شيخاً صدوقاً صالحاً صارماً في السنة، شديداً على أهل البدع، وكان لهجاً بهذا النوع صبوراً على الأذى[٦].

---

(١) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة، كان من أئمة الفقه في الأندلس، روى عن مالك بن علي القوشي الزاهد وأبي يزيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى بن يحيى المعافري، وروى عنه أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى وخالد بن مسعد وغيرهما، توفي بالأندلس سنة ٣١٤هـ.
مصادر ترجمته: جذوة المقتبس (ص ٧٦) رقم: ١١٠، تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) رقم: ١١٨٩.

(٢) جذوة المقتبس (ص ٧٦).

(٣) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الفارسي المعروف بابن الحراز، من أهل القيروان، سمع بالقيروان من أحمد بن زياد وأحمد بن محمد القصري وغيرهما، وحج فلقي العقيلي وجماعة، وسمع بالإسكندرية من علي بن عبد الله بن أبي مطر، ثم قدم الأندلس واستقر بقرطبة، توفي رحمه الله في ذي القعدة سنة ٣٥٩ هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الاندلس (٢/ ١١٢) رقم: ١٣٩٩.

(٤) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١١٢) رقم: ١٣٩٩.

(٥) هو: الإمام أبو جعفر أحمد بن حدير بن يحيى بن تبيع البزاز، من أهل قرطبة، سمع في قرطبة ومكة وطرابلس والشام ومصر من عدد من العلماء منهم قاسم بن أصبغ من قرطبة وابن الأعرابي وابن فراس بمكة وغيرهم، توفي سنة ٣٧٨هـ، وكانت ولادته سنة ٣٠٠هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٥٤) رقم: ١٨٣.

(٦) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٥٤).

ومنهم: الإمام عباس بن عمرو بن هارون الوراق (ت ٣٧٩هـ)[١] الذي كان من أعلام السنة قائماً عليها بصيراً بالرد على أصحاب المذاهب، وكان هذا الفن من العلوم أكثر علمه[٢].

ومنهم: الإمام أحمد بن محمد بن سعدي (كان حياً سنة ٤٠٩هـ) الذي كان من أعلام السنة في ذلك العهد الذابين عنها، مجانباً لأهل البدع والأهواء، وقد رأينا كيف ترك مجالس أهل الكلام خلال رحلته إلى المشرق لما رأى فيها من مخالفة للدين.

ومنهم: الإمام ابن بطال (ت ٤٤٩هـ)[٣] الذي كان على منهج السلف في العقائد ذاباً عن السنة، يظهر ذلك من شرحه لصحيح البخاري[٤].

ومنهم: الإمام محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ)، وكان هو الآخر من أعلام السنة، محققاً في أصول الدين على مذهب أصحاب الحديث، داعياً إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة، ومن شعره في ذلك قوله[٥]:

كلام الله عز وجل قولي ... وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءاً ... وعوداً فهو من حق مبين
فدع ما صد عن هذي وخذها ... تكن فيها على حق يقين

ومنهم: الإمام محمد بن الحسن الحضرمي (ت ٤٨٩هـ)[٦] الذي كان إماماً في

---

(١) هو: الإمام أبو الفضل عباس بن عمرو بن هارون الكناني الوراق، من أهل صقلية، خرج من صقلية إلى القيروان سنة ٣١٥هـ فلم يزل بها إلى أن خرج إلى الأندلس سنة ٣٣٦هـ، كتب عنه غير واحد، توفي يوم الجمعة لأربع خلون من شهر رمضان سنة ٣٧٩هـ، وكان مولده سنة ٢٩٥هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٩٩) رقم: ٨٨٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٩٩).

(٣) هو: الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ويعرف بابن اللحام، محدث فقيه، توفي سنة ٤٤٩هـ، من آثاره: شرح صحيح البخاري، الاعتصام في الحديث.
مصادر ترجمته: الصلة (٢/ ٤١٤) رقم: ٨٩١، ترتيب المدارك (٢/ ٨١٧)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧ ـ ٤٨) رقم: ٢٠، الديباج المذهب (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) رقم: ١٥، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٣)، شجرة النور الزكية (١/ ١١٥) رقم: ٣١٥.

(٤) سيأتي نقل كلامه، وشرحه هذا توجد منه نسخة مخطوطة مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

(٥) انظر مصادر ترجمته.

(٦) هو: أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي يعرف بالمرادي، قدم الأندلس وروى عن أهلها، كان=

أصول الدين على مذهب السلف، كما يظهر من مؤلفه في العقائد "الإيماء إلى مسألة الاستواء"، وله نهوض بعلم الاعتقادات والأصول[(١)].

ومنهم: أبو الحسن القابسي (ت ٤٠٣هـ) الذي كان إماماً في أصول الدين، وله عدة تصانيف فيه، منها كتاب: "أحكام الديانات" وكتاب "المنقذ في شبه التأويل".

ولكن أبرز رجال هذه المرحلة الذين كانت لهم القدم العالية في ترسيخ المذهب السني في المغرب والأثر العظيم في إرساء دعائمه بهذا الجزء من العالم الإسلامي الفسيح، والذين أثروا هذا الجانب بمصنفاتهم ومواقفهم هم:

**١ ـ الإمام محمد بن سحنون (ت ٢٥٦هـ)**[(٢)]: الذي يعتبر فاتحة هذا العهد أو هذه المرحلة (مرحلة الكتابة في المسائل العقدية)، لكونه أول من فتح باب الكتابة في مسائل العقيدة على طريقة أهل السنة بعد ما ظل علماء السنة المغاربة محجمين عن اقتحامه للأسباب التي ذكرتها في موضعها من هذا البحث.

لقد كان هذا الإمام من الأكابر كما يصفه الإمام ابن تيمية حيث يقول: «وكذلك المتأخرين من أصحاب مالك كأبي الوليد الباجي وأبي بكر بن العربي لا يعظمون إلا

---

= رجلاً نبيهاً عالماً بالفقه، وكان مع ذلك ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة، توفي سنة ٤٨٩هـ.
مصادر ترجمته: الصلة (٢/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥) رقم: ١٣٢٦.

(١) انظر الصلة: (٢/ ٦٠٥).

(٢) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني، ولد في القيروان سنة ٢٠٢هـ، ودرس على يد والده الإمام سحنون وغيره، ثم رحل إلى المشرق فدخل مكة ومصر، ولقي في رحلته عدداً كبيراً من الأئمة منهم الزهري ويعقوب بن كاسب وسلامة بن سبيب وغيرهم، توفي سنة ٢٥٦هـ، وقد رثاه جمع كبير من الشعراء منهم أحمد بن أبي سليمان الذي قال فيه:

ألا فابك الإسلام إن كنت باكياً ... لحبل من الإسلام أصبح واهياً
ألا أيها الناعي الذي جلب الأسى ... وأورثنا الأحزان لا كنت ناعياً
نعيت إمام العالمين محمداً ... وقلت مضى من كان للدين راعياً

مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤٤٢ ـ ٤٥٨) رقم: ١٤٧، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٠ ـ ٦٣) رقم: ٤٥، معالم الإيمان (٢/ ١٢٢ ـ ١٣٦) رقم: ١١٦، شذرات الذهب (٢/ ١٥٠)، لسان الميزان (٥/ ٢٥٩) رقم: ٨٩٢، الديباج المذهب (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٣) رقم: ١٤، تاريخ التراث العربي لسزكين (١/ ٣/ ١٥٦).

بموافقة السنة والحديث، وأما الأكابر مثل ابن حبيب وابن سحنون ونحوهما فلون آخر»[١]، وكان إمام عصره في مذهب مالك واسع المعرفة متضلعاً في علوم شتى، جامعاً لخلال قلما اجتمعت في غيره من الفقه البارع والعلم بالأثر والجدل والمناظرة، قوي العارضة في الجدل لا يقدر عليه أحد، قوي الحجة على المخالفين.

وتذكر كتب التراجم بعض مناظراته التي أفحم فيها خصومه، ومنها مناظرته لأحد اليهود أثناء وجوده بمصر، وكيف أنه أفحمه وأقام عليه الحجة مما جعل اليهودي يعلن إسلامه أمام الملأ، وكان اليهودي قبل ذلك لا يناقش أحداً من المسلمين إلا غلبه.

وكان الإمام محمد بن سحنون يحسن الحجة والذب عن أهل السنة والرد على أهل الأهواء، ولم يكن أحد في عصره أجمع لفنون العلم ولا أكثر تصنيفاً منه، حيث صنف مصنفات عظيمة في الفقه والعقيدة والمغازي وغير ذلك من فنون العلم، والذي يهمنا نحن في بحثنا هذا مصنفاته التي تتعلق بالعقيدة، وقد كان له في هذا الجانب قصب السبق بمصنفاته الكثيرة والتي نذكر منها: "كتاب في أصول الدين" ذكره فؤاد سزكين في كتابه "تاريخ التراث العربي"[٢]، "رسالة في السنة"، "كتابان في الإمامة" وقد كُتب هذان الكتابان بماء الذهب وأهديا إلى الخليفة ببغداد، وما ألف في هذا الباب أحسن منهما ـ كما قال عيسى بن مسكين ـ، ومما يدل على أهميتهما ما جاء في ترجمة أبي العرب، وكان ممن عقد الخروج على بني عبيد في ثورة أبي يزيد أنه لما حاصر الشيعةُ المهديةَ[٣]، سمع الناس من أبي العرب هناك هذين الكتابين، وقال أبو العرب عند ذلك: «كتبت بيدي ثلاثة آلاف وخمسمئة كتاب، لَقِرَاءةُ هذين الكتابين هنا أفضل عندي من جميع ما كتبت»[٤].

وله كتاب "الإيمان والرد على أهل الشرك"، وكتاب "الحجة على القدرية"،

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٨).

(٢) انظر (١/ ٣/ ١٥٧)، وأشار إلى أنه توجد منه نسخة خطية بأوقاف الرباط تحت رقم (١٠٧٦) ضمن مجموع.

(٣) المهدية: مدينة بناها عبيد الله المهدي الشيعي سنة ٣٠٠ هـ على ساحل البحر المتوسط.
انظر عنها وصف إفريقيا (٢/ ٨٥ ـ ٨٧)، وانظر الحلل السندسية في الأخبار التونسية (١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٥)، الروض المعطار في خبر الأقطار (٥٦١ ـ ٥٦٢).

(٤) انظر معالم الإيمان (٣/ ٤٥)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٥).

وكتاب "الرد على البكرية"، و"كتاب الرد على أهل البدع"، و"رسالة فيمن سب النبي ﷺ"، إلا أن هذه المؤلفات للأسف الشديد لم يصلنا منها شيء إلا ما ذكره فؤاد سزكين عن كتاب "أصول الدين"، وله كتاب آخر لكن لا علاقة له ببحثنا هو كتاب "آداب المتعلمين".

ولئن كانت هذه المصنفات قد ضاعت مع ما ضاع من تراث هذه الأمة، فإن أفكاره وآراءه لا زالت شاهدة على عظمته وتقدمه في العلم، وهذه الأفكار نقلت إلينا عن طريق كتب التراجم وكتب العقائد التي سنذكر بعضها أثناء بسطنا لآراء علماء المغرب العقدية في موضعه من هذا البحث.

**٢ الرجل الثاني: أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢هـ)**: وأما الرجل الثاني الذي برز في هذا العهد كحامل للواء السنة فهو الإمام أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢هـ)[١]، الذي كان له في كل ميدان أثر، وسيأتي ذكره كثيراً في هذا الكتاب، فهو يعتبر أشهر رجال هذه المرحلة، فهو الذي رفع لواء السنة ودك حصون البدعة بمواقفه المشهودة التي تنم عن عقلية جبارة وذكاء حاد، وكانت له مقامات عظيمة ومواقف محمودة في الدفاع عن الإسلام والذب عن السنة[٢]، وأعظم هذه المواقف ما كان في مقاومة الشيعة، وهي التي ردت إليه اعتباره بعدما كان خامل الذكر مهجوراً من قبل المالكية، لأنه لم يكن على مذهب إمامهم، ولم يكن يقلد أحداً مع ميل شديد لمذهب مالك.

وبالرغم من أنه لم تكن له رحلة إلى المشرق ـ كما هو حال علماء ذلك الزمان ـ إلا أنه فاق معاصريه، وحتى الذين رحلوا منهم في النواحي العلمية، فقد كان واسع المعرفة متضلعاً في علوم شتى، كان لغوياً ونحوياً ومفسراً ومجتهداً وأصولياً، ومؤلفاته الغزيرة والمتنوعة دليل على ذلك.

والذي يهمنا في بحثنا هذا مصنفاته في الجوانب العقدية، وهي كثيرة منها كتاب

---

(١) هو: أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المشهور بابن الحداد، ولد سنة ٢١٩هـ وعاش في القيروان، وكان واسع المعرفة في شتى العلوم توفي سنة ٣٠٢ هـ.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٢/ ٢٩٥ ـ ٣١٥) رقم: ١٥٨، رياض النفوس (٢/ ٧٥ ـ ١١٥) رقم: ١٧٦، تاريخ فؤاد سزكين (١/ ٤/ ٣٢ ـ ٣٣)، طبقات الخشني (ص ١٩٩ وما بعدها).

(٢) الخشني (ص ١٩٩).

"الاستواء"[١]، وكتاب "توضيح مشكل القرآن"[٢]، وكتاب "عصمة الأنبياء"، وكتاب "المقالات" وفيه رد على جميع المذاهب، وله مجالس كثيرة متناثرة هنا وهناك في كتب التراجم[٣].

### ٣ ـ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني:

ويعتبر الإمام أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) رأس رجال هذه المرحلة، كان يلقب بـ «مالك الصغير» لما كان له من أثر عظيم، ودور فعال في نشر مذهب مالك على نطاق واسع بالمغرب بمصنفاته الكثيرة والنافعة، والتي لقيت شهرة منقطعة النظير في حياته وبعد موته حيث أقبل عليها طلبة العلم دراسة وشرحاً وتدريساً.

وإلى جانب بروزه في الفقه على مذهب مالك كان في الناحية العقدية أيضاً من أبرز رجال هذه المرحلة ـ إن لم يكن أبرزهم ـ ، وكانت طريقته في العقائد هي طريقة السلف «لا يدري ما الكلام ولا يتأول» كما يقول الإمام الذهبي[٤]، وبسبب عقيدته السلفية رمي بالتشبيه كما يقول الإمام المقري في أزهار الرياض[٥]، وكان ممن رماه أبو بكر ابن العربي في كتابه "العواصم من القواصم" حيث يقول: «ثم جاءت طائفة ركبت عليه، فقالت: إنه فوق العرش بذاته، وعليها شيخ المغرب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني فقالها للمعلمين فسدكت بقلوب الأطفال والكبار»[٦]، وزعموا أنه وقع في

(١) نشر قطعة منه الدكتور عبد المجيد بن حمده في كتابه المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية (ص ٣٠٩ ـ ٣١٩).

(٢) ذكر صاحب "تراجم المؤلفين التونسيين" أن منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس.

(٣) انظر فؤاد سزكين حيث ذكر مصدر وجود هذه المجالس، وعند الحديث عن مقاومة التشيع أذكر جزءاً منها.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٣).

(٥) (٣/ ٨٥).

(٦) انظر آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، وقال الفاكهاني في شرحه على الرسالة (ل ٨٥ أ): «اعلم أنه قد أخذ على المصنف في هذه العبارة وهي قوله "بذاته"، أما ابن خلدون فقد خرجها تخريجاً آخر» انظر المقدمة (٢/ ١٠٤٤)، وأما الشيخ زاهد الكوثري فقد قال عنها: «إن هذه العبارة مدسوسة عليها»، أي على الرسالة انظر التعليق رقم (١) من ص ١٢٣ من كتاب "تبيين كذب المفتري" وهي عبارة سبق إليها، انظر شرح الفاكهاني للرسالة (٨٥ أ)، أما الدكتور أبو الأجفان الذي حقق الرسالة، فقد حاول جاهداً أن يغير العبارة حتى تتناسب مع مذهبه. =

التشبيه، لأنه لم يكن يحسن الكلام الذي يعرف به ما يجوز على الله وما لا يجوز[(١)]، وقد انبرى الإمام ابن تيمية لرد هذه التهمة عنه فقال: «ولم يرد على ابن أبي زيد في قوله: إن الله مُسْتو على عرشه بذاته. إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة، فزعم أن ما قاله ابن أبي زيد وأمثاله مخالف للعقل»، وقال: «إنهم لم يردوا عليه قوله، لكونه مخالفاً للكتاب والسنة ولكن لكونه مخالفاً للعقل»[(٢)].

وكلام هؤلاء ترده كتبه القيمة في مجال العقيدة وهي كثيرة، وترده شهادة كبار علماء الكلام: فهذا الإمام أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) رأس الأشعرية في عصره، يشهد لابن أبي زيد القيرواني بالتبحر في علم أصول الدين في كتابه المصنف في "كرامات الأولياء"[(٣)] حيث يقول: «لأن فضل علمه وما نعرفه من دينه وحسن بصيرته واضطلاعه بعلم أصول الدين والانبساط في التوسع في معرفة فروعه...»[(٤)]، ونقل هذه الشهادة أبو علي السكوني (ت ٧١٧هـ)[(٥)] في كتابه "لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام" وزاد عليها.

ولما بلغ العلامة يوسف بن عمر بن عبد البر تعقب بعض الشيوخ لكلام المصنف بأنه أثبت لله مكاناً، رد هذا التعقيب بورود الفوقية في القرآن الكريم[(٦)]، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، وقال: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، ويصفه ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ) بأنه كان «ذاباً عن مذهبه قائماً بالحجة بصيراً بالرد على أهل الأهواء»[(٧)].

---

= انظر الرسالة الفقهية بتحقيقه (ص ٧٦) طبعة دار الغرب، وهو تغيير سبقه إليه غيره، انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (المجلد الأول ص٢١٨ ـ ٢١٩).

(١) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (المجلد الأول ص ٢١٤).

(٢) الفتاوى (٥/ ١٨٢)، وانظر أيضاً مجموعة الرسائل والمسائل (المجلد الأول ص ٢١٤).

(٣) نشر هذا الكتاب الأب رتشارد مكارثي تحت عنوان "كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات" طبعة المكتبة الشرقية، ساحة النجمة بيروت (عام ١٩٥٨)، وانظر نقد هذه الطبعة للدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة معهد المخطوطات العربية (٤/ ٣٥١).

(٤) انظر (ص ٥).

(٥) الكتاب نشر في مجلة حوليات الجامعة التونسية عدد ١٢ سنة ١٩٧٥م بتحقيق سعد غراب، وانظر الشهادة ص ٢١٠ الفقرة ١١٢.

(٦) الفواكه الدواني (١/ ٤٦).

(٧) الديباج (١/ ٤٢٧).

ومصنفاته في مجال العقيدة أيضاً شاهدة على تبحره في علم أصول الدين، وهي كثيرة ذكرها له المترجمون وقد طبع بعضها مثل "الرسالة في الفقه المالكي" والتي قدم لها بمقدمة في العقائد وهذه الرسالة هي أشهر كتبه[١]، وكتاب "الجامع في السنن والآداب والمغازي والسير"[٢]، وقد قدم له أيضاً بمقدمة في عقيدة أهل السنة، وله "رسالة في التوحيد"[٣]، وله "كتاب في النهي عن الجدال"، ورسالة في "الرد على القدرية"، ورسالة في "الرد على ابن مسرة المارق(ت ٣١٩هـ)"[٤]، قال فيها أبو علي السكوني: «قد صنف الفقيه أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله كتاباً في الرد على ابن مسرة منطوياً عل التقاسيم الأصولية والقوانين الحقيقية البرهانية تدل على تبحره في علم أصول الدين، وبهذا شهد له القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه المصنف في كرامات الأولياء»[٥]، وقد سبقت الإشارة لقول الباقلاني هذا.

وله كتاب في "مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي" وهو كتاب كما يظهر من عنوانه فيه رد على المعتزلة، وسيأتي الحديث عنه في موضعه إن شاء الله، وقد قرظ هذا الكتاب ابن عساكر في كتابه "تبيين كذب المفتري"[٦]بقوله: «من وقف عليها علم أنه كان نهاية في علم أصول الدين رحمه الله»، وله رسالتان في "الرد على الصوفية" التي استفحل أمرها في ذلك الزمان، وسيأتي الحديث عن هاتين الرسالتين، والسبب في تأليفهما في فصل التصوف.

---

(١) حول هذه الرسالة وطبعاتها وشروحها ونسخها المخطوطة ينظر: فؤاد سزكين تاريخ التراث العربي (١/ ٣/ ١٦٧ ـ ١٧٢)، وانظر أيضاً مقدمة الدكتور محمد أبي الأجفان، والهادي حمو من الطبعة التي قاما بتحقيقها والتعليق عليها (ص ٣٨ ـ ٤٨) طبعة دار الغرب الإسلامي (الطبعة الأولى ١٤٠٦/ ١٩٨٦).

(٢) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد أبي الأجفان، وعثمان بطيخ (مؤسسة الرسالة ٢/ ١٤٠٣/ ١٩٨٣).

(٣) ذكرها صاحب شجرة النور الزكية (ص ٩٠٦).

(٤) تأتي ترجمته والحديث عنه في فصل مقاومة التصوف، والرسالة ينظر عنها لحن العوام للسكوني وذكر فؤاد سزكين (١/ ٣/ ١٧٣) أنه وصل إلينا منه قطعة ضمن كتاب طبقات أبي العرب (ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥)، وعند رجوعي للطبعة الجديدة من هذا الكتاب لم أعثر على هذه القطعة، فلعلها في الطبعة القديمة وهي مفقودة تقريباً، وذكر أيضاً أنها وردت في "البيان المغرب" لابن عذارى المراكشي (١/ ٢٨٠)، وعند رجوعي أيضاً لهذا الكتاب لم أجدها.

(٥) انظر مجلة حوليات الجامعة التونسية عدد ١٢ سنة ١٩٧٥ ص ٢١.

(٦) (ص ١٢٢).

بهذه الشهادات وبهذه المصنفات يظهر لنا جلياً تهافت قول من قال بأن الإمام ابن أبي زيد القيرواني لم يكن يحسن علم أصول الدين.

### ٤ ـ الإمام ابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)[١]:

فقد كان هو الآخر إماماً من أئمة السلف، يشهد له بذلك كتابه القيم "أصول السنة"[٢] الذي ينقل عنه بكثرة الإمام ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوى[٣]، وابن القيم في كتابه "الجيوش الإسلامية"[٤] وغيرهما.

ومن كلامه الدال على تسننه رحمه الله قوله في الصفات: «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لم تره العيون فتحده كيف هو؟ ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان»[٥].

وتصفه المصادر التي ترجمت له بأنه كان من المحدثين والفقهاء، ومن أجلّ أهل وقته حفظاً للرأي ومعرفة بالحديث إلى زهد وورع واقتفاء لآثار السلف[٦].

وكان إلى جانب علمه بأصول الدين عالماً بالفقه والحديث، يصفه ابن تيمية بقوله: «الإمام المشهور من أئمة المالكية»[٧]، وتشهد له كتبه الكثيرة المتنوعة بغزارة علمه وتنوعه، فقد صنف في العقائد والزهد والفقه والحديث، وقال الشعر وألف في الأدب[٨].

---

(١) هو: الإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد ابن أبي زمنين المري الأندلسي الألبيري شيخ قرطبة، كان صاحب جد وإخلاص ومجانبة للأمراء، تفقه بأبي إسحاق الطليطلي وغيره، وروى عنه أبو عمرو الداني وجماعة توفي سنة ٣٩٩هـ وكانت ولادته سنة ٣٢٠هـ. مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٢ ـ ٦٧٤)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨ ـ ١٩٠) رقم: ١٠٩، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٦١ ـ ١٦٢) رقم: ٥١٠، طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٣٤) وغيرها.

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة بقسم المخطوطات بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ.

(٣) انظر الفتاوى الجزء الخامس من ص ٥٤ إلى ٥٨).

(٤) (ص ٩٦ ـ ٩٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٨)، وسيأتي النقل عنه عند عرض أقوال علماء المغرب في العقائد.

(٦) انظر ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٢)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٦١)

(٧) الفتاوى (٥/ ٥٨).

(٨) انظر عن مؤلفاته ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٣).

### ٥ ـ أبو عمرو الطلمنكي:

ومن أبرز رجال هذه المرحلة أيضاً الإمام أبو عمرو الطلمنكي(ت ٤٢٩هـ) الذي كان شديداً في التمسك بالسنة[١]، عارفاً بأصول الديانة على هدًى واستقامة، وكان في العقائد على منهج السلف ﷺ شديداً على أهل الأهواء والبدع، قال عنه ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ): «كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة»[٢]، ولشدته في السنة وإنكاره للمنكر امتحن وقامت عليه طائفة من خصومه وشهدوا عليه بما هو بريء منه فقالوا: إنه حروري[٣] يرى وضع السيف في صالحي المسلمين، وكانوا خمسة عشر شاهداً من الفقهاء والنبهاء، لكن الله تعالى نصره عليهم إذ قيض له قاضي سرقطة محمد بن قرنون[٤]فأظهره عليهم في عام ٤٢٥هـ[٥].

وقد صنف مصنفات كثيرة في السنة «يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر»[٦]:

من هذه المصنفات التي صنفها في المجال العقدي كتاب "الوصول إلى معرفة الأصول" ذكره له غير واحد من العلماء، ونقلوا عنه أمثال ابن تيمية في "الفتاوى"[٧] وفي "مجموعة الرسائل والمسائل"[٨]، وفي "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية"[٩]،وابن القيم (ت ٧٥٢هـ)في كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية"[١٠]، وذكره الإمام الذهبي في كتابه "العلو" وفي كتاب "سير أعلام

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٧٥٠)، معرفة القراء (١/ ٣١٠).

(٢) الصلة (١/ ٤٥).

(٣) حروري: نسبة إلى الحرورية، وهو لقب للخوارج تنسب إلى حروراء (موضع بقرب الكوفة) لأنه كان به أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً، وكان عندهم تشدد في الدين حتى مرقوا منه، وهو كناية عن التشدد في الدين.

(٤) لم أجد له ترجمة فيما وقع تحت يدي من المصادر.

(٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٧).

(٧) (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(٨) (المجلد الأول ص ٢١٩).

(٩) (٢/ ٣٩).

(١٠)(ص ٧٦).

النبلاء"[١]، وقال فيه: «رأيت له كتاباً في السنة في مجلدين عامته جيد، وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه أبداً، مثل باب الجَنْب لله وذكر فيه ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦] فهذه زلة عالم».

**قلت**: أنكر الإمام الذهبي هذا الكلام، لأنه لم يرد إثبات هذه الصفة لله ومجرد إضافة هذه الصفة لا يقتضي كون المضاف إلى الله صفة له سبحانه كما هو الشأن في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية: «فليس مجرد الإضافة يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق كقوله تعالى: ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، و﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، بل كذلك "روح الله" عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم، ولكنه إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس صفة لغيره مثل كلام الله وعلم الله ويد الله كان صفة له»[٢].

والجنب في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] معناه: القرب، أي: على ما فرطت في قرب الله وجواره[٣]، وقال ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ): «فإن المراد به في استعمال العرب الشائع حق الله»[٤].

وهذا الكتاب كما يقول صاحب "الذيل والتكملة"[٥] قرظه عمر بن أبي عمرو بن لب البكري (ت ٤٢٠هـ)[٦] ببعض الأبيات، لكنه لم ينقلها وعليه فلم نستفد شيئاً.

---

(١) (١٧/ ٥٦٩).

(٢) الجواب الصحيح على من بدل دين المسيح (٣/ ١٤٥)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٣) انظر لسان العرب (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، وأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٥٧١٤ ـ ٥٧١٥)، ومختصر الصواعق المرسلة (١/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٤) انظر الفتح ١٣/ ٣٨٣).

(٥) انظر (٥/ ٢/ ٤٥٧).

(٦) هو: أبو جعفر عمر بن أبي عمرو لب بن أحمد البكري البطليوسي، روى بالأندلس عن أبي عبد الله بن أبي زمنين، وأبي عمر بن الجسور وغيرهما، ورحل فحج ومكث مدة هناك، وسمع بمصر من أبي العباس منير بن أحمد بن منير، وكان أديباً وشاعراً محسناً له مقتطفات في الشعر وقصائد مدح =

أعود مرة أخرى لذكر مصنفات أبي عمرو الطلمنكي في العقيدة، فمنها أيضاً كتاب في "الرد على الباطنية"، وكتاب في "الرد على ابن مسرة"[١].

### ٦ ـ أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)[٢]:

والرجل الآخر الذي كان له باع في السنة وقدم راسخة في الدفاع عن مذهب السلف وعقيدتهم ضد الانحرافات التي حدثت في العقيدة، هو الإمام أبو عمرو الداني، وهو وإن كان اشتهر في مجال القراءات ونال قصب السبق فيها بمؤلفاته الكثيرة والقيمة، إلا أنه كانت له مساهمة أيضاً في مجال العقيدة، وإن لم يكن له فيها تأليف غير الأرجوزة التي ذكرها له غير واحد من العلماء[٣] ونقلوا منها، وهي أرجوزة شملت أبواب العقيدة كلها على طريقة أهل السنة، وانتقد فيها أئمة الضلالة والبدعة من المعتزلة والشيعة وغيرهم[٤]، وقد عثرت على مخطوطة منسوبة له جيدة أثناء البحث في قسم المخطوطات بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى تحت عنوان "الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات".

وكان بينه وبين ابن حزم منافرة لاختلاف منهاجيهما في مسائل العقيدة، يوضح لنا الإمام الذهبي ذلك بقوله: «وقد كان بين أبي عمرو الداني وبين أبي محمد بن حزم وحشة ومنافرة شديدة أفضت بهما إلى التهاجي، وهذا مذموم من الأقران موفور الوجود، نسأل

---

= ببعضها أبا عمرو الطلمنكي على كتابه "الوصول إلى معرفة الأصول"، توفي قريباً من ٤٢٠هـ.
مصادر ترجمته: الذيل والتكملة للمراكشي (٢/ ٤٥٧).

(١) يأتي الحديث عنهما في فصل التصوف.

(٢) هو: الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر القرطبي الشهير في زمانه بابن الصيرفي الإمام العلامة المكثر، صنف في الحديث والفقه والعقائد، وله معرفة في اللغة، توفي رحمه الله سنة ٤٤٤هـ بقرطبة وكانت ولادته بها.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧) رقم: ٨٧٦، جذوة المقتبس (ص ٣٠٥) رقم: ٧٠٢، غاية النهاية (١/ ٥٠٣ ـ ٥٠٥) رقم: ٢٠٩١، نفح الطيب (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦) رقم: ٧٦، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٧٧ ـ ٨٣) رقم: ٣٦.

(٣) انظر الذهبي في السير (١٨/ ٨٣)

(٤) يأتي نقل ذلك في موضعه من هذا البحث، وقد ذكر صاحب "معجم القاضي الإمام أبي علي الصدفي" (ص ١٠١) رسالة باسم: الرسالة الداعية ونسبها إلى أبي عمرو الداني، فلعلها هي.

الله الصفح»، قال: «وأبو عمرو أقوم قيلاً وأتبع للسنن، ولكن أبا محمد أوسع دائرة في العلوم»[١].

**٧ ـ ابن عبد البر:**

ويعد الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) أحد مفاخر المغرب الإسلامي، وقمة شامخة من قممه، بتقدمه في العلوم الإسلامية المختلفة، فقد كان إماماً في الحديث وعلومه والعقائد والفقه والتاريخ والأدب، ومصنفاته في هذه الفنون والمعارف شاهدة على ذلك، وقد أصبحت مصنفاته تلك منارات لطلبة العلم، يصفه صاحب "المغرب في حلى المغرب" بقوله: «إمام الأندلس وحافظها الذي حاز فضل السبق واستولى على غاية الأمد»[٢].

ويصفه الإمام القاضي عياض في "ترتيب المدارك"[٣] بقوله: «وفاق من تقدمه من رجال الأندلس وعظم شأنه بها وعلا ذكره في الأقطار ورحل إليه الناس وسمعوا منه»، بل إن الذهبي يجعله أعلم مَن بالأندلس بالسنة والآثار واختلاف علماء الأمصار[٤]، ويذكر الحميدي المعارف التي كان فيها إماماً متقدماً فيقول: «فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات، وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال»[٥].

وطبقت شهرته الآفاق حتى لقب بحافظ المغرب في زمانه[٦]، وذلك بالرغم من أنه لم يغادر الأندلس، ولم يرحل إلى المشرق مثل ما كان يفعل طلبة العلم في ذلك الزمان، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن ينال القسط الوافر من العلوم المختلفة وينال فيها قصب السبق.

وقد نال هذه الشهرة وهذه المنزلة في الأوساط العلمية بفضل الله أولاً، ثم بفضل مصنفاته العظيمة التي كان فيها نسيج وحده، فكتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" يعد فريداً في بابه لم يؤلف مثله، وقد قرظه كثير من علماء عصره مثل ابن حزم الأندلسي الذي قال فيه: «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٨).
(٢) انظر المغرب (٢/ ٤٠٧).
(٣) (٢/ ٨٠٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٠).
(٥) جذوة المقتبس (ص ٣٤٤).
(٦) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٦).

فكيف بأحسن منه»[١]، وقال فيه أبو علي الغساني (ت ٤٩٨هـ)[٢]:

«وهو كتاب لم يتقدم أحد إلى مثله»[٣].

وله كتاب "الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالك في موطئه من الرأي والآثار"، وله كتاب "جامع بيان العلم وفضله" وهو كتاب مهم في بابه تناول فيه أبواباً من العلم، وما يجب أن يتحلى به العالم من الأخلاق والفضائل، وغيرها من المصنفات التي يظهر من تنوعها تنوع معارف هذا الإمام العظيم.

والذي يهمنا نحن في بحثنا هذا من فكر هذا الإمام وجهوده الجانب العقدي، وقد كان له فيه جهد مشكور، وكان على منهج أهل السنة وسلف الأمة، يقول عنه الذهبي رحمه الله: «وكان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله»[٤]، وقال عنه أيضاً: «كان إماماً ديناً ثقةً متقناً علامةً متبحراً صاحب سنة واتباع»[٥].

ويصفه الإمام ابن القيم بأنه كان «إمام السنة في زمانه»[٦]، ويعده الإمام ابن تيمية واحداً من أئمة السلفية فيقول: «... وطائفة أخرى من السلفية... ـ ويذكر منهم الإمام ابن عبد البر»[٧].

ويظهر اتجاهه هذا جلياً من خلال مؤلفاته التي تناول فيها مسائل العقيدة مثل:

---

(١) انظر: رسائل ابن حزم (٢/ ١٧٩) ضمن (رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها).

(٢) هو: أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني: من جهابذة الحديث وكبار العلماء المسندين بقرطبة، كان موصوفاً بالجلالة والحفظ والنباهة والتواضع، له: "كتاب في رجال الصحيحين"، "تقييد المهمل وتمييز المشكل"، توفي سنة ٤٩٨هـ، وكانت ولادته سنة ٤٢٧هـ.
مصادر ترجمته: الصلة (١/ ١٤٢ ـ ١٤٤) رقم: ٣٢٩، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٤٨ ـ ١٥٢) رقم: ٧٧، بغية الملتمس (٢٤٩) رقم: ٦٤٣، وفيات الأعيان (٢/ ١٨٠) رقم: ١٩٥، الديباج المذهب (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) رقم: ٣.

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

(٤) السير (١٨/ ١٦١).

(٥) السير (١٨/ ١٥٧).

(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٦).

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٨).

كتابه "التمهيد في شرح الموطأ" الذي تناول فيه مسائل العقيدة بتوسع، عند شرحه لحديث النزول وغيره من الأحاديث، وكذلك في كتابه "الاستذكار" و"الجامع"، ولم يكن تدعُ أي فرصة تمر دون إبداء رأيه في مسائل العقيدة ومناقشة رأي المخالفين لأهل السنة.

والملاحظ أنه لم تكن له مصنفات خالصة في العقائد إذا استثنينا كتابه "الشواهد في إثبات الخبر الواحد" وهو كما يظهر من عنوانه يتناول موضوعاً يمس قضايا العقيدة وهو حجية الخبر الواحد في القضايا العقدية والخلاف القائم بين أهل السنة المثبتين لحجيته والمتكلمين النافين لذلك، وله "منظومة في السنة" فلعلها تتناول جانب اتباع السنة وما يتعلق به.

وبسبب اتجاهه السني هذا غمزه بعض العلماء ورموه بالتشبيه، كما يقول المقري في "أزهار الرياض"[1]، وقال فيه الإمام ابن الجوزي كلاماً فيه غمز ولمز وتجريح، وهو قوله: «ولقد عجبت لرجل أندلسي يقال له: ابن عبد البر صنف كتاب التمهيد فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا فقال: "هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لولا ذلك لما كان لقوله معنى"، وهو كلامُ جاهلٍ بمعرفة الله عز وجل، لأن هذا استسلف من حسه ما يعرف من نزول الأجسام فقال صفة الحق عليه، فأين هؤلاء واتباع الأثر ولقد تكلموا بأقبح مما يتكلم به المتأولون ثم عابوا عليهم»[2].

(١) سبق ذكر هذه التهمة في ترجمة ابن أبي زيد القيرواني.

(٢) انظر صيد الخاطر بتحقيق علي وناجي الطنطاوي (ص ٩٧) ط دار الفكر.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الثاني
# الضوابط التي وضعوها، والمصنفات التي ألفوها والمسائل التي تناولوها في دراستهم للعقيدة

المبحث الأول: ذكر المصنفات.

المبحث الثاني: الضوابط.

المبحث الثالث: المسائل التي تناولوها بالبحث.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


المصنفات التي صنفت في هذه المرحلة والمسائل التي تناولتها، وأثرها في الدفاع عن عقيدة أهل السنة.

## المبحث الأول
## ذكر المصنفات

بعد هذا العرض لأبرز رجال هذه المرحلة ولمؤلفاتهم في المسائل العقدية أنتقل إلى القضايا والمسائل التي تناولوها بالدرس والتوضيح في هذه المصنفات، ولكن قبل ذلك أود أن أشير إلى ملاحظة مهمة على هذه المصنفات، وهي أنها لم تكن على شاكلة واحدة ولا على نمط واحد، بل كانت متنوعة على الرغم من أنها تصب كلها في إطار واحد: فهناك مصنفات مثلاً تناولت مسائل العقيدة جملة وهي ما يمكننا أن نطلق عليها كتباً تعليمية، لأنها وضعت قصد تعليمها للمسلمين ويظهر ذلك من مقدمات بعضها، من ذلك مثلاً ما قاله الإمام ابن أبي زيد في مقدمة رسالته مخاطباً من سأله كتابة هذه الرسالة: «فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة، مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب، وتعمله الجوارح لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم القرآن»(١).

ومثله قول الشيخ أبي عمرو الداني في مقدمة رسالته: «أحسن الله إرشادكم، فإنكم سألتموني أن أقتضب لكم جملة كافية وأصولاً جامعة في الاعتقادات وأصول الديانات، التي يلزم اعتقادها جميع المسلمين، ولا يسع جهلها كل المكلفين من العلماء المقلدين...فأجبتكم عن سؤالكم بما فيه البلوغ إلى مرادكم ما هو لازم لكم ومفترض عليكم...» إلى آخر كلامه(٢).

ومثل هذا كتاب "الجامع" لابن أبي زيد، وكتاب "أصول السنة" لابن أبي زمنين، وكتاب أبي عمرو الطلمنكي "الوصول إلى معرفة الأصول"، و"شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني" لأبي بكر محمد بن موهب المقبري التميمي وغيرهما، فمثل هذه الكتب وضعت للتعليم خاصة، فكان لابد أن تتناول جميع مسائل العقيدة، التي يجب على

---

(١) الرسالة الفقهية (ص ٧٣)، ويقول الإمام ابن تيمية: «وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين، لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد».
مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٢١٤).

(٢) الرسالة الوافية (ل ١ ـ ٢).

المكلف معرفتها، ولا يجوز الجهل بها وفق منهج أهل السنة، ومع ذلك فهي تخدم الجانب الآخر وهو الرد على المخالفين لهذه العقيدة، لأن في إقرار هذه العقائد ردّاً لتلك البدع وتفنيداً لها، وقد صنفت هذه الكتب في ظروف صعبة وقاسية، هي ظروف ظهور الفرق المنحرفة، ومحاولة هذه الفرق أن تفرض آراءها وعقائدها على حساب عقائد أهل السنة والجماعة.

ومن العلماء من لم تكن له كتب خالصة في مسائل العقيدة، ولكنه تناول جميع مسائلها من خلال تفسيره للقرآن، أو شرحه لحديث رسول الله ﷺ كما فعل الإمام ابن عبد البر الذي لم تكن له كتب في العقيدة ـ كما رأينا ـ ولكنه تناول مسائلها كلها من خلال كتابه التمهيد والاستذكار والجامع كما يأتي النقل عنه.

وهناك نوع ثالث من المصنفات في مسائل العقيدة وهي التي تتناول قضايا جزئية منها، فتبحثها بحثاً موسعاً مع جمع الأدلة لها، ومن هذه الكتب: كتاب "رؤية الله تعالى" لابن وضاح، وكتاب "النظر إلى الله تبارك وتعالى يوم القيامة" ليحيى بن عمر الأندلسي، وكتاب "الصراط"، وكتاب "الإيماء إلى مسألة الاستواء" لأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي.

وهناك كتب الردود، وهذه وضعت لظروف طارئة أوجبت على أهل العلم أن يردوا عليها، وينبهوا الناس إلى غوائلها، حتى لا يستشري خطرها ويعتنقها العامة، من هذه الكتب: كتب "الرد على ابن مسرة" لابن أبي زيد القيرواني وأبي عمرو الطلمنكي، وكتب "الرد على الصوفية"، وكتب "الرد على القدرية" لابن أبي زيد القيرواني، و"الإيضاح في الرد على القدرية" لأحمد بن نصر الأسدي (ت ٤٠٢هـ)(١) وغيرها مما يأتي الحديث عنه بتوسع.

والذي يلاحظ على كتب الردود هذه أنها تنقسم إلى عدة أقسام: فمنها ما هو في الرد على أشخاص كان لهم دور بارز في نشر البدعة، ومنها ما هو في الرد على أفكار منحرفة، كل هذا سيأتي الحديث عنه في الفصول والمباحث التي عقدتها لهذا الغرض.

---

(١) هو: أبو جعفر أحمد بن نصر الأسدي من أئمة المالكية بالمغرب، وكان بطرابلس ثم انتقل إلى تلمسان، وبها توفي سنة ٤٠٢هـ، كان فقيهاً متقناً فاضلاً له عدة مؤلفات: منها "النامي في شرح الموطأ"، و"الواعي في الفقه" وغيرهما، وكان درسه وحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل بإدراكه وجهوده الذاتية.
مصادر ترجمته: الديباج المذهب (١/ ١٦٥ ـ ١٦٦) رقم: ٣١، شجرة النور الزكية (١/ ١١٠ ـ ١١١) رقم: ٢٩٣.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الثاني
## الضوابط التي وضعت لدراسة مسائل العقيدة

قبل الشروع في ذكر مسائل العقيدة التي تناولها علماء المغرب بالدراسة نذكر الضوابط التي وضعوها لدراسة هذه المسائل على ضوئها، وهي ضوابط ليس من ابتكارهم ولا من اختراعهم، ولكن تابعوا فيها سلف الأمة الذين اهتدوا إليها من خلال القرآن والسنة.

### ١ ــ الرجوع إلى الكتاب والسنة:

أول ما يلاحظ على كتابات علماء السنة المغاربة الذين أتيت على ذكرهم، هو التأكيد على وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهما المصدران اللذان لا يحل للمسلم أن يتجاوزهما إلى غيرهما، فمنهما يستمد عقيدته التي يدين بها، وشريعته التي يسير عليها في حياته.

والكتاب والسنة إنما جاءا لبيان المنهج، الذي يجب على المسلم أن يتبعه حتى تحصل له السعادة في الدنيا والآخرة، وهما اللذان يعصمان من الزيغ والانحراف حتى لا يضل المسلم فيهلك، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي**»[(١)].

فإذا انحرف عنهما المسلم ضل وهوى كما هو حال أهل الفرق وغيرهم، فكانت عاقبتهم أن ضلوا وهووا في مكان سحيق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

والقرآن والسنة فصلا مسائل العقيدة تفصيلاً بيناً بما لا يدع مجالاً للشك أو الريبة عند أحد، ولذلك فلا نستغرب إذا وجدنا السلف الصالح ﷺ أعرضوا عن الخوض في مسائل العقيدة ولم يختلفوا حولها كما بينت من قبل، لأنها كانت واضحة عندهم، في مقابل ذلك وجدنا اختلافهم في الفروع كبيراً، يقول الإمام ابن عبد البر في هذا المعنى: «وتناظر القوم وتجادلوا في الفقه ونهوا عن الجدال في الاعتقاد، لأنه

(١) أخرجه مالك في موطئه في كتاب القدر (باب النهي عن القول بالقدر) رقم: ٣ الموطأ (٢/ ٨٩٩).

يؤول إلى الانسلاخ من الدين»[١].

لقد أكد علماء السنة المغاربة كإخوانهم بالمشرق على هذا الأمر أيما تأكيد، يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني: «ليس لأحد أن يحدث قولاً أو تأويلاً لم يسبق به السلف»[٢]، وافتتح كتابه الجامع بالأحاديث التي تحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ: مثل قوله ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيكم»** وقوله عليه السلام: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليهما بالنواجذ»**.

ويقول الإمام أبو عمرو الداني في أرجوزته المشهورة[٣]:

تدري أخي أين طريق الجنة ... طريقها الكتاب ثم السنة

ويقول الإمام ابن عبد البر: «الهدى كل الهدى في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فهي المبينة لمراد كتاب الله»[٤].

**٢ ـ الحديث عن الله وصفاته يجب أن يكون نابعاً من الكتاب والسنة:**

فإذا علمنا هذا الأمر واستقر في أذهاننا، فإنه يجب أن يكون حديثنا عن الله وصفاته، وما يجب له، وما يستحيل عليه إلى غير ذلك مما يتعلق بمسائل العقيدة يجب أن يكون ذلك كله مأخوذاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ اقتداءً بالسلف الصالح ﷺ الذين كانوا يرجعون في كل شأن من شؤونهم إليهما، وهذا الأمر هو الذي تميز به علماء السنة عن المتكلمين، فالمتكلمون يرفعون شعار السنة، وأنهم يلتزمون بالكتاب والسنة، نعم لكنهم عندما يصلون إلى الحديث عن صفات الله تعالى يدخلون في متاهات عقلية وكلامية لا نهاية لها، وكذلك أهل الفرق المنحرفة كالخوارج والشيعة وغيرهم.

إذاً فأهل السنة يؤكدون على وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويلتزمون به، أما غيرهم فليس كذلك، ولما كانت مسائل العقيدة من المسائل الشائكة والخطيرة، والخوض فيها محفوف بالأخطار، فإن أهل السنة التزموا فيها بما جاء في هذين المصدرين، ولم يكلفوا أنفسهم عناء الخوض فيها، لأنهم يعتبرون ذلك ضلالاً

---

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٩٨).

(٢) الجامع (١١١).

(٣) انظر الأبيات في السير (١٨/ ٨١ ـ ٨٣).

(٤) عقيدة ابن عبد البر (٥٣) نقلاً عن الاستذكار (٦/ ١٢٩).

للفكر وانحرافاً عن منهج الله، يقول الإمام ابن عبد البر القرطبي: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من الأخبار في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه»(١)، ويقول أيضاً: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، أما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبه وهم عند من أقرَّ بها نافون للمعبود، والحق في ما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة»(٢).

ويقول أيضاً: «الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها، الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية»(٣)، ويقول في موضع آخر: «فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفاته إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه، فلا نتعدى إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير، فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»(٤).

---

(١) الجامع (ص ٩٦).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦).

(٣) التمهيد (٧/ ١٤٨).

(٤) التمهيد (٧/ ١٤٥)، وبناء على هذا الأساس ردوا كل تفسير لكلام الله مخالف لما ورد عن رسول الله ﷺ كما رد ابن عبد البر تفسير مجاهد للمقام المحمود في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء: ٧١] بأنه: «يجلسه معه على عرشه»، بأن هذا التفسير مهجور عند أهل السنة، قال: «وقد روي عن مجاهد أن المقام المحمود أن يقعده، معه يوم القيامة على العرش، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية... ثم يبين بأن المراد بالمقام المحمود في الآية الكريمة هو الشفاعة حيث يقول...ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ وأقاويل الصحابة و جمهور السلف، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود: الشفاعة».

وهذا التفسير كما يقول الشيخ الألباني رحمه الله: «هو الحق في تفسير المقام المحمود دون شك ولا ريب للأحاديث، وهو الذي صححه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٩٩)، ثم القرطبي (١٠/ ٣٠٩)، وهو الذي لم يذكر الحافظ ابن كثير غيره؛ بل هو الثابت عند مجاهد نفسه من طريقين عند ابن جرير، وذلك الأثر عنه ليس له طريق معتبرة».

ويقول الإمام ابن أبي زمنين في كتابه "أصول السنة" : «واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً، والعجز عن ما لم يدع إليه إيماناً، و أنهم ينتهون في وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه»[١]، وغير ذلك من أقوالهم في هذا المعنى.

وهذا بعد التأكيد على عدم الخوض في مسائل العقيدة؛ لأنها ليس تحتها عمل وهو قول السلف ﷺ كما يقول الإمام ابن عبد البر: «ونهى السلف رحمهم الله عن الجدال في الله جل ثناؤه في صفاته و أسمائه»[٢]، ويقول: «وقد نهينا عن التفكر في الله وأمرنا بالتفكر في أسمائه»[٣].

### ٣ ـ نبذ الطرق الكلامية في دراسة المسائل العقدية[٤]:

ويعتبرون أهل الكلام الذين كانوا السبب في إثارة هذه المسائل أهل بدع و أهواء؛ لأنهم أحدثوا شيئاً لم يفعله الصحابة ولا التابعون المشهود لهم بالخيرية[٥]، ولو كان خيراً ما سبقوهم إليه، وفي ذلك يقول الإمام ابن عبد البر تعليقاً على كلام مالك رحمه الله في كراهية الخوض في مسائل العقيدة، لأنها ليس تحتها عمل: «و الذي قاله مالك رحمه الله عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهل البدع المعتزلة وسائر الفرق، وأما الجماعة فعلى ما قال مالك رحمه الله»[٦]، وقال في موضع آخر: «أجمع أهل الفقه و الآثار من جميع الأمصار أن أهل

= انظر قول مجاهد عند ابن جرير (١٥/ ١٤٥)، وانظر كلام ابن عبد البر حول هذا الموضوع في التمهيد (٧/ ١٥٧ ـ ١٥٨، ١٩/ ٥٤ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨)، وانظر كلام الشيخ الألباني في مختصر العلو (١٥/ ٢٠)، وقد أخذ فيه على الذهبي إيراده لتفسير مجاهد، وتفسير مجاهد ردوه أيضاً؛ لأن فيه تشبيهاً و تجسيماً، وهذا ما لا يوافق عليه علماء السنة..

(١) أصول السنة (ل: ١ ب).

(٢) الجامع (٢/ ٩٢).

(٣) الجامع (٢/ ٩٢).

(٤) سيأتي الحديث عن موقف علماء المغرب من الكلام بتوسع في الفصل الذي خصصته لذلك.

(٥) يقول عليه الصلاة و السلام: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...» الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشهادات (باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد) بلفظ: «خيركم قرني»، رقم الحديث: ٢٦٥١ الفتح (٥/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٦) الجامع (٢/ ٩٢).

الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار من طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه»(١).

وقد نقل ابن عبد البر كلام ابن خويز منداد(٢) في كتابه "الشهادات" وهو قوله: «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر ويؤدب على البدعة، فإن تمادى عليها استتيب منها»(٣).

من هنا يظهر لنا جلياً حرص علماء المغرب الشديد على أن يكون مصدر العقيدة، الذي لا يجوز للمسلم أن يحيد عنه، هو الكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله، أما ما خالف ذلك فهو انحراف عن المنهج وقول في دين الله بغير علم.

---

(١) الجامع (٢/ ٩٢).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز المصري المالكي، تفقه على الأبهري، وله كتاب كبير في الخلاف و كتاب في أصول الفقه وكتاب في أحكام القرآن، وكان يجانب الكلام وينافر أهله ويعاديهم ويحكم عليهم بأنهم أهل الأهواء الذين قال مالك في مناكحتهم وشهادتهم وإيمانهم ما قال، ولم أجد سنة الوفاة ولا سنة الميلاد.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٦٠٦)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٥٨).

(٣) انظر هذا الكلام في الجامع لابن عبد البر (٢/ ٩٦)، ودرء تعارض العقل و النقل (٧/ ١٥٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



## المبحث الثالث
## ذكر المسائل التي تناولوها في مصنفاتهم

بعد أن ذكرت الضوابط التي وضعها علماء السنة لدراسة العقائد، أشرع في ذكر هذه المسائل:

### ١ ــ معرفة الله تعالى و الطريق إليها:

أولى المسائل التي تناولها علماء السنة المغاربة في مؤلفاتهم التي ذكرناها، وجود الله تعالى، ومن أين الطريق إليها؟

والجواب على ذلك: أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو هذه الآيات المبثوثة في الكون والأنفس، وهي ما تسمى بدليل الخلق و دليل العناية، يقول الإمام ابن أبي زيد: «ونبهه بآثار صنعته»[(١)].

---

(١) الرسالة (ص٧٢)، قال الفاكهاني في شرح الرسالة ( ل: ٤٧ أ): «في كلام المصنف حذف لابد من تقديره وهو " ونبهه بآثار صنعته على وجوده تعالى ووحدانيته و غير ذلك من صفاته».
ومعنى دليل الخلق أن الله تعالى أرشد إلى وجوده بآيات كثيرة في كتابه الكريم، هي حجج دامغة وبراهين قاطعة في أحسن بيان في الآيات التي فيها ذكر الخلق مثل قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ وغيرها من الآيات في ذلك، فأرشد الله تعالى إلى أن هذا العالم مخلوق ليس وجوده من نفسه بدليل فقره وحاجته، فالسماوات والأرض محتاجان إلى ممسك لهما لئلا تزولا، وكل ما في السماوات والأرض من ناطق و صامت و متحرك و ساكن أعجز ما يكون أن يزيد في خلقه شيئاً أو يغير من النظام الذي قدر له شيئاً، فهو محتاج إلى طعامه ومسكنه وملبسه وإلى ما يقيه المرض ويحفظ عليه صحته، وإلى ما يداوي به إن نزل به مرض، وإلى ما يتقي به شر عدوه، ثم هو في أمس الحاجة إلى من يعينه في حاجاته وما أكثرها، ثم هو إلى جانب ذلك عاجز أن يرد عن نفسه نهايته المحتومة فيبقى حياً.
وإذا كان كل ما سواه تعالى مخلوقاً لا وجود له من نفسه، كان لابد له من خالق خلقه، فخلق هذا العالم من الأدلة على وجوده تعالى، و يسمى هذا الدليل **دليل الخلق**.
**دليل العناية**: كما أرشد سبحانه بخلقه إلى وجوده تعالى فقد أرشد أيضاً بعنايته بما خلق إلى وجوده قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾[النحل: ٨١]، وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٥ ـ ٣٢] و غير ذلك من الآيات مما يدل على أن هذه الكائنات لم يكن وجودها وليد مصادفة، فمن =

والتي حثنا القرآن وندبنا إلى الاستدلال بها على الله تعالى، وعلى عظمته وقدرته وحكمته، والآيات في توجيه النظر إلى ملكوت السماوات والأرض، وإلى الآيات المبثوثة في هذا الكون وفي الأنفس كثيرة لا تحصى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران: ١٩٠]، ويقول أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ويقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

فهذه الآيات ـ كما ترى ـ فيها الإشارة وتوجيه النظر إلى الآيات الكونية، وإلى الآيات المبثوثة في الأنفس، وهي آيات جليلة عظيمة تكفي ذوي البصائر وذوي العقول أن يستدلوا بها على ربهم، لذلك كان القرآن يعقب دائماً على هذا التوجيه بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، ﴿ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وهي واضحة في أن الذي ينتفع بهذه الآيات ليس كل واحد، وإنما أولو الأبصار والألباب والعقول النيرة.

### ٢ ـ ذكر كلامهم في الأسماء والصفات:

بعد الاستدلال عل وجود الله تعالى بآياته الكونية والنفسية يأتي الحديث عن صفاته

= أدار نظره في عجائب تلك المخلوقات و بديع صنعها، علم أن كلًّا منها خلق بقدر، فله شكله المعين وصفاته الخاصة، واستعداداته التي ينفرد بها، وأنه خلق لغاية جليلة، وهدي لما يحقق له تلك الغاية بما أودع فيه من القوة و الطبائع، فلكل مخلوق وظيفته في هذا الوجود وقد خلق خلقاً يكفل له ما خلق له في نطاق ما أريد.

والاستدلال بعناية الله بالكائن المخلوق هو ما يسمى **بدليل العناية**.

وأسمائه سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته لا مجال للعقل ولا للنظر فيها، فقد تكفل الله تعالى ببيانها بياناً شافياً كافياً بنفسه في كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى لسان رسوله ﷺ، فليس لنا نحن إلا الوقوف عند هذه النصوص والإيمان بما جاء فيها، كما وردت دون محاولة البحث في كيفيتها، وهذا هو منهج السلف رحمهم الله كما بينا في مواضع كثيرة من بحثنا هذا، يقول الإمام ابن رشد في هذا المعنى: «وأما ما وصف به نفسه تعالى في كتابه من أن له وجهاً ويدين وعينين فلا مجال للعقل في ذلك، وإنما يعلم من جهة السمع، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تكييف ولا تحديد»[١].

فهو سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وكل صفات الكمال هي صفاته سبحانه، فهو: «إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحب له ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في مائية[٢] ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه، العالم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير»[٣].

هذا الوصف من ابن أبي زيد لله تعالى لا يجاوز وصف القرآن والسنة له سبحانه، فكل هذه الصفات قد ورد الحديث عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك**»[٤]، وهذه الأسماء والصفات

---

(١) المقدمات الممهدات (١/ ٢٠).

(٢) المائية: بمعنى الماهية (أي: حقيقة الشيء)، وقد أخذوا على ابن أبي زيد في إطلاقه المائية على الله، قال أبو الوليد ابن رشد: «رد على المصنف رحمه الله في قوله مائية ذاته، والذي يصح أنه لا مائية لذاته، فيقع التفكر فيها، والمائية لا تكون إلا لذي الجنس والنوع» انظر شرح الرسالة للفاكهاني (ل: ٨٥ أ).

(٣) الرسالة لابن أبي زيد (٧٥ ـ ٧٦).

(٤) هذا جزء من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند (رقم: ٣١٧٢، ٤٣١٨) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، وقال: إسناده صحيح، ورواه الحاكم (١/ ٥٠٩ ـ ٥١٠)، وهو في موارد الظمآن رقم: ٢٣٧٢، الموارد (٥٨٩)، وفي مجمع الزوائد (١٠/ ١٣٦)، وانظر جامع الأصول (٤/ ٢٩٨)، وانظر تعليق أحمد شاكر على الحديث وتصحيحه له.

وردت في القرآن والسنة بالتفصيل في مثل قول تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [سورة الإخلاص]، وغير ذلك من الآيات التي وردت في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، وكذلك جاءت الأحاديث فذكرت شيئاً من ذلك في مثل قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً ـ مئة إلا واحد ـ من أحصاها دخل الجنة**»(١). وغيره من الأحاديث في هذا الباب.

**دليل العقل:**

ولم يكتف علماء المغرب من أهل السنة بدليل النقل على صفات الله وأسمائه، بل لجؤوا إلى العقل أيضاً للاستدلال به على بعض الصفات، مثل ما فعلوا في صفة "الوحدانية" حيث استعملوا دليلاً عقلياً وسموه دليل التمانع، يلخص لنا أبو الوليد بن رشد (ت ٥٢٠هـ) هذا الدليل فيقول: «فمن أدلة العقول على أنه واحد: أنهما لو كانا اثنين فأكثر لجاز أن يختلفا، وإذا اختلفا لم يخل ذلك من ثلاثة أقسام لا رابع لها:

**أحدها**: أن يتم مرادهما جميعاً.

**الثاني**: أن لا يتم مرادهما جميعاً.

**الثالث**: أن يتم مراد أحدهما، ولا يتم مراد الآخر.

فيستحيل منهما وجهان، وهو أن يتم مرادهما جميعاً، وأن لا يتم مراد أحد منهما،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات (باب لله مئة اسم غير واحد) رقم: ٦٤١٠ فتح الباري (١١/ ٢١٤)، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) رقم: ٢٦٧٧ صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٢ ـ ٢٠٦٣).
وأخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء (باب أسماء الله عز وجل) رقم الحديث: ٣٨٦٠، ٣٨٦١، انظر سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦٩)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم، وأراد الآخر إماتته، فتمت إرادتهما جميعاً لكان الجسم حياً وميتاً في حال واحد، وإذا لم تتم إرادة واحد منهما كان الجسم لا حياً ولا ميتاً في حال واحد، وهذا من المستحيل في العقل، فلم يبق إلا أن يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر، فالذي تتم إرادته هو الله القادر، والذي لم تتم إرادته ليس بإله؛ لأنه عاجز مغلوب، وهذا الدليل يسمونه دليل التمانع»[١]، وقد نبه الله تعالى عليه في كتابه بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وعلى الرغم من وضوح هذه الصفات إلا أن المتكلمين جعلوا منها مشكلة المشاكل؛ فذهب بعضهم إلى نفيها كلية كما فعل المعتزلة، بحجة أنه لو كانت هناك صفات قديمة زائدة على الذات لأدى ذلك إلى تعدد القدماء، وعلى هذا فالصفات عندهم هي نفسها الذات، فهو عالم بعلم هو ذاته، قادر بقدرة هي ذاته، إلى آخر كلامهم في ذلك.

وذهب آخرون إلى إثبات بعض الصفات وتأويل الأخرى، لأن تركها على ظاهرها ـ على قولهم ـ يوجب التشبيه، فلذلك يجب تأويلها إلى معنى آخر له دليل في اللغة.

وأما علماء السنة ـ كما قلنا ـ فإنهم التزموا بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فعصمهم الله من الوقوع في التخبط الذي وقع فيه غيرهم، فهم يثبتون كل ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، ولكن من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، ولا يلزم من إثبات هذه الصفات إثبات الكيفية، وأيضاً لا يلزم من رفع الكيفية رفع الصفة كما يقول الإمام ابن عبد البر، ويمثل لذلك بالروح فيقول: «وقد أدركنا بحواسنا أن لنا أرواحاً في أبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه»[٢].

وأيضاً يجب الالتزام بما ورد في هذه الصفات دون الزيادة عليها، ومن هنا رفضوا قول من قال في صفة النزول: "ينزل بذاته"، لأنه كيفية كما يقول ابن عبد البر تعليقاً

---

(١) المقدمات الممهدات لأبي الوليد ابن رشد (١/ ١٧ ـ ١٨).

(٢) انظر التمهيد (٧/ ١٣٧).

على قول نعيم بن حماد (ت ٢٢هـ)[١]: «ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة، فإن هذا كيفية، وهم يفزعون منها، لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً، وقد جل الله تعالى عن ذلك، وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله تعالى، إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، ولا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير، فإنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٢].

هذا كان قول بعضهم، وهناك من خالفهم[٣]، كما رأينا مع ابن أبي زيد القيرواني، وكيف أنهم انتقدوه من أجل ذلك.

ومثل هذا لفظة الجسم فقد أنكروا إطلاقها على الله[٤] لأنه لم يرد إطلاقها عن الصحابة، بل استعملها بعض المتأخرين، يقول الذهبي عن كتاب "الرد على بشر المريسي" للدارمي (ت ٢٨٠هـ): «فيه بحوث عجيبة يبالغ فيها في الإثبات والسكوت عنها»[٥].

---

(١) هو: أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، الإمام الحافظ العلامة صاحب التصانيف، كان من أعلم الناس بالفرائض، وكان ممن امتحن في محنة القول بخلق القرآن، ومات محبوساً في ذلك سنة ٢٢٨هـ.

مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٨/ ١٠٠) رقم: ٢٣٢٧، الجرح والتعديل (٨/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) رقم: ٢١٢٥، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٥ ـ ٦١٢) رقم: ٢٠٩، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٨ ـ ٤٦٣) رقم: ٨٣١.

(٢) التمهيد (٧/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

(٣) وهو قول طوائف من أهل الحديث كما ذكر ابن تيمية في شرح حديث النزول من مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٤).

(٤) التمهيد (٧/ ١٥٢).

(٥) كلام الذهبي نقله عنه محقق سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٢٠) ولم يشر إلى مصدره، ويقول محمد حامد الفقي أيضاً: «إنه أتى فيه ببعض الألفاظ دعاه إليها عنف الرد وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التي كان يبالغ بشر المريسي وشيعته في نفيها، وكان الأولى والأحسن أن لا يأتي بها، وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة، كمثل الجسم والمكان والحيز فإني لا أوافقه عليها ولا أستجيز إطلاقها، لأنها لم تأت في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ».

انظر السير أيضاً (١٠/ ٢٠٢) في الهامش.

ويقول الشيخ الألباني في "مختصر العلو" (ص ١٨ ـ ١٩): «قلت: ومن هذا العرض يتبين أن هاتين اللفظتين "بذاته" (أي: في قول بعضهم: استوى على العرش بذاته) و"بائن" (أي في =

مسألة أخرى أنبه عليها قبل ذكر أقوالهم في الصفات، وهي أننا ما دمنا نعرف مدلولات هذه الصفات ومعانيها اللغوية، هل يجوز أن نطلق هذه المعاني على الله؟ أم أننا نقتصر على ما ورد؟

يرى علماء المغرب أنه ينبغي الاقتصار على ما ورد، وقد لخص لنا الإمام ابن عبد البر هذا المعنى بقوله: «نقول استوى من مكان إلى مكان، ولا نقول انتقل وإن كان المعنى في ذلك واحداً، ألا ترى أنا نقول: له عرش، ولا نقول: له سرير ومعناهما واحد، ونقول: هو الحكيم ولا نقول: العاقل، ونقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم، وإن كان المعنى في ذلك كله واحداً، لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه، ولا ندفع ما سمى به نفسه لأنه دفع للقرآن»(١).

وإثبات هذه الصفات هو إثبات وجود، وليس إثبات كيفية(٢)، وبهذه التقييدات فلا خوف من الوقوع في التشبيه كما يقول المتكلمون، وليس هناك تناقض كما يدعي ابن خلدون(٣)، يقول ابن عبد البر في نفي التشبيه عمن يثبت صفات الله من غير تكييف: «ومحال أن يكون من قال عن الله ما هو في كتابه منصوص مشبهاً، إذا لم يكيف شيئاً، وأقر أنه ليس كمثله شيء»(٤).

---

= قولهم: بائن من خلقه) لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة ﷺ، ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان اقتضى ضرورة البيان».
قال: «ومثل هذا قولهم في القرآن: إنه غير مخلوق».
وزيادة في التوضيح أقول: إن علماء المغرب أنكروا ما ورد عن بعضهم استعمال لفظة "الجسمية" و"بذاته"، لأنه لم يرد بها نص في القرآن والسنة ولا عن الصحابة.

(١) التمهيد (٧/ ١٣٧).

(٢) يقول الإمام القرطبي في كتابه في صفات الله (ل٢/ ب ـ ٣/ أ): «فصل: فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه، إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف».
يقول ابن عبدون في رسالته "الانتقاد والرد على أهل الزيغ والإلحاد" (الورقة ١٦ ـ مجاميع ٣٨٦): «شرط الصفات كشرط الموصوف بها، فإن كان الموصوف بها جسماً كانت صفاته تشبه صفات الأجسام، وإن كان الموصوف بها مخالفاً للأجسام كانت صفاته بخلاف صفات الأجسام».

(٣) انظر المقدمة (٣/ ١٤٤) بتحقيق الدكتور: علي عبد الواحد وافي، طبع لجنة البيان العربي، القاهرة (ط (١) ١٣٧٦/ ١٩٥٧).

(٤) انظر عقيدة ابن عبد البر (ص ٢٦٠) نقلاً عن الاستذكار، مخطوط تركيا.

ويمضي علماء السنة المغاربة في عرض صفات الله تعالى وفق هذا المنهج القرآني الدقيق، فيثبتون له اليد على ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[ص: ٧٥]، وليس المراد باليد القوة والنعمة كما يذهب إلى القول بذلك المتكلمون، يقول الإمام ابن بطال في هذه الصفة بعد إيراد قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾: «في هذه الآية إثبات يدين لله وهما صفتان من صفات الذات، وليستا بجارحتين خلافاً للمشبهة والجهمية من المعطلة، ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة، أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة، ولا قدرة له في قول النفاة، ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كانت اليد بمعنى القدرة لقال إبليس: وأي فضيلة له عليّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك؟ قال: ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق، لأن النعم مخلوقة ولا يلزم من كونهما صفتي ذات أن يكونا جارحتين»[(١)].

وكذلك العين كما أفصح بذلك القرآن في غير ما موضع كما في قوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور: ٤٧]، وقوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[هود: ٣٧]، وقال عليه الصلاة والسلام حين ذكر الدجال وأنه أعور قال: «**وإن ربكم ليس بأعور**»[(٢)]،

---

(١) شرح ابن بطال على البخاري الجزء الرابع (ل ٣٤٦/ب)، وفي هذا المعنى يقول الإمام القرطبي: «فإذا قلنا: يد وسمع وبصر ونحوها، فإنها هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القوة والنعمة، ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل، ذهب إلى القول بهذا جماعة من الأئمة، فلم يتأولوا، وكذلك جميع الصفات أجروها على ظاهرها ونفوا الكيفية والتشبيه عنها».
انظر (اللوحة ٢ب ـ ٣أ) من كتابه في صفات الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد (باب كيف يعرض الإسلام على الصبي) رقم: ٣٠٥٥ (الفتح: ٦/ ١٧٢)، وفي كتاب الأنبياء (باب قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: ٢٥] رقم الحديث: ٣٣٣٧، ٣٣٣٨ وفي كتاب الفتن (باب ذكر الدجال) رقم: ٧١٣١ الفتح (١٣/ ٩١)، الفتح (٦/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، وفي كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ رقم: ٧٤٠٧، ٧٤٠٨ الفتح (١٣/ ٣٨٩)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب ذكر الدجال وصفته وما معه) رقم: ٢٩٣٣ (٤/ ٢٢٤٧ ـ ٢٢٤٨).
وأبو داود في الملاحم (باب خروج الدجال) رقم: ٤٣١٦ (السنن ٤/ ١١٦)، وأخرجه الترمذي في =

فأثبت له العين، ولكن ليست بحاسة من الحواس[(١)]، وكذا الوجه كما ورد إثباته في القرآن: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، يقول ابن بطال في هذه الصفة بعد إيراده للنصوص الدالة على إثباتها مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٨٨]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**أعوذ بوجهك**»[(٢)].

يقول: «في هذه الآية وهذا الحديث دلالة على أن لله وجهاً من صفة ذاته وليس بجارحة، ولا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين، كما نقول: إنه عالم ولا نقول: إنه كالعلماء الذين نشاهدهم»[(٣)].

وأثبتوا الاستواء على ما نطق به القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وغيرها من الآيات في هذا المعنى أثبتوها كما نطق بذلك القرآن من غير تكييف ولا تحديد، يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني: «استوى على العرش بذاته وهو في كل مكان بعلمه»[(٤)]، ويقول الإمام أبو عمرو الداني: «ومن قولهم (أي أهل السنة) أنه سبحانه فوق سماواته مستو على عرشه بائن منهم بذاته غير بائن بعلمه، بل علمه محيط بهم، واستواؤه جل جلاله: علوه بغير كيفية ولا تحديد ولا مجاورة ولا مماسة».

ويقول الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي في رسالته التي سماها: "الإيماء إلى مسألة الاستواء" في هذه المسألة: «قول الطبري (صاحب التفسير) وأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، والقاضي عبد الوهاب وجماعة من شيوخ الحديث والفقه، وهو ظاهر بعض كتب أبي بكر الباقلاني وأبي الحسن الأشعري، وحكاه عنه ـ عن القاضي أبي بكر ـ القاضي عبد الوهاب نصاً، وهو أنه سبحانه استوى

= الفتن (باب ما جاء في صفة الدجال) رقم: ٢٢٤١، الترمذي (٤/ ٥١٤)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٢٨) (٥/ ٣٨، ٢٢١).

(١) الرسالة الوافية (٢أ).

(٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنعام (باب ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ﴾) رقم: ٤٦٢٨ الفتح (٨/ ٢١٩) وفي كتاب الاعتصام باب قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ رقم: ٧٣١٣ الفتح: (١٣/ ٣٨٨).

(٣) الفتح (١٣/ ٣٨٨).

(٤) الرسالة (ص ٧٦).

على العرش بذاته وأطلقوا في بعض الأماكن فوق عرشه، قال الإمام أبو بكر المرادي: وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكين في مكان، ولاكون فيه ولا مماسة»[١]، ويقول الإمام أبو الوليد ابن رشد بعد ذكر الاختلاف القائم حول هذه الصفة بين من يقول: إنها صفة فعل، بمعنى أنه فعل في العرش فعلاً سمى به نفسه مستوياً، وبين من يقول: إنها صفة ذات من العلو، وأن قوله: استوى بمعنى علا، وبين من يقول: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء، فيقول ابن رشد في ترجيحه بين هذه الأقوال: «أما من قال: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء فقد أخطأ؛ لأن الاستيلاء لا يكون إلا بعد المغالبة والمقاهرة، و الله تعالى لن يغالبه أحد، قال: وحمل الاستواء على العلو والارتفاع أولى ما قيل، كما يقال: استوت الشمس في كبد السماء؛ أي: علت»[٢].

وعند هذه المسألة يتحفنا الإمام الهمام ابن عبد البر بكلام غاية في البيان، أثبت فيه هذه الصفة لله تعالى، وتحدث فيه عن منهج أهل السنة في الصفات، واستدل لكلامه بلغة العرب وذلك عند شرحه لحديث النزول[٣] من كتابه القيم "التمهيد" حيث يقول: «هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش»[٤]، ثم يسرد الأدلة من القرآن والسنة على هذا الكلام، وهو ما ذكرناه آنفاً.

واستدل لذلك بالأدلة الفطرية أيضاً إلى جانب الأدلة النقلية وهي:

١ ـ «أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته»[٥]، وأيضاً «لم يزل المسلمون في كل زمان إذا داهمهم أمر يرفعون وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عز وجل في الكف عنهم»[٦].

---

(١) انظر هذا الكلام عند ابن تيمية في (بيان تلبيس الجهمية) (٢/ ٣٥ ـ ٣٦).

(٢) انظر المقدمات الممهدات (١/ ١٧ ـ ١٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) التمهيد (٧/ ١٢٨).

(٥) التمهيد (٧/ ١٣٤).

(٦) انظر عقيدة ابن عبد البر (ص ٢٨٢) نقلاً عن الجزء المخطوط من التمهيد (٨/ ١٠٦). =

٢ ـ الدليل الثاني: أنه «لولا أن موسى عليه السلام قال لهم: إلهي في السماء، ما قال فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾[غافر: ٣٦]».

بعد ذلك قام بتفنيد وإبطال أدلة القائلين بالمجاز وكلامه في ذلك نرجئه إلى الفصل الذي عقدته للحديث عن مقاومة علم الكلام.

ويقول الإمام محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة ابن أبي زيد القيرواني في هذه الصفة أيضاً: «ومعنى فوق وعلا واحد بين جميع العرب في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] وغيرها من الآيات في هذا المعنى مما قد ذكرناه آنفاً».

وذكر أيضاً الأحاديث الواردة في هذا الباب، فذكر حديث المعراج[(١)]، وحديث الأعجمية[(٢)]، واستدل أيضاً لكلامه باللغة حيث بين بأن حرف الجر "في" قد يأتي بمعنى فوق في لغة العرب، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]،

---

= يقول الإمام الشوكاني حول هذا المعنى في رسالته "التحف في مذاهب السلف" ضمن المجموعة المنيرية (٢/ ٩٤): «كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ إليه ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع وعزه المنيع فإنه يشير عند ذلك بكفه أو يرمي إلى السماء بطرفه، ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الإزعاج وظهور دواعي الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والماشي على طريقة السلف، والمقتدي بأهل التأويل القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء».

(١) حديث المعراج أخرجه البخاري في كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء) رقم الحديث: ٣٤٩ الفتح (١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، وفي كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) رقم: ٣٢٠٧ الفتح (٦/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣)، وفي كتاب الأنبياء (باب ذكر إدريس عليه السلام) رقم: ٣٣٤٢ الفتح (٦/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، وفي كتاب المناقب (باب كان النبي ﷺ (تنام عينه ولا ينام قلبه) رقم: ٣٥٧ الفتح (٦/ ٥٧٩). و أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ( باب الإسراء برسول الله ﷺ ) رقم: ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤ ( ١/ ١٤٥ ـ ١٥١ ).

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد ( باب تحريم الكلام في الصلاة ) رقم : ٥٢٧ (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢)، و أبو داود في كتاب الصلاة ( باب تشميت العاطس في الصلاة ) رقم الحديث: ٩٣٠ (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ )، و أحمد في المسند (٢/ ٩١، ٣/ ٤٥١، ٤/ ٢٢٢ ـ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ).

والحديث مروي عن معاوية بن الحكم السلمي ولفظه: «كانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبل أحد والجوانية (موضع بقرب أحد)، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل =

يريد فوقها وعليها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] يريد عليها، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب يريد فوقها، ثم قال: «وقوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فإنما معناه عند أهل السنة على غير الاستيلاء والقهر و الغلبة والملك الذي ظنته المعتزلة»[١].

وكذلك نجد الإمام أبا القاسم عبد الله بن خلف المقري الأندلسي يقول في هذه الصفة في كتاب "الاهتداء لأهل الحق والاقتداء" فبعد أن ذكر حديث النزول قال: «في هذا الحديث دليل على أن الله تعالى فوق السماء على العرش فوق سبع سماوات من غير ملامسة ولا تكييف كما قال أهل العلم»، ثم استدل بالآيات التي في هذا الباب والتي سبق ذكرها[٢].

أما الإمام ابن بطال فيذكر اختلاف الناس في تفسير هذه الصفة فيقول: «اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا، فقالت المعتزلة: معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق[٣]»

قال: «وهذا فاسد لأنه لم يزل قاهراً غالباً مستوياً، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ يقتضي

---

= من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟، قال: «ائتني بها»، فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟»، قالت: في السماء، قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

(١) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية (١١٣ ـ ١١٤) وأدلة اللغة هذه هي نفسها التي استدل بها الإمام ابن عبد البر.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٨ ـ ٨٩).

(٣) هذا البيت لا يعرف قائله، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦): «السابع: أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور: قد استوى الخ. ولم يثبت بنقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده؟ وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل ذكره أبو المظفر السمعاني في كتاب "الإفصاح" قال: سئل الخليل: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرف العرب ولا هو جائز في لغتها».

افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، ولازم تأويلهم أنه كان مغالباً فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه، وهذا منتف عن الله سبحانه، قال: وقالت المجسمة[١]: معناه: الاستقرار، وهو فاسد، لأن الاستقرار من صفات الأجسام، ويلزم منه الحلول والتناهي وهو محال في حق الله تعالى ولائق بالمخلوقات»، قال: «وأما تفسير استوى: علا، فهو صحيح وهو المذهب الحق»[٢].

وإذا كان مستوياً على عرشه بائناً من خلقه فإنه معهم بعلمه وتأييده ونصرته كما دل على ذلك القرآن والسنة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩]، أي: بتأييده ونصرته، يقول أبو عمرو الداني: «يعني يحفظهم وينصرهم ويؤيدهم لا أن ذاته معهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[المجادلة: ٧] أي: بعلمه، وقد نقلنا الإجماع على ذلك كما أورده ابن عبد البر، ويقول ابن أبي زيد القيرواني: «وأنه في كل مكان بعلمه»[٤]، ويقول أبو بكر بن موهب: «وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته»[٥].

وكذلك قالوا في سائر الصفات كالمجيء والنزول، كما يلخص ذلك الإمام ابن عبد البر بقوله: «وقول رسول الله ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**»[٦] عند السلف مثل قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[الأعراف: ١٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، كلهم يقول: ينزل ويتجلى ويجيء بلا كيف، لا يقولون كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلى؟ ومن أين ينزل؟ لأنه ليس كمثله شيء من خلقه، وتعالى الله عن الأشياء ولا شريك له»[٧].

---

(١) المجسمة أو الجسمية يقول التهانوي في تعريفهم: «هم فرقة يقولون: إن الله جسم حقيقة، فقيل: هو مركب من لحم ودم كمقاتل بن سليمان وغيره، وقيل: هو نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء وطوله سبعة أشبار من شبر نفسه، ومنهم من يبالغ ويقول: إنه على صورة إنسان، والكرامية قالوا: هو جسم أي موجود، وقال قوم منهم: أي قائم بنفسه» انظر كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٣٦١).

(٢) انظر شرح ابن بطال الجزء الرابع (ل: ٣٤٩ ب).

(٣) الرسالة الوافية (ل/ ٢ ب).

(٤) الرسالة الفقهية (ص ٧٦).

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١١٣).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) التمهيد (٧/ ١٥٣).

فكانوا يثبتون هذه الصفات كلها لورود النص بها مع التنزيه له سبحانه عن مشابهة المخلوقين لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا كما يقول أبو عمرو الداني: «دين الأمة وقول أهل السنة في هذه الصفات أن تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تحديد، فمن تجاوز المروي فيها وكيَّف شيئاً منها، ومثلها بشيء من جوارحنا وآلتنا، فقد ضل واعتدى وابتدع في الدين ما ليس منه، وفرق إجماع المسلمين وفارق أئمة الدين»(١).

### ٣ ــ قولهم في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على عبده محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بكل حرف منه، منه بدأ سبحانه إليه يعود ليس بخالق ولا مخلوق، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، وقد عبر عنه الإمام ابن أبي زيد القيرواني بقوله: «وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد»(٢)، ويرى الإمام ابن عبد البر أن القرآن كلام الله، وما فيه حق من عند الله يجب الإيمان بجميعه واستعمال محكمه(٣) وليس بمخلوق، ومن يقول بخلقه فهو مبتدع ومخالف للسنة، ويرى أن الجدال والمراء في القرآن لا يجوز، وهو يشير بذلك إلى الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مراءٌ في القرآن كفر**»(٤).

---

(١) الرسالة الوافية (ل:٢٣)، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله في رسالته "التحف في مذاهب السلف" ضمن المجموعة المنيرية (٢/ ٩٤): «فالسلامة والنجاة في إقرار ذلك على الظاهر والإذعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكليف، ولا قيل ولا قال، ولا قصور في شيء من المقال، فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف».

وقد طبعت هذه الرسالة دار الصحابة للتراث بتحقيق سيد عاصم علي انظر (ص ٢٧) من هذه الطبعة

(٢) رسالة ابن أبي زيد (ص ٧٧).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٠/ ١١).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٦، ٣٠٠، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨)، وأبو داود في السنة (باب النهي عن الجدال في القرآن) رقم: ٤٦٠٣(٤/ ١٩٩)، وسنده حسن، وصححه الحاكم (٢/ ٢٢٣) ووافقه الذهبي.

واختلفوا في تأويل الحديث فقيل: معنى المراء الشك، وقيل: هو الجدال المشكك، وذلك أنه إذا جادل فيه أداه إلى ما يرتاب في الآي المتشابهة منه، فيؤديه ذلك إلى الجحود، فسماه كفراً، =

وأما أبو عمرو الداني فيتوسع في بيان هذه المسألة وتقرير مذهب أهل السنة، فيبين أن قول أهل السنة في كلام الله أنه صفة لذاته: «لا يزال موصوفاً به، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾[الفتح: ١٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[البقرة: ٧٥]، وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] والذين سمعوا كلامه تعالى كجبريل وموسى ومحمد عليهم السلام إنما سمعوه منه بلا واسطة ولا ترجمان، فهو القائل لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ٢٥٣]، فأكد الفعل بالمصدر الذي يزيل المجاز ويوجب الحقيقة»(١).

والقرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق لقوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾: «غير مخلوق»، وهو قول ابن عيينة وعمرو بن دينار (ت ١٢٦هـ) وغيرهم.

وعقد الإمام ابن أبي زمنين في كتابه "أصول السنة" باباً في الإيمان بأن القرآن كلام الله، بين فيه أن مذهب أهل السنة في القرآن أنه: «كلام الله وتنزيله منه تبارك وتعالى بدأ وإليه يعود»، وينقل بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه يعني القرآن**»(٢).

---

= وتأوله بعضهم على المراء في قراءته: وهو أن ينكر بعض القراءات المروية، فتوعدهم بالكفر لينتهوا عن المراء فيها والتكذيب بها إذ كلها قرآن يجب الإيمان بها، ويشهد بهذا التفسير حديث آخر رواه أحمد (٤/ ١٧٠) أن رجلين اختلفا في آية من القرآن فقال: تلقيتها من رسول الله وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبي ﷺ فقال: «لا تماروا في القرآن فإن مراء في القرآن كفر».

(١) الرسالة الوافية (ل: ٤ ب) وانظر كتاب الجامع لابن أبي زيد (ص ١٠٧)، ويقول ابن القيم حول هذا المعنى عند ذكره لهذه الآية: «وهذا يدل على أن التكلم الذي حصل له أخص من مطلق الوحي، ثم أكده بالمصدر الحقيقي الذي هو مصدر "تكلم" وهو "التكليم" رفعاً لما يتوهمه المعطلة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أنه إلهام أو إشارة أو تعريف للمعنى النفسي بشيء غير التكليم، فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز».
انظر تهذيب مدارج السالكين (ص ٤٥).

(٢) الرسالة الوافية (ل: ٤ ب) والحديث أخرجه الترمذي من طريق إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن العلاء بن الحارث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير ورجاله ثقات، رقم: ٢٩١٢.

وينقل أيضاً بسنده عن عباد[١] أنه قال: «كل من أدركت من المشايخ مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وفضيل بن عياض وعيسى بن يونس وعبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وغيرهم ممن أدركت من فقهاء الأمصار مكة والمدينة والعراق والشام ومصر كلهم يقولون: "القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق"، ولذلك كان العلماء لا يسمحون أن يكتفي الرجل بقول "القرآن كلام الله" حتى يقول: ليس بخالق ولا مخلوق»[٢]، يقول ابن وضاح: «ولا يسع أحداً أن يقول: "كلام الله" حتى يقول: ليس بخالق ولا مخلوق، ولا ينفعه علم حتى يعلم ويوقن أن القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، منه عز وجل بدأ وإليه يعود»[٣].

### ٤ ـ قولهم في رؤية الله تعالى:

مذهب أهل السنة كما سبق بيانه أن الله يُرى في الآخرة، وهذا المذهب مبني على الأدلة الصحيحة والصريحة في ذلك، وقد تناول علماء السنة المغاربة هذه المسألة في مصنفاتهم وبينوا عقيدتهم فيها، لأنها تدخل ضمن مسائل العقيدة التي لا يسع المسلم جهلها فكلهم يؤكد: «أن الله سبحانه وتعالى يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم، ولا يضامون في رؤيته كما قال الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ»[٤].

وأما ما يحتج به القائلون بنفي الرؤية من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣]، فلا تقوم به الحجة، لأن الإدراك هنا بمعنى الإحاطة أي أن الأبصار لا تحيط به وهو يحيط بها، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء: ٦١] بعد قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾[الشعراء: ٦١] وفي قصة فرعون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾[يونس: ٩٠]، يقول أبو

---

(١) لعله عباد بن عباد بن حبيب بن الأمير المهلب بن أبي صفرة الأزدي، العتكي المحدث المتوفى سنة ١٨١هـ، أو عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر الإمام المحدث الصدوق المتوفى سنة بضع وثمانين ومئة، وكلاهما مترجم له في سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦) رقم: ٧٧ و(٨/ ٥١١ ـ ٥١٢) رقم: ١٣٤.

(٢) أصول السنة (ل: ٣٠ أ)، وانظر الرسالة الوافية (ل: ٥ أ).

(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (ل: ٣ أ).

(٤) الجامع لابن أبي زيد القيرواني (ص ١٠٩)، جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ١٦٩)، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني (ل: ٥ ب).

عمر الداني: «فالإدراك في هاتين الآيتين الإحاطة لا الرؤية، فكذلك في الآية المتقدمة سواء»[١].

وقد أفاض الإمام ابن عبد البر في جمع الأدلة على رؤية الله في الآخرة من القرآن والسنة، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ٤٣] سيأتي الحديث عن وجه الدليل من هذه الآية حين أتناول الردَّ على منكري الرؤية.

واستدل بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ووجه الدلالة من هاتين الآيتين أن الله عز وجل جعل الرؤية لأوليائه المؤمنين يوم القيامة وحجبها عن أعدائه، وإنما يحتجب من أعدائه المكذبين ويتجلى لأوليائه المؤمنين[٢].

وهذا الاستدلال يعرف في أصول الفقه بالاستدلال بمفهوم المخالفة، وهو أن تثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، وقد استدل به غير واحد من العلماء، فقد قال مالك رحمه الله: «لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى يروه»، وقال الإمام الشافعي عن هذا الدليل أيضاً: «لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا»[٣]، واستدل بقوله أيضاً: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]

وتناول الإمام ابن بطال هذه المسألة في شرحه على صحيح البخاري، وبين قول أهل السنة فيها قال: «ذهب أهل السنة وجمهور الأئمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة ومنعها الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة»[٤].

ثم عمد إلى تفنيد أدلة المانعين التي تمسكوا بها في منع الرؤية دليلاً دليلاً، سأذكر ذلك في فصل الردود.

### ٥ ــ كلامهم في الإيمان:

بينت فيما سبق من البحث أن مذهب أهل السنة في الإيمان أنه قول وعمل يزيد

(١) الرسالة الوافية (ل: ٢٦).

(٢) التمهيد (٧/ ١٥٤).

(٣) انظر أقوالهما في الانتقاء (٧٩ ـ ٨٢)، تفسير الطبري (١٩/ ٢٦١).

(٤) انظر الفتح (١٣/ ٤٢٦).

وينقص، وذلك بناء على الآيات والأحاديث الواردة في هذا الشأن وقد قرر علماء السنة المغاربة هذا المذهب في مصنفاتهم وصرحوا به، حيث يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني في الإيمان: «إنه قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها، فيكون فيها النقص وبها الزيادة ولا يكمل الإيمان إلا بالعمل»(١).

وهذا التعريف من ابن أبي زيد للإيمان لا يخرج عن مفهوم القرآن والسنة كما بينت من قبل، وفيه ردٌّ على المرجئة الذين لا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان(٢)، وهو قول مخالف للآيات والأحاديث الصريحة في ذلك.

ويعرف ابن أبي زمنين الإيمان بقوله: «إن الإيمان إخلاص بالقلوب وشهادة بالألسنة وعمل بالجوارح، على نية حسنة، وإصابة السنة»(٣). هذان القيدان الأخيران لا بد منهما في قبول الأعمال فلا تكفي النية الحسنة وحدها إذا لم يصب صاحبها السنة، أيضاً فلا تكفي موافقة السنة في قبول الأعمال إذا لم تكن مقرونة بالنية الخالصة، فلا بد من اجتماع الأمرين النية الحسنة مع إصابة السنة في قبول الأعمال، وفي ذلك يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني: «ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»(٤).

وسئل الإمام الفضيل بن عياض عن قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: «أخلصه وأصوبه، فقيل له: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟، فقال:

---

(١) رسالة ابن أبي زيد (ص٧٩).

(٢) المخالفون لأهل السنة في الإيمان هم:

١ ـ الجهمية: يقولون: إنه مجرد معرفة القلب.

٢ ـ الكرامية: إنه قول اللسان.

٥ ـ المعتزلة والخوارج: الاعتقاد والنطق والعمل والفرق بينهما في التسمية فقط، فالمفرط في الأعمال عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين بين الكفر والإيمان، وأما عند الخوارج فهو كافر، وهو عند الفريقين مخلد في النار في الآخرة.

ولكن الفرق بين هؤلاء وبين أهل السنة: أن أهل السنة لا يكفرون المفرط في الأعمال بخلاف هؤلاء فإنهم يكفرون بالذنب.

(٣) أصول السنة (ل: ٢ ب).

(٤) الرسالة الفقهية (ص ٧٩).

إن العمل إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، وإذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة»[١].

وهو قول سعيد بن جبير (ت ٩٣هـ)[٢] كما نقله الإمام ابن تيمية حيث يقول: «لا يقبل قول إلا بعمل، ولا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[٣]، وشرح الإمام أبو عمرو الداني هذا التعريف ووضح معانيه بقوله: «فالقول: الشهادة لله سبحانه بما تقدم (بأسمائه وصفاته وغير ذلك) والإقرار بملائكته وكتبه ورسله وجميع ما جاء من عنده، والعمل: أداء الفرائض التي فرضها واجتناب المحارم التي حرمها»[٤]، وهذا التعريف للإيمان هو الذي كان عليه سلف الأمة وخيارها، يقول الإمام ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والطاعات عندهم كلها إيمان»[٥].

ويوضح هذا الكلام أكثر في موضع آخر فيقول: «أما سائر الفقهاء من أهل الرأي[٦] والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر، منهم: مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام وداود بن علي وأبو جعفر الطبري ومن سلك سبيلهم، فقالوا: الإيمان قول وعمل: قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة، قالوا: وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان»[٧]،

---

(١) انظر كتاب الاستقامة (٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٢) هو: أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي الكوفي: أخذ عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وكان من أكثر الناس علماً، وهو من أوائل من فسر القرآن قتله الحجاج سنة ٩٣هـ.
مصادر ترجمته: المعارف لابن قتيبة (ص٢٢٧ ـ ٢٢٨)، حلية الأولياء (٤/٢٧٢ ـ ٣١٠) رقم: ٢٧٥، تهذيب الأسماء واللغات (١/٢١٦ ـ ٢١٧)، سير أعلام النبلاء (٤/٣٢١ ـ ٣٤٣) رقم: ١١٦، تهذيب التهذيب (٤/١١ ـ ١٤) رقم: ١٤.

(٣) الاستقامة (٢/٣٠٩).

(٤) الرسالة الوافية (ل: ٦أ).

(٥) انظر التمهيد (٩/٢٣٨)، الكافي (١/١٥٣).

(٦) المقصود بأهل الرأي: أهل الفقه.

(٧) التمهيد (٩/٢٤٩).

وقد نقل الإمام ابن عبد البر أدلة علماء السلف على قولهم مما ذكرناه عند الحديث عن آراء الإمام مالك في العقيدة.

وبزيادة الإيمان ونقصانه يتفاضل المؤمنون فيما بينهم، لأن الإيمان كما يقول ابن أبي زمنين: «درجات ومنازل يتم ويزيد وينقص، ولولا ذلك استوى الناس فيه ولم يكن للسابق فضل على المسبوق»(١)، وهذا لا يعقل إذ كيف يكون إيمان مثل أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو غيرهم من الصحابة ﵃ كإيمان عامة الناس، وهم أول من آمن بالرسول ﷺ وآزره في محنته وجاهد معه وأبلى بلاءً حسناً في سبيل الله، ثم يأتي من لا سابقة له في الإسلام ولا جهاد له، فيقول: إيماني كإيمان هؤلاء، والله تعالى ميز بعضهم عن بعض، وفضل بعضهم على بعض فقال سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾[الحديد: ١٥]، وقال أيضاً في أصناف المؤمنين: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ﴾[فاطر: ٣٢]، فهؤلاء ليسوا على درجة واحدة من الإيمان(٢).

وفي هذا الموضوع يورد لنا الإمام أبو عمرو الداني جملة من الآيات والأحاديث وأقوال السلف في زيادة الإيمان ونقصانه، وقد سبق ذكر جملة منها في موضعه من هذا البحث(٣)، وكذا الإمام ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري استدل بالآيات الكثيرة في زيادة الإيمان ونقصانه ثم قال: «فإن قيل: إن الإيمان في اللغة التصديق؟ فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها، فمتى ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، وبنقصانها ينقص، فمتى نقصت أعماله نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد»(٤).

---

(١) أصول السنة (ل: ١٣ أ).

(٢) قال العلماء: الإيمان ثلاث درجات: إيمان السابقين المقربين وهو ما أتى فيه بالواجبات والمستحبات من فعل وترك، وإيمان المقتصدين أصحاب اليمين وهو ما ترك صاحبه بعض الواجبات، أو فعل فيه بعض المحظورات، و إيمان الظالمين وهو من أقر بأصل الإيمان ولم يفعل المأمورات ولم يجتنب المحظورات. انظر مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٣٤١).

(٣) راجع بحث آراء الإمام مالك في الأعيان.

(٤) انظر شرح ابن بطال على البخاري الجزء الأول (ل: ٨/أ).

**٦ ـ مسألة الاستثناء في الإيمان:**

وهنا ترد علينا مسألة الاستثناء في الإيمان، وهي المسألة التي كانت مثار جدال عنيف بالمغرب، وانقسم الناس حولها إلى فرعين:

١ ـ السحنونية نسبةً إلى محمد بن سحنون.

٢ ـ والعبدوسية نسبة إلى محمد بن عبدوس(ت ٢٦٠هـ)[(١)] ويسميهم خصومهم من أتباع محمد بن سحنون: الشكوكية، وألفت حولها عدة مؤلفات في ذلك العهد.

وكان هذان الفريقان هما اللذين قام الصراع بينهما حول هذه المسألة، وهناك فريق ثالث كان ينهى عن الخوض في الموضوع مطلقاً، ويمثله أبو الحسن علي بن محمد بن علي الدباغ (ت ٣٥٩هـ)[(٢)] ويحتج على ذلك بقوله: «إذا وقفنا بين يدي الله لم يسألنا عن هذه المسألة، إن كنتم عقلاء اسكتوا عنها»، وكان يقول أيضاً: «ما لنا والكلام في شيء، إن أصبنا فيه لم نؤجر، وإن أخطأنا أثمنا»[(٣)]، وهذا الفريق لم يكن طرفاً في الصراع بطبيعة الحال.

وملخص هذا الخلاف حول هذه المسألة أن محمد بن سحنون كان يقول: أنا مؤمن عند الله، ويسمي الذي يستثني ويقول: أنا مؤمن إن شاء الله، بالشكوكية وهم أتباع محمد بن عبدوس، وكان يقول: «المرء يعلم اعتقاده، فكيف يعلم أنه يعتقد الإيمان ثم يشك فيه؟»[(٤)]، والذي ذهب إليه محمد بن سحنون هو الذي يستفاد من قول مالك من

---

(١) هو: الإمام محمد بن إبراهيم بن عبدوس: أصله من العجم من كبار أصحاب سحنون، كان ثقة إماماً في الفقه، صالحاً زاهداً، توفي سنة ٢٦٠هـ وكان مولده سنة ٢٠٢هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤٥٩ ـ ٤٦١) رقم: ١٤٨، معالم الإيمان (٢/ ١٣٧ ـ ١٤٤) رقم: ١١٧، ترتيب المدارك (٢/ ١١٩ ـ ١٢٤)، الديباج المذهب (٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥) رقم: ١٤.

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ، كان من أهل العلم والورع والتعبد والصيانة، ثقة حسن التقييد، سمع من محمد بن بسطام وعمرو بن يوسف وغيرهما، وعنه أبو الحسن الفارسي وبكر بن يوسف وغيرهما، توفي سنة ٣٥٩هـ، وكانت ولادته سنة ٢٧١هـ.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٨)، معالم الإيمان (٣/ ٧٥ ـ ٧٨) رقم: ٢١٦، شجرة النور الزكية (١/ ٩٤) رقم: ٢١٧.

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨).

(٤) المدارك (٣/ ١١٥).

قبل، حيث كان يقول لمن سأله: «أقول مؤمن إن شاء الله؟، فيقول مالك: قل مؤمن ولا تخلط معها غيرها»[١]، وهو قول سحنون أيضاً[٢].

ولكن قول محمد بن عبدوس لم يكن من الشك في شيء، وإنما كل ما في الأمر أنه يجهل العاقبة كما يوضح هو ذلك بقوله: «أدين بأني مؤمن عند الله في وقتي هذا ولا أدري ما يختم لي به»، وقد أحسن الإمام القاضي عياض التوفيق بين الفريقين حين قال: «والمسألة قد كثر الخوض فيها وكلام الأئمة عليها، والحقيقة فيها أنه خلاف في ألفاظ لا حقيقة، فمن التفت إلى مغيب الحال، والخاتمة وما سبق به القدر قال بالاستثناء، ومن التفت إلى حال نفسه وصحة معتقده في وقته لم يقل به»[٣].

وقد أخذت هذه المسألة بعداً آخر حيث كانت مجالاً خصباً لعديد من المؤلفات، ينتصر فيها أصحابها لمذهبهم، فقد ألف الإمام محمد بن سحنون رأس المدرسة السحنونية: كتاب "الإيمان والرد على أهل الشك" يرد فيه على محمد بن عبدوس[٤].

واتبعه فقيه آخر، هو عبد الله بن غافق التونسي (ت ٢٧٥هـ)[٥] فوضع رسالة في

---

(١) انظر الجامع لابن أبي زيد (ص ١٢٢).
(٢) نفس المصدر (ص ١٢٢).
(٣) ترتيب المدارك (٢/ ١١٦)
حول الاستثناء في الإيمان: هذه القضية أثارت الرأي في المشرق قبل المغرب، وكان مركزها الكوفة والبصرة، فالذين يذهبون إلى القول بالاستثناء يستدلون بقول ابن مسعود، وتلاميذه: علقمة بن قيس (ت ٦٨هـ) وإبراهيم النخعي (ت ٩٦هـ)، وبقول ابن سيرين (ت ١١٠هـ) وسفيان الثوري (ت ١٦١هـ).
أما الأوزاعي فكان يجوز المقالتين.
وأحمد بن حنبل كان يقول بالاستثناء كما ذكرت في ثنايا البحث، وكان الإمام الأشعري يقول بالاستثناء كما هو حال مجموع الشافعية، وكذلك الحال بالنسبة للغزالي الذي يؤكد على أن الاستثناء في الإيمان لا يعني بحال من الأحوال الشك فيه، ولكن يعني التواضع والذل لله تعالى وتسليم حقيقة الأمر إليه سبحانه، فهو الذي يعلم حقيقة الإيمان، وكذلك يعني جهل الإنسان بنهايته التي يموت عليها (الإحياء ١/ ١٢٢ ـ ١٢٥)
وأما المعتزلة فينفون الاستثناء، وكذلك الماتريدية.
أما المالكية فقد رأينا اختلافهم فلا داعي لذكره هنا.
(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).
(٥) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن غافق التونسي، ولد سنة ٢٠٤هـ وتوفي سنة ٢٧٥هـ.

"الإيمان" كان لها صدى كبير في تونس آنذاك[١].

ويضع فقيه آخر هو يحيى بن عمر رسالة أخرى حول هذه المسألة ويسميها "الرد على الشكوكية"، ينتصر فيها لمحمد بن سحنون، ويتبعه الفقيه محمد بن عبد الله البجلي[٢]، فيصنف كتاب "الرد على الشكوكية"، ينتصر فيه هو الآخر لمحمد بن سحنون[٣].

وكان يحيى بن عون يذهب إلى قول سحنون في كتابه "الحجة"، ويتهم الشكوكية بأنهم غير متيقنين من إيمانهم لأنهم يقولون: نرجو أن نكون مؤمنين، أو نحن مؤمنون إن شاء الله، ويزرعون الشك في الضعفاء حين يقولون لهم: هل أنتم متيقنون من إيمانكم مستكملون له، ولما كان الجواب طبيعياً أنهم غير مستكملين للإيمان، فالباب فتح أمام الاستثناء[٤].

بل بلغ ببعضهم من أصحاب ابن سحنون أن يمتنع عن الصلاة خلف محمد بن عبدوس كما فعل إبراهيم بن عتاب الخولاني[٥]، الذي كان ـ كما جاء في ترجمته عند الخشني ـ : «قليل الفهم، غالياً في مذهب ابن سحنون في مسألة الإيمان، شديد الانتقاص لمحمد بن عبدوس عصبيةً لابن سحنون، بلغ ذلك به إلى أن حضر جنازة فتقدم عليها محمد بن عبدوس فانصرف ابن عتاب ولم يصل خلفه»[٦].

---

مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٣).

(١) جاء في ترجمته أنه لما وضع هذه الرسالة لم ينسبها لنفسه، فكتبها الناس واستحسنوها، وادعاها رجل باسمه، فبلغ ذلك ابن غافق، فقال: «إنما ظننت أنكم تعملون بها، فلما نسبت لغير أهل العلم لم يسعني السكوت، أنا وضعتها».
ترتيب المدارك (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن علي البجلي، كان يغلب عليه مذهب الشافعي ومعارضات المزني، وكان فقيهاً عالماً، وألف عدة مصنفات منها: "الحجة في الشاهد واليمين"، وكان جليل القدر، صحب المزني، وعرض عليه القضاء فأبى.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢١٣)، رياض النفوس (٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧) رقم: ٢٠٤.

(٣) طبقات الخشني (ص ٢١٣).

(٤) كتاب الحجة على أهل البدع(ص ١٧١٥).

(٥) ترجمته في طبقات الخشني (ص ١٥١).

(٦) طبقات الخشني (ص ١٥١)، وتمام الحادثة أنه استدعاه بعد ذلك القاضي لما بلغه منه ما فعل، فقال له: لم انصرفت عن الصلاة ومن وراء الإمام الفاضل ابن عبدوس؟، فقال: لأنه شكوكي، =

من هذا العرض لبعض المؤلفات حول هذه المسألة، نلاحظ أنها كلها تصب في وعاء واحد هو الانتصار لمذهب عدم الاستثناء في الإيمان، إذا استثنينا لقمان بن يوسف (ت ٣١٩هـ)(١) الذي كان يميل إلى معنى ابن عبدوس في مسألة الإيمان وفي جميع معانيه(٢).

ولكن حين اطلعت على مذاهب السلف في المسألة وجدت أن كبار العلماء كانوا يقولون بجواز الاستثناء، إذا كان راجعاً إلى العاقبة، كما ينقل عنهم ذلك الإمام أبو عمرو الداني حيث يقول: «إن علماء السنة يقولون بجواز الاستثناء في الإيمان، لكن بشرط أن يكون ذلك عائداً إلى العاقبة والكمال، ولا يجوز على طريق الشك، لأن أقل ما يقبل من الإيمان ما لا يجامعه الشك».

ثم ينقل عن الإمام أحمد قوله: «الاستثناء في الإيمان سنة ماضية عند العلماء، وليس بشك، وإذا سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فليقل: أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو؟، وسئل الإمام أحمد أيضاً: إن استثنيت في إيماني أكون شاكاً ؟ قال: لا»، قال أبو عمرو الداني: «وهو قول السلف: عطاء بن السائب والأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وغيرهم»، قال: «وكانوا يعيبون على من لم يستثن».

وينقل عن الإمامين ابن مهدي وأحمد بن حنبل: «أن ترك الاستثناء في الإيمان هو أصل الإرجاء».

وأصل القول بالاستثناء في الإيمان، قوله عليه الصلاة والسلام: **«إن الرجل يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً»**(٣).

---

= فقال له: وماذا تقول في شكوكيته؟، فقال له: يقول: إنه ليس بمؤمن عند الله، وكان حماس بن مروان حاضراً فقال: أشهد على ابن عبدوس أنه يقول: من قال: ليس هو مؤمناً عند الله فهو كافر عند الله، فأمر القاضي بابن عتاب إلى السجن.

(١) كان حافظاً لمذهب مالك، سمع من يحيى بن عمر وعيسى بن مسكين وغيرهما، ورحل إلى المشرق حاجاً فسمع بمصر، وكان من الصُّوَّم القُوَّم، عالماً باللغة عارفاً بالرجال توفي سنة ٣١٩هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص١٧١)، رياض النفوس (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤) رقم: ٢٠٧.

(٢) نفس المصدر (ص ١٧١).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان ( باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن) رقم: ١١٨ (١/ ١١٠)، وأبو داود في الفتن (باب في النهي عن السعي في الفتنة) رقم: ٤١٩٢ (٤/ ١٠١)، والترمذي في الفتن (باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم) رقم: ٢١٩٥، ٢١٩٧، =

وقوله: «**إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يعمل بعمل أهل النار، فيجعله الله من أهل النار**»[(١)].

قال أبو عمرو الداني، عقب ذلك: «فهذا هو الذي سوغ الاستثناء لجهل الكل بعاقبة أمرهم وما يختم لهم به»[(٢)].

ومن هنا يظهر أن مذهب الذي يقول بالاستثناء في الإيمان، هو الأقوى، وهو الذي عليه أئمة المسلمين وهو الذي دلت عليه النصوص، وهو قول ابن مسعود، كما ذكر عنه الإمام ابن تيمية في كتاب «الإيمان»؛ لأنه من قطع لنفسه بالإيمان فعليه أن يقطع لها بالجنة، سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن قوم يقولون: «إنا مؤمنون، فقال: أفلا سألتموهم أفي الجنة هم»، وفي رواية: «أفلا قالوا: نحن أهل الجنة».

### ٧ ــ قولهم في مرتكب الكبيرة:

لقد جاءت نصوص الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بكبيرته من دائرة الإيمان، ولا يخلد في النار إن مات على كبيرته ولم يتب منها، خلافاً للخوارج الذين يقولون بكفره، وهي أول بدعة حدثت في الإسلام[(٣)]، وخلافاً للمعتزلة الذين يقولون بأنه في منزلة بين المنزلتين بين الكافر والمؤمن في الدنيا، أما في الآخرة فهو مخلد في النار، كما هو قول الخوارج.

وكإخوانهم بالمشرق الذين قاموا لدفع هذه الأقوال الشاذة، قام علماء المغرب هم أيضاً لدفعها وبيان قول الحق فيها، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة

---

= ٤/ ٢٨٧ ـ ٤٨٨، وابن ماجه في الفتن (باب: ما يكون من الفتن) رقم: ٣٩٥٤ (٢/ ١٣٠٥)، والإمام أحمد في المسند في عدة مواضع (٢/ ١٣٣، ٣٠٤، ٣٩١) (٣/ ٤٥٣) (٤/ ٢٧٢، ٧٣، ٧٧).

(١) الحديث أخرجه البخاري في التوحيد (باب قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾) رقم: ٧٤٥٣ الفتح (١٣/ ٤٤٠)، وفي كتاب القدر، برقم: ٦٥٩٤، الفتح (١١/ ٤٧٧)، وفي كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) رقم: ٣٢٠٨، الفتح (٦/ ٣٠٣)، وفي كتاب الأنبياء (باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه) رقم: ٢٦٤٣، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٣٦)، وأبو داود في السنة (باب: في القدر) رقم: ٤٧٠٨ السنن (٤/ ٢٢٨).

(٢) الرسالة الوافية (ل: ٦ ب).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٣٣٩).

وإجماع السلف ﷺ فقالوا: «وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة»[١]. سواء كبر ذلك الذنب أو صغر، ولا يحبط الإيمان إلا الشرك[٢] كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: ٦٥]، وعلى هذا «فلا يحجبون الاستغفار عن أحد من أهل القبلة، ولا يرون ترك الصلاة على من مات منهم وإن كان من أهل الإسراف على نفسه»[٣].

وهذا الكلام تشهد له نصوص الكتاب والسنة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [ الزمر: ٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]، وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة: ١٠٣]،وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

يقول ابن عبد البر في هذا الدليل: «ومعلوم أن هذا بعد الموت لمن لم يتب، لأن الشرك ممن تاب منه قبل الموت وانتهى عنه غفر له كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعاً. قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[الأنفال: ٣٨]»[٤].

إلا أنهم يرون أن الطهارة والصلاة لا يكفران عنه ولا ينفعانه، إلا إذا تاب ونوى عدم الرجوع[٥]، ولكنه إذا مات من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه،

(١) رسالة ابن أبي زيد (ص٧٩).

(٢) الجامع لابن أبي زيد (ص٧٩).

(٣) ابن أبي زمنين: أصول السنة(ل: ١٣ب).

(٤) التمهيد (١٧/ ١٦).

(٥) التمهيد (٤/ ٤٤، ٤٥، ١٣٨، ١٤٠)، يقول الإمام ابن تيمية في معنى هذا الكلام: «فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات، وأنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وأن مصائب الدنيا تكفر، وأنه يقبل شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، وأنه يغفر الذنوب جميعاً، ويغفر ما دون الشرك، وأن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الرياء يبطل العمل، ونحو ذلك، فجعل للسيئات ما يوجب رفع عاقبتها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة».

انظر مجموعة الرسائل والمسائل (المجلد الأول: ص: ٣٤٣ ـ ٣٤٤).

إلا أنه لا يخلد في النار، بل يدخله الله ليطهره من ذنوبه، ثم يدخله الجنة طاهراً[١].

وهذا الكلام فيه رد على المعتزلة القائلين بوجوب الوعد والوعيد على الله، فيقول أهل السنة: إن الوعد والوعيد لا يتحتم على الله فيهما ثواب ولا عقاب، فهو حر في مشيئته وإرادته سبحانه، فإن عذبه فبعدله، وإن عفا عنه فبفضله[٢].

ولكننا لا نحكم لأحد من أهل القبلة بجنة أو نار «إلا من ورد التوقيف بتنزيله وجاء الخبر من الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ على عاقبة أمره، وإن الصلاة واجبة على من مات منهم وإن عمل الكبائر»[٣].

وخلاصة القول في أهل الذنوب، الكبائر منها والصغائر، ما ذكره الإمام ابن أبي زيد القيرواني: «أن الله غفر لهم الكبائر بالتوبة، وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر، ومن لم يتب من الكبائر فأمره إلى الله، والله يغفر ما دون الشرك لمن شاء من عباده، وإذا عاقب المذنب بدخول جهنم أخرجه منها بسبب إيمانه وأدخله الجنة»[٤].

### ٨ ـ قولهم في القدر:

يرى علماء السنة المغاربة أنه يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، كما جاء في حديث

---

(١) فائدة : حول هذا المعنى يتحفنا الإمام ابن القيم ـ كعادته ـ بأسلوبه الشيق بتعليل غاية في البيان، رأيت أن أقتطع منه هذه الفائدة:
يقول رحمه الله بعد ذكر الطيب الخالص وهو المؤمن، والخبيث الخالص وهو الكافر: «وقد يكون في الشخص مادتان فأيهما غلب عليه كان من أهلها، فإن أراد الله به خيراً طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيوافيه يوم القيامة طاهراً فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره بما يوفقه له من التوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر مواد التطهير فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكاً، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث صلح حينئذ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده، وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها فأسرعهم زوالاً وتطهراً أسرعهم خروجاً، وأبطؤهم أبطؤهم خروجاً، جزاءً وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد». زاد المعاد (١/ ٦٨).

(٢) انظر زاد المعاد (١/ ٦٨).

(٣) التمهيد (٦/ ١٢ ـ ١٤ ـ ١٢٨).

(٤) أبو عمرو الداني، الرسالة الوافية (ل: ٨ أ)، رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص ٢١).

جبريل عليه السلام: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)]، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، يقول الإمام ابن عبد البر: «وأهل السنة مجمعون على الإيمان بالقدر»[(٢)]، ومعنى الإيمان بالقدر هو أن تؤمن أن كل أمر من خير أو شر «قد قدره ربنا وأحصاه علمه وأن مقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، تفضل على من أطاعه فوفقه، وحبب الإيمان إليه فيسره له، وشرح له صدره فهداه: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧]، وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه، ويسره لذلك وحجبه وأضله: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف: ١٧]».

ويزيد الإمام ابن عبد البر توضيحاً لمعنى القدر فيقول: «والقدر سر من أسرار الله، لا يدرك بجدال ولا يشفي منه مقال، وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار الطيبين الأبرار بالاستسلام والانقياد والإقرار بأن علم الله سابق ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]».

وفي قوله: «لا يدرك بجدال» إشارة إلى نهي النبي ﷺ عن الخوض في القدر بقوله: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا**»[(٣)] لعلمه ﷺ بأن موضوع القدر ليس مما يحل إشكاله بالجدال، فليس لنا إلا أن نسلم له ونؤمن به كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان (باب سؤال جبريل النبي ﷺ) رقم: ٥٠، الفتح (١/ ١١٤) وفي كتاب التفسير (باب: إن الله عنده علم الساعة) رقم: ٤٧٧٧، الفتح (٨/ ٥١٣)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب وصف جبريل للنبي ﷺ الإسلام والإيمان) رقم: ١ (صحيح مسلم: ١/ ٣٦ ـ ٣٧). والترمذي في كتاب الإيمان (باب وصف جبريل للنبي ﷺ الإسلام والإيمان) رقم: ٢٦١، السنن (٥/ ٦ ـ ٧)، وأبو داود في السنة (باب في القدر) رقم: ٤٦٩٥، السنن (٤/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، والنسائي في الإيمان (باب نعت الإسلام)، السنن (٨/ ٨٨ ـ ٩١).

(٢) انظر: التمهيد (٦/ ١٢).

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير، رقم: ١٠٤٤٨، انظر المعجم الكبير (١٠/ ١٩٨) بلفظ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**».
وهو في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٢، ٢٢٣)، وقال الهيثمي: وفيه مسهر بن عبد الملك، وَثَّقَهُ ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: ٣٤ (١/ ٤٢ ـ ٤٦) للشيخ الألباني وانتقاده للهيثمي في قوله: ورجاله رجال الصحيح، وحكم عليه أنه بمجموع طرقه يمكن أن يتقوى، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، وانظر فيض القدير (١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) رقم: ٦١٥. =

وأما ابن أبي زمنين فيورد لنا كعادته الآيات والأحاديث الواردة في هذا الموضوع وهي كثيرة، والقدر عند ابن أبي زمنين «خيره وشره، حلوه ومره من الله عز وجل، وأنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون، وما إليه يصيرون، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله عز وجل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة: ٥١] وغيرها من الآيات في هذا الشأن»[١].

وعلماء المغرب يقولون: إن للعبد فعلاً وإرادة، والله خلقه وخلق فعله وإرادته، فالعبد إذًا لم يخلق أفعال نفسه كما يدعي القدرية أن الإنسان حر في إرادته فهو الخالق لأفعاله بقدرة خلقها الله فيه قبل الفعل، وعلى خلاف أيضاً مع الجبرية[٢] الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على أفعاله فليس له خيار فيها، بل حتى الكسب الذي يقول به الأشاعرة لا يوجد له أثر في كلامهم[٣].

وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية وهو يقرر مذهب أهل السنة في القدر: «ويؤمنون بأن العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً، إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله تعالى جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره»[٤].

ويقول في موضع آخر: «اعلم أن العبد فاعل على الحقيقة وله مشيئة ثابتة، وله إرادة جازمة وقوة صالحة، وقد نطق القرآن بإثبات مشيئة العباد في غير ما آية، كقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩]

= قال المناوي: «أمر المصطفى ﷺ بالإمساك عن الخوض فيه؛ لأن من يبحث فيه لا يأمن أن يصير قدرياً أو جبرياً». فيض القدير (١/ ٣٥٨).

(١) أصول السنة لابن أبي زمنين (ل: ١١)، والتمهيد (٣/ ٣٢٠) (٥/ ٨ ـ ١٠) ومواضع أخرى.

(٢) الجبرية: الجبر هو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: منهم من لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة أصلاً، ومنهم من يثبت له قدرة غير مؤثرة أصلاً.
انظر عنهم مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، التبصير في الدين (١٠٧ ـ ١٠٨).

(٣) انظر المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية (ص ٥٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٤).

وكما أنا فارقنا مجوس الأمة بإثبات أنه تعالى خالق، فارقنا الجبرية بإثبات أن العبد فاعل صانع عامل»[١].

## ٩ ـ كلامهم في الغيبيات:

وأما عن الغيبيات وما يتعلق بها من إيمان وتصديق فيرى علماء المغرب أنه يجب الإيمان والتصديق بكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنها واقعة لا محالة.

والمقصود بالغيبيات هنا كل ما غاب عنا ولم نعلم به إلا عن طريق النصوص، مثل الجنة والنار وعذاب القبر والحوض والصراط والحساب والميزان والشفاعة وما يتعلق بذلك كله، والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يثبتان كل هذه الأمور، فما علينا نحن المسلمين إلا أن نؤمن بها ونصدق كما أخبر بذلك القرآن والسنة ولا نناقش ولا نماري فيها، لأننا لم نكلف بذلك ولم نؤمر به، فالإيمان بهذه الأمور كلها معناه الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة فما أثبتاه أثبتناه، وما نفياه نفيناه، وأهل السنة مجمعون على الإيمان بها، وإنما خالفهم في ذلك المبتدعة، يقول ابن بطال وهو يتحدث عن أحاديث الشفاعة[٢]: «هذه الأحاديث دليل على إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته خلافاً لمن أنكرها من المعتزلة والقدرية والخوارج، وهذا الحديث في غاية القوة والصحة تلقاه المسلمون بالقبول إلى أن حدث أهل العناد والرد لسنن الرسول ﷺ»[٣].

وفي الإيمان بهذه الأمور على الحقيقة رد على الفلاسفة[٤] الذين ينكرون كثيراً منها، ويقولون: إن الحديث عن النعيم المادي والعذاب المادي في القرآن والسنة ليس هو على الحقيقة، وإنما هو لتشويق الناس في الجنة وتخويفهم من النار، ليس هناك لا نعيم مادي ولا عذاب مادي، إنما النعيم والعذاب معنويان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٩٣)

(٢) أحاديث الشفاعة كثيرة رواها أئمة الحديث في مصنفاتهم، انظر صحيح البخاري في كتاب الدعوات (باب لكل نبي دعوة)، ومسلم في الإيمان (باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته)، والترمذي في صفة القيامة (باب ما جاء في الشفاعة)، وأبو داود في سنة (باب في الشفاعة)، وابن ماجه في الزهد (باب ذكر الشفاعة) بألفاظ مختلفة منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

(٣) شرح ابن بطال على صحيح الإمام البخاري (الجزء الرابع لوحة: ٣٤٦ ب).

(٤) سيأتي الحديث عن الفلسفة ودخولها إلى المغرب ومقاومتها من قبل علمائه.

كما أن الإيمان بهذه الأمور فيه رد على الدهرية(١) الذين ينكرون هذه الأمور أصلاً، وهم الذين حكى عنهم القرآن بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] ومثلهم الملاحدة اليوم.

وفيه أيضاً رد على المعتزلة الذين ينكرون حقيقة هذه الأمور، فينكرون العذاب، وضمة القبر ونصب الميزان والصراط وما ورد فيه متأولين ذلك كله؛ لأنه يتنافى مع العقل الذي حكموه في كل شيء.

يبدأ الإمام ابن أبي زيد القيرواني حديثه في الغيبيات بالحديث عن الجنة والنار وأنهما «قد خلقتا، أعدت الجنة للمتقين والنار للكافرين، لا تفنيان ولا تبيدان»(٢)، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة بينما يرى بعض المعتزلة كالجهم بن صفوان أنهما تبيدان مع من يبيد من أهلها، ويؤكد الإمام ابن عبد البر على أنهما مخلوقتان موجودتان الآن وأنهما لا تبيدان(٣).

وعقد الإمام ابن أبي زمنين باباً في الإيمان بأن الجنة والنار قد خلقتا، وباباً في الإيمان بأن الجنة والنار لا تفنيان، واستدل لذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى في كون الجنة والنار قد خلقتا: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]، وقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، ومن السنة قوله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله عليه يوم القيامة**»(٤).

---

(١) الدهري: رجل ملحد لا يؤمن بالآخرة، ويقول ببقاء الدهر.
انظر عنهم تفسير الألوسي (٩/ ١٥٣).

(٢) جامع ابن أبي زيد (ص ١١٠)

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٦٩).

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الجنائز (باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي) رقم: ١٣٧٩، الفتح (٣/ ٣٤٣)، وكتاب بدء الخلق (باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) رقم: ٣٢٤٠، الفتح (٦/ ٣١٧)، وفي كتاب الرقاق (باب سكرات الموت) رقم: ٦٥١٥، الفتح (١١/ ٣٦٢)، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه) رقم: ٢٨٦٦، صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٩)، وأخرجه الترمذي في الجنائز (باب ما جاء =

وإذا كانت الجنة والنار دائمتين لا تبيدان فإن النعيم والعذاب فيهما أيضاً لا يبيدان ولا يفنيان، ولا يفنى أهلوهما، والأدلة على ذلك كثيرة أوردها الإمام ابن أبي زمنين، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[غافر: ٣٩]، وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦]، وقوله في المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧].

يقول الإمام ابن أبي زمنين بعد إيراد هذه النصوص: «لو لم يذكر الله تبارك وتعالى الخلود إلا في آية واحدة لكانت كافية لمن شرح الله صدره للإسلام، ولكن ردد ذلك لتكون له الحجة البالغة»(١).

وهناك أدلة أخرى في الباب من السنة الشريفة يوردها لنا ابن أبي زمنين، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت يوم القيامة كبشاً أقرن، فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون طائعين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم ربنا، هذا الموت، فيأمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فلا موت فيها أبداً**»(٢).

وحول أمور الآخرة الأخرى يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني في فتنة القبر ووقوعها لا محالة، كما دلت على ذلك نصوص القرآن والسنة، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون ويبلون ويثبت الله من أحب تثبيته لقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧].

= في عذاب القبر) رقم: ١٠٧٢، السنن (٣/ ٣٨٣)، والنسائي في الجنائز (باب وضع الجريدة على القبر) انظر السنن (٤/ ٨٧ ـ ٨٨)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند في عدة مواضع (٢/ ١٦، ٥١، ١١٣، ١٢٣).

(١) أصول السنة (ل: ٢٠ ب).

(٢) انظر أصول السنة (ل: ٦٠ ب)

والحديث أخرجه البخاري في الرقاق (باب صفة الجنة) رقم: ٦٥٤٨، الفتح (١١/ ٤١٥)، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب النار يدخلها الجبارون) رقم: ٢٨٤٩، (٤/ ٢١٨٨)، والترمذي في كتاب صفة الجنة (باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار) رقم: ٢٥٥٧، السنن (٤/ ٦٩١ ـ ٦٩٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال: «وأنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»(١)، قال: «وإن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجلود التي كانت في الدنيا هي التي تشهد، والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم»(٢).

وقال في الميزان: «وتنصب الموازين لوزن الأعمال فأفلح من ثقلت موازينه، وخاب وخسر من خفت موازينه، ويؤتون صحائفهم، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً»(٣).

ويمضي الإمام ابن أبي زيد القيرواني في حديثه عن الأمور الغيبية فيقول عن الصراط(٤): «وأن الصراط جسر مورود يجوزه (أي: يمر عليه) العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أوثقتهم فيها أعمالهم».

وعن الشفاعة يقول: «وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ قوم من أمته بعد أن صاروا حمماً(٥) فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة»(٦).

وتحدث عن الحوض فقال عنه: «والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ

---

(١) انظر الجامع (ص ١١٢)، وفيه اقتباس من قوله تعالى في سورة الزمر الآية: ٦٨ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

(٢) نفس المصدر (ص ١١٢).

(٣) نفس المصدر (ص ١٦٢).

(٤) الجامع (ص ١١٢ ـ ١١٣)، وقد عرف العلماء الصراط بأنه: «جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف»، دل عليه الكتاب والسنة واتفقت عليه الكلمة في الجملة. الفواكه الدواني (١/ ٨٨).

(٥) الحمم: الفحم، واحدته حممة، المعجم الوسيط (١/ ٢٠٠)، وفيه إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنَّة وأهل النار النارَ يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، أو قال: حمية السيل، وقال النبي ﷺ: ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية؟».

وفي كتاب الرقاق (باب صفة الجنة والنار) رقم: ٦٥٦٠، الفتح (١١/ ٤١٦ ـ ٤١٧).

(٦) انظر لجامع لابن أبي زيد (ص ١١٣).

من شرب منه، ويذاد عنه من غيَّر وبدَّل»[١].

وتناول الإمام ابن عبد البر هذه المسائل بالحديث جملة وتفصيلاً مؤكداً حقيقتها وأنها واقعة لا محالة فقال: «وأما عذاب القبر والشفاعة والدجال والحوض فيجب التصديق بها كما هو مذهب أهل السنة وهي واقعة لا محالة»[٢].

ويفيض الحديث في الحوض في مواضع عديدة من كتابه التمهيد[٣] فيقول: «الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة».

وقال أيضاً: «والآثار في الحوض أكثر من أن تحصى»، ثم يورد جملة من الأحاديث في هذا الشأن مثل قوله ﷺ: «**ليردن علي الحوض أقوام إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٤]، وقوله: «**وأنا فرطكم على الحوض ولأنازعن رجالاً من أصحابي ولأغلبن عليهم ثم ليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٥] وغيرهما من الأحاديث.

قال ابن عبد البر بعد ذكر هذه النصوص: «تواتر الآثار عن النبي ﷺ في الحوض حمل أهل السنة والحق ـ وهم الجماعة ـ على الإيمان به وتصديقه، وكذا الأثر في الشفاعة وعذاب القبر»[٦].

وعقد الإمام أبو عمرو الداني فصلاً قال فيه: «ومن قولهم (أي: أهل السنة): أن للرسول ﷺ في المعاد حوضاً شرابه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه من الآنية مثل عدد نجوم السماء، يقع فيه ميزابان من الكوثر، لا يظمأ من شرب منه من المؤمنين، ويمنع منه من انحرف عن الدين وخالف السبيل المستقيم على ما صحت به الأخبار عن الرسول ﷺ»[٧].

---

(١) الجامع لابن أبي زيد (ص ١١٣).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩١).
(٣) انظر على سبيل المثال (٢/ ٢٩١، ٣٠٩).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) راجع الهامش السابق.
(٦) التمهيد (٢/ ٢٩١ ـ ٣٠٩) كلها في ذكر الأحاديث في الحوض.
(٧) الرسالة الوافية (ل: ١٠ أ).

وأما ابن أبي زمنين فقد عقد لكل مسألة من هذه المسائل باباً مستقلاً، وأورد لكل مسألة أدلتها من الكتاب والسنة وأقوال السلف ﷺ.

فقد عقد باباً في الإيمان بعذاب القبر قال فيه: «وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر لقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] قال: ومعنى ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: عذاب الدنيا وعذاب القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، أي: عذاب جهنم، فسرها بذلك قتادة رحمه الله»[١].

واستدل لذلك أيضاً بما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ من عذاب القبر، جاء ذلك عنه في عدة أحاديث، منها حديث اليهودية التي جاءت إلى عائشة ﷺ تسألها، وفيه أنها قالت لها: «أعاذك الله من عذاب القبر...» وفي آخره «أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يتعوذوا من عذاب القبر»[٢].

ثم عقد باباً في الإيمان بالحوض قال فيه: «وأهل السنة يؤمنون بأن للنبي ﷺ حوضاً أعطاه الله إياه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، واستدل لذلك بأحاديث كثيرة، منها: حديث أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «بينما رسول الله ﷺ بين ظهورنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟، قال: " **نزلت علي آنفاً سورة** فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]، ثم قال: **هل تدرون ما الكوثر؟**، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **فإنه نهر وعدنيه ربي، فيه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٣].

---

(١) هو: أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ولد سنة ٦٠هـ، وكان مفسراً وفقيهاً وعالماً بالشعر والأنساب وبتاريخ الجاهلية كان تابعياً، وروى عن الصحابي أنس بن مالك وعن كثير من قدامى التابعين ومنهم الحسن البصري، وتوفي سنة ١١٨هـ.
مصادر ترجمته: المعارف لابن قتيبة (ص ٤٦٢)، الجرح والتعديل (٧/ ١٣٣ ـ ١٣٥) رقم: ٧٥٦، غاية النهاية (٢/ ٢٥ ـ ٢٦) رقم: ٢٦١١، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٦) رقم: ٦٣٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٧٤)، وأخرجه النسائي في الجنائز (باب التعوذ من عذاب القبر) انظر السنن (٤/ ٨٥).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة) رقم: ٤٠٠ (١/ ٣٠٠).

=

ثم عقد باباً في الإيمان بالميزان، قال فيه: «أهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة»، ثم استدل لقولهم بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٧ ـ ٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وبقوله عليه الصلاة و السلام في حديث ابن مسعود ﷺ حين ضحك الصحابة من دقة ساقيه، فقال عليه السلام: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**»[(١)]. وغيره من الأحاديث في إثبات الميزان.

وهذا القول هو قول السلف ﷺ وقد حكاه ابن أبي زمنين عن زهير ابن عباد أنه قال: «كل من أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل وعيسى بن يونس وابن المبارك ووكيع بن الجراح كانوا يقولون: الميزان حق»[(٢)].

ثم عقد باباً في الإيمان بالصراط قال فيه: «وأهل السنة يؤمنون بالصراط، وأن الناس يمرون عليه يوم القيامة على قدر أعمالهم»، واستدل لذلك بأحاديث كثيرة منها حديث عائشة ﷺ الذي تقول فيه: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: "﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] أين يكون الناس يومئذ؟، فقال عليه الصلاة والسلام: **على الصراط**»[(٣)] وغيره من الأحاديث في هذه المسألة.

ثم عقد باباً في الإيمان بالشفاعة قال فيه: «وأهل السنة يؤمنون بالشفاعة، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقوله عليه

---

= و أخرجه أبو داود في السنة (باب في الحوض) رقم: ٤٧٤٧، السنن (٤/ ٢٣٧)، وأخرجه النسائي في كتاب الافتتاح (باب قراءة: بسم الله الرحمن الرحيم) السنن (٢/ ١٠٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١١٤)، وفي فضائل الصحابة (٢/ ٨٤٤) رقم الحديث: ١٥٥٢، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣١٧) وصحح إسناده ووافقه الذهبي، والفسوي في تاريخه (٢/ ٥٤٦).

(٢) أصول السنة: (٨٠ ب).

(٣) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحوالهم (باب في البعث والنشور..) رقم: ٢٧٩٠، صحيح مسلم (٤/ ٢١٥٠)، وأخرجه الترمذي في التفسير (باب: ومن سورة الزمر) رقم: ٣٢٤٢، السنن (٥/ ٣٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الزهد (باب ذكر البعث) رقم: ٤٢٧٨، السنن (٢/ ١٤٣٠)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٥، ١٠١، ١٣٤، ٣١٨).

الصلاة والسلام: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[١] وغيرها من الأدلة في المسألة.

وكذلك كان قولهم في جميع المسائل التي تتصل بالآخرة كالنفخ في الصور، ونزول المسيح عليه السلام وظهور الدجال، وطلوع الشمس من مغربها، كما دلت على ذلك كله نصوص الكتاب والسنة، وهي أمور سابقة لليوم الآخر وما يتعلق به، بل هي أمارات وعلامات له، ولكنها أيضاً من الغيب الذي حجب عنا، فلم نعلمه إلا من طريق السمع.

**١٠ ـ كلامهم في الصحابة:**

هذه المسألة كما ذكرت من قبل لم تكن داخلة ضمن اهتمام علماء السلف، ولم يثر جدال حول من هو أحق بالخلافة من صحابة رسول الله ﷺ، ولا أيهم أفضل بعد رسول الله ﷺ.

والذي ألجأهم إلى إثارة الحديث عنها وحملهم عليه هم المبتدعة الذين إبتليت بهم الأمة حين أثاروا مسائل سكت عنها السلف.

وعلى غرار المشرق فإن هذه المسألة كانت نائمة في المغرب حتى جاء الخوارج والشيعة، فأثاروها وجادلوا حولها وخاضوا فيها، وطعنوا في أئمة الهدى وشككوا العامة فيهم، فلم يكن بد من قيام أهل السنة لرد هذا العدوان السافر، ورد الناس إلى الإسلام الصحيح والاعتقاد الحق في أصحاب رسول الله ﷺ.

والإمامة عند أهل السنة ليست أصلاً من أصول الدين كما هي عند الشيعة، إذ يجعلونها المحور الذي تدور حوله جميع عناصر الدين، إنما هي من المصالح الدنيوية التي يجب العناية بها لإقامة الحدود والجهاد، والدفاع عن بيضة الإسلام، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: «الدين أصل والإمام حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع»[٢].

فالإمام عند أهل السنة حارس للشريعة مطبق لها، وهو فرد كسائر أفراد الأمة ليس له قدسية ولا عصمة كما هو عند الشيعة، ويجب طاعته فيما أطاع الله فيه، لقوله تعالى:

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة (باب في الشفاعة) رقم: ٤٧٣٩، السنن (٤/ ٢٣٦)، وأخرجه الترمذي في صفة القيامة (باب ما جاء في الشفاعة) رقم ٢٤٣٥، ٢٤٣٦، السنن (٤/ ٦٢٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وابن ماجه في الزهد (باب ذكر الشفاعة) رقم: ٤٣١٠، السنن (٢/ ١٤٤١)، وأحمد في المسند (٣/ ٢١٣).

(٢) هو قول حفظته من مدة وغاب عني مرجعه.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: ٥٩]، حيث لم يفردهم بالطاعة، بل جعل طاعتهم تابعة لطاعة رسول الله ﷺ لا فيما فيه معصية[١].

والإمام عند أهل السنة له شروط يجب أن تتوفر فيه، حتى يكون أهلاً لقيادة الأمة وهذه الشروط هي: الإسلام، والعلم، والعدالة، والكفاية (أي: أن يكون شجاعاً جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب، بصيراً بذلك)، والقرشية كما دلت عليه نصوص السنة[٢] وهي كثيرة، بخلاف قول الخوارج الذين لا يشترطون ذلك (أي: القرشية)، ومن الشروط أيضاً: الذكورية، والحرية، والبلوغ؛ فإذا توفرت هذه الشروط في أي شخص كان حقيقاً على الأمة أن تختاره إماماً عليها.

وأفضل الصحابة عند أهل السنة المغاربة، الخلفاء الراشدون ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر من المهاجرين، ثم من الأنصار من جميع أصحابه على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة[٣].

وعقد الإمام ابن أبي زمنين باباً في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، قال فيه: «ومن قول أهل السنة: إن أفضل هذه الأمة بعد نبينا عليه الصلاة والسلام، أبو بكر وعمر، وأفضل الناس بعدهما: عثمان وعلي»[٤].

وقال أبو عمرو الداني: «وأفضل المهاجرين العشرة المعدون للجنة، وأفضل هؤلاء العشرة: الخلفاء الأربعة»[٥].

ويجب الكف عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، بل يجب أن تنشر محاسنهم ويلتمس لهم أحسن المخارج وأجمل المذاهب لمكانهم من الإسلام وموضعهم من الدين[٦].

(١) ابن جماعة الحموي (ت٧٣٣)في "مختصر في فضل الجهاد" ط: وزارة الإعلام العراقية سنة ١٩٨٣، تحقيق: أسامة النقشبندي (ص١٠٤).

(٢) من ذلك قوله ﷺ: «**الأئمة في قريش**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان**» أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (باب الناس تبع لقريش)، صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٢)، وأحمد في المسند (٧/ ٣٥) ط دار المعارف.

(٣) رسالة ابن أبي زيد (ص٨٠)، الجامع (ص١١٥).

(٤) أصول السنة (ل: ١٧ ب).

(٥) الرسالة الوافية (ل:١٣ ب)

(٦) رسالة ابن أبي زيد (ص ٨٠)، الجامع (ص ١١٥).

وعقد الإمام أبو عمرو الداني فصلاً في إحسان القول في أصحاب النبي ﷺ، وذكر فضائلهم ونشر محاسنهم والإمساك عما شجر بينهم، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**»[١]، قال أبو عمرو الداني: «يعني إذا ذكروا بغير الجميل»[٢] وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهَ الله في أصحابي**»[٣].

هذه جملة المسائل التي تناولها علماء السنة المغاربة بالحديث في مصنفاتهم، ننتقل بعدها للحديث عن المقاومة السنية للبدعة وأهلها والله الموفق.

---

(١) سبق تخريج الحديث، وفي معنى الحديث يقول العلامة المناوي في فيض القدير (١/ ٣٤٧): «إذا ذكر أصحابي، بما شجر بينهم من الحروب والمنازعات، فأمسكوا. وجوباً عن الطعن فيهم والخوض في ذكرهم بما لا يليق، فإنهم خير الأمة وخير القرون ولما جرى بينهم محامل».

(٢) الرسالة الوافية ( ل: ١٣ أ)

(٣) و تمامه: «**لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**».
أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن رقم: ٢٢٤٨ (ص ٥٦٨ ـ ٥٦٩)، والترمذي في المناقب (باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ) رقم: ٣٨٦٣، السنن (٥/ ٦٩٦)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأحمد في المسند (٤/ ٨٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

صفحة بيضاء

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الباب الثالث

## مقاومة علماء المغرب للانحرافات العقدية

الفصل الأول : مقاومتهم لعلم الكلام .

الفصل الثاني : مقاومة علماء السنة للتشيع .

الفصل الثالث : مقاومتهم للفكر الخارجي .

الفصل الرابع : مقاومتهم للتصوف .

الفصل الخامس : مقاومتهم للفلسفة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الأول
# مقاومتهم لعلم الكلام

أولاً : مقاومة الاعتزال .

المبحث الأول : دخول الفكر الاعتزالي إلى المغرب .

المبحث الثاني : المقاومة .

ثانياً : مقاومتهم للأشعرية .

المبحث الأول : دخول الأشعرية إلى المغرب .

المبحث الثاني : المقاومة .

ثالثاً : مقاومتهم للفكر الإرجائي .

# أولاً : مقاومة الاعتزال

## المبحث الأول
## دخول الفكر الاعتزالي إلى المغرب و انتشاره به

قبل الحديث عن جهود علماء المغرب في مقاومة الاعتزال و المعتزلة[١] ومقاومة علم الكلام عموماً، يجدر بي أن أشير إلى الأسباب التي مهدت لدخوله إلى المغرب والطرق التي سلكها، حتى نعطي صورة صادقة عن الجانب العقدي في هذا الجزء من العالم الإسلامي، والصراع الذي لم يتوقف بين أهل السنة من جهة والمبتدعة على اختلافهم من جهة ثانية، وقد كنت أشرت غير مرة إلى أن علم الكلام لم يكن مرغوباً فيه في المغرب، وكان رجاله منبوذين من قِبَل علماء السنة الذين ناصبوا العداء كل اتجاه منحرف عن اتجاه أهل السنة.

---

(١) اختلف الناس في أصل تسمية المعتزلة بهذا الاسم إلى ثلاثة مذاهب :

**الأول** : يرى أصحابه أن بدايتهم من عهد الصحابة وأن مذهبهم هو المذهب الحق، و هو قول المعتزلة حيث يقول عبد الجبار : و هذا المذهب أي مذهب المعتزلة هو الذي أنزل الله به الكتاب و أرسل به الرسل و جاء به جبريل عليه السلام. (ص٢١٣) .

**المذهب الثاني** : يرى أصحابه أن بداية نشأة المعتزلة كانت سنة ٤٠هـ عندما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية رضي الله عنه و في ذلك يقول الملطي في : التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع (ص٣٦) " و هم سموا أنفسهم معتزلة و ذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية و سلم إليه الأمر. اعتزلوا الحسن و معاوية و جميع الناس، و ذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، و لزموا منازلهم و مساجدهم و قالوا : نشتغل بالعلم و العبادة فسموا بذلك المعتزلة.

و الاعتزال هنا إنما هو من ناحية اللغة فقط، أما من ناحية الاعتقاد و الفكر فلم يكن لهم اعتقاد خاص يميزهم عن غيرهم.

**المذهب الثالث** : وهو مذهب جمهور مؤرخي الفرق، الذين يرون أن البداية الحقيقية لظهور فرقة المعتزلة كانت على عهد واصل بن عطاء المؤسس الأول لفرقتهم، والسبب في ظهورهم أن رجلاً دخل على الحسن البصري فقال : يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول : إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام =

ولم يجد علم الكلام له نشاطاً واسعاً في المغرب، ولم يلق من التشجيع وكثرة الأنصار ما لقيه في المشرق، وما من شك أن المذهب المالكي وهو صاحب السيادة المذهبية في هذا الجزء من العالم الإسلامي لعب دوراً في فرض نفوذه ومحاربة أي مذهب أو فكر ديني آخر.

إلا أن هذا لا يعني أن المغرب كان خالياً تماماً من هذا النوع من الفكر، بل المصادر تشير إلى أنه رغم العداء المستحكم من قبل أهل السنة المغاربة لعلم الكلام فقد وجد له أنصار، وفي ذلك يقول الإمام ابن حزم: «وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار في أصول الدين ولهم فيه تآليف»[1]، ثم ذكر جملة منهم يأتي ذكرهم في سياق الحديث.

ولقد كانت المعتزلة من أقدم الفرق دخولاً إلى المغرب ومن أكثرها تأثيراً فيه، ولكن الذي يلاحظ بادئ ذي بدء أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة وفكرها، نادرة جداً، فما هي إلا إشارات عابرة لا تكاد تفي بالمقصود وتراجم رجالها أيضاً نادرة.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن علماء المغرب من أهل السنة لم يكونوا يرون المبتدعة من العلماء، ولا يعدون خلافهم خلافاً، ولذلك أسقطوهم من طبقاتهم التي ألفوها في الرجال؛ وهو نوع من أنواع المقاومة لفكرهم، على الرغم من أن كثيراً منهم كان لهم بروز في فنون أخرى من العلوم كالفقه واللغة، ولكن ذلك لم يشفع لهم عند المغاربة ما دام الأصل غير سليم.

وقد تقدم كلام ابن عبد البر في هذا المعنى وهو قوله: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وأهواء وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه»[2].

---

= واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن البصري: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة.
انظر الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٤٧-٤٨)، والفرق بين الفرق (ص ١١٨)

(١) رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥).

ويقول في موضع آخر: «وليسوا عند أحد من أهل العلم ممن يعرج على قولهم ولا يعدون خلافهم خلافاً»[(١)].

ولكن رغم ذلك كله، فإن الباحث يستطيع من خلال تلك الإشارات المتوفرة أن يرسم صورة عن دخول الاعتزال إلى المغرب، والأسباب التي ساعدت على انتشاره والصراع الذي نشب بين علماء السنة من جهة ورجال الاعتزال من جهة ثانية.

ويمكننا أن نقسم الأسباب التي ساعدت على دخول الاعتزال إلى المغرب إلى أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة، وأقصد بالأسباب المباشرة وفود بعض رجال الاعتزال على المغرب من المشرق لنشر الاعتزال به، وتذكر المصادر في هذا الصدد أن واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)[(٢)] رأس المعتزلة وأحد مؤسسي مذهبهم، أرسل داعيته عبد الله بن الحارث[(٣)] إلى المغرب للدعوة لهذا المذهب.

وكانت عادة مؤسسي المذاهب إرسال دعاتهم إلى البلاد المختلفة للدعوة لمذاهبهم ونشرها في الناس، فكان عبد الله بن الحارث من نصيب المغرب[(٤)].

وقد تمكن هذا الرجل من اجتذاب كثير من سكان البربر إلى دعوته، وامتد تأثيره حتى بلغ مساحات واسعة من بلاد المغرب مما جعل ياقوت الحموي يذكر أن «مجمع الواصلية (أصحاب واصل بن عطاء) كان قريباً من تاهرت[(٥)]، وكان عددهم نحو

---

(١) عقيدة ابن عبد البر (ص ١٢٤) نقلاً عن الاستذكار (٥/ ٤٩٤).

(٢) هو: أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال، ولد في المدينة المنورة سنة ٨٠هـ عاش في البصرة حيث كان يحضر دروس الحسن البصري، كان متكلماً بليغاً، ويعد مؤسس مدرسة الاعتزال، وسمي أصحابه معتزلة، لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري لاختلافه معهم في حكم مرتكب الكبيرة، حيث يجعله المعتزلة في منزلة بين المنزلتين توفي سنة ١٣١هـ.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٦/ ٧-١١) رقم: ٧٦٨، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤-٤٦٥) رقم: ٢١٠، النجوم الزاهرة (١/ ٣١٣-٣١٤)، شذرات الذهب (١/ ١٨٢).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام (ص ٣٥٠).

(٥) تاهرت: بفتح الهاء وسكون الراء. اسم لمدينة تقع غرب الجزائر، كانت قديماً تسمى عراق المغرب وتشتهر ببردها حتى قال الشاعر فيها:

نفرح بالشمس إذا ما بدت ... كفرحة الذمي بالسبت

وتشتهر بفواكهها الكثيرة. انظر عنها معجم البلدان (٢/ ٧-٩).

الثلاثين ألفاً في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها»[١].

ولعل السبب في سرعة انتشار الاعتزال في تلك القبائل، أن أهلها كان عندهم استعداد زائد لتقبل أي دعوة جديدة، ففي هذه القبائل كانت قد انتشرت من قبل الديانة البرغواطية[٢] فوجد ابن الحارث في هذه القبائل تربة صالحة لنشر مذهبه.

إلى جانب الأسباب المباشرة لدخول الاعتزال إلى المغرب هناك أسباب غير مباشرة، وهي كثيرة، ولولاها ما كان لهذا المذهب أن يكتب له الانتشار، ولا ذلك التأثير الكبير.

وتتمثل هذه الأسباب في وفود بعض الأقوام من الشام ومن العراق ممن يدينون بالفكر الاعتزالي مع الولاة في أوقات مختلفة، واحتلالهم الوظائف الإدارية والعسكرية، فكان لهم بذلك دور كبير في التمكين للاعتزال بالمغرب[٣].

ومنها أيضاً تمذهب معظم الأمراء الأغالبة[٤] بالاعتزال، ولا شك أنهم كانوا في ذلك مقلدين لمن انتسب لمذهب المعتزلة من خلفاء بني العباس أمثال المأمون والمعتصم والواثق كما هو معروف.

ومن الأسباب غير المباشرة أيضاً رجوع بعض من رحل من المغرب بعد أن تشبعوا بأفكار المعتزلة التي درسوها على رجالها المختصين الذين كانوا ينتشرون في المشرق، وكان لهؤلاء دور كبير أو أثر عميق في نشر آراء المعتزلة ومعتقداتهم، أمثال سليمان بن

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٧-٩).

(٢) الديانة البرغواطية: نسبة إلى برغواطة وهي أخلاط من قبائل شتى من البربر، اجتمعوا إلى صالح بن طريف بقرية بالريف، حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك وأصله يهودي من برباطة (حصن من عمل شذونة بالأندلس) مشعوذ نزل بين أولئك البربر وقد ساد فيهم الجهل، فأظهر الإسلام والزهد والصلاح، فخُدعوا به حتى اعترفوا له بالولاية فقدموه على أنفسهم، فشرع لهم ما هو شبيه بالمجوسية كنكاح بعض ذوات المحارم، وغيّر العبادات الإسلامية وحرم عليهم أكل الرأس من الحيوان. فيقال لمن اتبعه ودخل في ديانته: برباطي فعربته العرب فقالوا: برغاطي وبرغواطة.
انظر عن هذه الديانة (البيان المغرب) (١/ ٥٧)، دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ٥١٦).

(٣) عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية (ص ٩٣).

(٤) بنو الأغلب: أسرة غلبت على إفريقية (تونس) طوال القرن التاسع الميلادي أسسها إبراهيم بن الأغلب، وكان إذ ذلك عاملاً على الزاب.
انظر دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٣٢٦-٣٢٩).

أبي عصفور المعروف بالفراء[١] أحد الفقهاء الأحناف في العهد الأغلبي، رحل إلى العراق، ثم عاد يطرح العقائد الاعتزالية التي تلقاها عن أئمة الاعتزال بالمشرق أمثال: بشر المريسي وأبي الهذيل[٢] وغيرهما، عبر التأليف، حيث كان قد ألف عدة مؤلفات في الجانب العقدي على طريقة المعتزلة مثل: "أعلام النبوة"، وعدة كتب في "خلق القرآن"، وقد تميز الرجل بقدرة فائقة على الجدل والمناظرة، وبخاصة فيما يتعلق بالقرآن، ويعتبر يحيى بنُ عونٍ سليمانَ بنَ عصفور قام بنفس الدور الذي قام به بشر المريسي في المشرق، حيث نشر البدعة في كل مدينة من مدن المغرب وكل زاوية من زواياه، وأصبح هو شيخ المعتزلة بالقيروان.

وهناك فقيه حنفي آخر، هو عبد الله بن الأشج (لم يذكر المؤرخون سنة وفاته[٣])، رحل إلى العراق ثم عاد إلى القيروان، ليساهم في نشر الفكر الاعتزالي، وكان من أهل المناظرة والجدل، وعند عودته سأل: فيم يتكلم أهل القيروان؟ فقيل له: في الأسماء والصفات. فقال: إنما تركت الناس في العراق يتكلمون في مسألتين: مسألة القدر، ومسألة الوعد والوعيد[٤].

وكان أول من أدخل الاعتزال إلى الأندلس ـ كما تذكر المصادر ـ طبيب أديب قرطبي لم تذكر اسمه، رحل إلى المشرق في القرن الثالث الهجري، وحضر مجالس الدرس في العراق وعاد إلى بلده لينشر بين أهلها كتب الجاحظ[٥].

---

(١) هو: سليمان بن حفص بن أبي عصفور الإفريقي. كان معتزلياً، يقول بخلق القرآن توفي سنة ٢٦٩هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢١٩). وانظر أيضاً كتاب البيان المغرب (١/ ١١٩)، الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٨) ط بيروت ١٩٦٥.

(٢) هو: أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي. المعروف بالعلاف. متكلم مع شيوخ البصريين في الاعتزال، ولد بالبصرة وورد بغداد. ورد على المجوس واليهود والملحدين وغيرهم. وعمي وخرف في آخر عمره توفي سنة ٢٣٠هـ وكانت ولادته سنة ١٣١هـ وقيل: ١٣٤هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦-٣٧٠) رقم: ١٤٨٢، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٥-٢٦٦) رقم: ٦٠٦، شذرات الذهب (٢/ ٨٥).

(٣) ترجمة في طبقات الخشني (ص ٢٢٠).

(٤) ن ـ م (ص ٢٢٠).

(٥) تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس (ص ٣٢٤-٣٢٥).

وممن رحل إلى المشرق أيضاً وعاد بكتب الاعتزال إلى المغرب فرج بن سلام القرطبي[١] الذي لقي في رحلته أبا عثمان الجاحظ، وأخذ عنه كتابه "البيان والتبيين" وغيره من كتبه، وأدخلها إلى الأندلس رواية عنه؛ وفي ذلك يقول ابن الفرضي: «دخل العراق فلقي عمرو بن بحر الجاحظ وأخذ منه كتاب "البيان والتبيين" وغير ذلك من مكتوباته وأدخلها الأندلس رواية عنه»[٢].

وقد عد "أسين بلاسيوس" في بحثه عن ابن مسرة بالإسبانية الذي نشره بمدريد فرج ابن سلام هذا من أوائل من أدخلوا تعاليم المعتزلة إلى المغرب بفضل جهوده في إدخال كتب الجاحظ ونشرها في هذه البلاد[٣].

وممن رحل إلى المشرق من رجال الاعتزال أيضاً، وكان له دور كبير في بث تعاليمهم بالمغرب خليل بن عبد الملك بن كليب[٤]، المعروف بخليل الغفلة أو الفضلة، وهو من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وبعد عودته إلى الأندلس أعلن مذهبه الاعتزالي، ودخل في صراع ومواجهة مع أئمة المغرب السنيين[٥] وسيأتي ذكره في المقاومة.

وهناك سبب آخر مهم من الأسباب غير المباشرة، وهو أن العالم الإسلامي كان يتميز بوحدة ثقافية، فما يقع في المشرق يجد له صدى في المغرب، وكذلك ما يقع في المغرب يجد له صدى في المشرق ولكن بدرجة أقل.

يقول ماهر حمادة: «كانت للبلاد الإسلامية وحدة ثقافية رغم التجزئة السياسية التي أصابها، وجعلت منها عدداً من الدويلات الهزيلة المنقسمة، وكانت الأفكار والكتب والبضائع والأشخاص تنتقل بحرية تامة، والأغلب أن انتقال الكتب كان يتم من المشرق

---

(١) هو: أبو بكر فرج بن سلام، كان معتنياً بالأخبار والأشعار والأدب وكان يطبب، رحل إلى المشرق، ودخل العراق فلقي الجاحظ وأخذ منه.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ٣٥٠) رقم: ١٠٣٧، وانظر: التعليق رقم: ٣٣٣ من (ص ٥٣٧) من كتاب: المقتبس لابن حيان.

(٢) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٥٠).

(٣) انظر المقتبس (ص ٥٣٧) التعليق رقم (٣٣٣).

(٤) هو: خليل بن عبد الملك بن كليب. المعروف بخليل الفضلة. من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وكان يعلن بالاستطاعة. وكان في بدء أمره صديقاً لمحمد بن وضاح ثم لما تبين له أمره هجره.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ١٣٩-١٤٠) رقم: ٤١٩.

(٥) تاريخ ابن الفرضي (١/ ١٤٠).

إلى المغرب حيث إن الشرق كان في عصوره الأولى على الأقل متقدماً على المغرب في التأليف»[١]، ومن هنا فلا يعقل أن يكون المشرق الإسلامي يعج بهذه الآراء والمعتقدات والمذاهب دون أن يكون للمغرب فيها نصيب.

هذه هي الأسباب التي رأيت أنها كانت أساسية في نقل الاعتزال إلى المغرب وانتشاره به، ونتيجة لذلك فقد تأثر بهذا المذهب قليلاً أو كثيراً عدد كبير من رجال المغرب، كانت لهم مساهمة فيها بعد في الحياة العلمية في المغرب ومشاركة في الصراع ضد أهل السنة الذين قاوموهم بكل الوسائل كما يأتي ذكره في موضعه.

**رجال المغرب الذين تأثروا بالاعتزال:**

لقد تأثر كثير من رجال المغرب بالآراء الاعتزالية، وتمذهبوا بمذهبهم كما تقدم، فكانوا هدفاً لمقاومة أهل السنة، حيث لم يتركوا وسيلة تمكنهم من القضاء على الاعتزال إلا استعملوها.

لقد كان ابن أبي الجواد[٢] ممن قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب، وكان مذهبه مذهبهم، وكذلك الحال بالنسبة لأبي إسحاق المعروف بالعمشاء[٣] الذي كان من أعلام رجالهم، وكان يذهب إلى القول بخلق القرآن ويناظر فيه المناظرة الشديدة[٤]، ومن أكثر رجالهم تصرفاً في الكلام والجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر[٥] الذي كان يقول بخلق القرآن ويناظر فيه[٦].

ورجل آخر يدعى محمد الكلاعي[٧]، كان أيضاً من أهل المناظرة والجدل على

(١) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (ص ٢٠٠).

(٢) انظر عن ترجمته طبقات الخشني (ص ٢٢٧-٢٣٦).

(٣) كان من أعلام رجال المعتزلة في الكلام، عرف بالعمشاء لأنه أعمش العينين، وكان له أصحاب وأحزاب يجالسونه ويختلفون إليه، وكان يحسن الفرائض وصحب ابن عبدون. ولم تذكر المصادر سنة وفاته. مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢٢١).

(٤) نفس المصدر (ص ٢٢١).

(٥) كان من أهل الرسوخ في علم الطب، وكان شاعراً أديباً، ابتلي في آخر أيامه بمرض الجذام، فاحتجب أياماً في بيته ثم مات. مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢٢١).

(٦) نفس المصدر (ص ٢٢١).

(٧) انظر ترجمته في طبقات الخشني (ص٢٢١).

مذهب المعتزلة، وكان يظهر بالقول بخلق القرآن ولا يتخفى، ولا يداري بل يتحدى، وقد ألف فيه كتاباً يناقض فيه على ابن الحداد كما سيأتي في المقاومة.

ومنهم: محمد المعروف بالمسحي[١] الذي كان في مقدمتهم في المناظرة في خلق القرآن، وكان المعتزلة يقصدونه، خرج إلى الحج فمات في الطريق[٢].

ومنهم: رجل يدعى ابن أبي روح ويلقب بالبغلة[٣] كان معنياً بالجدل في خلق القرآن، وفي الأسماء والصفات.

ومنهم: عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى (ت ٢٦١ أو٢٦٢هـ)[٤] فقد كان على جلالة قدره وعلمه قد طالع كتب المعتزلة ونظر في كلام المتكلمين، وكان يذهب إلى أن الأرواح تموت، وكان ينسب إلى القدر.

ومنهم أيضاً: محمد بن الأسود الصديني[٥] الذي كان على مذهب المعتزلة، وتبوأ منصب القضاء في الدولة الأغلبية وعسف وظلم، وصفه القاضي عياض بأنه: «كان خبيثاً معتزلياً»[٦] وقد امتحن عدداً من علماء السنة كما يأتي.

ومنهم: عبد الله بن مسرة (ت ٢٨٦هـ)[٧] فقد كان متأثراً بالاعتزال، وكان متهماً بالقدر.

---

(١) انظر عنه طبقات الخشني (ص٢٢٢).

(٢) نفس المصدر (ص ٢٣٢).

(٣) طبقات الخشني (ص ٢٢٢).

(٤) هو: أبو وهب عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى مولى قريش من أهل قرطبة، سمع من يحيى ابن يحيى، ورحل إلى المشرق، فسمع من مطرف بن عبد الله المدني، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج. وبتونس من سحنون وأخذ عنه محمد بن وضاح وغيره. كان رجلاً عاقلاً حافظاً للرأي مشاركاً في النحو واللغة وكان زاهداً، ولم تكن له معرفة بالحديث توفي سنة ٢٦١ أو ٢٦٢هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢٨٠-٢٨٢) رقم: ٨٣٧.

(٥) ترتيب المدارك (١/ ٧٠-٧١).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) هو: أبو محمد عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وسمع بالبصرة من عدد كبير من العلماء. توفي سنة ٢٨٦هـ وهو والد محمد بن مسرة الفيلسوف الشهير.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢١٧-٢١٨) رقم: ٦٥٢.

ومنهم: يحيى بن يحيى (ت ٣١٥هـ)[١] المعروف بابن السمينة، وهو تلميذ خليل بن عبد الملك بن كليب ـ سبق ذكره ـ فقد كان هو الآخر من رجال الاعتزال بصيراً بالاحتجاج والكلام، يذهب مذاهب المتكلمين، وكان يقول بالاستطاعة ويعلن بذلك، وقد أخذ القول بالاستطاعة ـ كما يقول ابن الفرضي ـ عن شيخه عبد الملك بن كليب[٢].

وممن تأثر بآراء المعتزلة وغيرها من الآراء المنحرفة عن السنة، وكان له سهم في جميعها حتى أصبح له مذهب مستقل ينسب إليه، وتلاميذ ومريدون يأخذون عنه وينتمون إليه، وينشرون أفكاره: محمد بن عبد الله بن مسرة، وسيأتي الحديث عنه بتوسع في فصل التصوف، لكني أذكر هنا ما يتعلق بآرائه الاعتزالية التي عرف بها، فقد كان خرج إلى المشرق واشتغل بلقاء أهل الجدل وأصحاب الكلام من المعتزلة.

ومن آرائه التي كان يقول بها والتي تدل على تأثره بالفكر الاعتزالي، قوله بالاستطاعة وإنفاذ الوعيد والقدر، يقول ابن حزم: «وكان محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح الأندلسي يوافق المعتزلة في القدر»[٣].

وكان يقول: «إن علم الله وقدرته صفتان مخلوقتان، وكان يقول: إن لله تعالى علمين: **أحدهما**: علم الكتاب، وهو علم الغيب كعلمه تعالى أنه سيكون كفارٌ ومؤمنون، والقيامة والجزاء ونحو ذلك، **والثاني**: علم الجزئيات، وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وإيمان عمرو ونحو ذلك، فإنه تعالى لا يعلم من ذلك شيئاً حتى يكون»[٤]، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً.

ومن رجالهم أيضاً رجل يدعى أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلى الله (ت ٣٦٩هـ)[٥]، فقد كان بصيراً بالحجاج، وكان ينسب إلى الاعتزال، وعبد

---

(١) هو: أبو بكر يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة رحل إلى المشرق، وتوفي سنة ٣١٥هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٨٨) رقم: ١٥٨٠.

(٢) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٨٨).

(٣) الفصل لابن حزم (٤/ ١٩٨).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٩٨).

(٥) هو: أبو عمر أحمد بن عبد الوهاب بن يونس، يعرف بابن صلى الله. من أهل قرطبة كان ذكياً حافظاً للفقه عالماً بالاختلاف. يميل إلى مذهب الشافعي. له سماع من شيوخ وقته. كما أن له حظاً وافراً من العربية توفي سنة ٣٦٩ أو ٣٧٠هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس(١/ ٤٧) رقم: ١٥٤.

الوهاب بن منذر القرطبي (ت ٤٣٦هـ) [(١)] الذي اتهم هو الآخر بالاعتزال وتركه الناس من أجل ذلك، وكان قد ألف كتاباً في القدر والقرآن على مذهب المعتزلة[(٢)].

وممن كان على مذهب المعتزلة من أهل الأندلس، بل من شيوخهم ـ كما يذكر ذلك ابن حزم ـ موسى ابن حدير[(٣)] صاحب السكة، يقول في بعض رسائله التي جرت بينه وبين منذر بن سعيد البلوطي: إن الله عاقل[(٤)]، وكذلك كان أخوه الوزير أحمد[(٥)] الذي كان داعية إلى الاعتزال لا يتستر من ذلك[(٦)]، ومنهم: هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الكناني (ت ٤٠٠هـ)[(٧)] الذي كان أحد رجال الكمال في عصره باحتوائه على فنون المعارف حتى كان يقال فيه كما قال الشاعر:

وكان من العلوم بحيث يقضى ... له في كل علم بالجميع[(٨)]

وكان بصيراً بأصول الاعتقادات، وأصول الفقه والفرائض والحساب، واقفاً على كثير من فتاوى فقهاء الأمصار وغير ذلك.

---

(١) هو: أبو عاصم عبد الوهاب بن منذر القرطبي، كان ناكساً عفيفاً منقبضاً عن الناس كثير الصلاة، لولا اعتزال كان فيه. توفي سنة ٤٣٦ هـ.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٣٨٠) رقم: ٨١٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) هو: موسى بن محمد بن حدير الحاجب. كان في أيام عبد الرحمن الناصر، وكان من أهل الأدب والشعر ومن أهل بيت رياسة وجلالة.
مصادر ترجمته: بغية الملتمس (٤٣٩-٤٤٠) رقم: ١٣٢٠، رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦).

(٤) الفصل (٤/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٥) هو: أبو عمر أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حيدر. قرطبي ولي خطة الوزارة وأحكام المظالم. كان مهيباً، حج سنة ٢٧٥هـ وتوفي سنة ٣٢٧هـ.
مصادر ترجمته: رسائل ابن حزم (١/ ١٥٥) (٢/ ١٨٦).

(٦) رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦).

(٧) هو: أبو الوليد هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الكناني الأندلسي الطليطلي، أخذ عن أبي عمرو والطلمنكي وغيره. كان من أعلم الناس بالنحو واللغة والعروض، وكان حافظاً للسنن. توفي سنة ٤٠٠هـ.
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣٤-١٣٦) رقم: ٧١، الصلة (٢/ ٦٥٣-٦٥٤) رقم: ١٤٣٦، معجم البلدان (٥/ ٢٢٣)، نفح الطيب (٣/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٨) الصلة (٢/ ٦٥٣).

ويذكر ابن حزم من أهل الاعتزال في الأندلس حكم بن منذر بن سعيد البلوطي[١]، الذي كان على قول ابن حزم: «رأس المعتزلة بالأندلس وكبيرهم وأستاذهم وناسكهم»[٢].

إلى جانب رجال المغرب الذين تأثروا بالفكر الاعتزالي، فقد وفد على المغرب في فترات متفرقة بعض معتزلة المشرق، الذين كانت لهم بالطبع مساهمة لا يستهان بها في نشر الفكر الاعتزالي بالمغرب، أمثال: محمد بن أحمد الشافعي (ت ٣٨٠هـ)[٣] الذي وفد على الأندلس في أيام الخليفة الحكم فأنزله منزلاً كريماً، ثم نقم عليه وسخط لما علم أنه يعتنق آراء اعتزالية، ويعمل على نشرها في الناس[٤].

ويذكر ابن الأبار أنه دخل في آخر القرن الخامس إلى الأندلس رجل مشرقي من أعلام الكلام فنزل بمرسية[٥]، وأخذ في إثارة كثير من المسائل حول خلق القرآن، ونزول الرب إلى السماء الدنيا وأمثال ذلك من قضايا الاعتزال، فلم يجد أمامه من يفند أقواله ويرد شبهاته، فانطلق رجل من أهل مرسية إلى طليطلة لمقابلة عالمها الكبير عبد الرحمن ابن أحمد بن المشاط[٦]، فعرض عليه تلك المسائل، فرد على كل منها

---

(١) هو: أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد بن عبد الله، من أهل قرطبة، روى عن أبيه ورحل إلى المشرق ودخل مكة وأخذ عن علمائها. وروى عنه ابن عبد البر وغيره. وكان من أهل المعرفة والذكاء، متقد الذهن. توفي سنة ٤٢٠هـ.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (١/ ١٤٨) رقم: ٣٣٥.

(٢) رسائل ابن حزم (١/ ١٥٧).

(٣) هو: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن أبي بردة الشافعي البغدادي، سمع الحديث ببغداد من أبي القاسم البغوي وابن مجاهد وغيرهما. تفقه للشافعي على أبي إسحاق المروزي وغيره. حج ودخل مصر، ووصل إلى الأندلس سنة ٣٦١هـ، وكان من أعلم الناس بمذهب الشافعي ولكن لم تكن له كتب. توفي في تيهرت عند بنت له، لما أخرج من الأندلس بسبب اعتناقه آراء اعتزالية.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ١١٤) رقم: ١٤٠٣، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٥) رقم: ٧١٨٣.

(٤) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١١٤)

(٥) مرسية: بضم أوله والسكون وكسر السين وياء مفتوحة خفيفة وهاء. مدينة بالأندلس اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام. وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها.
انظر عنها معجم البلدان (٥/ ١٠٧)، الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان (٩٩ ـ ١٠٢).

(٦) لم أعثر له على ترجمة.

بجواب، ووضع لتلك الردود عنواناً هو: "كشف جمل التعطيل بحجج من الأثر والنظر والتنزيل"[١].

هذه جملة من رجال الاعتزال بالمغرب الإسلامي آثرت أن أقدم بها لموضوع مقاومة بدعة الاعتزال من قِبل علماء المغرب حتى تكون لدينا فكرة وخلفية عن حجم الوجود الاعتزالي، ومن ثم تعرف مدى ما حققته المقاومة من نتائج.

---

(١) معجم ابن الآبار (ص ٢٧٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


# المبحث الثاني
# المقاومة

## (١) أسباب المقاومة:

لم تأت مقاومة علماء السنة المغاربة لبدعة الاعتزال من فراغ، أو عن تعصب كما يرى البعض، بل كانت هناك أسباب كافية لحملهم على هذه المقاومة وإشعال فتيلها.

**أولى هذه الأسباب**: أن أهل المغرب كانوا يقاومون كل فكر منحرف عن منهج أهل السنة مهما كان انحرافه، لا يفرقون بين أحد منهم، وعلى ذلك قاوموا الاعتزال والتشيع والفكر الخارجي، كما قاوموا كل من درس الفلسفة والمنطق.

ومن هنا جاءت مقاومتهم للاعتزال الذي كانوا يرون فيه انحرافاً واضحاً عن السنة، ومخالفةً صريحةً لها؛ من تقديم العقل على الشرع وجعله متحكماً في النصوص الشرعية يفسرها كيف يشاء، وهذه أكبر جناية، وهي كافية وحدها على جعل أهل السنة يقفون في وجه من ينتحل هذه النحلة ويقول بها.

ومسلك المعتزلة هذا هو الذي أوقعهم في المحظور من مخالفة صريح القرآن والسنة، حيث نفوا الصفات، ونفوا رؤية الله في الآخرة كما ابتدعوا القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من البدع المنكرة.

**السبب الثاني**: هو محاولة فرض آرائهم هذه على الناس وحملهم عليها بالقوة، ولو أنهم اكتفوا بضلالهم وانحرافهم في أنفسهم لكان الأمر هيناً، ولكن عندما يفرض على الناس ويصبح هو المذهب الرسمي ومذهب الحق، وما دونه هو الباطل، ويصبح من يخالفه مخالفاً للحق يجب عقابه، عند ذلك تصبح المقاومة واجبة وهو ما حصل بالفعل. فعندما اعتنق بنو الأغلب مذهب الاعتزال عملوا على فرضه على الناس، وبلغ ببعضهم "أن كتب السجلات بخلق القرآن وأمر بقراءتها على المنابر وأن يحمل الناس عليها"[(١)] ونتج عن ذلك المحنةُ التي تعرض لها علماء السنة عندما رفضوا هذا السلوك، وقاوموه ووقفوا في وجهه تماماً كما حصل في المشرق في محنة خلق القرآن.

**السبب الثالث**: من أسباب المقاومة: هي المحنة التي تعرض لها علماء السنة

(١) عياض: تراجم أغلبية (٢٤٤).

المغاربة على يد المعتزلة. لقد تعرض علماء المغرب لمحنة شديدة وقاسية من قبل أمراء بني الأغلب المعتزلة، نتيجة لتشددهم تجاه القضايا التي كانوا يسعون لفرضها على الناس بالقوة، وبخاصة مسألة خلق القرآن، يقول الدباغ: إن أهل القيروان امتحنوا بخلق القرآن في زمن الواثق، وعزم محمد بن الأغلب على قتل محمد بن سعيد، فما زال أهل القيروان على اعتقاد أهل السنة(١).

وحدث في عهد أحمد بن الأغلب أن أخذ الناس بالمحنة، وتشدد عليهم حتى فر أكثر الفقهاء قائلين قولتهم المشهورة: "البدعة فاشية وأهلها أعزاء".

وممن امتحن على أيديهم من الأئمة الكبار الإمام سحنون بن سعيد، وكان أبو جعفر موسى بن معاوية ممن امتحن على أيديهم في مسألة خلق القرآن، امتحنه ابن أبي الجواد المعتزلي في زمن توليه القضاء، حيث سأله عن القرآن، فقال موسى: سمعت فلاناً وفلاناً، وذكر جماعة من أهل العلم يقولون لمن قال: القرآن مخلوق كافر، فكان هذا سبب محنته(٢).

ولما تولى محمد بن الأسود الصديني القضاء بالقيروان ـ وهو الذي قال فيه القاضي عياض ـ كما تقدم ـ: كان خبيثاً معتزلياً ـ "عسف وظلم، وكان ممن امتحن على يديه أبو جعفر القصري(٣) وأبو إسحاق ابن البردون، ولم تطل مدة هذا القاضي، فقد استجاب زيادة الله ابن العباس لرغبة أهل القيروان، فعزله وكتب لهم كتاباً قال فيه: "وإني عزلت عنكم الجافي الخلق المبتدع المتعسف، ووليت القضاء حماس بن مروان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة(٤)".

وممن امتحن على أيديهم أيضاً: إبراهيم بن محمد الضبي، فقد كان من أسباب قتله ـ إضافة إلى عداوته للعبيديين ـ تأليفه كتاباً يناقض فيه كتاباً للكلاعي في القول بخلق القرآن، فكان ذلك من الأسباب المباشرة التي قضت عليه، حيث تولى الكلاعي وابن ظفر سفك دمه.

---

(١) معالم الإيمان (١/ ٢٢).

(٢) المدارك (المجلد الثاني (٥-٩).

(٣) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الميمي، ويعرف بالقصري، كان رجلاً صالحاً ثقةً توفي سنة ٣٢٢هـ. وله من التأليف كتاب «تجديد الإيمان وشرائع الإسلام».
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ١٧٠)، رياض النفوس (٢/ ١٩٧-١٩٩) رقم: ٢٠٩، معالم الإيمان (٣/ ١١-١٣) رقم: ١٨٥.

(٤) طبقات الخشني (ص ١٧٠).

وممن امتحن أهل السنة أيضاً: سليمان بن عمران العراقي الذي كان تلميذاً لسحنون، ولكن بعد وفاة شيخه تولى القضاء بمسعى من محمد بن سحنون ثم تمعزل (أي: دخل في الاعتزال) وصار يطلب محمد بن سحنون وأتباعه، وضرب منهم فرات بن محمد[١] ضرباً شديداً.

وممن امتحن على أيديهم ـ ولكن نجاه الله منهم ـ: مروان بن أبي شحمة[٢] الذي اتهموه بالتشبيه، فوجه في طلبه أحمد بن الأغلب، «فلما قدم عليه سأله: أخبرني عن معبودك ذكر هو أم أنثى؟، فقال له مروان: هذه مسألة زنديق، وهذه صفة معبودي، ثم قرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ حتى ختمها، فخلى عنه»[٣].

**(٢) أساليب المقاومة:**

لقد ذكرت في عدة مواضع من بحثنا هذا أن علماء المغرب السنيين كانوا يقاومون كل من ينحرف عن منهج أهل السنة، ويقفون في وجه كل محاولة عقلية لا تتقيد بمنهج أهل السنة، ولما كان علم الكلام منهجاً محدثاً في دراسة العقائد لم يعرفه السلف الصالح ﷺ ولا نبهوا عليه ولا دعوا إليه، بل أثر عنهم أنهم أنكروا على من يشتغل به، فإن ذلك كان مبرراً لهم أن ينكروا على المتكلمين، بل بلغ بهم التشدد في هذا الأمر والتنفير منه أن يرموا المشتغلين بعلم الكلام بالكفر والزندقة كما ذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس حيث يقول: «اتصل بهم علم أصول الدين، فاعتقدوا فيه أنه كفر وزندقة»[٤].

(١) هو: أبو سهيل فرات بن محمد العبدي، أخذ عن سحنون وعون بن يوسف الخزاعي وغيرهما، كان من أطول الناس صلاة وأكثرهم ملازمة للمساجد. وكان ذا تهجد وصيام.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ١٤١)، معالم الإيمان (٢/ ٢٤٩-٢٥٠) رقم: ١٤٦.

(٢) هو: أبو الوليد مروان بن الوليد بن شحمة المسيلي، كان ثقة مستجاباً فاضلاً، سمع من وكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي، وكان سحنون يعرف فضله، وكان عابداً زاهداً وكان يبكي حتى يغشى عليه. توفي سنة ٢٤٢هـ وهو ابن أربع وتسعين سنة.
مصادر ترجمته: طبقات ابن العرب (ص ١١٥-١١٦)، رياض النفوس (١/ ٣٩٢-٣٩٣) رقم: ١٣١، معالم الإيمان (٢/ ١٠٥-١٠٦) رقم: ١٠٤.

(٣) كتاب المحن لأبي العرب (ص ٤٥٩) طبعة: دار الغرب الإسلامي (ط ١: ١٤٠٣/ ١٩٨٣) تحقيق: الدكتور يحيى وهيب الجبوري.

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي .

من هنا جاءت مقاومة علماء المغرب للاعتزال، ولم تكن هذه المقاومة على نمط واحد، بل اتخذت أنماطاً مختلفة وأشكالاً متعددة، حيث استعمل العلماء كل وسيلة يمكنهم بها أن يصلوا إلى غرضهم من القضاء على الاعتزال والمعتزلة وعلى كل بدعة، فاستعملوا الهجر والضرب وكل ما من شأنه أن يقضي على البدعة والمبتدعة كما يقول الإمام اللالكائي: «وقد خبأ المبتدعون أنفسهم في سراديب كالأموات في قبورهم خوفاً من القتل والصلب والنكال والسلب من طلب الأئمة لهم لإقامة حدود الله فيهم»(١).

ولكن قبل تناول هذه الأساليب أذكر تمهيداً في حكم المبتدع، أتناول حكم المبتدع وهل يكفر ببدعته أم لا؟

اختلف العلماء في حكم المبتدع الذي أداه اجتهاده إلى بدعة خالف بها أهل السنة والجماعة، كالخوارج والمعتزلة والقدرية والجهمية إلى قولين، يقول الإمام أحمد ابن تيمية: «فقد حكي عن مالك فيها روايتان، وعن الشافعي فيها قولان، وعن الإمام أحمد أيضاً فيها روايتان، وكذلك أهل الكلام، فقد ذكروا للأشعري فيها قولين، وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل»(٢).

والمقصود هنا بالمبتدعة ليس أولئك الغلاة من الرافضة القائلين بإلهية علي وغيرهم من الباطنية والحلولية، فإن أولئك كفرهم ثابت، وإنما المقصود من ذكرنا من الفرق.

وسوف لا أتطرق لذكر جميع المذاهب في المبتدعة، وإنما الذي يهمنا هو ذكر أقوال المحققين من أهل السنة، كالإمام ابن تيمية والإمام الشاطبي وغيرهما من الذين توصلوا بعد طول معاناة وطول دراسة وتحقيق في المذاهب المختلفة، إلى الخلاصة التي يؤكدون فيها عدم كفر المبتدعة، وأن ما ورد من إطلاق الكفر من بعض الأمة عليهم، إنما المقصود به أن القول قد يكون كفراً لكن صاحبه ليس بكافر.

يقول الإمام ابن تيمية: «وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه فيقال: من قال هذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»(٣).

ويقول القاضي عياض: «والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الختم عليهم

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧).
(٢) المسائل الماردينية (ص٦٠) .
(٣) المسائل الماردينية (ص٦٠) .

بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثتهم ومناكحاتهم ودياتهم، والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملتهم»[١].

ويقول الإمام الشاطبي: «وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء الفرق أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر بحسب الأثر: عدم القطع بتكفيرهم»[٢]، ويقول ابن حجر المكي: «والصواب عند الأكثرين من علماء السلف والخلف: أنا لا نكفر أهل البدع والأهواء إلا إن أتوا بمكفر صريح لا استلزامي، لأن الأصح أن لازم المذهب ليس بمذهب»[٣].

وهؤلاء الذين نقلنا أقوالهم يستندون في أحكامهم هذه إلى أدلة من سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فقد "نشأ على زمانهم من قال بهذه الأقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال"[٤]. فما نقل عنهم أنهم كفروهم، والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

١- أن علياً وغيره من الصحابة لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحروراء[٥]، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم علي بن أبي طالب: «إن علينا أن لا نمنعكم من مساجدنا ولا نمنعكم من الفيء إذا كانت أيديكم معنا. ثم أرسل ابن عباس فناظرهم»[٦].

ومع هذا كما يقول الإمام ابن تيمية: «لم يسب لهم ذرية ولا غنم لهم مالاً ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله، ولم ينكر أحد عليه ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن الإسلام»[٧].

---

(١) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى (٢/ ١٠٨٥).
(٢) الاعتصام (٢/ ١٨٥).
(٣) المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري (١/ ١٤٧).
(٤) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦).
(٥) حروراء: بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة: هي موضع ميلين من الكوفة، نزل به الخوارج الذين خالفوا علياً وخرجوا عنه ﷺ فنسبوا إليها، فقيل: الحرورية.
انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٤٥)، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص ١٩٠-١٩١).
(٦) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٣٢) وانظر: مناظرة ابن عباس لهم في تاريخ الطبري (٥/ ٦٤-٦٦) وانظر أيضاً: تاريخ ابن كثير (٧/ ٢٩٠-٢٩٢).
(٧) منهاج السنة (٤/ ٥٣٣).

ويقول الإمام الشاطبي: «والدليل على عدم تكفيرهم عمل السلف الصالح فيهم، ألا ترى إلى صنع علي رضي الله عنه في الخوارج وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام على مقتضى قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]، فإنه لما امتنعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهاجمهم علي ولا قاتلهم، ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[١]، ولأن أبا بكر خرج لقتال أهل الردة ولم يتركهم، فدل ذلك على اختلاف في المسألتين»[٢].

٢- أن علياً رضي الله عنه لما سئل عن أهل النهروان[٣]، فقيل له: «أمشركون هم؟، قال: من الشرك فروا، فقيل: أفمنافقون هم؟، قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟، قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم»[٤].

رغم أن هؤلاء كما يقول الإمام ابن تيمية: «استفاضت الأحاديث الصحيحة[٥] عن النبي ﷺ في ذمهم والأمر بقتالهم، وهم يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاهما، فمن لم

(١) أخرجه البخاري في استتابة المرتدين (باب حكم المرتد والمرتدة واستتابهم) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رقم الحديث: ٦٩٢٢ فتح الباري (١٢/ ٢٦٧)، وأخرجه الترمذي في الحدود (باب ما جاء في المرتد) رقم: ١٤٥٨ انظر: سنن الترمذي (٤/ ٤٨)، وأخرجه أبو داود في الحدود (باب الحكم فيمن ارتد) رقم: ٤٣٥١ انظر : سنن أبي داود (٤/ ١٢٦)، وأخرجه النسائي في تحريم الدم (باب الحكم في المرتد) (٧/ ١٠٤، ١٠٥)، وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٢).

(٢) الاعتصام (٢/ ١٨٥).

(٣) النهروان: بفتح النون وسكون الهاء وأكثر ما جرى على الألسنة بكسر النون وهي كورة (أي: بقعة) واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وبها عدة بلاد منها إسكاف وجرجرايا، وكانت بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج مشهورة. انظر عنها معجم البلدان (٥/ ٣٢٤-٣٢٧)، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص ٥٨٢-٥٨٣).

(٤) انظر: تاريخ ابن كثير (٧/ ٢٩١).

(٥) من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...**» الحديث. أخرجه مسلم في الزكاة (باب التحريض على قتل الخوارج) رقم الحديث: ١٠٦٦، وأبو داود في السنة (باب في قتال الخوارج) رقم الحديث: ٤٧٦٨، ٤٧٦٩، ٤٧٧٠، سنن أبي داود (٤/ ٢٤٤-٢٤٥).

يكن معهم، كان عندهم كافراً ودارهم دار كفر، فإنما دار الإسلام عندهم في دارهم، ومع هذا فقد صرح علي ﷺ بأنهم مؤمنون ليسوا كفاراً ولا منافقين»(١).

٣- الدليل الثالث على أن الصحابة لم يكونوا يكفرون الخوارج وغيرهم من المبتدعة: أنهم كانوا يصلون خلفهم؛ فكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري(٢)، كما كانوا يحدثونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم، «كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وكما أجاب نافع بن الأزرق(٣) عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمون»(٤).

ويقول ابن حزم : «وما امتنع قط أحد من الصحابة ﷺ ولا من خيار التابعين من الصلاة خلف كل إمام صلى بهم حتى خلف نجدة الحروري وغيره، وقيل لابن عمر في ذلك فقال: "إذا قالوا: حي على الصلاة أجبناهم، وإذا قالوا: حي على سفك الدماء تركناهم»(٥).

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٣٢).

(٢) هو: نجدة بن عامر الحروري من بني حنيفة من اليمامة. ولد سنة ٣٦هـ وقتل سنة ٦٩هـ قال الذهبي في الميزان (٤/ ٢٤٥): "من رؤوس الخوارج، زائغ عن الحق" وزاد ابن حجر في لسان الميزان (٦/ ١٤٦): "خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية سنة ٦٦هـ وقدم إلى مكة، وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا". وانظر عن ترجمته أيضاً: الأعلام للزركلي (٨/ ٣٢٤)، الفرق بين الفرق (ص ٨٧-٩٠)

(٣) هو: أبو راشد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري، رأس الأزارقة وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم، كان من أنصار الثورة على الخليفة عثمان، ووالى علياً إلى أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية.

فاجتمع وأصحابه في حروراء ونادوا بالخروج على علي، ومن يومها عرفوا بالخوارج لخروجهم على علي، والتحق بابن الزبير في قتال جيش الشام، ثم انفض عنه وجماعته لما علموا أنه لا يتبرأ من عثمان، قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥هـ على يد جيش المهلب بن أبي صفرة.

مصادر ترجمته: لسان الميزان لابن حجر (٦/ ١٤٤)، الكامل للمبرد (٢/ ١٧٢-١٨١)، الأعلام الزركلي (٧/ ٣٥١-٣٥٢).

(٤) منهاج السنة (٥/ ٢٤٧).

(٥) انظر رسائل ابن حزم (٣/ ٢٠٧-٢٠٨).

٤- أنه لم يثبت عن الصحابة والتابعين أنهم أزاحوا لهؤلاء المبتدعة قبراً ولا قطعوا لهم ميراثاً، ولم يزالوا يُعاملون معاملة المسلمين في نكاحهم وإنكاحهم والصلاة على موتاهم ودفنهم في مقابرهم[(١)].

هذه الأدلة التي سردتها لعلها تكون كافية في التدليل على ما ذهب إليه العلماء في أحكامهم.

ولكن ذلك لم يمنعهم من اتخاذ الوسائل الناجعة لتأديبهم وزجرهم والتغليظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر حتى يرجعوا عن بدعتهم، يقول القاضي عياض: «ولكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم، لأنهم فُساق ضلال عصاة، أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم»[(٢)]، ويقول الإمام الشاطبي: «وأيضاً فحين ظهر معبد الجهني وغيره من أهل القدر لم يكن من السلف الصالح إلا الطرد والإبعاد والعداوة والهجران»[(٣)].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في الغرض من ترك علماء السلف الصلاة خلف المبتدعة وعدم قبول شهاداتهم وغير ذلك: «وإنما منع الأئمة كأحمد بن حنبل وأمثاله قبول رواية الداعي إلى بدعة المتعلق بها وقبول شهادته والصلاة خلفه هجراً له وزجراً، ليكف ضرر بدعته عن المسلمين؛ لأن في قبول شهادته وروايته والصلاة خلفه واستقضائه وتنفيذ أحكامه رضًى ببدعته وإقراراً له عليها وتعريضاً لقبولها منه»[(٤)].

ويقول الإمام الشاطبي في هذا المعنى أيضاً: «وفيه علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من الزجر والهجر كالضرب والقتل، فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع الإسلام وإقبالاً على ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل بما فيه، أيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام: **إحداهما**: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه دون اتباع أهل السنة على سنتهم، **والثانية**: أنه إذا وُقر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦)، المرقاة في شرح المشكاة (١/ ١٤٧-١٤٨).
(٢) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦).
(٣) الاعتصام (٢/ ١٨٦).
(٤) المعيار المغرب (٢/ ٤٥٢).

إنشاء الابتداع في كل شيء وعلى كل حال، فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه»[١].

لهذه الأسباب ولغيرها سلك علماء السنة مختلف الطرق، واتخذوا كل الوسائل الممكنة مع المبتدعة حتى يردوهم عن بدعهم، وفيما يلي من البحث سأتطرق لذكر مختلف الطرق والوسائل والأساليب التي استعملها علماء السلف في مقاومة بدعة الاعتزال والله الموفق.

**١- الوسيلة الأولى أو الأسلوب الأول: اعتزال أهل البدع وعدم السلام عليهم:**

لقد كان الامتناع عن السلام على أهل البدع عامة والمعتزلة خاصة، واعتزال مجالسهم، بل والإنكار على من يفعل ذلك معهم من أشد الأساليب التي اتخذها علماء المغرب وجربوها في مقاومة الاعتزال بالمغرب وأنكاها، وهو أسلوب ندب إليه القرآن الكريم والسنة النبوية لقمع المبتدعة وطبقة سلف الأمة معهم. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[الأنعام: ٨٦]، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «في هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة نبيه فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير لهم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم»[٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ، وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١٣٣].

يقول القرطبي: «الصحيح في معنى هذه الآية أنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع، فإن صحبتهم كفر أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة»[٣].

وكقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقد تقدم الحديث فيها عند حديثنا عن الإمام مالك وآرائه في مسائل العقيدة فليراجع.

وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى كثير، وأما من السنة فإن كتب الحديث مليئة بما ورد عن النبي ﷺ في النهي عن مجالسة أهل البدع، والأمر باعتزالهم وهجرهم،

(١) الاعتصام (١/ ١١٤).
(٢) فتح القدير (٢/ ١٢٢).
(٣) تفسير القرطبي (٣/ ١٠٨).

وقد عقد أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد أبواباً بهذا الخصوص[(١)].

فمن الأحاديث في هذا الباب، نذكر الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما[(٢)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. فقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، أولئك الذين سماهم الله فاحذروهم**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**»[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر؛ إذا مرضوا فلا تعودوهم، وإذا ماتوا فلا تشهدوهم**»[(٤)].

وقد اتخذ العلماء من هذه النصوص مبدأً في هجر المبتدع، حيث يقول الإمام ابن عبد البر: "ولا بأس بهجر أهل البدع ومقاطعتهم وترك السلام عليهم"[(٥)]. بل يرى في

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٩١، ٤٩٨) (١١/ ٤٠)، سنن أبي داود في باب (مجانبة أهل الأهواء وبغضهم) و(باب ترك السلام على أهل الأهواء) سنن أبي داود (٥/ ٦،٨) رقم الأحاديث: ٤٥٩٩-٣٦٠٢.
ورياض الصالحين في (باب تحريم الهجر بين المسلمين إلا لبدعة في المهجور) (ص ٦٠٩-٦١١).
وفي شرح السنن للبغوي في (باب مجانبة أهل الأهواء) (١/ ٢١٩-٢٣٠)، وفي الترغيب والترهيب للمنذري في (باب الترهيب من حب الأشرار وأهل البدع، لأن المرء مع من أحب).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (باب منه آيات محكمات) رقم: ٤٥٤٧، انظر فتح الباري (٨/ ٢٠٩)، ومسلم في كتاب العلم (باب النهي عن اتباع متشابه القرآن) رقم: ٢٦٦٥، انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٣)، وأبو داود في السنة (باب مجانبة أهل الأهواء) رقم: ٤٥٩٨، سنن أبي داود (٤/ ١٩٨)، وأخرجه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة آل عمران) رقم: ٢٩٩٤ سنن الترمذي (٥/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في المقدمة (باب النهي عن الضعفاء والاحتياط في تحملها) رقم: ٦، صحيح مسلم (١/ ١٢).

(٤) مسند أحمد (١/ ٣٠)، وأخرجه أبو داود في السنة (باب في القدر) رقم: ٤٦٩١، ٤٦٩٢، سنن أبي داود (٤/ ٢٢٢)، السنة لأبي عاصم (٣٣٠، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢).

(٥) الكافي (٢/ ١١٣٨).

أمر الرسول ﷺ بهجر الثلاثة الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك أصلاً في هذا الباب حيث يقول: "وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهجرته وقطع الكلام معه"(١).

وقد ذكرت في التمهيد السابق (ص ١٩٥) مبحثاً عن حكم المبتدع وأقوال العلماء في ذلك، مما سوغ لعلماء المغرب أن ينطلقوا في أحكامهم ومقاومتهم للمبتدعين بأدلة قوية وبراهين واضحة ووسائل ناجحة، وأهم هذه الوسائل كانت المقاطعة.

ومن هنا جاءت مقاومة علماء المغرب السنيين لرجال الاعتزال وغيرهم من المبتدعين بهذه الوسائل، ولعل أول رجل تذكره المصادر فعل ذلك معهم هو: الإمام البهلول بن راشد، فقد كان لا يسلم عليهم، ثم تبعه تلاميذه في الاقتداء به في ذلك. يقول الإمام سحنون بن سعيد: "إنما اقتديت في ترك السلام على أهل البدع والصلاة خلفهم، بمعلمي بهلول"(٢).

وكان الإمام بهلول بن راشد أيضاً يرفض مصافحة من عرف بآرائه الاعتزالية ما لم يرجع عنها؛ ولا يرد على واحد منهم تحية إلا من بعد أن يستتيبه فيتوب، وتكفي الإشارة في ذلك إلى موقفه من أبي محرز المعتزلي(٣)، عندما جاءه محيياً فأبى أن يرد عليه التحية أو يصافحه، وقال له: لعلي لا أصافحك حتى ترجع عن رأيك"(٤).

وكذلك كان يفعل علي بن زياد معهم، فقد نقلت عنه مصادر ترجمته أنه لما زار القيروان اجتمع إليه العلماء ليرحبوا به، وكان بينهم أبو محرز المعتزلي الذي تقدم ذكره، فلما سلم عليه أعرض عنه ولم يرد عليه السلام(٥).

وقد امتد هذا السلوك مع المبتدعة إلى تلاميذهم وأتباعهم من بعدهم، فكانوا يقتدون بهم في ترك السلام على من عرف بالبدعة، وترك مجالسته كما كان يفعل أحمد بن محمد القطان (ت ٢٨٩هـ) الذي لم يكن يسلم على أحد منهم.

---

(١) التمهيد (٤/ ٨٤)، وانظر أيضاً (٦/ ١١٨).

(٢) انظر رياض النفوس (١/ ٢٠٣).

(٣) ترجمته عند الخشني (ص ٨٤-٨٥).

(٤) طبقات أبي العرب (ص ١٦٧).

(٥) رياض النفوس (١/ ٢٣٦).

بل حتى مع أصحابهم وأتباعهم كانت لهم مواقف متشددة إذا علموا أنهم سلموا على أهل البدع أو حضروا مجالسهم، كما فعل البهلول بن راشد مع محمد بن الحداد، عندما مر ابن الحداد على هشام بن العراقي المعتزلي[١] وكان يعلم في سقيفته، فتوقف يستمع إليه، فلما بلغ ذلك البهلول بن راشد غضب عليه وأغلظ له في القول[٢].

ويذكر الخشني في طبقاته[٣] عن عبد الله بن عبيد الله المهدي[٤]، وكان رجلاً ثقةً مبايناً لأهل الأهواء، لا يسلم على أحد منهم "أنه جاء إلى سحنون بن سعيد فقال: السلام عليك يا أبا سعيد، فقال له: وعليك السلام يا أبا محمد، وعند سحنون رجل يرمى بهوى، فقال له: ههنا يا أبا محمد اجلس، فقال له: أنا أجلس عندك وهذا عندك، ثم تولى منصرفاً".

وكان منهم من يأتي رجال الاعتزال إلى مجالسهم، ويهينهم أمام تلاميذهم ويحرضهم عليهم، ويحثهم على مقاطعتهم واعتزالهم، كما كان يفعل علي بن زياد مع أبي محرز المعتزلي، فقد جاء يوماً إلى حلقة درسه وقال لتلاميذه: "شاهت الوجوه أفمن هذا تسمعون؟[٥].

وامتد هذا السلوك وهذا الأسلوب مع المبتدعة إلى الصلاة، حيث امتنعوا عن الصلاة على من عرف أنه يدين بالاعتزال، وكأن علماء المغرب كانوا مجمعين على ذلك الأمر، الذي جعل القاضي عياض يقول: "اتفق علماء السنة المغاربة على أنه لا تجوز الصلاة على من يدين بالاعتزال"[٦].

ولكن الذي عليه كثير من العلماء كابن عبد البر وغيره أن البدعة لا توصل إلى الكفر الصريح، فإن صاحبها إذا مات يصلى عليه كما يصلى على سائر المسلمين العصاة.

---

(١) له ترجمة مقتضبة جداً في طبقات الخشني (ص ١٩٠).
(٢) طبقات أبي العرب (ص ١٢٩).
(٣) (ص ١٢٣-١٢٤).
(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المهدي، كان ثقةً وكان له سن كسن سحنون أو أكبر.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (١٢٣-١٢٤).
(٥) رياض النفوس (١/ ١٥٩-١٦٠).
(٦) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى.

ويحاول توجيه كلام مالك في نهيه عن الصلاة على أهل البدع، أن المقصود منه أئمة الدين وأهل العلم، لأن ذلك زجر لهم حيث يقول : "وأما قوله (أي: مالك) لا يصلى عليهم، فإنه يريد أنه لا يصلى عليهم أئمة الدين وأهل العلم، لأن ذلك زجر لهم وخزي لهم لابتداعهم رجاء أن ينتهوا عن مذهبهم، وكذلك ترك ابتداء السلام عليهم، وأما أن تترك الصلاة عليهم جملة فلا، بل السنة المجمع عليها أن يصلى على كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، مبتدعاً كان أو مرتكباً للكبائر، ولا أعلم أحداً من فقهاء الأمصار وأئمة التقوى يقول في ذلك بقول مالك"[١] وهذا الذي قاله الإمام ابن عبد البر هو قول العلماء ومذهبهم في أهل البدع، وقد تقدم الحديث عن ذلك في مبحث حكم تكفير المبتدع، ولذلك يقول شارح الطحاوية: "فمن كان مؤمناً بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية الفجورية ماله"[٢].

فلعل علماء المغرب عمموا منع مالك على جميع الناس علمائهم عوامهم، أو لعلهم كانوا يعتقدون كفر المعتزلة والله أعلم.

المهم أن علماء المغرب كانوا يمتنعون عن الصلاة على من يدين بالاعتزال، والأدلة على ذلك كثيرة، من ذلك ما جاء في ترجمة عبد الله بن فروخ الفاسي (ت ١٧٦هـ) أنه قدموا إليه يوماً جنازة رجل اسمه الرفاء[٣]، وكان رجلاً فاضلاً، فيصلي عليها هو وابن غانم[٤] والبهلول بن راشد، وتقدم إليهم جنازة ابن صخر المعتزلي، فلا يصلي عليها أحد منهم، وقالوا جميعاً: "كل حي ميت" وانطلقوا دون أن يصلوا عليه[٥].

وهذا عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ) بينما هو جالس، إذ جاءه ثلاثة رجال فأخبروه أن رجلاً مات عندهم يقول بخلق القرآن، ودعوه للصلاة عليه فأبى عليهم وقال: "إن وجدتم من يكفيكم مؤونته فلا تقربوه، فقالوا: لا نجد، فقال: اذهبوا فواروه من

---

(١) عقيدة ابن عبد البر (ص ١٣١). نقلاً عن كتاب الاستذكار (٦/ ١٣٠).

(٢) شرح الطحاوية (ص ٤٢٥).

(٣) لم أعثر له على ترجمة، ولكن جاء في رياض النفوس (١/ ١٨٦) ما يلي: قال سحنون: "مات رجل يقال له الرفاء وكان من أصحاب البهلول وكان فاضلاً" انتهى.

(٤) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني صاحب مالك وقاضي إفريقية، دخل الشام والعراق في طلب العلم واشتهر بالفضل والورع. توفي سنة ١٩٠هـ وكانت ولادته سنة ١٢٨هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (١١٦-١١٧).

(٥) طبقات أبي العرب (ص ١٠٧-١٠٨).

أجل التوحيد"[١]. قال ناقل الخبر: "يريد: تغسلونه وتكفنونه وتصلون عليه وتدفنونه"[٢]. وهو التفسير الذي فسر ابن عبد البر به منع مالك الصلاة على المبتدعة، والمقصود منع الأئمة من ذلك وليس العامة.

ولقد كانت أعظم تهمة توجه للرجل القول بخلق القرآن، حيث إن صاحب هذه التهمة يصبح لا قيمة له ولا حرمة، منبوذاً من قبل الجميع، لا يلتفت إليه أحد ولا يؤخذ عنه العلم، وإذا مات لا يصلى عليه ولا يمشى في جنازته، جاء في ترجمة البهلول بن عمر بن صالح بن عبيدة التجيبي[٣] أنه كان يقول بخلق القرآن، وكان الناس يتحاشون ذكر اسمه من أجل ذلك، ولما توفي وحملت جنازته قل من كان معها من الناس ورمي نعشه بالحجارة، وقال الناس: "الوادي الوادي، أي: ألقوه في الوادي"[٤].

ولما كانت هذه التهمة تبلغ بصاحبها هذا المبلغ، فقد أصبح الناس يبذلون كل وسعهم من أجل تبرئة ساحتهم منها، حتى بلغ ببعضهم أن يوصي بالكتابة على قبره: "هذا قبر فلان ابن فلان كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق". حتى يسلم من تهمة القول بخلق القرآن، ويعبر عن رفضه له حياً وميتاً[٥].

وكما أنهم لم يكونوا يصلون عليهم، فقد امتنعوا أيضاً عن الصلاة خلفهم، كما كان يفعل الإمام سحنون وغيره الذي تعرض للمحنة بسبب تركه الصلاة على جنازة خلف ابن أبي الجواد، لأنه كان يقول بخلق القرآن، ويقول القاضي عياض في ترجمة حمديس القطان: "وكان (أي حمديس) لا يصلي خلف أهل البدع ومن يخالفه، وفعل ذلك هو وابن سحنون ويحيى بن عمر حين ولي الصلاة ابن أبي الجواجب، وفعل ذلك سحنون بغيره"[٦].

وكان منهم من يهرب ويختفي عن أعين الناس بسبب سماعه شيئاً من الاعتزال كما

---

(١) طبقات أبي العرب (ص ١٨٨)، ترتيب المدارك (٢/ ٦٢٧)، رياض النفوس (١/ ٣٨٦)، معالم الإيمان (٢/ ١٤٦).

(٢) رياض النفوس (١/ ٣٨٦).

(٣) ترجمته عند أبي العرب في الطبقات (١٧٥).

(٤) طبقات الخشني (ص ٩١).

(٥) انظر: الصراع العقائدي في الفلسفة الإسلامية (مجموعة مقالات) نشر وزارة الشؤون الثقافية (تونس) (ص ٣٤).

(٦) طبقات الخشني (ص ١٠٨).

فعل أبو زكريا الهرقلي[١] فقد جاء في ترجمته أن رجلاً سأله عن سبب تغيبه عن صلاة الجماعة، فقال له: "سمعت اليوم من يذكر بعض كلام المعتزلة فخرجت إلى الشعراء أبكي على الإسلام"[٢].

وكان اعتناق الآراء الاعتزالية، سبباً في التشنيع على صاحبها والنكير عليها وجلب المتاعب له، فهذا عبد الأعلى بن وهب، جلبت إليه مطالعته لكتب الاعتزال واتهامه ببعض الآراء الاعتزالية وقوله: إن الأرواح تموت، وجلبت له النكير الشديد والطعن عليه من قبل علماء عصره كيحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٤٤هـ)[٣] وابن حبيب، وكذلك هشام بن أحمد بن خالد تركه الناس لاتهامه بالاعتزال وتأليفه كتاباً في القدر والقرآن على مذهبهم رغم علمه الكبير. يقول القاضي عياض: "وظهر له تأليف في القدر والقرآن وغير ذلك من أقاويلهم (أي: المعتزلة) وزهد فيه الناس وترك الحديث عنه جماعة من كبار مشايخ الأندلس"[٤].

وكان خليل بن عبد الملك بن كليب في بدء أمره صديقاً لمحمد بن وضاح، ثم لما تبين لابن وضاح أنه يدين بالاعتزال هجره"[٥].

بل إن علماء المغرب أضافوا شيئاً آخر إلى ما سبق من الأساليب مع من اتهم بشيء من الاعتزال، وهو إخراجه من بلده، وإبعاده عنها وتغريبه حتى لا يؤثر في الناس، وحتى يرتدع ويتوب عن بدعته، كما فعلوا بمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة الشافعي البغدادي (ت ٣٧٣هـ) الذي كان اعتزاله سبباً في إخراجه من الأندلس، حيث انتقل إلى تيهرت ومات هناك، يقول الذهبي عنه: "نزل المغرب وأظهر بينهم الاعتزال فنفوه"[٦].

ولم يقتصر هذا الأسلوب على من اتهم بالاعتزال، بل كل من ينحرف عن منهج أهل

---

(١) طبقات أبي العرب (ص ١٥٢-١٥٣)، رياض النفوس (١/ ٣٢٢).

(٢) طبقات أبي العرب (ص ١٥٣).

(٣) فقيه مالكي، بربري الأصل، من قبيلة مصمودة، ارتحل إلى المدينة المنورة وسمع بها الموطأ من مالك ثم عاد إلى الأندلس، حيث قام بنشر مذهب مالك. توفي سنة ٢٣٤هـ.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٦/ ١٤٣-١٤٦) رقم: ٧٩٢٠، الديباج المذهب (٢/ ٣٥٢-٣٥٣) رقم: ٢.

(٤) انظر معجم البلدان (٥/ ٣٩١) نقلاً عن القاضي عياض.

(٥) تاريخ علماء الأندلس (١/ ١٣٩).

(٦) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٥).

السنة أو يحاول أن يظهر آراء غريبة عن آرائهم، كانوا يفعلون معه ذلك كما فعلوا بأبي بكر محمد بن موهب التجيبي الحصار المعروف بالقبري (ت ٤٠٦هـ) [١]، الذي اشتهر بالكلام والجدل، وكان عند عودته من رحلته المشرقية قد تناول موضوعات غريبة من أهل المغرب، مثل القول بنبوة النساء وبصحة نبوة مريم عليها السلام، وبجواز بقاء الخضر أبد الآبدين، فقام عليه علماء المغرب من المحدثين أمثال ابن عون الله شيخ المحدثين[٢] وأبي عمرو الطلمنكي وغيرهما، فجرت بينه وبينهم فتن بسبب هذه المسائل التي أثارها وأغروا به، حتى سير هو وجماعة من أصحابه إلى العدوة حيث بقي مدة ثم رجع[٣].

**الوسيلة الثانية أو الأسلوب الثاني في مقاومة الاعتزال: إعدام مؤلفات من عرف عليه الاعتزال:**

هذه الوسيلة أو هذا الأسلوب لم يخص به علماء السنة المغاربة المعتزلة وحدهم، بل كل من ينحرف عن منهج أهل السنة يسلك معه هذا المسلك، حيث يعمدون بعد وفاته أو حتى في حياته إلى مصنفاته فيعملون فيها الحرق. كما فعلوا بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي[٤]، وكما فعلوا بمصنفات ابن حزم عندما خالف المذهب المتبع في المغرب؛ المالكي في الفروع، ومذهب السلف في الأصول وأباح دراسة المنطق والفلسفة فما كان من أهل الأندلس إلا أن أحرقوا كتبه وأخرجوه من أرضه[٥]، وكما

---

(١) هو: أبو بكر محمد بن موهب التجيبي الحصار المعروف بالقبري القرطبي، جد أبي الوليد الباجي؛ لأنه أخذ عن علماء بلده، ثم رحل إلى المشرق فأخذ بالقيروان عن ابن أبي زيد القيرواني وأبي عمران الفاسي وغيرهما. واشتهر بالكلام والجدل توفي سنة ٤٠٦هـ. مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٤)، جذوة المقتبس (ص ٩٢) رقم: ١٤٦.

(٢) هو: أبو جعفر أحمد بن عون الله بن حيدر، قرطبي رحل وسمع بمكة من ابن الأعرابي وغيره وسمع بمصر وطرابلس الشام. وكان شخصاً صالحاً متشدداً على أهل البدع، وكان لهجاً بهذا النوع صبوراً على الأذى، وكان صدوقاً. توفي سنة ٣٧٨ هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ٥٤) رقم: ١٨٣.

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٥-٦٧٦).

(٤) يأتي الحديث عن حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين في فصل مقاومة التصوف.

(٥) بعد إحراق المعتضد بن عباد مصنفات ابن حزم، أرسل إليه ابن حزم هذه الأبيات يتحداه فيها وهي:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
=

فعلوا بأتباع ابن مسرة حين أحرقوا كتبهم[١].

كذلك كان أسلوبهم مع من عرف عليه الاعتزال، فلما مات خليل بن عبد الملك بن كليب، وكان مشهوراً بالقدر لا يتستر به، أتى أبو مروان بن أبي عيسى[٢] وجماعة من الفقهاء وأخرجوا كتبه وأحرقت بالنار إلا ما كان فيها كتب المسائل[٣].

**الوسيلة الثالثة أو الأسلوب الثالث: ضرب من عرف عليه الاعتزال:**

هذا الأسلوب لم يكن عاماً في واقع الأمر، ولكن وقعت حوادث منه تدل على أن بعض العلماء كان يرى في الضرب وسيلة ناجعة ومفيدة في مقاومة الاعتزال.

وحين نعود إلى الوراء قليلاً، إلى سيرة السلف الصالح ﷺ نجد أن أول من استعمل الضرب مع المبتدعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين جاءه صبيغ بن سحل يسأله عن المتشابه، ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتناً بين العامة، فطلبه عمر وقال له: من أنت؟ قال أنا عبد الله صبيغ، وقال عمر: أنا عبد الله عمر، فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه، فقال صبيغ: حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله.

وعمر بن الخطاب إذ يفعل ذلك كان ينبه إلى خطر هؤلاء المبتدعة وإلى أن اللين لا يصلح حالهم ولا جدالهم، وأنهم إن ترك لهم المجال مفتوحاً، فإنهم يكنون وبالاً على الإسلام. وهذا الذي خافه عمر رضي الله عنه هو الذي حدث بالفعل بعد القرون المفضلة.

ومن فعل عمر هذا قعد علماء السنة في زجر أهل البدع، فعقد الآجري في كتاب «الشريعة» باباً في عقوبة الإمام والأمير لأهل الأهواء يقول فيه:

"ينبغي لإمام المسلمين ولأمرائه في كل بلد إذا صح عنده مذهب رجل من أهل الأهواء ممن قد أظهره أن يعاقبه العقوبة الشديدة، فمن استحق منهم أن يقتله قتله، ومن استحق أن يضربه ويحبسه وينفيه فعل به ذلك، كما جلد عمر بن الخطاب صبيغاً ونفاه

---

= وإلا فعودوا في المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر

انظر في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٥).

(١) يأتي الحديث عن ذلك بتوسع في فصل مقاومة علماء المغرب للتصوف.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٣٩).

وحرمه عطاءه وأمر الناس بهجرته، وحرق علي بن أبي طالب الزنادقة وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة[١] في القدرية أن استتبهم، فإن تابوا وإلا فاضرب أعناقهم. وضرب هشام بن عبد الملك عنق غيلان وصلبه، ولم تزل الأمراء بعدهم في كل زمان يعاقبون أهل الأهواء على حسب ما يرون ولا ينكره العلماء"[٢].

لقد كان الإمام أسد بن الفرات من أشد الناس على المبتدعة عموماً والمعتزلة خصوصاً، ولما جلس يوماً بالمسجد يحدث بحديث رؤية الله في الآخرة، وكان سليمان العراقي جالساً آخر المسجد فتكلم وأنكر، فسمعه أسد بن الفرات، فقام إليه وجمع بين طوقيه ولحيته، واستقبله بنعله، فضربه ضرباً شديداً حتى أدماه"[٣].

وحادثة أخرى شبيهة بها، وهي أن أسداً كان يفسر قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، فقال له أحد فقهاء المعتزلة: إن المقصود: الانتظارُ ففهم أسد غرضه وهو نفي رؤية الله سبحانه وتعالى، فقام إليه مهدداً بضربه، وأمره بالرجوع عن قوله، ولم يتركه حتى رجع[٤].

وقد هم الناس أن يقتلوا سليمان الفراء، لكونه كان جهمياً، وكان يقول بخلق القرآن ويدعو الناس إليه[٥].

وقد قتل بسبب التعطيل رجل يدعى الفزاري، كان من أهل المناظرة والجدل على مذهب المعتزلة مع استهزاء وطيش وكان يحضر مجالس الفقهاء ليناظرهم، وكان يزري عليهم في عقائدهم ويضحك منهم، ونميت عنه أمور منكرة وشهد عليه أكثر من مئتين بالاستهزاء بكتاب الله وبأنبيائه فأحضر له العلماء وفيهم يحيى بن عمر وغيره فأفتوا بقتله، يقول القاضي عياض: أفتي فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري[٦].

---

(١) هو: عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز، حدث عن عمرو بن عبسة وأبي أمامة، وحدث عنه طائفة مات مقتولاً سنة ١٠٢هـ قتله معاوية بن زيد بن المهلب. مصادر ترجمته: الجرح والتعديل (٧/ ٣) رقم: ٣، ميزان الاعتدال (٣/ ٦١) رقم: ٥٥٩، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣) رقم: ١٧، تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٤) رقم: ٣٦٨، شذرات الذهب (١/ ١٢٤).

(٢) صون المنطق (ص ١٢٥).

(٣) انظر: طبقات أبي العرب (ص ٨٢)، رياض النفوس (١/ ٢٦٤-٢٦٥)، ترتيب المدارك (٢/ ٣٠١-٣٠٢).

(٤) رياض النفوس (١/ ٢٦٥).

(٥) البيان المغرب (١/ ١١٩).

(٦) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٩٤١).

## الأسلوب الرابع: أسلوب المناظرة

هذا الأسلوب كان من أوسع أساليب المقاومة وأعمالها، ذلك أن كثيراً من علماء السنة المغاربة اتخذوا وسيلة في مقاومة البدع عموماً، والمعتزلة خصوصاً في مجالس كانت تعقد بينهم لمعرفة المذهب الحق، كما ذكرت ذلك في موضعه من هذا البحث وهو أسلوب قديم، استعمله السلف الصالح ﷺ مع المبتدعة، ولعل أول من استعمله ومارسه معهم هو عثمان بن عفان رضي الله عنه مع الخارجين عليه، الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وسولت لهم أنفسهم التسور على مقام الصحابة الكرام ﷺ الذين انتقل النبي ﷺ إلى ربه وهو عنهم راض وشهد لهم بالجنة فناظرهم عثمان، وأزال شبهاتهم، ولكن الشيطان كان قد أحكم سيطرته عليهم فلم يرض إلا بقتله، فقتلوه رضي الله عنه وذهب إلى ربه شهيداً، وكان من نصيبهم الخزي والعار.

ولما ولي الإمام علي الخلافة من بعده، لجأ هو أيضاً إلى هذا الأسلوب لإقناع جماعات الخوارج الذين خرجوا عليه وحاربوه، فرجع عدد كبير منهم، وبقي كثير منهم على ضلالهم وانحرافهم، واستمر هذا الأسلوب مع عدد من الخلفاء من بعده، كعمر بن عبد العزيز وغيره، ثم أصبح هذا الأسلوب هو الطريقة التي تتبعها الفرق المختلفة في محاولة لنشر ضلالها وانحرافها في الناس.

لقد برز في ميدان المناظرة في المغرب رجال كثيرون، كان لهم شأن بديع في مقاومة الاعتزال ودحض الشبه التي يطرحها رجاله ويحاولون أن يضلوا بها العامة، وكانت هذه المناظرات كلها تدور حول قضايا القرآن وصفات الله تعالى والقدر، وغيرها من القضايا التي تقول بها المعتزلة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المغرب لم يعرف كل الأصول الخمسة التي يقوم عليها مذهب المعتزلة، وهي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما عرف أهم القضايا التي تشعبت عن الأصل الأول الذي هو التوحيد، كمسائل خلق القرآن والأسماء والصفات، وكقضية الجبر والاختيار التي تفرعت عن الأصل الثاني الذي هو العدل، وقد حاولوا جاهدين بث هذه القضايا بالمغرب، ولكن أنى لهم ذلك وقد تكفل الله بحماية هذا الدين وإظهاره وكشف الدعاوى الباطلة التي يحاول الأعداء أن يلصقوها به، ولذلك فلا عجب أن نرى المذهب السني ينتشر ويظهر، بينما تزول وتفنى المذاهب الأخرى لأنها غير قادرة على

إقناع الناس بباطلها، وفي ذلك يقول اللالكائي: "ثم إنه من حين حدثت هذه الآراء المختلفة في الإسلام، وظهرت هذه البدع من قديم الأيام لم تر دعوتهم انتشرت في عشرة من منابر الإسلام، متوالية ولا أمكن أن تكون كلمتهم بين المسلمين عالية، أو مقالتهم في الإسلام ظاهرة، بل كانت داحضة وضيعة مهجورة، وكلمة أهل السنة ظاهرة ومذاهبهم كالشمس نائرة، ونصب الحق زاهرة وأعلامها بالنصر مشهورة، وأعداؤها بالقمع مقهورة"(١).

وقد جاءت هذه المناظرات كنتيجة طبيعية لما كان يجري في المشرق من خلافات عقدية، ولم يكن المغرب كما قلت بمنأًى عن تلك الخلافات والصراعات الحادة، بل كل ما كان يحدث في المشرق يجد له صدًى في المغرب، نتيجة الاتصال المستمر عبر الرحلات والمؤلفات، أو عبر الهجرات التي كان يقوم بها رؤوس المذاهب هروباً بآرائهم علّهم يجدون موضعاً أضمن لهم ينشرون فيه باطلهم.

ومن خلال هذا البحث وجدت أن أول قضية أثيرت في المغرب من قضايا الاعتزال هي قضية القدر، فهذا أبو قبيل المعافري (ت ١٢٨هـ)(٢) الذي قدم في جيش حسان بن النعمان غازياً سئل عن القدر فأجاب: "لأنا في الإسلام أقدم منه، فدين أنا في الإسلام أقدم منه لا خير فيه"(٣).

لقد كان علي بن زياد من أوائل من قاوم الاعتزال عن طريق المناظرة والجدال، فقد نقل صاحب رياض النفوس أنه بينما جماعة من الناس عند علي بن زياد، إذ دخل أبو محرز المعتزلي عليهم، فسلم ثم جلس، فقال لعلي بن زياد: "يا أبا الحسن قد تعلم ما بيننا وبينك من العشرة والمودة، وقد أرى غير ذلك فلمَ ذلك؟ فقال له علي بن زياد: يا محمود، بلغني عنك أنك تقول: إن إبليس يستطيع السجود، فإذا كان يستطيع السجود فكيف يجوز لك أن تلعنه فلعله قد سجد "فوجم أبو محرز وأخذ في غير الجواب(٤).

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥).

(٢) هو: أبو قبيل حي بن هانئ المعافري المصري، محدث قدم من اليمن، وسكن مصر شارك في فتح إفريقية وتوفي بالبرلس بين دمياط ورشيد سنة ١٢٧ أو ١٢٨ هـ.
مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/ ٧٢) رقم: ١٤٠، ميزان الاعتدال (١/ ٦٢٤) رقم: ٢٣٩٣، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٤-٢١٥) رقم: ٨٦، شذرات الذهب (١/ ١٧٥).

(٣) رياض النفوس (١/ ٩١).

(٤) رياض النفوس (١/ ٢٣٥-٢٣٦).

وفي مناظرة أخرى يقول له علي بن زياد: "يا أبا محرز، ما الذي أراده الله سبحانه وتعالى من عباده ؟ فقال : الطاعة، فقال : وما الذي أراده إبليس منهم ؟ فقال: المعصية، فقال: وأي الإرادتين غلبت ؟ فقال أبو محرز: أقلني أقالك الله، فقال له علي ابن زياد: والله لا أقيلك حتى تتوب عن بدعتك"[١].

ويبين عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ) أن المعتزلة والقدرية لا يثبتون أمام المناظرة الجادة، بل إن قواعدهم سرعان ما تتهاوى أمام النقد القوي والمنطق السوي، ويعطينا الدليل على ذلك فيقول: "إذا أردت أن تكفر القدري فقل له: ما أراد الله عز وجل من خلقه فإن قال: أراد منهم الطاعة فقد كفر لأن منهم من عصى، وكل إله لا تتم إرادته فليس بإله، وإن قال: أراد منهم المعصية فقد كفر، لأن منهم من أطاع، وكل إله لا تتم إرادته فليس بإله"[٢].

وكان للإمام بقي بن مخلد ـ على علمه بالحديث ـ اهتمامات بمسائل العقيدة، وله مواقف مشهودة مع المخالفين، وكان شديداً عليهم، ذكر صاحب تاريخ الأندلس[٣] عنه أنه ناظر خليل بن عبد الملك بن كليب الذي كان يقول بالقدر ولا يتستر منه، ناظره مرة في بعض قضايا الاعتزال فقال له: أسألك عن أربع، فقال: وما هي ؟ فقال بقي: ما تقول في الميزان ؟ قال: عدل الله، ونفى أن تكون له كفتان.

فقال له: وما تقول في الصراط ؟ فقال: الطريق، يريد: الإسلام، فمن استقام عليه نجا، فقال له: وما تقول في القرآن ؟ فلجلج ولم يقل شيئاً، وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق.

فقال له: فما تقول في القدر ؟ قال: أقول: إن الخير من عند الله، والشر من عند الرجل. فقال بقي: والله لولا حالة لأشرت بسفك دمك، ولكن قم فلا أراك في مجلسي بعد اليوم.

ولكن أبرز رجال المناظرة والجدل من علماء المغرب، والذين كانت لهم مقامات مشهودة ومواقف محمودة مع المخالفين من أهل البدع، نافحوا فيها عن الدين وفندوا شبه المخالفين هما: محمد بن سحنون، وسعيد بن الحداد، اللذان اشتهرا بالمناظرة والتأليف في آن واحد، فقد ألف الإمام محمد بن سحنون عدة مصنفات جيدة في الرد

(١) رياض النفوس (١/ ٢٣٤).
(٢) رياض النفوس (١/ ٣٨٦).
(٣) (١/ ١٣٩).

على القدرية والمعتزلة مثل كتاب «الحجة على القدرية» وكتاب «الرد على أهل البدع». وكان إلى جانب بروزه في مجال التأليف، قوي العارضة في الجدل والمناظرة كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في ترجمته، وله في ذلك صولات وجولات مع كل الفرق، ولا سيما المعتزلة والقدرية.

فلقد جاء في ترجمته أنه حضر مجلس مناظرة، وكان أبو سليمان النحوي[(١)] وهو شيخ أقبل من المشرق وكان يذهب مذهب المعتزلة، فقيل لابن سحنون: لقد تناظر هذا الشيخ مع جماعة فهل لك في مناظرته؟ فقال ابن سحنون للشيخ: تقول أيها الشيخ أو تسمع؟ فقال الشيخ: قل يا بني، فسأله ابن سحنون: أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه؟ فسكت الشيخ ولم يدل بجواب، ثم سأل ابن سحنون عن سنه فأخبره بأنه في الثمانين، فقال ابن سحنون: اختلف العلماء في الصلاة على الميت بعد سنة من موته وإذا دفن ولم يصل عليه، والرأي الغالب أنه لا يصلى عليه، وهذا الشيخ له ثمانون سنة وهو في عداد الأموات.

ثم سئل محمد بن سحنون عن جواب سؤاله فقال: إن قال: كل مخلوق يذل لخالقه فقد كفر، لأنه جعل القرآن ذليلاً على مذهبه الذي يرى القرآن مخلوقاً، والله يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢]، وإن قال: إنه لا يذل فقد رجع إلى مذهب أهل الحق"[(٢)].

وهذه المناظرة تدلنا على القدرة على الجدل التي كان يتمتع بها علماء المغرب، وعلى معرفتهم بطرق الاستدلال بالقرآن الكريم في الرد على المخالفين.

وحاول سليمان بن الفراء إمام المعتزلة بالقيروان أن يورطه فيقول بحدوث الأسماء والصفات، فسأله: "يا أبا عبد الله، الله سمى نفسه؟ "فأجاب ابن سحنون في غاية السرعة: "الله سمى نفسه ولم يزل وله الأسماء الحسنى"[(٣)] ووجه إليه إبراهيم بن أحمد مرة فسأله: "ما تقول في يزيد بن معاوية فقال: أصلح الله الأمير لا أقول ما قالت الإباضية، ولا ما قالت المرجئة، قال: وماذا قالت؟ قال: قالت الإباضية: إن من أذنب ذنباً فهو من أهل النار، وقالت المرجئة: لا تضر الذنوب مع التوحيد، أتى يزيد عظيماً

---

(١) انظر رياض النفوس (١/ ٤٤٩) التعليق الرقم: ١ .

(٢) رياض النفوس (١/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٣) رياض النفوس (١/ ٣٥١).

جسيماً، ويفعل الله في خلقه ما أحب"[١].

وبهذه الأجوبة تخلص الإمام محمد بن سحنون من الوقوع في القول بحدوث القرآن والقول بحدوث الصفات، كما رد في جوابه الأخير على الخوارج والمرجئة وحتى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين.

وسئل في مناظرة أخرى عن الإيمان أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فرد بأن **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»** فالإقرار غير مخلوق وما سوى ذلك من الأعمال مخلوقة[٢].

ويعتبر الإمام سعيد بن الحداد من أبرز رجال هذه المرحلة في مناظرة المعتزلة عن طريق التأليف والمناظرة في آن واحد، فقد ألف في الرد عليهم كتاب «الاستواء» الذي قال فيه: "وإن كان قصدنا في هذا الكتاب إلى الرد على النافية لله بنفيهم لصفاته".

وألف كتاباً آخر يرد فيه القول بخلق القرآن، حيث انتشرت هذه المقالة الزائفة وألفت في إثباتها، والانتصار لها المصنفات من قِبل رجال الاعتزال، حيث ألف سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء كتاباً في القول بخلق القرآن[٣]، وألف محمد بن الكلاعي الفقيه كتاباً يؤكد فيه هذا القول، وهذا الكتاب ألف في الرد على كتاب الإمام سعيد بن الحداد، الذي تقدم ذكره.

وتجدر الإشارة إلى أن إبراهيم بن محمد الضبي ألف في مناقضة كتاب الكلاعي هذا وتسفيه ما جاء فيه كتاباً جديداً[٤]، إلى جانب بروزه وتفوقه في مجال التأليف، فقد كان أيضاً إماماً في مجال المناظرة، وكانت له جولات كثيرة في هذا المجال مع رجال الاعتزال، يقول المالكي: "كانت له مجالس كثيرة مع أهل العراق القائلين بخلق القرآن من أهل القيروان"[٥].

ومن خلال مناظرته للمعتزلة كما سيأتي نلاحظ أن الرجل كان ذا ذكاء حاد، وقدرة فائقة على إبطال آراء المخالفين من أهل الأهواء والبدع.

---

(١) تراجم أغلبية (ص ١٨١).

(٢) رياض النفوس (١/ ٣٥٥).

(٣) الخشني قضاة قرطبة (ص ٢٨)

(٤) طبقات علماء إفريقية للخشني (ص ٢٨٦).

(٥) رياض النفوس (١/ ٧٠).

أورد المالكي عدة مناظرات له، نكتفي بواحدة منها تحقق الغرض من إيرادها، فقد جاء أن ابن الحداد دخل على الأمير إبراهيم الثاني (الأمير التاسع من أمراء الدولة الأغلبية) وكان بمجلسه قاضيه عبد الله بن هارون الكوفي[(١)]، وعبد الله بن الأشج وجماعة آخرون، قال ابن الحداد: فتقدمت فأدناني الأمير منه، ثم قام بعض المعتزلة وقال: أيها الأمير، كثر التشبيه بالقيروان وفشا. وفهم ابن الحداد أنه يريد تحريك الأمير لإثارة مواضيع يصل من ورائها إلى ضرب أهل السنة، ثم جرى الحديث عن كلام الله، فسأل ابن الحداد: ممن سمع موسى الكلامَ ؟ فقال ابن الأشج: من الشجرة، فقال ابن الحداد: من ورقها أم من لحائها ؟ فسكت ابن الأشج ولم يدل بجواب، ولما سئل ابن الحداد عن المقصود من سؤاله، أجاب: كل من زعم أن موسى سمع الكلام من الشجرة على الحقيقة فقد كفر؛ لأنه يعني أن الله تعالى لم يكلم موسى، ولم يفضله بكلامه.

ولكن الأمير أراد أن يستمر في مناظرة ابن الحداد فزعم أنه لا يقول: إن القرآن مخلوق كما يقول المعتزلة، ولا غير مخلوق كما يقول غيرهم؛ لأن الله لم يقل: مخلوق ولا غير مخلوق، ولكن ابن الحداد فند قوله أيضاً، وبين تهافته وعدم جدواه حين ألزم الأمير بقوله: فإن قال غيرك في علم الله مثلما قلت، فقال: إن الله لم يقل مخلوقاً ولا غير مخلوق، وسلك مسلكك في الكلام فأجاب الأمير: لو قال ذلك قسمته بسيفي، قال ابن الحداد: ولم ؟ قال : لأنه لو كان مخلوقاً لكان قبل أن يخلق العلم جاهلاً، لأن ضد العلم الجهل، قال ابن الحداد: قلت: فكذلك لا يقال في الكلام: مخلوق، لأنه لو كان مخلوقاً لكان موصوفاً قبل خلقه بضده، وهو الخرس وما لزم في العلم لزم مثله في الكلام[(٢)].

ولم تقف هذه المناظرة عند هذا الحد، بل استمرت، ولكن حول قضية أخرى وهي الخبر الواحد هل يفيد اليقين أم لا ؟

ونحن نعلم أن خبر الواحد عند أهل السنة يفيد اليقين ويجب العمل به. يقول ابن عبد البر: "وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول

---

(١) هو: عبد الوهاب بن هارون السوداني يعرف بابن الكوفي، تولى القضاء بعد ابن عبدون، فكان قاضياً نحو السنتين لإبراهيم الأغلبي ثم عزله. توفي سنة ٢٨٣ هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢٣٧-٢٣٨)، وانظر أيضاً: رياض النفوس (٢/ ٧٠) تعليق رقم: ١٧٦ .

(٢) رياض النفوس (٢/ ٧١-٧٢).

خبر الواحد وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا يعد خلافاً "[١] ومن هذه الطوائف المعتزلةُ وعموم المتكلمين.

يقول ابن الحداد: «ثم أخذ ابن الأشج في مدح أهل العراق[٢] وتفضيلهم على أهل الحجاز»[٣] فقال: لقد قال أسد: سألت مالكاً فأجابني وسألته عن أخرى فأجابني وسألته مسألة أخرى فأجابني، فقال لي رجل كان واقفاً على رأس مالك: إن أردت التشقيق فعليك بالعراق.

قال ابن الحداد عند ذلك: فقلت له: "أيها الأمير، هذا وأصحابه يزعمون أن أبا بكر ﷺ إذا انفرد بخبر عن رسول الله ﷺ لم تقم به حجة. وأن عمر ﷺ كذلك وأن عثمان وعلياً كذلك، وهاهو يريد أن يقيم الحجة في تفضيل أهل العراق على أهل المدينة بخبر رجل لا يعرف من هو من جميع البرايا".

ثم قال ابن حداد: "فما نطق ابن الأشج ولا أصحابه بكلمة غير: ويحك يا سعيد"[٤].

وهناك مناظرة أخرى له ذكرها الخشني في طبقات علماء إفريقية[٥] تتعلق هذه المرة بصفات الله تعالى، دارت بينه وبين سليمان الفراء، حيث سأل سليمان الفراء ابنَ الحداد يوماً بقوله: يا أبا عثمان! أين كان ربنا إذ لا مكان؟ فأجاب ابن الحداد: السؤال محال، فقولك: أين كان يقتضي المكان، وقولك: إذ لا مكان ينفي المكان، فهذا نعم لا، قال سليمان: كيف كان ربنا إذ لا مكان؟ فأجاب ابن الحداد: هذا السؤال صحيح، ثم قال: الجواب أنه الآن على ما عليه كان ولا مكان[٦].

وممن اشتهر أيضاً بمقاومة الاعتزال عن طريق المناظرة والتأليف في آن واحد:

---

(١) التمهيد (١/ ٢).
(٢) المقصود أهل الرأي.
(٣) المقصود أهل الأثر.
(٤) رياض النفوس (٢/ ٧٣).
(٥) (ص ١٩٩).
(٦) الخشني: طبقات علماء إفريقية (ص ١٩٩).

محمد بن محجوب (ت ٣٠٧هـ)[(١)] فقد دكر الخشني عنه أنه ناظر بعض القدرية ذات يوم في مسألة القدر، قال الرقادي الذي روى الخبر: فأخذ ابن محجوب كتفاً بين يديه وجعل يوقع فيها تناقض مقالة القدرية حتى ملأها، ثم قرأها، فما رأيت كلاماً أوعب لعيون المعاني من كلامه[(٢)].

**الأسلوب الخامس: المقاومة عن طريق التأليف:**

هذا الأسلوب ـ كما قلت ـ لجأ إليه أهل المغرب مضطرين، إذ لم تكن طريقتهم الكتابة في مسائل العقيدة، حتى لا يفتحوا باباً يصعب بعد ذلك سده، ولكن عندما اضطروا لذلك، ورأوا أهل البدع نشطين في بث سمومهم عن طريق التأليف، ورأوا البدع تظهر على حساب السنن، عند ذلك لم يعد لهم عذر في السكوت على الباطل، بل رأوا أنه أصبح من الواجب عليهم أن يردوا على أهل البدع بأسلوبهم حتى يظهر الحق ويزهق الباطل ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

من هنا جاء التأليف في مسائل العقيدة على اختلافها، ومنها التأليف في الرد على أهل الاعتزال، وبرز في هذا الميدان كثير من علماء المغرب كانوا لسان أهل السنة الذاب عن حياض هذا الدين، وكانوا على دراية واسعة بأساليب المخالفين ومقاصدهم، ومعرفة تامة بمسالك الرد عليهم، وإذا كنت قد ذكرت في الأسلوب السابق العلماء الذين جمعوا بين المناظرة والتأليف في الرد على المعتزلة، فإنني في هذه المرة أقصر القول على الذين برزوا في مجال التأليف في الرد على المعتزلة، فإنني في هذه المرة أقصر القول على الذين برزوا في مجال التأليف وحده، وليس معنى ذلك أن هؤلاء الذين سأذكرهم لم تكن لهم مشاركة في أسلوب المناظرة، وإنما المقصود أن بروزهم كان في مجال التأليف أقوى وأظهر، ولذلك اقتصر على هذا الجانب من جهودهم.

وحين أتحدث عن كتب الرد على المعتزلة يجدر بي أن أشير إلى تلك المؤلفات التي ألفت في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، ففي بيان هذه العقيدة وتقريرها ردٌّ على أهل العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة، ومنهم المعتزلة وإبطال لمعتقداتهم الفاسدة، ولذلك نلاحظ أن من العلماء من كان يشفع كلامه عند تقرير أصل من أصول الدين على منهج أهل السنة، يشفع كلامه على ذلك بقوله: "ففيه رد على المعتزلة أو على القدرية، أو غيرهم".

---

(١) ترجمته في طبقات الخشني (ص ٢١٣).

(٢) طبقات علماء إفريقية للخشني (ص ٢١٣).

لقد كان الإمام ابن أبي زيد القيرواني من أوائل من ألف في الرد على القدرية والمعتزلة، وكان مبرزاً في هذا الجانب، كما كان مبرزاً في مجال الفقه والحديث، حيث ألف في الرد على القدرية كتاباً، وألف رسالة في(مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي التي قال عنها ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»[١]: " من وقف عليها علم أنه كان نهاية في علم أصول الدين" . وكان السبب في تأليفه هذه الرسالة أن رجلاً من أهل الاعتزال يدعى علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي[٢] نزيل مصر الذي انتسب إلى المذهب المالكي ليروج لبدعته لدى العامة، وكتب إلى فقهاء القيروان رسالة يدعوهم فيها إلى مذهب الاعتزال والقول بالقدر وبخلق القرآن، وغير دلك مما تقول به المعتزلة، لأن ذلك كله كان مذهب الإمام مالك رحمه الله فأجابه ابن أبي زيد القيرواني برسالته هذه، التي ظهر فيها علمه وقدرته على الحجاج والرد على أهل الأهواء.

ونفى عن مالك وأصحابه جميع مانسب إليهم المعتزلي، وجعل يحتج على نقض قوله في القدر بكلام مالك البديع في رسالته في القدر[٣].

ولما أنكرت المعتزلة رؤية الله تعالى في الآخرة ألف علماء المغرب في الرد عليهم وإثبات الرؤية عدة مصنفات، مثل «كتاب الرؤية» ليحيى بن عُمر، و«كتاب ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى» لابن وضاح[٤].

وهناك كتابان في الرد على القدرية كشف عنهما الدكتور محمد الطالبي[٥] من تأليف عالمين قيروانيين: أحدهما «كتاب السنة» لأحمد بن يزيد القرشي (ت ٢٨٤هـ)[٦]، وثانيهما «كتاب الحجة» ليحيى بن عون الخزاعي (ت ٢٩٨هـ).

---

(١) (ص ١٢٢).

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) ) ترتيب المدارك(٢/ ٤٨٦).

(٤) تقدم الحديث عن الكتابين.

(٥) باحث تونسي .

(٦) هو: أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي المعروف بالمعلم، كان ثقةً فاضلاً ورعاً نزيهاً عابداً، سمع من سحنون والصمادحي، توفي سنة ٣٨٤هـ وقد زاد على التسعين.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٢/ ٢٠٠-٢٠١) رقم: ١٣٠، رياض النفوس(١/ ٤٧٣-٤٧٤) رقم: ١٥٤.

ويشير الدكتور الطالبي أن لهذين الكتابين أهمية كبيرة[١].

أما **الكتاب الأول**: فينكر فيه المؤلف رأي القدرية، ويرد رأي الجبرية كذلك، ويوصي فيه بعدم الصلاة خلف واحد من أتباع هذين المذهبين، ويظهر من الكتاب تمسك صاحبه بمذهب مالك رحمه الله، فهو يحذر من البدع ويندد بأصحابها وينقل عن عدد كبير من الصحابة والتابعين وتابعيهم آثاراً في الدفاع عن السنة، وعلى هذه الآثار يبني قوله بعدم قدرة الإنسان، وعجزه التام عن فعل شيء بمفرده إلا بمعونة من الله تعالى. ويبين بأن الله علم ما هو خالق، وما الخلق عاملون، ثم كتبه.

وأما **الكتاب الثاني**: فهو يختلف عن الأول من حيث المنهج، حيث يقل اعتماده على الآثار كثيراً، بينما يلاحظ تعمقه الكبير في مناقشة آراء المعتزلة مناقشة عقلية فلم يكتف بعرض الآثار كما فعل أحمد بن يزيد، بل حاول أن يقارع خصمه بالحجج العقلية، فهو يرد عليهم في زعمهم بأن الله خلق الخير وأمر به، ولم يخلق الشر ولو خلقه لأمر به، وزعمهم هذا يؤدي بهم إلى أن هناك إلهين: إلهاً للخير وإلهاً للشر، كما هو رأي المنانية[٢] والزنادقة، ويبين أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الذي يقول بأن الله هو الخالق الأوحد، كل شيء منه الخير والشر، قدر كل ذلك وكل من ادعى غير ذلك فليس بمسلم.

ويرد عليهم أيضاً في زعمهم أن الله لا يعلم الأشياء إلا حال وقوعها، ويعتمد في رده على النقل والعقل في آن واحد، ويعيب عليهم أولاً اقتصارهم على القرآن دون

---

(١) هذان الكتابان ذكرهما محمد الطالبي ضمن مقال له عن الاعتزال باللغة الفرنسية(الجديد عن الاعتزال) نشره في كتاب له بعنوان «دراسات في تاريخ إفريقية في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط» منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٨٢، ص ٣٧٩-٤١٩.
والكتابان: يوجدان ضمن المكتبة العتيقة بالقيروان .

(٢) المانوية ويقال المنانية، يقول الشهرستاني في تعريفهم في كتابه الملل والنحل (١/ ٢٢٤): "هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة عيسى عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم: أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما: نور، والآخر: ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا. وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم".

السنة. والقرآن حمَّال ذو وجوه، لذلك فلا يكفي الاقتصار عليه، بل لا بد من وجود السنة إلى جانبه حتى نفهم المقصود من خطابه، فللسنة أهمية عظيمة لا تقل عن أهمية القرآن، وهي أيضاً وحي من الله تعالى، ولو أن المسلمين اقتصروا على القرآن وحده لما عرفوا كيف يصلون، ولا كيف يزكون، ولا كيف يعبدون الله، ثم إن القرآن نفسه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ وجعل طاعته طاعة لله تعالى.

ويلاحظ من الكتابين أنه لم يرد فيهما ذكر لأئمة الاعتزال في المشرق، كواصل بن عطاء والعلاف والنظّام، ولا لأعلام الاعتزال في المغرب، إنما كان اهتمامهما منصباً على رؤوس الفتنة، كجهم بن صفوان وغيلان الدمشقي وبشر المريسي في المشرق، والفراء في المغرب.

وممن تعرض في مصنفاته لآراء المعتزلة بالتفنيد والإبطال: الإمام ابن عبد البر في عدة مواضع من كتابه التمهيد وغيره من مصنفاته وناقشهم في قضايا الاعتزال ورجاله، فهو يذكر مثلاً من أعلامهم إبراهيم بن سيار النظام، وجعفر بن حرب[(١)]، وجعفر بن مبشر[(٢)]، ومحمد بن عبد الله الإسكافي[(٣)] ويقول: "وهؤلاء معتزلة، أئمة في الاعتزال عند منتحليه"[(٤)].

ويقول في موضع آخر: "بشر بن المعتمر[(٥)] وأبو الهذيل من رؤساء المعتزلة وأهل

---

(١) هو: جعفر بن حرب الهمذاني من أئمة المعتزلة ونساكهم، من أهل بغداد أخذ الكلام عن العلاف بالبصرة وله مؤلفات كثيرة في علم الكلام توفي سنة ٢٣٦هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ١٦٢-١٦٣) رقم: ٣٦٠٩، ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٩-٥٥٠) رقم: ١٨١ ، لسان الميزان (٢/ ١١٣) رقم: ٤٥٦.

(٢) هو: جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفي، متكلم من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها وله تصانيف، وكان ذا خطابة وبلاغة وزهد، توفي سنة ٢٣٤هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ١٦٢) رقم: ٣٦٠٨، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٩) رقم: ١٨٠، لسان الميزان (٢/ ١٢١) رقم: ٥٠٧.

(٣) هو: أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي البغدادي، أحد متكلمي المعتزلة كان خياطاً، وأخذ الكلام عن أبي جعفر بن حرب، وكان ذكياً، له عدة مصنفات في الكلام توفي سنة ٢٤٠هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٥/ ٤١٦) رقم: ٢٩٢٩، لسان الميزان (٥/ ٢٢١) رقم: ٧٧٣.

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٢).

(٥) هو: أبو سهل بشر بن المعتمر البغدادي، أحد متكلمي المعتزلة، وإليه تنسب الطائفة البشرية من=

الكلام" ويصف بشر بنَ غياث بأنه مبتدع[١].

كما أن مناقشته لهم تدل على علم ومعرفة بمذهب الاعتزال، وقد تركزت مناقشته لهم على أهم القضايا التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، فناقشهم في تأويلهم الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] بالاستيلاء، وهو في مناقشته لهم لا يرد على المعتزلة فحسب، بل على جميع الطوائف الذين يذهبون مذهبهم في التأويل كالأشعرية وغيرهم.

فيبين بأن قولهم في الاستواء: استيلاء، تأويل باطل لا تقوم به حجة ولا معنى له " لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد المجاز "[٢].

ثم يأتي إلى ما احتجوا به من الآيات في زعمهم، فيبين وجه الحق منها وأنها لا تخدمهم لأنها بعيدة عن تأويلهم كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله عز من قائل: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

فيقول بعد إيراد هذه الآية: "وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته لهذه الآيات"[٣] فيبطل هذا الزعم، وهذا التأويل الفاسد، ويبين بأن المراد من هذه الآيات أنه تعالى: "في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض" قال: "وكذلك قال أهل العلم بالتفسير"[٤].

ثم يفند شبهتهم الأخرى التي يتمسكون بها وهي هذه المرة شبهة عقلية حيث يقولون: "إنه لو كان في مكان لأشبه المخلوقات، لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته: مخلوق

= المعتزلة، له مصنفات عدة في الاعتزال، وله قصيدة من أربعين ألف بيت رد فيها على المخالفين توفي سنة ٢١٠هـ.

مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٣) رقم: ٤٦، لسان الميزان (٢/ ٣٣) رقم: ١١٥، الملل والنحل (١/ ٦٣).

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٣).

(٢) التمهيد (٧/ ١٣١).

(٣) التمهيد (٧/ ١٣٤).

(٤) نفس المصدر (٧/ ١٣٤).

"بأن هذا الشيء لا يلزم ولا معنى له لأنه: "عز وجل ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته، ولا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس، ولا إله إلا هو، كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة والسماوات والأرض وما بينهما وهو الباقي بعد كل شيء"[(١)].

ويفند ما استدلوا به أيضاً من تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] بأنه "استوى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان "بأنه قول في غاية التهافت من حيث السند إلى ابن عباس، فيقول: "إن هذا الحديث منكر عن ابن عباس، ونقله مجهولون ضعفاء، فأما عبد الله بن داود الواسطي[(٢)] وعبد الوهاب بن مجاهد[(٣)] فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف[(٤)]، ثم هناك مطعن آخر يطعن به ابن عبد البر على استدلالهم بهذا الأثر، وهو أنهم "لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا وأنصفوا"[(٥)].

كما ناقشهم في مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة، ونفيهم لها، واحتج عليهم بقوله سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] فهذه الآية كما يقول: "فيها دلالة واضحة على أنه تعالى يُرى في الآخرة إذا شاء، ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ووجه الدلالة من آية الأعراف أن الله علق الرؤية على أمر ممكن حصوله وهو استقرار الجبل، ولو كانت الرؤية مستحيلة لعلقها بأمر مستحيل، كما فعل في دخول الكافرين الجنة حيث علقها بأمر مستحيل وهو دخول الجمل في سم الخياط.

---

(١) نفس المصدر (٧/ ١٣٤).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن داود الواسطي النجار، قال الإمام البخاري: فيه نظر، وقال النسائي: ضعيف. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي في حديثه مناكير، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بروايته. انظر عنه: الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٦٤)، المجروحين لابن حبان (٢/ ٣٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤١٥-٤١٦) رقم: ٤٢٩٤، تقريب التهذيب (ص ٣٠٢) رقم: ٣٢٩٨.

(٣) هو: عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي متروك كذبه الثوري. وقال أحمد: ليس بشيء، ضعيف. وقال النسائي: متروك. انظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٦٩)، المجروحين لابن حبان (٢/١٤٦)، ميزان الاعتزال (٢/ ٦٨٢-٦٨٣) رقم: ٥٣٢٤، تقريب التهذيب (ص ٣٨٨) رقم: ٤٢٦٣ تحقيق عوامة.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) التمهيد (٧/ ١٣٢).

وهناك أدلة أخرى غير هذا الدليل تؤكد الرؤية بما لا يدع مجالاً للشك أو الريبة وهي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. يقول ابن عبد البر في توجيه هذه الآية: "وإنما منعوا منها في الدنيا، لأن عيون الخلائق لم تعط تلك القوة التي بها يستطيعون النظر إلى الله، وعلى هذا التأويل في هذه الآية جماعة أهل السنة وأئمة الحديث والرأي"[١].

وفي معرض التشنيع عليهم ووصمهم بما هم أهله من البدعة والضلال يقول عند شرحه لحديث الحوض[٢]، الذي يرده المؤمنون المتبعون لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ليشربوا منه شربة لا يظمؤون بعدها أبداً ـ جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ـ . وعند قوله عليه الصلاة والسلام فيمن يذادون عن الحوض، لأنهم بدلوا وغيروا بعده ﷺ: "فسحقاً" يقول: "وكل من أحدث في دين الله ما لا يرضاه ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ـ والله أعلم ـ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم يبدلون ..." إلى آخر كلامه في هذا المعنى[٣] ويقول في موضع آخر: "كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع: الخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر فرق المبتدعة، وأما أهل السنة أئمة الفقه والأثر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه وهم أهل الحق"[٤].

ومرة يذكرهم ببدعتهم دون التصريح باسمهم فيقول عند شرحه لحديث الشفاعة: "والجماعة وأهل السنة على التصديق بها، ولا ينكرها إلا أهل الابتداع"[٥].

وممن تناول آراء المعتزلة بالنقد وتناول رجالهم بالطعن عليهم والتسفيه لمذهبهم: الإمام أبو عمرو الداني، حيث انتظمهم في قصيدة طويلة وأعلن زيغهم وانحرافهم، وبين

---

(١) التمهيد (٧/ ١٥٧) وهو يشبه كلام الإمام مالك رحمه الله إلى حد بعيد، راجع حديثنا عن عقيدة الإمام مالك (ص ٤٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) التمهيد (٢٠/ ٢٦٢).

(٤) التمهيد (١٩/ ٧٠).

(٥) التمهيد (١٩/ ٦٩) وهذا الكلام يصدق على المعتزلة والخوارج في آن واحد، لأنهم جميعاً ينكرون الشفاعة.

مذهب أهل السنة في القرآن، وأنه كلام الله المنزل من عند الله ليس بخالق ولا مخلوق حيث يقول:

والقول في كتابه المفضل ... بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق ... ليس بمخلوق ولا بخالق
من قال فيه إنه مخلوق ... أو محدث فقوله مروق
والوقف فيه بدعة مضلة ... ومثل ذاك اللفظ عند الجلة
كلا الفريقين من الجهمية ... الواقفون[(١)] فيه واللفظية[(٢)]
أهون بقول جهم الخسيس ... وواصل وبشر المريسي
ذي السخف والجهل وذي الفساد ... معمر وابن أبي دؤاد[(٣)]
وابن عبد شيخ الاعتزال ... وشارع البدعة والضلال
والجاحظ القادح في الإسلام ... وجبت هذي الأمة النظام
والفاسق المعروف بالجبائي[(٤)] ... ونجله السفيه ذي الخناء[(٥)]

---

(١) الواقفون: ويقال لهم: الواقفة؛ وهم الذين لا يقولون: إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق. انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٢/ ٢٤٦) طبعة مكتبة النهضة المصرية (الطبعة الأولى ١٣٧٣/ ١٩٥٤) تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٢) اللفظية: هم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، وهم في ذلك يجرون مجرى القائلين بخلقه. نفس المصدر (٢/ ٢٤٦)

(٣) هو: أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي القاضي ولد سنة ١٦٠هـ في بلدة قنسرين، وقدم به أبوه إلى دمشق فطلب العلم وصحب هياج بن العلاء السلمي من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال. اتصل بالمأمون والمعتصم والواثق، وكان مقرباً لديهم. وهو الذي حملهم على امتحان الناس بخلق القرآن. توفي سنة ٢٤٠هـ ببغداد مفلوجاً.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (١/ ٨١-٩١) رقم: ٣٢، تاريخ بغداد (٤/ ١٤١-١٥٦) رقم: ١٨٢٥، لسان الميزان (١/ ١٧١) رقم: ٥٤٧، الأعلام للزركلي (١/ ١٢٤).

(٤) هو: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي البصري المعتزلي، متكلم مفسر، ولد بجبا بخوزستان سنة ٢٣٥هـ وإليه تنسب الطائفة الجبائية، وتوفي بالبصرة سنة ٣٠٣هـ، ودفن بجبا، من آثاره: تفسير القرآن.
مصادر ترجمته: الملل والنحل (١/ ٧٨-٨٥)، المنتظم (٦/ ١٣٦)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧-٢٦٩) رقم: ٦٠٧، سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣-١٨٤) رقم: ١٠٢، شذرات الذهب (٢/ ٢٤١).

(٥) نجلة: هو أبو هشام عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب البصري المتكلم المشهور. قال =

والـلاحـقـي[(١)] وأبـي الـهـذيـل ... مـؤيـدي الـكـفـر بـكـل ويـل
وذي الـعـمـى ضـرار[(٢)] الـمـرتـاب ... وشـبـهـهـم مـن أهـل الارتـيـاب

وهي أبيات تكشف عن مدى الكره والبغض الذي يكنه أهل السنة لأهل الأهواء والبدع.

وممن تناولهم بالرد أيضاً: الإمام ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري عند تناوله للأحاديث المتعلقة بمسائل العقيدة. ومنها ما تتعلق برؤية الله تعالى في الآخرة التي ينكرها المعتزلة، فنجده يفند ويبطل ما تمسكوا به، من أن الرؤية توجب كون المرئي محدثاً وحالًّا في مكان "فيبين بأن استدلالهم هذا "فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود، والرؤية في تعلقها بالمرئي بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم، فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي.

ثم يأتي إلى الأدلة الأخرى التي تمسكوا بها وهي قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾. فأما الدليل الأول، فمعناه "أنه لا تدركه الأبصار في الدنيا، جمعاً بين الدليلين الآتيين، وبأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته".

وأما الدليل الثاني وهو قوله تعالى ﴿لَن تَرَانِي﴾: "فالمراد في الدنيا جمعاً أيضاً، ولأن نفي الشيء لا يقتضي إحالته"[(٣)].

ولكن أحسن من وجدته ناقش مسألة الرؤية هذه من علماء المغرب هو: الإمام ابن حزم رحمه الله، حيث بيّن تهافت أدلتهم التي تمسكوا بها بناءً على أصلهم الفاسد الذي أصلوه لأنفسهم.

---

= عنه الذهبي: هو شيخ المعتزلة وابن شيخهم. توفي ببغداد سنة: ٣٢١ هـ.
مصادر ترجمته: العبر (٢/ ١٢) طبعة دار الكتب العلمية (١٤٠٥/ ١٩٨٥)، تاريخ بغداد (١١/ ٥٥-٥٦) رقم: ٥٧٣٥، المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٢٦١)، لسان الميزان لابن حجر (٤/ ١٦).

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) هو: ضرار بن عمرو من رؤوس المعتزلة وشيخ الضرارية، كانت له مقالات خبيثة، فيها أن الجنة والنار غير مخلوقتين الآن. وقال عنه ابن حزم: كان ضرار ينكر عذاب القبر شهدوا عليه بالزندقة وأبيح دمه. قال الذهبي: له تصانيف كثيرة تؤذن بذكائه.
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٤-٥٤٦) رقم: ١٧٥، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٨-٣٢٩) رقم: ٣٩٥٢، لسان الميزان (٣/ ٢٠٣) رقم: ٩١٢، الفرق بين الفرق (٢٠١).

(٣) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٢٦) نقلاً عن شرح ابن بطال لصحيح الإمام البخاري.

فبين أن قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الذي استدلوا به على مذهبهم لا تقوم لهم به حجة "لأن الله إنما نفى الإدراك، والإدراك في اللغة معنى زائد عن النظر، وهو بمعنى الإحاطة، وليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة".

والدليل على أن الإدراك في الآية ليس بمعنى الرؤية قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢].

ففرق الله بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً، لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً، فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[1].

وهذا المعنى الذي قرره ابن حزم رحمه الله هو الذي ذهب إليه أئمة العلم إذ قالوا: "إن الله عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه، وذلك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته، وذلك كله محال في أوصاف الله تعالى، والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائي بالمرئي ويبلغ غايته، وعلى هذا التأويل يترتب العكس في قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣][2].

كما ناقش الإمام ابن حزم من تعسف من المعتزلة، وحمل كلام الله على غير ظاهره وهو أبو علي الجبائي الذي زعم أن حرف الجر" إلى "في قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٣٣] ليست بحرف جر، لكنها واحدةُ الآلاء، وهي واحدة النعم فهي موضع مفعول. ومعناه" نعم ربها منتظرة".

فيبطل ابن حزم هذا الزعم، ويبين تهافته من وجهين: **الأول:** "أن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النظرة وهي النعمة، فإذا حصلت لها فبعيد أن ينتظر ما قد حصل لها، وإنما ينتظر ما لم يحصل بعد".

**الثاني:** "ما تواتر من الأخبار عن النبي ﷺ ببيان أن المراد بالنظر الرؤية لا ما تأوله المتأولون.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/١).

(٢) المحور الوجيز (٦/ ١٢٣).

كما يبطل قولهم: إنها من الانتظار، أي: منتظرة لثواب ربها، من جهة اللغة، "لأنه لا يقال في اللغة: نظرت إلى فلان، بمعنى انتظرته"[(١)].

وممن تناول آراء المعتزلة بالرد والنقض: الإمام المازري في كتابه «المعلم في فوائد مسلم» في مواضع متفرقة منه، عند شرحه للأحاديث المتعلقة بالجانب العقدي، ففي شرحه لحديث: "**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**"[(٢)]، يقول: اختلف الناس فيمن عصى من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان، وقالت الخوارج: تضره المعصية ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كانت معصية كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر، ولكن يوصف بأنه فاسق، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن، وإن لم يغفر له وعذب فلا بدّ من إخراجه من النار وإدخاله الجنة".

قال المازري بعد عرض رأي كل فرقة: "وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة"[(٣)] ويرد قولهم هذا في موضع آخر عند شرح قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(٤)] حيث يقول: "قيل: معنى مؤمن، أي: آمن من عذاب الله، ويحتمل

---

(١) الفصل (٣/ ٣).

(٢) يأتي تخريجه.

(٣) المعلم (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المظالم (باب النهي بغير إذن صاحبه) رقم الحديث: ٢٤٧٥، فتح الباري (٥/ ١١٩) وفي كتاب الأشربة (باب إنما الخمر والميسر...) رقم الحديث: ٥٥٧٨ فتح الباري (١٠/ ٣٠) وفي الحدود (باب السارق حين يسرق) رقم: ٦٧٨٢ الفتح (١٢/ ٨١) وباب (إثم الزناة) رقم: ٦٨٠٩، ٦٨١٠ الفتح (١٢/ ١١٤)، وأخرجه مسلم في الإيمان ( باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ) رقم: ٥٧ صحيح مسلم (١/ ٧٦-٧٧)، وأبو داود في كتاب السنة (باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) رقم: ٤٦٨٩ سنن أبي داود (٤/ ٢٢١)، والترمذي في الإيمان (باب لا يزني الزاني وهو مؤمن) رقم: ٣٩٣٦ السنن (٥/ ١٧)، وابن ماجه في الفتن (باب النهي عن النهبة) رقم: ٣٩٣٦ سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٩٨-١٢٩٩)، والدرامي في كتاب الأشربة (باب في التغليظ لمن شرب الخمر) (٢/ ١١٥).وتمام الحديث «**ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**».

أن يحمل على أن معناه أن يكون مستحلاً لذلك. وقيل: معناه كامل الإيمان "قال: وهذه التأويلات تدفع قول المعتزلة: إن الفاسق الملّي لا يسمى مؤمناً، تعلقاً منهم بهذا الحديث، وإذا احتمل ما قلناه لم تكن لهم فيه حجة"(١).

وفي موضع آخر عند قوله عليه الصلاة والسلام: **"بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه"**(٢).

يقول: "في الحديث رد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة؛ لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة ولم يقل لا بد أن يعذبه"(٣).

كما رد عليهم في قولهم بالواجب العقلي، وكذلك رد عليهم في مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة ونفيهم لها(٤).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٩٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان (باب: حدثنا أبو اليمان...) رقم: ١١ الفتح (١/ ٦٤).

وفي كتاب مناقب الأنصار (باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة) رقم: ٣٨٩٢ الفتح (٧/ ٢١٩).

وفي كتاب الحدود ( باب الحدود كفارة، وباب توبة السارق ) رقم: ٦٧٨٤، ٦٨٠١ الفتح (١٢/ ٨٥، ١٠٨).

وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود (باب الحدود كفارات لأهلها) رقم: ١٧٠٩ صحيح مسلم (٣/ ١٣٣٣-١٣٣٤)، والنسائي في البيعة (باب ثواب من وفى بما بايع عليه) (٧/ ١٤٤)، والدارمي في كتاب السير (باب في بيعة النبي ﷺ) (٢/ ٢٢٠).

(٣) فتح الباري (١/ ٧٥).

(٤) تجدر الإشارة هنا إلى أن مقاومة الاعتزال استمرت في المراحل التالية لمرحلتنا حيث تذكر كتب التراجم أنه لما دخلت كتب الزمخشري وبخاصة كتابه «الكشاف» إلى الأندلس أنكر علماء السنة على من جلبه إليها من المشرق، كما فعل الإمام الفقيه أبو الحسين محمد بن محمد بن زرقون رحمه الله الذي كان من مفاخر إشبيلية وكان شيخ المالكية في عصره، حيث كان ينعى على أبي العباس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي (ت ٦٤٣هـ) جلبه كتاب =

وممن رد عليهم: أبو عبد الله محمد بن الفتح المرجي المعروف بابن الصواف[1]. الذي رد عليهم في إنكارهم الكرامات الثابتة لأولياء الله حيث يقول: "إن القول بالكرامات رد على المعتزلة وبغض فيهم وما أدركت أحداً أقتدي به في ديني بالمشرق ولا بالمغرب إلا وهو يقول بالكرامات ويتزين بذكرها في كل الأوقات"[2].

ولعل بهذا أكون قد وضحت حقيقة الصراع العقدي بين علماء المغرب السنيين وبين المعتزلة، وقد بينت مدى مقاومتهم لهم، واتخاذهم الوسائل العديدة في الدفاع عن السنة ضد المبتدعين من أهل الكلام.

---

= «الكشاف» للزمخشري إلى الأندلس لما تضمنه من المذهب الاعتزالي وقال: "قد كانت الأندلس منزهة عن هذا وأشباهه، ولم يزل أهلها على مرور الأيام أغنياء عن النظر في مثله وإن في غيره من تصانيف في التفسير غنية عنه".
انظر الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للمراكشي (١/ ١/ ٣٠/ ٣١). وممن انتقد كتاب «الكشاف» من المغاربة، أبو بكر يحيى بن أحمد السكوني (ت ٦٢٦هـ) في كتابه «الحسنات والسيئات» الذي انتفى فيه مستطرف غرائبه البيانية وأبدى أيضاً ما تضمنه من سوء انتحاله في ركيك اعتزاله.
انظر نيل الابتهاج (ص ٣٥٥).
وذكر أبو علي السكوني في كتابه «التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز». نيل الابتهاج (ص ١٩٥).
وانظر ما نظم في الرد عليه من شعر في أزهار الرياض (٣/ ٢٩٨-٣٢٣).

(١) ترجمته في رياض النفوس (٢/ ٣١٣-٣١٦) رقم: ٢٣١، معالم الإيمان (٣/ ٣٨-٣٩) رقم: ١٩٥.
(٢) رياض النفوس (٢/ ٣١٤).

# ثانياً : موقف علماء المغرب من الأشعرية

## المبحث الأول
## دخول الأشعرية إلى المغرب وانتشارها به

لقد ظل المغرب الإسلامي على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل، ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي، مع التنزيه للخالق عز وجل وذاته العلية عن أن تشبه الذوات وتتصف بصفات المخلوقين، وكذا القول في الوجه واليدين والعين والنزول والمجيء والضحك وغيرها مما ورد إطلاقه على الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة، فإنهم يمرونه على ظاهره ولا يؤولونه بالذات والقدرة، فراراً من الافتئات على الشارع الذي عبر بذلك، ولكنهم يعتقدون التنزيه ومخالفته تعالى للحوادث كما سبق الحديث في ذلك بتوسع، وظل الأمر على ذلك إلى عهد ابن تومرت ورجوعه من رحلته المشرقية حيث عمل على تحويل الناس عن مذهب السلف إلى المذهب الأشعري.

وقد تحدث غير واحد من علماء المغرب والمشرق ممن تناول هذه المرحلة بالدراسة والبحث، أو تناول شخصية ابن تومرت، تحدثوا عن دور ابن تومرت الكبير في تحويل المغرب إلى مناهج المتكلمين من الأشاعرة في الاعتقاد.

من ذلك ما قاله الناصري بعد أن تحدث عن حال أهل المغرب في الأصول والاعتقادات قبل ابن تومرت: «فبعد أن طهره الله (أي: المغرب) من فرقة الخارجية والرافضية ثانياً أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل[1] مع التنزيه عن الظاهر، وهو ـ والله ـ

(١) التأويل في اللغة: المآل والمصير، ومنهم من يقول: إنه بمعنى التفسير والتبيين، وفي اصطلاح المتكلمين: نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، وقال ابن الأثير : هو نقل اللفظ عن موضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، وينقل الزبيدي عن السبكي قوله: إن التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلاً ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل.
انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٤٥٨)، تاج العروس (٧/ ٢١٥)، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٨٠)، هذا في اللغة، أما في اصطلاح الفقهاء والمتكلمين فهو لا يختلف عنه في اللغة، فهو=

أحسن المذاهب وأفضلها، واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين، فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه، ثم عاد ابن تومرت إلى المغرب ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة، وجزم بتضليل من خالفها، بل تكفيره، وسمى أتباعه بالموحدين، تعريضاً بأن من خالف طريقته ليس بموحد، ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق مذهب الأشعري وتقريره وتحريره درساً وتأليفاً، وإن كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهوراً ما»[(١)]، وإلى ذلك يشير ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: «وانطوى هذا الإمام راجعاً إلى المغرب بحراً متفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين، وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها، بالحجج العقلية الدامغة في صدر أهل البدعة، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، والاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت، فبصَّر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد»[(٢)].

من هذه النصوص نخلص إلى أن أهل المغرب كانوا في الجانب العقدي على طريقة أهل السنة والجماعة، حتى جاء ابن تومرت فحولهم عن هذه الطريقة إلى طريقة أهل

= (صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله إذا كان هذا المعنى الذي تصرف إليه الآية موافقاً للكتاب والسنة)، وعن موقف العلماء من التأويل عند المتكلمين وغيرهم ينظر: ابن تيمية وموقف العلماء من التأويل للجليند (ص٥١) طبعة الهيئة العاملة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (١٣٩٣/ ١٩٧٣).

(١) الاستقصاء (١/ ٦٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون. وهناك نصوص أخرى كثيرة في هذا المعنى عن الإمام الذهبي الذي يقول: «وكان ابن تومرت لهِجاً بعلم الكلام، خائضاً في مزالّ الأقدام، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بانحراف، فحمل أتباعه عليها وسماهم الموحدين ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه، نعوذ بالله من الغي والهوى». سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٤٠ _ ٥٤١).

وعن اليسع بن حزم الذي ينقل عنه الذهبي قوله فيه: «سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفه، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه إلى أن يقول: «فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر، وأن من لم يعرف ذلك لم يعرف المخلوق من الخالق» سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٥٠).

الكلام، وحملهم عليها حملاً، بعد ما كانت ـ قبل ذلك ـ منحصرة في آحاد الناس، وكان ظهورها ظهوراً ما.

وهذا لا يمنع أنه وجد قبل ذلك من العلماء من تأثر بمذهب الأشعري قليلاً أو كثيراً وتأثر بطريقة رجاله في الجدل، وفي تفسير المسائل المتعلقة بصفات الله تعالى وأسمائه، إلا أن تأثرهم هذا كان في نواح جزئية منه فقط، أما وجود المذهب بشكله المتكامل فكان يواجه بالمعارضة الشديدة، وهو ما يبرزه موقفهم من ابن تومرت حين قدومه من المشرق، وشروعه في بث هذا المذهب بين أهل المغرب.

ولعل السبب في عدم وجود المذهب متكاملاً إلى هذا العهد يرجع بالدرجة الأولى إلى المذهب الأشعري نفسه، فعلى قول كثير من العلماء أن هذا المذهب لم تكتمل أسسه على يد المؤسس الأول، بل بقي يتطور حتى اكتمل على يد الإمام الجويني والإمام الغزالي.

فعلى قول هؤلاء، فإن الإمام الأشعري وقدماء أصحابه كانوا يثبتون الصفات الخبرية، ولكن المتأخرين هم الذين كانوا ينفونها، حيث يقول الإمام ابن تيمية: «فالأشعري وقدماء أصحابه كانوا يقولون: إنه بذاته فوق العرش وهو مع ذلك ليس بجسم»[(١)].

ويقول أيضاً: «وهؤلاء الذين ينفون الصفات كأبي المعالي وأتباعه، فإن الأشعري وأئمة أصحابه يثبتون الصفات الخبرية، وهؤلاء ينفونها»[(٢)]، ويقول أيضاً: «والأشعري وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبري[(٣)]، وأبي عبد الله مجاهد[(٤)]، والقاضي أبي بكر

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٢٦).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٣٢٨).

(٣) هو: أبو الحسن بن علي بن محمد بن مهدي الطبري، صحب أبا الحسن الأشعري مدة، وأخذ عنه وتخرج به واقتبس منه، صنف عدة تصانيف تدل على علم واسع وفضل بارع، توفي في حدود سنة ٣٨٠هـ.

مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري (ص١٩٥ ـ ١٩٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٤٦٨) رقم: ٢٢٩، معجم المؤلفين لرضا كحالة (٧/ ٢٣٤).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري، قدم بغداد وصنف التصانيف ودرّس علم الكلام وأخذ عنه الباقلاني، توفي سنة ٣٧٠هـ. =

متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليد وإبطال تأويلها وليس له في ذلك قولان أصلاً.

ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين أصلاً، بل جميع من يحكي المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله، ولكن لأتباعه في ذلك قولان، وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالي الجويني، وله في تأويلها قولان: ففي الإرشاد أوَّلها، ثم إنه في الرسالة النظامية رجع عن ذلك وحرم التأويل، وبيَّن إجماع السلف على تحريم التأويل، وأما الأشعري وأئمة أصحابه فإنهم مثبتون لها يردون على من ينفيها، أو يقف فيها فضلاً عمن يتأولها»(١).

وفي ترجمته للإمام الباقلاني من كتابه الممتع «سير أعلام النبلاء» بيَّن الإمام الذهبي أن هذا الإمام، وهو رأس الأشعرية في وقته، كان على طريقة السلف في إثبات صفات الله تعالى، وكان يناظر عنها ضد المعتزلة والرافضة والقدرية، وكان يرد على الكرَّامية(٢) وينصر الحنابلة عليهم.

وينقل عن الباقلاني ما يؤكد رأيه هذا حيث يقول: «فإن قيل: فم الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قيل: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]».

ثم قال: «فإن قيل: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟ قيل: بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه»، وقال في موضع آخر: «قد بينَّا دين الأمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير».

---

= مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (١/ ٣٤٣) رقم: ٢٦١، تبيين كذب المفتري (ص١٧٧)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٥) رقم: ٢١٤، شذرات الذهب (٣/ ٤٧_٤٧)، الديباج المذهب (٢/ ٢١٠_٢١١).

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (٢/ ١١).

(٢) الكرَّامية: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرَّام بن عوان بن حزبة السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات، ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم، ويوافقونهم أيضاً في إثبات القدر والقول بالحكمة، ولكنهم يوافقون المعتزلة في وجوب معرفة الله تعالى بالعقل وفي الحسن والقبح العقليين، ويوافقون المرجئة في القول بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب.

انظر عنهم: لسان الميزان (٥/ ٣٠٣_٣٥٦)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٤)، الفِصَل لابن حزم (٤/ ٥٤)، (٤/ ٢_٢٠٥)، التبصير في الدين (ص٥٦ _ ٧٠)، الخطط للمقريزي (٢/ ٩٤٣، ٣٥٧).

قال الإمام الذهبي تعليقاً على هذا الكلام: «فهذا المنهج هو طريقة السلف، وهو الذي أوضحه أبو الحسن الأشعري وأصحابه، وهو التسليم بنصوص الكتاب والسنة، وبه قال الباقلاني وابن فورك[١] والكبار إلى زمن أبي المعالي الجويني، ثم زمن الشيخ أبي حامد فوقع اختلاف وألوان، نسأل الله العفو»[٢].

من هذه النصوص مجتمعة نستنتج أن المذهب الأشعري لم يصل إلى صورته الأخيرة إلا على مراحل، أما الرجال الذين أسسوا المذهب فقد كانوا على منهج السلف في الصفات[٣]، ومهما يكن الأمر فالذي يهمنا ـ نحن ـ في المقام الأول في بحثنا هو انتشار هذا المذهب في المغرب الإسلامي والسبل التي دخل منها إليه.

والواقع أنه ليس لدينا معلومات كافية نستطيع أن نكوِّن منها رأياً واضحاً فيما يتعلق بصدى الأشعرية بالمغرب الإسلامي قبل دعوة ابن تومرت، ولكن هناك إشارات متفرقة في كتب التاريخ والتراجم تؤلف في مجموعها أرضية يمكن الاعتماد عليها في تكوين فكرة حول هذا الموضوع.

---

(١) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، متكلم فقيه مفسر أصولي أديب نحوي واعظ لغوي عارف بالرجال، أقام بالعراق مدة وكثر سماعه بالبصرة وبغداد وحدَّث بنيسابور، من تصانيفه الكثيرة: «دقائق الأسرار»، «مشكل الآثار»، «تفسير القرآن»، مات مسموماً سنة ٤٠٦هـ.
مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري (ص٢٣٢)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) رقم: ٦١، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٤ـ ٢١٦) رقم: ١٢٥، طبقات السبكي (٤/ ١٢٧ ـ ١٣٥) رقم: ٣١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٨).

(٣) يجب التفرقة بين الإمام الأشعري والأشاعرة، فالإمام الأشعري كان على مذهب السلف، ولكن أتباعه خالفوه في قضايا كثيرة ونفوا عنه ما قال به من موافقة السلف، فمما خالفوه فيه قضية معرفة الصانع والطريق إليها، يقول ابن تيمية: «إن الأشاعرة خالفوا الأشعري في الاستدلال على وجود الصانع فأثبتوا القول بالجواهر والأعراض، والأشعري يرى أنه بدعة في الشرع».
وخالفوه في الصفات الخبرية: يقول ابن القيم: «إن الأشاعرة خالفوا الأشعري في الصفات الخبرية مثل الاستواء والعلو والنزول... مع أن الأشعري صرح بإثبات ذلك في مؤلفاته كلها» انظر الصواعق المرسلة (ص٣٤٦).
وخالفوه في مسألة القرآن: يقول العضد الإيجي ـ صاحب المواقف ـ: «إن ما ذهب إليه المتأخرون من الأشاعرة في مسألة القرآن لا يتفق مع مذهب الأشعري» المواقف (٨/ ١٠٣)، ط١، ١٣٢٥، مطبعة السعادة.
هذه بعض القضايا التي خالف فيها متأخرو الأشعرية إمامهم والله أعلم.

أما مؤلفات بعض العلماء الذين ذكر أنهم كانوا متأثرين بالأشعرية، والتي تعتبر المنطلق الصحيح لتدقيق الرأي في هذه المسألة فإن أغلبها مفقود أو في حكم المفقود، وقد بالغ بعض الباحثين عندما حكم من خلال تلك الإشارات ـ وفي شيء من القطعية ـ بأشعرية المغرب قبل أوائل القرن السادس، أمثال الشيخ زاهد الكوثري ـ رحمه الله ـ الذي اعتمد على إشارات في كتاب «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر، الذي جاء فيه أن بعض تلاميذ الباقلاني توجه إلى المغرب فنشر به العلم وانتفع به أهل القيروان وترك بها تلاميذ مبرزين مشاهير[1] ليعلن ـ كما قلت ـ وفي شيء من القطيعة أنه «دانت للسنة على الطريقة الأشعرية أهل البسيطة إلى أقصى بلاد إفريقية، وقد بعث الباقلاني في جملة ما بعث من أصحابه إلى البلاد أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري[2] إلى الشام ثم القيروان وبلاد المغرب، فدان له أهل العلم من أئمة المغرب وانتشر المذهب إلى صقلية والأندلس»[3].

ومما لا شك فيه أن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعري مبكراً، ربما في عهد مؤسسه نفسه، أما اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي فلم يكن وجوده بالمغرب قبل المهدي ابن تومرت إلا وجوداً محدوداً في آحاد الأفراد إذا استثنينا ما ذكره ابن حزم في فِصَلِه[4] من «أن الأشعرية قامت لهم سوق بصقلية والقيروان، ثم رق أمرهم والحمد لله رب العالمين».

وسأحاول في هذا المبحث ـ من خلال تلك الإشارات ـ أن أرسم خطاً بيانياً لدخول الأشعرية وتطورها بالمغرب الإسلامي:

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص١٢٠، ٢١٧).

(٢) هو: أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأَذَري ـ بفتح الهمزة وفتح الذال ـ نسبة إلى أذربيجان وهو إقليم واسع، من مدنه المشهورة تبريز، وقيل في النسبة أَذْري ـ بسكون الذال ـ لأنه عند النحويين مركبٌ من أذر وبيجان، وقيل في النسبة إليه: أَذَرْبِي ـ بفتح الهمزة والذال وسكون الراء ـ وتجدر الإشارة إلى أن هذه النسبة تصحفت في كثير من المصادر التي ترجمت له إلى (أزدي)، وهي خطأ. نزيل القيروان المتكلم الأشعري تلميذ القاضي الباقلاني، قدم إلى المغرب واستوطن به إلى أن توفي سنة ٤٢٣هـ.

مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٥٨٦ ـ ٥٨٩)، معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ١٥٩) مادة أذربيجان، تاج العروس (٩/ ١١٩).

(٣) انظر مقدمة محمد زاهد الكوثري على كتاب «تبيين كذب المفتري» (ص١٥).

(٤) (٤/ ٢٠٤).

لقد كانت القيروان المركز الأساسي لتقبل الأشعرية ونشرها ـ قبل منتصف القرن الخامس الهجري ـ لأنها كانت خلال هذه المرحلة نقطة الإشعاع العلمي على كافة أنحاء المغرب بما فيه الأندلس، حيث كان يفد إليها الطلبة من كل جهة لتلقي العلم بها، سواء ما أنتجه علماؤها أو ما جلبوه معهم من رحلتهم إلى المشرق.

كما كانت القيروان مرحلة مهمة من مراحل الرحلة إلى المشرق لأهل المغرب، حيث كانت تقع في طريقهم، فكانوا يمرون عليها أثناء الرحلة وأثناء العودة فيحصل لهم علم كثير بملاقاة رجال العلم الذين كانت تزخر بهم[١].

لقد ظهرت بذرة الأشعرية في المغرب ـ كما يرى بعض الباحثين ـ نتيجة الحاجة إلى طرائق الاستدلال التي اشتهر بها الأشاعرة في جدال الفرق المختلفة[٢].

ولما كان المغرب الإسلامي يعج بالفرق الكلامية؛ الخوارج والشيعة والمعتزلة، فقد رحل أهل المغرب إلى المشرق للحج ثم ملاقاة رجال الأشعرية.

ولعل أول رجل عرف الأشعرية في المغرب هو: إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (ت ٣٥٩هـ)، والمعروف بمواقفه القوية ضد الشيعة، والتي أوذي من أجلها، فقد ذكر البرزلي (ت ٨٤٤هـ)[٣] أنه كان من مشايخ الأشعرية، ونسب إليه

---

(١) عن علاقة القيروان ببلاد المغرب ينظر: جعفر ماجد، العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والخامس للهجرة، حوليات الجامعة التونسية عدد ١٣، سنة ١٩٧٦، (ص١٠٢).
وينظر أيضاً: محمد المنوفي في: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس، مجلة المناهل المغربية عدد٦، سنة ١٩٦٦، (ص٢٤٤). وكذلك مقال: مساهمة الأفارقة (التونسيين) في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، حوليات الجامعة التونسية، عدد ٢٠، سنة ٨٦، (ص٧). وأيضاً مقال: القيروان والمغرب لمحمد العروسي، مجلة الفكر التونسية، عدد ٥، سنة ١٩٦٦، (ص٢١).

(٢) انظر: كتاب المهدي بن تومرت للتجار (ص٤٣٣).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني المالكي الشهير بالبرزلي، كان فقيهاً مشاركاً في أنواع من العلوم، رحل إلى القاهرة وصار إماماً بالزيتونة بعد عودته، وأفتى ووعظ وتوفي بتونس سنة ٨٤٤هـ وكانت ولادته سنة ٧٤٠هـ، من تصانيفه: «النوازل والفتاوى».
مصادر ترجمته: الحلل السندسية (١/ ٣/ ٧٠١ ـ ٧٠٣)، د. محمد الحبيب الهيلة، ط الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٧٠، شجرة النور الزكية (ص٢٤٥)، رقم: ٨٧٩، الضوء اللامع (١/ ٤٣٣)، معجم المؤلفين (٢/ ١٥٨)، (٨/ ٩٤)، تراجم المؤلفين التونسيين (١/ ١١٥ ـ ١١٨).

بعض آراء الأشعري التي أدخلها القيروان[١].

ورجل آخر عرف الأشعرية في وقت مبكر هو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت ٣٥٧هـ)[٢].

فقد رحل إلى المشرق والتقى بأئمة الأشعرية وأخذ عنهم ثم حل بالقيروان، حيث درَّس بها، ثم استقر بفاس ونشر بها علمه.

وحتى الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) فقد رحل إلى المشرق والتقى بأئمة الأشعرية، وأخذ عنهم أمثال درَّاس بن إسماعيل ـ الذي تقدم ذكره ـ وأبي بكر أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن[٣].

كما كان وثيق الصلة بتلميذ أبي الحسن الأشعري أبي محمد بن أحمد بن مجاهد (ت ٣٧٠هـ)، وكانت بينهما مراسلات وتبادل كتب، ويذكره الباقلاني فيقول: «شيخنا»[٤].

ومن كتب ابن مجاهد التي دخلت إلى المغرب «رسالة فيما التمسه فقهاء أهل الثغر من شرح أصول مذاهب المتعبدين للكتاب والسنة»[٥]، وكتاب: الرسالة في عقود أهل السنة، وقد ذكر العلماء رسالة كتبها ابن أبي زيد القيرواني في الرد على المعتزلة، والتي ذكر فيها أبا الحسن الأشعري، ودافع عنه وبرأه مما رماه به المعتزلة مما هو بريء منه مما جرت به عادة المعتزلة باستعمال مثله في حقه، من ذلك قوله عن أبي الحسن الأشعري: «هو رجل مشهور أنه يرد على أهل البدع وعلى القدرية والجهمية، متمسك بالسنة»[٦]. وقال أيضاً:

---

(١) المهدي ابن تومرت، (ص٤٣٤) نقلاً عن البرزلي في جامع مسائل الأحكام (١/ ٩١) ظ.

(٢) هو: أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي الفقيه الحافظ النظار المعروف بالعلم والصلاح، له رحلة حج فيها وسمع من ابن أبي مطر ومن ابن اللبان وغيرهما، وعنه أخذ القابسي وابن أبي زيد. مصادر ترجمته: شجرة النور الزكية (ص١٠٣) رقم الترجمة: ٢٦٣، الفكر الإسلامي (٤/ ١١٥، ١٢٥).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) انظر: معالم الإيمان (٣/ ١١٢)، ترتيب المدارك (٢/ ٤٧٧).

(٥) انظر: فهرست ابن خير (ص٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٦) تبيين كذب المفتري (ص١٢٣)، هو: علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي نزيل مصر، كان من المعتزلة وانتسب إلى المذهب المالكي ليزوج بدعته، وكتب إلى فقهاء القيروان يدعوهم فيها إلى مذهب الاعتزال والقول بالقدر وخلق القرآن، لأن ذلك كله كان مذهب مالك ومذهب الأشعري أيضاً، فأجابه ابن أبي زيد القيرواني بهذه الرسالة.

«وأما لعن العلماء لأئمة الأشعرية فمن لعنهم عزر وعادت اللعنة عليه، فمن لعن من ليس أهلاً للعنة وقعت اللعنة عليه والعلماء أنصار فروع، والأشعرية أنصار الدين»[(١)].

ولكن ـ رغم ذلك ـ فلا تجد في كتاباته ما يشير من قريب أو بعيد إلى تأثره بالطريقة الأشعرية، بل كان على طريقة السلف رحمهم الله وكان نفوره من الكلام كبيراً.

وكان لظهور الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في المشرق كحامل للواء الأشعرية أثر كبير في نشر مذهب الأشعري في المغرب، والسبب في ذلك أنه كان إلى جانب أشعريته في الأصول، مالكياً في الفروع، لذلك أقبل عليه طلبة العلم من المغرب يأخذون عليه المذهب المالكي والطريقة الأشعرية في آن واحد، ويظهر تأثر أهل المغرب بالباقلاني وإعجابهم به أنهم كانوا يستشيرونه في المسائل والنوازل التي كانت تطرأ لهم.

وقد أخذ عن أبي بكر الباقلاني من أهل المغرب مجموعة من العلماء، نذكر منهم: عبد الجليل بن أبي بكر الربعي المعروف بالديباجي وبابن الصابوني[(٢)]، فقد صحب الباقلاني مدة ثم رجع إلى المغرب وألف رسالة في الاعتقادات[(٣)].

وممن أخذ عن الباقلاني من مشاهير علماء المغرب والذين كان لهم دور فعال فيما بعد في نشر المذهب الأشعري في المغرب أبو عمران الفاسي (ت ٤٣٠هـ)[(٤)]، فقد رحل إلى بغداد سنة ٣٩٩هـ وتلقى أصول المذهب عن القاضي الباقلاني الذي أعجب بذكائه وحفظه، ولما رجع إلى القيروان وجلس بها وظهر علمه قصده الناس من كل جهة[(٥)].

ويقول الذهبي عنه: «درس علم العقليات عن القاضي أبي بكر الباقلاني في

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٨٦).

(٢) تكملة الصلة لابن الأبار ترجمة رقم: ١٨١٧، طبعة مدريد.

(٣) نفس المصدر.

(٤) هو: الإمام أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج، يحج البربري الفاسي الغفجومي الزناتي، رحل إلى الأندلس وحج غير مرة، وأخذ علم العقليات عن الباقلاني، وتوفي سنة ٤٣٠هـ.
مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٨٠، ٨١، ١٨٩)، الصلة لابن بشكوال (٢/ ٦١١) رقم: ١٣٣٧، الديباج المذهب (٢/ ٣٣٧) رقم: ١٥٦، الشذرات (٢/ ٢٤٧)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) رقم: ٣٦٤.

(٥) انظر: ترتيب المدارك (٢/ ٧٠٣)، معالم الإيمان (٣/ ١٦٠).

سنة ٣٩٩هـ»، ويقول هو عن لقائه مع الباقلاني: «رحلت إلى بغداد، فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني ورأيت كلامه في الأصول والفقه، والمؤالف والمخالف حقرت نفسي، وقلت: لا أعلم من العلم شيئاً ورجعت عنده كالمبتدئ»[(١)].

هذا، وفضلاً عن رحلة علماء المغرب للتلمذة على الباقلاني فقد أرسل هو بدوره اثنين من أبرز تلاميذه لنشر مذهب الأشعري بالمغرب وبثه فيه، هما: أبو طاهر البغدادي الناسك الواعظ[(٢)]، وكان عالماً متقناً لعلم الكلام حتى قال عنه أبو عمران الفاسي: «لو كان الكلام طيلساناً ما تطليس به إلا أبو طاهر البغدادي»[(٣)]، وما من أحد من العلماء المذكورين في الأصول بالقيروان إلا وقد أخذ عنه.

وأخذ عنه أيضاً من أهل الأندلس أمثال أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت ٣٩٢هـ)[(٤)] الذي كان «عالماً في الكلام والنظر واستقر بالأندلس بعلم الناس، إلا أننا لا نعرف شيئاً عن آثاره فنتبين مدى أشعريته»[(٥)].

وأما الرجل الثاني الذي بعثه الباقلاني إلى المغرب للغرض ذاته فهو: الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري الذي دخل القيروان واستوطنها، وكان السبب في وروده عليها ـ كما يقول ابن عساكر ـ أن «الإمام الباقلاني أرسله إلى دمشق أولاً تلبية لرغبة أهلها، فعقد مجلس تذكير في جامع دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود[(٦)]، وذكر التوحيد ونزه المعبود ونفى عنه التشبيه والتحديد، فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون: «أحد،

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٥٨٧).

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) تبيين كذب المفتري (ص ١٢١).

(٤) فقيه مالكي من قرطبة، تفقه بها على الؤلوي وابن مشاط، وأخذ عن وهب بن مسرة ثم ارتحل إلى المشرق وحج، أخذ عن الأبهري والدارقطني، تولى قضاء سرقسطة، توفي سنة ٣٩٢هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٤٩) رقم: ٧٦٠، ترتيب المدار (٢/ ٦٤٢ ـ ٦٤٤)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) رقم: ٤١٢، الديباج المذهب (١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥) رقم: ١٣.

(٥) ابن تومرت (ص٤٣٧).

(٦) هو: أبو الحسن بن علي بن داود المقري الداراني الدمشقي، إمام مسجد دمشق، كان ثقة مأموناً يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري، كان أبوه نصرانياً فأسلم ولم يكن له جَدٌّ في الإسلام، توفي سنة ٤٠١هـ.
مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري (ص٢١٤ ـ ٢١٧).

أحد». فأقام مدة بدمشق ثم توجه إلى المغرب فنشر العلم بتلك الناحية واستوطن القيروان إلى أن مات»(١). وكان رجلاً ذا علم وأدب، يقول عنه القاضي عياض:

«فكان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب أبو عبد الله الأذري تلميذ القاضي الباقلاني»(٢)، وقد ألف مؤلفات كثيرة منها «كتاب في مناقب الباقلاني» ذكره أبو علي السكوني في عيون المناظرات ونقل منه، وكتاب «اللمع في أصول الفقه».

وقد أخذ عن هذا الرجل جمع كبير من أهل المغرب كان لهم الدور الأكبر بعد ذلك في نشر الطريقة الأشعرية في المغرب وتعريف الناس بها، أمثال أبي عمران الفاسي ـ الذي سبق الحديث عنه ـ، وأبي بكر عبد الله بن محمد القرشي القيرواني(٣)، وعبد الجليل الديباجي القيرواني(٤)، وممن أخذ عنه أيضاً: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عتيق بن أبي نصر هبة الله بن علي بن مالك التميمي المتكلم الأشعري المعروف بابن كدية القيرواني(٥)، أخذ عن الأذري، ثم رحل إلى بغداد.

كان متعصباً للمذهب الأشعري عالماً به، قال عنه السِّلَفِي(٦): «كان مشاراً إليه في

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص٢١٦ ـ ٢١٧).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٥٨٦ ـ ٥٨٩).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) الغنية للقاضي عياض (ص٧٦).

(٥) هو: أبو عبد الله محمد بن عتيق بن محمد بن هبة الله بن مالك التميمي القيرواني المعروف بابن كدية، درس الكلام على الحسين بن حاتم الأذري ورحل إلى المشرق، فسمع ببغداد من عبد الباقي بن محمد العطار، وحدَّث بصور فسمع منه نصر المقدسي، وروى عنه السِّلَفِي وغيره، ودرس بالنظامية ببغداد وأقام بالعراق إلى أن توفي سنة ٥١٢هـ في الثامن من ذي الحجة، ودفن مع أبي الحسن الأشعري بشرعة الروايا خارج الكرخ.

مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤١٧ ـ ٤١٨) رقم: ٢٤١، معرفة القراء الكبار (١/ ٣٧٩)، النجوم الزاهرة (٥/ ٢١٧)، معجم البلدان (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، غاية النهاية لابن الجزري (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

(٦) السِّلَفِي ـ بكسر السين وفتح اللام ـ هو: أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني قال عنه الذهبي: «كان متقناً مثبتاً ديِّناً خيِّراً حافظاً ناقداً مجموع الفضائل، انتهى إليه علو الإسناد» توفي سنة ٥٧٦ هـ.

مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ (١٢٩٨ ـ ١٣٠٤) رقم: ١٠٨٢، البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٩)، وفيات الأعيان (١/ ١٠٥ ـ ١٠٧) رقم: ٤٤ وغيرها من المصادر.

الكلام، جرت بينه وبين الحنابلة فتن وأوذي غاية الإيذاء، سألته عن مسألة الاستواء فقال: أحد الوجهين للأشعري أنه يحمل على ما ورد ولا يفسر»[١].

وممن تتلمذ عليه أيضاً وتأثر بالكلام غاية التأثر: أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الله السيوري القيرواني (ت ٤٦٠هـ)[٢] الذي كان له شأن بديع في الحفظ والقيام بالمذهب المالكي، حافظاً لدواوينه، قرأ عن الأذري الأصول والكلام وأكثر عنه الكلام.

إلى جانب تلاميذ الباقلاني الذين أرسلهم إلى المغرب لنشر الأشعرية، أو الذين رحلوا إليه للأخذ عنه والرجوع إلى المغرب لنشر مذهبه، وهؤلاء جميعاً كان لهم دور بارز في هذا المجال، إلى جانب هؤلاء التلاميذ دخلت كتبه ورسائله مثل «رسالة الحرة» وهي مطبوعة باسم الإنصاف[٣]، والتي كانت متداولة في المغرب، وتذكر المصادر أن أحمد بن محمد التيمي المعروف بابن ورد[٤] من علماء المرية، والذي وصفه ابن الأبار بالحبر المجمع عليه. كان قد روى كتب الباقلاني من طريق كريمة

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/٤١٨).

(٢) هو: شيخ المالكية أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث المغربي السيوري القيرواني، أحد من يضرب بحفظه المثل في الفقه، وكان زاهداً له تعليقة على المدونة وتخرج به أئمة، توفي سنة ٤٦٠هـ.

مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٧٧٠ ـ ٧٧١)، الديباج المذهب (٢/ ٢٢) رقم: ٢، سير أعلام النبلاء (١٨/٢١٣) رقم: ١٠١، شجرة النور الزكية (١/ ١١٦)، والسُّيُورِي بضم السين المهملة والياء وبعد الواو راء، هذه النسبة إلى عمل السيور، وهو أن يقطع الجلد سيوراً دقاقاً ويخرز بها السروج.

(٣) طبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثري في مطبعة مؤسسة الخانجي، الطبعة الثانية (سنة ١٣٨٢/ ١٩٦٣).

(٤) هو: أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد، وهو خاله غلبت النسبة إليه، وكان أبوه من أهل القيروان، ورد المرية فأوطنها إلى أن مات، وفيها نشأ أحمد بن محمد، فكان ابنها المنظور إليه وحبرها المجمع عليه، واشتهر بدقة النظر ولطف الاستنباط، تتلمذ للقاضي أبي عبد الله بن المرابط وغيره، وكان يروي كتب الباقلاني عن طريق كريمة المروزية عنه، توفي في رمضان سنة ٥٤٠هـ، وكانت ولادته سنة ٤٦٥هـ.

مصادر ترجمته: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار (ص٢٣ـ٢٤) رقم: ١٧، بغية الملتمس (ص٣٦٢)، تحفة القادم لابن الأبار تحقيق: إحسان عباس (ص٣٢ـ٣٣) طبعة دار الغرب الإسلامي سنة ١٤٠٦هـ.

المروزية (ت ٤٦٣هـ)(١). ومن كتبه أيضاً التي كانت تدرس في المغرب: «كتاب التمهيد» فقد كان يدرسه الأذري.

وقد رأينا كيف كان إعجاب أهل المغرب بالباقلاني، حتى كانوا يرسلون إليه يستفتونه في الحوادث والنوازل التي كانت تقع لهم.

وكان لكتب ابن فورك (ت ٤٠٦هـ) رواج في المغرب، وبخاصة كتابه: «تأويل مشكل الحديث»، وكان دخولها إليه عن طريق العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق، فكتاب «تأويل مشكل الحديث» رواه ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ)(٢)، عن أبي جعفر النحوي (ت ٥٤٣هـ)(٣)، كما سمع عبد الله بن محمد النفزي المعروف بابن المرسي (ت ٥٣٨هـ)(٤) على محمد بن محمد بن المأموني الكتاب ذاته، ورواه كذلك عبد الرحمن بن أحمد القيسي المعروف بالحلياني (ت ٥٥٤هـ)(٥).

---

(١) هي الشيخة العالمة الفاضلة المسندة كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية المجاورة بحرم الله، سمعت من أبي الهيثم الكشميهني صحيح البخاري، وسمعت من زاهر بن أحمد السرخسي وغيره، وحدث عنها الخطيب البغدادي وأبو المظفر السمعاني وغيرهما. كان لها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد، ماتت بِكْراً ولم تتزوج، توفيت سنة ٤٦٣هـ.
مصادر ترجمتها: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥) رقم: ١١٠، المنتظم لابن الجوزي (٨/ ٢٧٠)، شذرات الذهب (٣/ ٣١٤).

(٢) هو: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة من مدينة إشبيلية، ولد سنة ٥٠٢هـ، أخذ عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح وغيره، وتجول في معظم مدن الأندلس تولى إمامة منسجد قرطبة آخر عمره إلى أن توفاه الله سنة ٥٧٥ هـ.
مصادر ترجمته: بغية الملتمس (ص٦٢) رقم الترجمة: ١١٢، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٨٠ ـ ٨٦) رقم: ٣٤، شذرات الذهب (٤/ ٢٥٢)، فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني (١/ ٢٨٦).

(٣) الفهرست (ص١٩٩).

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد النفزي الخطيب المعروف بابن المرسي، سمع من عدد كبير من الشيوخ وسمع منه عدد كبير أيضاً، توفي سنة ٥٣٨هـ وكانت ولادته سنة ٤٥٣هـ.
مصادر ترجمته: الغنية للقاضي عياض (ص١٥٦ ـ ١٥٧) رقم: ٥٩، الصلة (١/ ٢٩٦) رقم: ٦٥٠، بغية الملتمس (ص٣٢٥) رقم: ٨٩٧، معجم أصحاب أبي علي الصدفي (ص ٢١٤ ـ ٢١٧) رقم: ١٩٨.

(٥) التكملة لكتاب الصلة (ص٥٥٤).

ومن كتب ابن فورك التي كانت متداولة بالمغرب ـ أيضاً ـ كتاب «اعتقاد الموحدين»[(١)]، كما دخل إلى الأندلس من تلاميذ ابن فورك رجل يدعى عبد الرحيم بن غيَّاث التميمي الحافظ (ت ٤٧١هـ)[(٢)].

وكان لأبي ذر الهروي (ت ٤٣٤هـ)[(٣)] ـ وهو الآخر ـ دور كبير في نشر الأشعرية في المغرب، بل هو الذي علَّم أهل المغرب هذا المذهب وبثَّه فيهم؛ نقل الإمام ابن تيمية عن الحسين بن أبي أمامة المالكي[(٤)] أنه قال: «سمعت أبي يقول عن أبي ذر الهروي: إنه أول من حمل الكلام إلى الحرم، وأول من بثه في المغاربة»[(٥)].

وقد أقبل عليه طلبة العلم من المغرب لكونه كان يجمع بين الأشعرية في الأصول والمذهب المالكي في الفروع[(٦)]، حيث يقول الإمام ابن تيمية: «وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به (أي: بأبي ذر الهروي) ويأخذون عنه الحديث، وهذه الطريقة (أي: الأشعرية) ويدلهم على أصلها»[(٧)].

وفي ترجمته لأبي ذر الهروي يقول الإمام الذهبي عنه: «أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب، وبث ذلك بمكة وحمله عنه المغاربة إلى

---

(١) انظر: فهرست ابن خير (ص٢٥٦).

(٢) نفس المصدر ترجمة رقم: ١٦٧١ .

(٣) هو: أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي المالكي الحافظ الثقة، حدَّث ببغداد عن بسر بن محمد المزني وغيره، وخرج إلى مكة فسكنها مدة وتزوج في العرب، قيل: كان يحج كل عام ويقيم بمكة أيام الموسم ويحدث، ثم يرجع إلى بلده، توفي سنة ٤٣٤هـ، وكانت ولادته سنة: ٣٥٦هـ.
مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري (ص٢٥٥ ـ ٢٥٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٤٤ ـ ٥٦٣) رقم: ٣٧٠، البداية والنهاية (١٢/ ٥٠ ـ ٥١)، شذرات الذهب (٣/ ٢٥٤).

(٤) لم أعثر له على ترجمة في ما وقع تحت يدي من مصادر.

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠١).

(٦) جاء في تبيين كذب المفتري (ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦) أن أبا ذر الهروي سئل فقيل له: أنت من هراة، فمن أين تمذهبت لمالك والأشعري؟ فقال: سبب ذلك أني قدمت بغداد لطلب الحديث فلزمت الدارقطني، فلما كان في بعض الأيام كنت معه فاجتاز به القاضي أبو بكر بن الطيب، فأظهر الدارقطني من إكرامه ما تعجبت منه، فلما فارقه قلت له: أيها الشيخ الإمام، من هذا الذي أظهرت من إكرامه ما رأيت؟ فقال: أوما تعرفه؟! هذا سيف السنة أبو بكر الأشعري، فلزمت القاضي منذ ذلك واقتديت به في مذهبيه جميعاً.

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠١ ـ ١٠٢).

المغرب والأندلس، وقبل ذلك كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات»[١].

كما يؤكد الإمام ابن كثير صلة أبي ذر الهروي بالمغرب وأثره فيه، فيقول: «والمغاربة إنما أخذوا الأشعرية عن أبي ذر الهروي»[٢]، فممن أخذ عنه: الإمام أبو عمران الفاسي الذي سبق ذكره، فقد أخذ عنه خلال رحلته إلى المشرق، وبعد رجوعه قام بنشر المذهب في المغرب، وتم على يده ترويج كتبه ونشرها وتناسخها بين الناس[٣]، وممن أخذ عن أبي عمران الفاسي من مشاهير علماء المغرب: أبو محمد عبد الحميد بن محمد الصائغ (ت ٤٨٦هـ)[٤]، فقد كان فقيهاً فاضلاً أصولياً[٥]، وخرج بهذا العلم من القيروان إلى المهدية حيث يتاح لأحد تلاميذه النابهين أن يأخذ علمه ليصبح واحداً من أبرز علماء المالكية والأشعرية بالمغرب ألا وهو الإمام المازري[٦].

وممن أخذ عن أبي ذر الهروي من المغاربة: محمد بن سعدوي (ت ٤٨٦هـ)[٧]،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٧).

(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٥٠).

(٣) معالم الإيمان (٣/ ١٥٢).

(٤) فقيه مالكي من أهل القيروان، سكن بسوسة وتفقه على السيوري وأبي عمران الفاسي، وبه تفقه الإمام المازري، تولى الإفتاء والتدريس بالمهدية، توفي سنة ٤٨٦هـ.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٣/ ٢٠٠).

(٥) انظر المعالم: (٣/ ٢٠٢).

(٦) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري، إمام أهل إفريقية، بلغ درجة الاجتهاد، أخذ عنه اللخمي وابن الصائغ، وكان إلى جانب تضلعه في الفقه والأصول والحديث عالماً بالطب، من كتبه: شرح صحيح مسلم المسمى: «المعلم بفوائد مسلم»، و«شرح البرهان للجويني»، توفي سنة ٥٣٦هـ.
مصادر ترجمته: الديباج لابن فرحون (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢) رقم: ٧٣، وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٥) رقم: ٦١٧، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٠٤ ـ ١٠٧) رقم: ٦٣، أزهار الرياض (٣/ ١٦٥).

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن سعدوي بن علي بن بلال القروي، تفقه بالقيروان على جماعة، وحج فسمع بمكة من أبي ذر الهروي وغيره، وسمع بمصر، وكان فقيهاً حافظاً للمسائل، وكان تاجراً، توفي سنة: ٤٨٦هـ.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٧٩٩ ـ ٨٠٠)، معالم الإيمان (٣/ ١٩٨) رقم: ٣١٥.

والإمام أبو الوليد الباجي الذي لزمه ثلاث سنوات كاملة يدرس عليه الكلام[(١)].

وكان للإمام أبي الحسن القابسي علاقات علمية مع تلاميذ الباقلاني وبخاصة الإمام أبي ذر الهروي، وكان كثير الثناء على أبي الحسن الأشعري، حيث ألف في فضله وإمامته رسالة جاء فيها: «واعلموا أن أبا الحسن الأشعري لم يأت من هذا الأمر ـ يعني الكلام ـ، إلا ما أراد به إيضاح السنن والتثبيت عليها ودفع الشبه عنها، فهمه من فهمه بفضل الله عليه، وخفي عمن خفي بقسم الله، وما أبو الحسن إلا واحد من جملة القائمين بنصر الحق، ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبته تلك، ولا من يؤثر عليه في عصره غيره، ومن بعده من أهل الحق سلكوا سبيله في القيام بأمر الله عز وجل والذب عن دينه حسب اجتهادهم»، ثم يرد على من يتهم الأشعري ويرميه مما هو بريء منه فيقول: «وأما قولكم: وإن كان التوحيد لا يتم بمقالة الأشعري، فهذا يدل على أنكم فهمتم أن الأشعري قال في التوحيد قولاً خرج به عن أهل الحق، فإن من نسب هذا المعنى عندكم إلى الأشعري فقد أبطل قول من قال عنه: لقد مات الأشعري يوم مات وأهل السنة باكون عليه، وأهل البدع مستريحون منه، فما عرفه من وصفه بغير هذا»[(٢)].

ومما يدل على أنه كان متأثراً بالأشعرية قوله في الإيمان: «إنه التصديق بالقلب دون أن يكون عمل الجوارح عنصراً منه»[(٣)].

وكان للإمام أبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ) هو الآخر تأثيره ودوره الكبير في نشر المذهب الأشعري بالمغرب، وكان لكتبه رواج كبير به، حيث اعتنى بها علماء المغرب شرحاً وتدريساً، وبخاصة كتاب الإرشاد[(٤)] وكتاب البرهان[(٥)]، وافتتن به المغاربة أيما افتتان حتى قال قائلهم يمدحه ويثني عليه ـ وهو محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي الألبيري (ت٥٣٧هـ) ـ[(٦)]:

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٧)، نفح الطيب (٢/ ٦٩).

(٢) انظر تبيين كذب المفتري (ص١٢٢ ـ ١٢٣).

(٣) ابن تومرت للنجار (ص٤٣٥).

(٤) هو كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، طبع في مكتبة الخانجي (سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م) بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد.

(٥) هو كتاب «البرهان في أصول الفقه»، طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، طبعة وزارة الأوقاف بقطر، الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٩هـ).

(٦) هو: أبو عبد الله محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي، ألبيري الأصل، أخذ علم الكلام =

حب حبر يدعى أباً للمعالي هو ديني ففيه لا تعذلوني
أنا ـ والله ـ مغرم بهواه عللوني بذكره عللوني

وكان هذا الرجل متكلماً واقفاً على مذاهب المتكلمين متحققاً برأي أبي الحسن الأشعري ذاكراً لكتب الأصول والاعتقادات، وله كتب في العقائد منها: كتاب «البيان في الكلام على القرآن»، وكتاب «الأصول إلى معرفة الله ونبوة الرسول ﷺ»، و«رسالة في البيان عن حقيقة الإيمان»[١].

وأقبل الناس على شرح كتب الجويني كما فعل أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري الغرناطي (ت ٥٢٢هـ)[٢] الذي شرح كتاب الإرشاد وسماه: «منهاج السداد في شرح الإرشاد»، كما شرحه أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي ساكن الإسكندرية وسماه: «المهاد في شرح الإرشاد»، وكان هذا الرجل من المتكلمين الذين تأثروا بالإمام الجويني واهتموا بكتبه، وكان قد أخذها عن أبي علي بن محمد بن الحضرمي، وقد درس الكلام والأصول عن أبي محمد الحنفي وأبي بكر الطرطوشي وغيرهما[٣].

= عن أبي بكر بن الحسن المرادي وغيره، وروى عنه جمع من أهل الأندلس، كان متكلماً مشاركاً في الأدب مقدماً في الطب، من كتبه: «النكت والأمالي في الرد على الغزالي»، و«شرح على صحيح البخاري»، توفي سنة ٥٣٧هـ، وكانت ولادته سنة ٤٥٧هـ.
مصادر ترجمته: الذيل والتكملة (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٥) رقم: ٥٦ تحقيق إحسان عباس، طبعة دار الثقافة بيروت (الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣).

(١) الذيل والتكملة (٦/ ١٩٤).

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري، ابن البقري، كان محدثاً نبيلاً حافظاً لتواريخ وطبقات الرواة وتعديلهم وتجريحهم، مميزاً لصحيح الحديث عن سقيمه، وكان ماهراً في علمي الكلام وأصول الفقه، توفي سنة ٥٥٢هـ وكان مولده سنة ٥٠٩هـ.
مصادر ترجمته: الذيل والتكملة (٥/ ١/ ٢٨٢ـ٢٨٥) رقم: ٥٦٦، الديباج المذهب (٢/ ١١٥ ـ ١١٦) رقم: ٢٤.

(٣) الغنية للقاضي عياض (ص٨٨)، وممن شرح الإرشاد أيضاً ـ ولكن في مرحلة متأخرة عن المرحلة التي نحن بصدد دراستها ـ: إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان الأوسي أبو إسحاق ويعرف بابن المرأة (ت ٦١١هـ)، كان متقدماً في علم الكلام حافظاً ذاكراً للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك، وكان الكلام غالباً عليه، انظر عنه: الإحاطة في أخبار غرناطة (١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).
كما شرحه أيضاً: محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الإشبيلي وسماه: «اقتطاف =

وأما كتابه: «البرهان في أصول الفقه» فقد شرحه من المغاربة الإمام المازري (ت ٥٣٦هـ)، وانتقد عليه بعض المسائل التي خالف فيها أهل السنة، مثل قوله: «تردد المتكلمون في انحصار الأجناس كالألوان، فقطع قاطعون بأنها غير متناهية في الإمكان كآحاد كل جنس، وقال المقتصدون: لا ندري أمنحصرة أم لا؟ ولم يثبتوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق، والذي أراه قطعاً أنها منحصرة لتعلق علم الله منها بأجناس لا تتناهى على التفصيل، وذلك مستحيل.

فإن استنكر الجهة ذلك وشمخوا بآنافهم وقالوا: «الباري سبحانه عالم بما لا يتناهى على التفصيل» سفهنا عقولهم وأحلنا تقرير هذا الفن على أحكام الصفات، وبالجملة علم الباري سبحانه وتعالى إذا تعلق بجواهر لا تتناهى، فإن ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود ويحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم والأجناس المختلفة التي فيها الكلام يستحيل العلم بها، فإنها متباينة الخواص وتعلق العلم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال، وإذا لاحت الحقائق فليقل الآخر ما شاء»[(١)].

وهو واضح في إنكار علم الله بالجزئيات غير المتناهية، وهو قول مخالف للنصوص القرآنية والحديثية، ومخالف لما عليه أهل السنة والجماعة بأن علم الله محيط بكل ما جل ودق، ولذلك يقول المازري في تفنيد مقالته تلك: «وددت لو محوتها بدمي»، وليس المازري وحده الذي انتقد ذلك عليه، بل غيره أيضاً كما ذكر الإمام الذهبي: «أن الناس هجروه ونفوه من أجلها، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه»[(٢)]. كما انتقده الإمام الذهبي نفسه وقال: «هذه هفوة اعتزال»[(٣)].

وممن انتقده انتقاداً لاذعاً عليها من علماء المغرب: الإمام ابن العربي (ت٥٤٣هـ)

---

= الأزهار واستخراج نتائج الأفكار لتحصيل البغية والمراد من شرح الإرشاد»، انظر: الذيل والتكملة (٥/ ٢/ ٦٥١).

كما انتشر هذا الكتاب فيما بعد وأصبح يدرس لطلبة العلم، وممن كان يقوم بتدريسه: محمد بن أبي بكر الأزدي الإشبيلي أبو عبد الله بن الفخار (ت ٦٤٠هـ)، انظر ترجمته في: الذيل والتكملة (٦/ ١٠٩).

(١) البرهان (٢١/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، وفي طبقات السبكي (بماء عيني، بدل: دمي) (٥/ ١٩٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٣).

حيث قال: «وإنما العجب كل العجب من كلمات صدرت عن أبي المعالي فادحة تحوم أو تشف على أن علم الباري لا يتعلق بالمعلومات على التفصيل»[١].

ثم شرع بعد إيراد كلام الجويني ـ الذي سبق ذكره ـ في نقضه فقرة فقرةً، ولطوله تركت نقله، لأنه لا يعنينا في بحثنا، وإنما المقصود الإشارة إلى من انتقد الجويني على كلامه ذلك.

إلا أن الإمام السبكي ـ بتعصبه للجويني ـ لم يعجبه انتقاد المازري فقال: «وقد فهم عنه المازري إنكار العلم بالجزئيات، وأنكر وأفرط في التغليظ عليه وأشبع القول في إحاطة العلم القديم بالجزئيات، ولا حاجة به إليه، فإن أحداً لم ينازعه وإنما هو تصور أن الإمام (أي: الجويني) ينازعه فيه»[٢].

وتحامل على المازري بعض الشيء دون مبرر، لأن كلام الإمام الجويني واضح فيما أنكر عليه، ولا يحتاج إلى تأويل.

وإلى جانب كتبه ومؤلفاته التي دخلت المغرب واهتم الناس بها اهتماماً بالغاً إلى جانب ذلك، فإن كثيراً من علماء المغرب تتلمذ عليه وأخذ عنه، كما أن هناك عدداً من تلاميذه من أهل المشرق وفدوا على المغرب في مرحلة من المراحل.

فممن تتلمذ له من أهل المغرب نذكر: عبد الملك بن موسى بن أبي حجرة الأندلسي (ت٤٨٥هـ)[٣]، فقد كانت له رواية عن الجويني، وكذلك محمد بن سعيد الميورقي[٤] الذي رحل إلى ميورقة، وتصدر لتدريس الفقه وأصوله وعلم الكلام، وله مناظرات مع

---

(١) العواصم من القواصم (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، وممن انتقد الجويني في كتابه البرهان والإرشاد ـ ولكن في مرحلة متأخرة عن مرحلتنا ـ: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي الإشبيلي (ت٦٠٩هـ)، وهو صرورة لم يتزوج، وكان يقول: «والله ما حللت مئزري على حلال ولا على حرام قط» انظر ترجمته في الذيل والتكملة (٥/ ١/ ١٣١٩).

(٢) طبقات السبكي (٥/ ١٩٣).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن سعيد الميورقي حج سنة ٤٠٢هـ ورافق في رحلته أبا محمد عبد الحق بن هارون الصقلي الفقيه، ولقي الإمام الجويني بمكة فأخذ عنه ولزمه، ثم رجع إلى ميورقة وأخذ في تدريس العلوم.
مصادر ترجمته الذيل والتكملة (٦/ ٢١٦) رقم: ٦٢٥.

ابن حزم شاركه فيها أبو الوليد الباجي حيث تظافرا عليه حتى أفحماه وأزعجاه، وكان ذلك سبب القطيعة بين الباجي وابن حزم(١).

ومن تلاميذه أيضاً: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري (ت ٥٠٢هـ)(٢) سمع بالأندلس من الباجي، وكانت له رحلة إلى المشرق، سمع فيها من الإمام الجويني ودرس الأصول والكلام، وعند عودته كان يدرس الكلام من كتاب «المناهج في الجدل والمناظرة»، للإمام الباجي(٣)، و«رسالة الحرة» للباقلاني.

إلى جانب تلاميذه من أهل المغرب ممن أخذ عنه وتتلمذ على يديه، فقد وفد جماعة من تلاميذه من المشارقة على المغرب أيضاً أمثال: أبي نصر سهل بن علي بن عثمان النيسابوري (ت ٥٣١هـ)(٤)، فقد تتلمذ على الجويني وقدم إلى المغرب وأقام بسبتة(٥) مدة طويلة.

ولكن الرجل الذي كان له الدور الأكبر في نشر طريقة الجويني بالمغرب هو: أبو بكر ابن العربي، الذي رحل إلى المشرق ولقي أعظم تلاميذ الجويني: أبا حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) حيث أخذ عنه طريقة أبي المعالي الجويني في الإرشاد(٦)، كما أن أبا الوليد الباجي جلب ـ بدوره ـ إلى المغرب طريقة أبي جعفر السمناني (ت ٤٤٤هـ)(٧).

---

(١) الذيل والتكملة (٦/ ٢١٦).

(٢) انظر عنه الغنية (١٦٥ـ١٦٦).

(٣) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبد المجيد التركي، الطبعة الثانية (دار الغرب) ١٩٨٧.

(٤) أبو نصر سهيل بن علي بن عثمان النيسابوري الشيخ التاجر، أقام بسبتة مدة، وكان قد أدرك أبا المعالي الجويني بنيسابور وحضر مجلسه ودرسه وكان شافعي المذهب، توفي غريقاً سنة ٥٣١هـ.
مصادر ترجمته: الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض (ص٢٠٩ ـ ٢١٠). تحقيق ماهر زهير جرار.

(٥) سبتة: بلدة مشهورة من مدن المغرب الأقصى، ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي اليوم داخلة تحت الحكم الإسباني الصليبي، انظر عنها: معجم البلدان (٣/ ١٨٢ـ١٨٣).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠١ ـ ١٠٢).

(٧) هو: أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، سكن بغداد فترة من الزمن وحدث عن أبي عمر السكري وأبي الحسن الدارقطني ثم استقر بالموصل، وكان عالماً فاضلاً سخياً، توفي سنة ٤٤٤هـ وكانت ولادته سنة ٣٦١هـ.
مصادر ترجمته: السير (١٧/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) رقم: ٤٤١، المنتظم (٨/ ١٥٦)، وانظر: الدرء (١/ ١٠١ـ١٠٢)، تبيين كذب المفتري (ص٢٥٩)، والسمناني ـ بكسر السين وسكون الميم ـ نسبة إلى سمنان قرية من قرى نسا في العراق، اللباب (٢/ ١٤١).

يقول القاضي عياض في ترجمته للباجي: «ودخل الموصل فأقام بها عاماً يدرس على السمناني تلميذ الباقلاني الأصول»[١].

وممن أخذ عن ابن السمناني أنصار من علماء الغرب أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن حمود السفاقسي نسبة إلى سفاقس بتونس.

ومن علماء المشرق الذين وفدوا على المغرب وساهموا في نشر علم الكلام على الطريقة الأشعرية: أبو الحسن نافع بن عباس الجوهري[٢]، الذي قدم الأندلس، وكان عالماً بالاعتقادات مكلماً عليها ووضع كتاباً في خمسة أجزاء سماه «الاستبصار».

بعد ذلك نشطت حركة التأليف في علم الكلام من قبل المغاربة أنفسهم، وبرز فيهم من العلماء في هذا الجانب عدد كبير كانوا في مستوى أولئك المشارقة أمثال: يحيى بن عبد الله كيس (ت ٤٣٦هـ)[٣] الذي كان متكلماً حاذقاً متبحراً في علم الكلام، حتى قال عنه ابن حيَّان: «ما نعلم بالأندلس في وقته أبصر منه بالكلام والجدل ونحو ذلك»[٤].

والعلامة أحمد بن محمد الجذامي المرسي[٥] من أعلام مملكة بني عباد «كان كثير التجوال والترحال في طلب العلم ونشره، وكان شيخ المتكلمين على مذهب أهل الحق في وقته»[٦]، وله رسائل في علم الكلام، وأملى رسالته في مسألة: «التكليف بما لا يطاق»، كما أن له أشعاراً تدور حول معارفه بعلم الكلام، وكان موصوفاً بالعلم والفضل.

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٨٠٣ ـ ٨٠٤).

(٢) هو: أبو الحسن نافع بن العباس بن جبير الجوهري التنيسي الحافظ، قدم الأندلس تاجراً سنة ٤١٦هـ، وكان له رواية عالية عن شيوخ مصر وغيرهم من أهل العراق، لم تذكر المصادر سنة وفاته.
مصادر ترجمته: الصلة (٢/ ٦٤٠) رقم الترجمة: ١٤٠٦.

(٣) هو: أبو بكر يحيى بن عبد الله كيس من أهل قرطبة، سمع الحديث من عدة لحقهم، وتوفي في آخر ربيع الأول وهو ابن سبع وأربعين سنة من سكتة أصابته قبل موته ـ رحمه الله ـ.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٦٦٧) رقم: ١٤٦٧.

(٤) الصلة (٢/ ٦٦٨).

(٥) هو: أبو العباس أحمد بن محمد الجذامي المتكلم المعروف بالزنقي، أصله من مرسية سمع من غير واحد، وأخذ عنه غير واحد ولم تذكر المصادر سنة وفاته.
انظر: المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي (ص١٢ ـ ١٣)، تكملة الصلة (١/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٦) انظر مصادر ترجمته.

ومنهم: أحمد بن يحيى بن عيسى الألبيري (ت ٤٢٩هـ)(١) الذي كان متكلماً دقيق النظر، عارفاً بالاعتقادات على الطريقة الأشعرية(٢).

ويعتبر أبو بكر المرادي (ت ٤٨٩هـ)(٣) أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى، وكانت له تواليف حسان في أصول الدين، واستمر يدرِّسها إلى أن توفي.

ومن أعلامهم ـ أيضاً ـ: محمد بن سليمان الباجي (ت ٤٩٣هـ)(٤) الذي كان من أهل الكلام مائلاً إليه، ومنهم: أحمد بن سابق الصقلي (ت ٤٩٣هـ)(٥) الذي برع في الكلام، وله تصانيف تدل على حذقه له وعلى ذكائه، وصنف في الجانب العقدي عقيدته المسماة: «العقيدة في المذاهب السديدة»، وكتاب «البرهان على أن أول الواجبات الإيمان»، وكتاب «معيار النظر»(٦).

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطر الزبيدي (ت ٥٠١هـ)(٧) الذي قال عنه القاضي عياض: «وكان له حظ من العلم بالأصول والاعتقاد».

---

(١) هو: أبو عمر أحمد بن يحيى بن عيسى الألبيري، الأصولي، سكن غرناطة وكان أديباً شاعراً عالماً بالكلام، توفي سنة ٤٢٩هـ.
مصادر ترجمته: الصلة (١/ ٤٤) رقم: ٩١.

(٢) الصلة (١/ ٤٤).

(٣) انظر عنه الغنية (ص٢٦) رقم: ٩٧ تحقيق ماهر زهير طبعة دار الغرب الإسلامي (الأولى ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢).

(٤) هو: أبو القاسم أحمد بن سليمان بن خلف الباجي سكن سرقسطة وروى عن أبيه كثيراً، وخلفه في حلقته، وحدَّث عن حاتم بن محمد وابن حيان وغيرهما، توفي سنة ٤٩٣هـ بجدة بعد منصرفه من الحج.
مصادر ترجمته: الصلة (٢/ ٦٠٤) رقم: ١٣٢٥.

(٥) هو: أبو بكر محمد بن سابق الصقلي، روى بمكة عن كريمة بنت أحمد المروزية، وقدم الأندلس وأخذ عنه أهل غرناطة، توفي سنة ٤٩٣هـ.
مصادر ترجمته: الصلة (١/ ٧١) رقم الترجمة: ١٥٣، بغية الملتمس (ص١٦٩) رقم: ٤٠٨، الديباج المذهب (١/ ١٨٣) رقم: ٦٠.

(٦) انظر مصادر ترجمته.

(٧) أصله من إشبيلية، رحل إلى المشرق ودخل الحجاز والعراق والشام، من شيوخه: محمد بن حجاج السبتي، وكان مجاوراً بمكة، وأبو عمران الصقلي والخطيب البغدادي وأبو الوليد الباجي توفي سنة ٥٠١هـ.
مصادر ترجمته: الغنية للقاضي عياض (ص٧٦ ـ ٧٩) رقم: ١٤، الصلة (٢/ ٥٦٧).

ومنهم: أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي (ت ٥٠٥هـ)[١] قال عنه القاضي عياض: «وكان محققاً فهماً أصولياً متكلماً».

وأبو محمد عبد الغالب بن يوسف السالمي (ت ٥١٦هـ)[٢] الذي وصفه القاضي عياض بالمتكلم على مذاهب أهل السنة من الأشعرية.

ومن المبرزين في علم الكلام على الطريقة الأشعرية ـ أيضاً ـ: أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي[٣] (ت ٥٢٠هـ) قال عنه القاضي عياض: «كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار السنة، وله في ذلك تصانيف مشهورة، وألف أرجوزة في علم الكلام قاربت الألفين من الأبيات، كان يقرؤها على تلاميذه في المسجد، فيحفظونها ويرددونها»[٤].

ومن علماء الكلام الجزائريين في تلك المرحلة: أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة أبو ذؤيب الهذلي بن خويلد البكري، رحل إلى بلاد الشرق، وسمع من أبي نعيم الأصبهاني وجماعة من الخراسانيين، وكان عالماً بالكلام والنحو.

ويذكر ابن حزم أنه وجدت للأشعرية مراكز في المغرب، وذلك في القيروان والأندلس، ويذكر من رجالهم الكبار المشاهير بالقيروان عطاف بن دوناس الذي ألف

---

(١) هو: أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي، الفقيه من أهل سفاقس، وسكن المغرب الأقصى والأندلس، كان منقبضاً فاضلاً، وكان محققاً فهماً فقيهاً أصولياً عارفاً بعلم الهندسة والحساب، توفي سنة ٥٠٥هـ.
مصادر ترجمته: الغنية للقاضي عياض (١٤٠ ـ ١٤١) رقم: ٤٩.

(٢) هو: أبو أحمد عبد الغالب بن يوسف السالمي المتكلم، أخذ عن ابن شبر بن القاضي وغيره، وأخذ عنه الناس كثيراً، وكان خيِّراً فاضلاً وله تصانيف كثيرة، توفي بمراكش سنة ٥١٦هـ.
مصادر ترجمته: الغنية (ص١٦٩ ـ ١٧٠) رقم ٧٢، الصلة (٢/ ٣٣٨) رقم: ٨٣٥.

(٣) هو: أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير من أهل سرقسطة، كان من أهل النحو والتقدم في علم التوحيد والاعتقاد، توفي سنة ٥٢٠هـ.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٦٨٢) رقم: ١٥٠٩، الغنية (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧) رقم: ٩٧.

(٤) هذه الأرجوزة توجد ضمن شرح لها بخزانة القرويين بفاس تحت عنوان: «في العقائد»، انظر: «الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين» (ص٤٠١)، ط. دار الغرب الإسلامي (ط١، ١٤٠٨/١٩٨٨هـ)، وكتاب أضواء جديدة على المرابطين للدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش أيضاً (ص١٦)، ط دار الغرب الإسلامي (ط١، ١٩٩١).

كتاباً في نصرة مقالة الأشعرية[(١)].

ولكن أبرز رجال الأشعرية في هذه المرحلة والذين عملوا على ترسيخ المذهب الأشعري بالمغرب وبسط سلطانه به هم: الإمام أبو الوليد الباجي، والإمام ابن العربي، وبدرجة أقل: الإمام المازري.

فالإمام أبو الوليد رحل إلى المشرق ولقي كبار رجال الأشعرية ـ كما تقدم ـ وعاد إلى المغرب يجادل عن الأشعرية ويصنف في مذهبهم، وكانت مصنفاته متداولة بكثرة، وبخاصة كتاب «التسديد» ـ كما يذكر ذلك القاضي عياض ـ في ترجمة أبي الأصبغ عيسى ابن محمد بن عبد الله بن أبي البحر الزهري (ت ٥٣٠هـ)[(٢)] حيث يقول: «لقيته بسبتة مرات ناولني من كتب أبي الوليد الباجي كتاب التسديد وغيره وحدثني بجميعها عنه»[(٣)].

واشتهر أكثر ما اشتهر بمناظرته للإمام ابن حزم التي قيل: إنَّ الباجي أفحم فيها ابن حزم، حيث يقول القاضي عياض ـ وهو من أنصار الباجي ـ: «ووجد الباجي عند وروده الأندلس لابن حزم صيتاً عالياً وظاهريات منكرة، وكان لكلامه طلاوة، وقد أخذت قلوب الناس، وله تصرف في فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت لقلة استعمالهم النظر وعدم تحققهم به، فلم يكن يقوم أحد بمناظرته، فَعَلَا بذلك شأنه وسلموا الكلام له، فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده من الإتقان والتحقيق والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصَّله في رحلته، أمَّله الناس لذلك، فجرتْ له معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه من ميورقة، وكان رأس أهلها، فلم يزل أمره في سفال فيما بعد»[(٤)].

ولكن بعض العلماء المعاصرين كأبي زهرة رحمه الله يرى أن هزيمة ابن حزم لم تكن بالحجة والبرهان، بل كانت بقوة السلطان «فما أفلح عليه بحجة ولكن ذهب

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٠٧).

(٢) هو: أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن مؤمل بن أبي البحر الزهري، أصله من شنترين وسكن مدينة سلا، رحل إلى المشرق وسمع من كريمة المروزية وغيرها، وسمع من أبي الوليد الباجي وغيره من أهل المغرب، وسمع منه قوم بالأندلس، توفي سنة ٥٣٠ هـ.
مصادر ترجمته: الغنية في شيوخ القاضي عياض (ص١٨٣ ـ ١٨٦) رقم: ٨٣، الصلة لابن بشكوال (٢/ ٤٤٠) رقم: ٩٤٧.

(٣) الغنية (ص١٨٥).

(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٨٠٥).

المناصر فتظاهر الفقهاء عليه وألبوا عليه السلطان، وخرج من ميورقة لا مغلوباً في حجاج، ولكن قد فقد النصير المؤيد ولم يعد الانتصار للحجة، بل صار الانتصار لمن هو أكثر عدداً وأعز نفراً»(١).

المهم أن هذا الرجل (أي: الباجي) كان له دور بارز في نشر المذهب الأشعري بالمغرب، وكيف لا يكون ذلك وقد تلقاه عن أعمدة هذا المذهب بالمشرق خلال رحلته ـ كما تقدم ـ، وأما ابن العربي فاتجاهه الأشعري لا يخفى على أحد، وكتبه تدل عليه.

وأما المازري فقد ظهر منهجه الأشعري واضحاً من خلال كتابه: «المعلم بفوائد مسلم» عند شرحه للأحاديث المتعلقة بالعقيدة، مثل الكلام في الصفات، وفي التأويل وغير ذلك، وقد انتصر في كتابه هذا لرأي الأشعري ودافع عنه، مثل قوله في شرح حديث وفد عبد القيس «**آمركم بأربع**»، وفي بعض طرقه: «**أتدرون ما الإيمان؟ شهادة أن لا إله إلا الله**»(٢)، وذكر بعد ذلك الصلاة والزكاة، وفي بعض طرقه: «**آمركم بأربع: الإيمان بالله**»، ثم فسرها لهم فقال: «**شهادة أن لا إله إلا الله**»، وقال بعد ذلك: «**وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**».

قال الشيخ المازري: «ظن بعض الفقهاء أن في هذا دلالة على أن الصلاة والزكاة من الإيمان، خلافاً للمتكلمين من الأشعرية القائلين بأن ذلك ليس من الإيمان، وهذا الذي ظنه غير صحيح، لاحتمال أن يكون الضمير في قوله: **ثم فسرها لهم** عائداً إلى الأربع لا إلى الإيمان كما ظن هذا الظَّان»(٣).

ويظهر نزوعه للتأويل واضحاً في قوله بالمجاز عند شرحه لأحاديث الصفات كما في حديث: «**يأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيأتيهم**

---

(١) أبو زهرة: (ابن حزم: حياته وآثاره).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ)، رقم الحديث: ١٧، ١٨، صحيح مسلم (١/ ٤٦ـ٤٩) من حديث ابن عباس أنه قال: «قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا، هذا الحيَّ من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلا تخلص إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بأمر نعمل له وندعو إليه من وراءنا، قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال): شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمقير»، وأخرجه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه (باب أداء الخمس) انظر السنن (٨/ ١٠٥).

(٣) المعلم (١/ ٢٨٥ـ٢٨٦).

**في صورته التي يعرفونها»**[(١)] يقول المازري: «الإتيان ههنا عبارة عن رؤيتهم الله تعالى، وقد جرت العادة في المحدثين من كان غائباً عن غيره فلا يمكن التوصل إلى رؤيته إلا بإتيان أو مجيء، فعبر بالإتيان ههنا والمجيء عن الرؤية على سبيل المجاز»[(٢)].

ويقول في الضحك والتجلي في شرحه لحديث: «**فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه أدخله الجنة**»[(٣)]، يقول الإمام المازري: «الضحك من الله محمول على إظهار الرضى والقبول، إذ الضحك في البشر علامة على ذلك، ويقال: ضحكت الأرض إذا ظهر نباتها، وفي بعض الحديث: «**فيبعث الله سحاباً فيضحك أحسن الضحك**» فجعل انجلاءه عن البرق ضحكاً على الاستعارة، كأنه تعالى لما أظهر له رحمته استعير له اسم الضحك مجازاً»[(٤)]

ويظهر نزوعه للتأويل ـ أيضاً ـ من شرحه لحديث: «**ينزل ربنا كل ليلة**»[(٥)] عندما يقول: «قيل: معناه ينزل ملك ربنا على تقدير المضاف، يقول: فعل السلطان كذا وإن كان الفعل من أتباعه، ويضاف له الفعل لما كان من أمره، ويحتمل أن يكون عبَّر بالنزول عن تقريب الباري للداعين حينئذ واستجابته لهم، وخاطبهم ﷺ بما جرت عادتهم ليفهموا عنه».

ولا غرابة في أن ينشأ في هذه المرحلة اتجاه يتهم كل من يقف عند ظواهر النصوص بالحشوية[(٦)] والمشبهة كما كان يصف أهل الأندلس المالكية، حيث يقول

---

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد (باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من حديث أبي هريرة ﷺ، رقم الحديث: ٧٤٣٧، ٧٤٣٩، انظر: فتح الباري (١٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٢).

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب معرفة طريق الرؤية) رقم الحديث: ١٨٢ ـ ١٨٣، انظر صحيح مسلم (١/ ١٦٣ـ ١٧١).

(٢) المعلم (١/ ٣٣٧).

(٣) هو نفس الحديث السابق .

(٤) المعلم (١/ ٤٥٤) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد، فتح الباري (٣/ ٢٩)، ومسلم في كتاب صلاة المسافر (١/ ٥٢١ ـ ٥٢٢).

(٦) قال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧): «الحشوية ـ بسكون الشين وفتحها ـ وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره، وهم من الفرق الضالة» ، قال السبكي في =

ابن حوقل[١] : «والمالكية من فظاظ الحشوية»، وألف المازري كتاب «النكت القطعية في الرد على الحشوية» الذين يقولون بقدم الأصوات والحروف.

وقد بالغ بعضهم حتى ذهب إلى القول بظهور تيار تشبيهي تجسيمي عمَّ المغرب في عهد المرابطين على الأخص، ولا شك أن منشأ هذه المبالغة التأثر بدعاية الموحدين ضد المرابطين وإطلاقهم اسم المجسمة عليهم، إمعاناً في تهجينهم وتأليب الرأي العام عليهم، كما قال محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي الألبيري (ت ٥٣٧هـ)[٢] الذي ألف كتاباً في الرد على أبي الوليد ابن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في الجزء

= «شرح أصول ابن الحاجب»: «الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل، يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد، سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري، فوجدهم يتكلمون كلاماً، فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، فنسبوا إلى الحشاء فهم حشَوية ـ بفتح الشين ـ، وقيل: سموا بذلك، لأن منهم المجسمة، أو هم والجسم حشو، فعلى هذا القياس فيه الحشوية ـ بسكون الشين ـ نسبة إلى الحشو.

وقيل المراد بالحشوية: طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها، بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد، ويفوضون التأويل إلى الله، وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف». .

ثم ما لبث أن انتقل هذا المصطلح ليطلقه المتكلمون على أهل السنة المثبتة لصفات الله، وكتب مستجى زاده على هامش إحدى النسخ من «منهاج السنة» والتي رمز إليها الدكتور رشاد سالم محقق الكتاب بالنسخة (ع) ما يلي: «أقول: وفي غير موضع من تفسير الكشاف أنه يستعمل لفظ (الحشوية) في أهل السنة، وكذا في تفسير البيضاوي يذكر الحشوية في مواضع، وفهمت أنا من كلمات هؤلاء أعني الشيعة والزمخشري والبيضاوي أن كل من يقول بمقالات السلف في الاعتقاد ويحملون النصوص على ظواهرها ولا يصرفونها عن ظواهرها بآرائهم مثل الجهمية ومن اتبعوهم من المعتزلة والروافض ومتأخري الحنفية والشافعية فهم عندهم حشوية، فالحنابلة كلهم عندهم حشوية، وكذا أهل الحديث مثل البخاري ومسلم وإسحاق بن راهويه وسفيان الثوري وابن عيينة وحماد بن زيد ومن يحذو حذوهم من أئمة الحديث، فهؤلاء كلهم حشوية عندهم».

وانظر مادة (الحشوية) بدائرة المعارف الإسلامية، وما ذكره الشهرستاني عن «مشبهة الحشوية» في الملل والنحل (١/ ٩٦ـ ٩٩)، وانظر أيضاً: منهاج السنة (٢/ ٥٢٠).

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: المقدمات الممهدات (١/ ٢٠)، فهو يقول فيها: «وأما ما وصف به نفسه تعالى في كتابه من أن له وجهاً ويدين وعينين فلا مجال للعقل في ذلك، وإنما يفهم ذلك من جهة السمع، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تكييف ولا تحديد» .

الأول من مقدماته، «والتي سلك مسلك السلف في إثبات صفات الله كما وردت».

وأما ابن العربي فقد كان عنيفاً في نقده لأهل الإثبات، يظهر ذلك من مناقشته لهم في كتابه «العواصم من القواصم» حيث طعن عليهم وحمل عليهم حملة شعواء، وصمهم فيها بالمشبهة تارة وبالجهل تارة أخرى، إلا أنه في حملته تلك خلط بين المشبهة الحقيقية الذين يشبهون الخالق بالمخلوق، وبين السلف الذين يثبتون هذه الصفات مع تنزيهه سبحانه عن مشابهة المخلوقين، ولم يفرق بين الاتجاهين، فوقع في الخطأ من حيث يدري أو لا يدري.

فهو مثلاً يجعل أهل السنة الذين يقولون: نثبت هذه الصفات كما وردت في القرآن والسنة دون الخوض في كيفيتها، ومن يخوض فيها من المشبهة القائلين كما ينقل هو عن بعضهم: «ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة»(١) بل أكثر من ذلك ـ كما نقل هو أيضاً عنهم ـ قولهم: «إن أراد أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه، فإن الله بعينه إلا أن الله تنزه عن الآفات، قديم لا أول له، دائم لا يفنى»(٢) مستدلين على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله خلق آدم على صورته**»(٣).

فهو يجعل السلف وهؤلاء المشبهة شيئاً واحداً لا يفرق بينهما، بينما الفرق شاسع في حقيقة الأمر.

وما تمسك به هؤلاء المشبهة مما أنكره عليهم ابن العربي هو أيضاً مما أنكره السلف، لأنهم جميعاً يقولون: إن الضمير في قوله ﷺ: «**على صورته**» عائد لآدم ليكون أوعظ له، ومن ظن أن صفة الخالق تشبه شيئاً من صفات خلقه فهو ضال جاهل، وقد وصف الله نفسه بصفات بعد أن نفى المماثلة بينه وبين خلقه فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) العواصم من القواصم (٢/ ٣٠٤ـ٣٠٥)، وهو كلام منقول عن أبي يعلى الحنبلي، ولكن الإمام ابن تيمية يرى أنه «من الكذب عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر، مع أن هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذب عليه ففي كلامه ما هو مردود نقلاً وتوجيهاً» يقول الجمهور: «إنه يمكن الجمع بين النقيضين».
انظر: الدرء (٥/ ٢٣٨)، وانظر أيضاً: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي، فقد نقل عن أبي يعلى الحنبلي ما يصدق كلام ابن العربي فيه.

(٢) العواصم من القواصم (٢/ ٣٠٤ـ٣٠٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، انظر فتح الباري (١١/ ٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٣١٥).

وفي هذا إشارة للخلق أن لا ينفوا عنه تعالى صفة سمعه وبصره بحجة أن في الخلق من يسمع ويبصر فيكون في إثباتها تشبيه، بل عليهم إثبات ذلك على أساس: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وهذا الإمام ابن خزيمة وهو إمام من أئمة الإثبات وعلَم من أعلامهم المنصوبة يرد على من يستدل بحديث الصورة على ما يذهب إليه من التشبيه فيقول: «توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: «**على صورته**» يريد صورة الرحمن الله، تعالى عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: «**خلق آدم على صورته**» الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب»(١).

وأما رواية: «**على صورة الرحمن**»(٢) التي أضافت الصورة إلى الرحمن تبارك وتعالى، فقد قال فيها البيهقي: «يحتمل أن يكون لفظ الخبر في الأصل كما رويناه في حديث أبي هريرة دائراً على صورته فأداه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه»(٣)، وأما ابن خزيمة فقد ضعف هذه الرواية من الأساس(٤).

وعلى فرض صحة هذا الخبر وصحة إسناده، فإن المعنى ليس هو كما توهم البعض، بل المعنى: «أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر، إنما هو من إضافة الخلق إليه»(٥)، وهناك تفسير آخر لهذه الرواية وهو أن المراد بالصورة الصفةُ، والمعنى أن الله

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص٣٧).

(٢) وهي من حديث ابن عمر من طريق حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر مرفوعاً، وروي أيضاً من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء مرسلاً.

(٣) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص٢٩١)، بتحقيق: الشيخ محمد زاهد الكوثري، طبعة دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص٣٨ـ٣٩)، وكان تضعيفه لهذا الحديث من وجوه ثلاثة:
**الوجه الأول**: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر.
**الثاني**: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.
**الثالث**: أن حبيب بن أبي ثابت ـ أيضاً ـ مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء.
ويقول الإمام المازري: «وروى بعضهم: أن الله خلق آدم على صورة الرحمن. وليس بثابت عند أهل الحديث»، انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٧٧).

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٣٨ ـ ٣٩).

خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء[(١)].

ومن هنا يتبين لنا أن أهل السنة المثبتة للصفات لم يقولوا كما توهم ابن العربي، وإنما ذلك هو قول المشبهة الذين كانوا يشبهون الخالق بالمخلوق، أما أهل السنة فهم أبعد الناس عن ذلك.

وظهرت مقاومته لاتجاه المثبتين فيما قاله في شيخ المغرب الإمام ابن أبي زيد القيرواني الذي كان من المثبتة: «ثم جاء طائفة ركبت عليه فقالت: إنه فوق العرش بذاته، وعليها شيخ المغرب أبو محمد بن أبي زيد القيرواني فقالها للمعلمين فسدكت بقلوب الأطفال والكبار»[(٢)]. وانظر مقاله في رده على ابن عبد البر في كتابه العارضة (٢/ ٢٣٢).

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٢-٣)، وهناك تفاسير أخرى ذكرها الإمام ابن حجر في الفتح (١١/ ٢- ٣)، (٥/ ١٣٣)، (٦/ ٢، ٦٠).

(٢) انظر: آراء ابن العربي الكلامية (٢/ ٢٩٠-٢٩١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



## المبحث الثاني
## موقف علماء المغرب من علم الكلام والأشعرية

لقد رأينا فيما تقدم من البحث أن الأشعرية لم تعرف في المغرب كمذهب يتمذهب به عامة الناس وخاصتهم، إلا بعد رجوع ابن تومرت من رحلته المشرقية، وتكوينه لدولة الموحدين، وتغلبه على المغرب، عند ذلك عمل على فرض المذهب على المنطقة حتى ألفه الناس واستأنسوا به بعد أن كانوا خصومه، وفي ذلك يقول ابن طملوس(١): «إلى أن اتصل بهم علم أصول الدين فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولاً في مذاهب الأئمة من أنه كفر وزندقة، ولذلك قال القحطاني(٢):

يا أشعرية يا زنادقة الورى(٣)

فعد القوم كفاراً وزنادقة، ثم أنسوا (أي: أهل المغرب) أيضاً بهذا المذهب ـ أعني علم الأصول ـ ودرجتهم الأيام إلى أن طالعوه وتمهروا فيه حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء»(٤).

أما قبل ذلك فكانت الأشعرية محصورة في فئة قليلة من خواص العلماء ـ كما تقدم الحديث ـ، أو كما قال السلاوي: إن ظهورها كان ظهوراً ما، وذلك بسبب العداء الذي تميز به أهل المغرب لكل العلوم العقلية المخالفة لمنهج أهل السنة، وقد وصف لنا

(١) هو: أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن طملوس، ولد سنة ٥٥٦هـ من أهل جزيرة شقر، درس علوم الدين والأدب عن أبي القاسم بن وضاح وأبي عبد الله بن حميد القاضي، ودرس المنطق والطب. توفي سنة ٦٢٠هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ الفكر الأندلسي لانخل جنثالث بالنثيا (٣٦٢ـ٣٦٦) نقله إلى العربية الأستاذ حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٥ .

(٢) لعله الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي، فقد نسب إليه هذه القصيدة عدد من المؤلفين أمثال: المقري في النفح (٢/ ١٤٢، ١٥٢)، الذيل والتكملة (١/ ٣٧٢)، ابن الفرضي (٢/ ٨٩)، الأنساب للسمعاني (١٠/ ٣٤٥).
وقد طبعت قصيدته هذه بتحقيق محمد بن أحمد بدار الحديث الخيرية بمكة، (ط/ ١٤٠٩ ـ ١٩٨٨) مكتبة الوادي للتوزيع.

(٣) انظر هذا البيت ضمن القصيدة (ص٥٣).

(٤) انظر تاريخ الفكر الأندلسي لأنخل جنثالث بالنثيا (ص٣٦٥).

المراكشي حال أهل المغرب قبل ابن تومرت وعداءهم لهذه العلوم، وبخاصة أيام المرابطين فقال: «ودان أهلُ ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام، وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما يرجع أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه (أي: الأمير) بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه»[١].

إذن فالعداء لم يكن خاصاً بالأشعرية، بل كان عاماً في كل اتجاه يخالف منهج أهل السنة والجماعة، إلا أننا عثرنا على بعض الفقرات والإشارات التي تدل على أنه كان هناك اتجاه خاص يعادي الأشعرية بالذات، كما ورد في بعض الأسئلة التي وردت على علماء المغرب من قبل عامة الناس وخاصتهم، وهو ما يبرهن على اهتمام أهل المغرب بهذا الأمر.

ففي سؤال ورد على أبي الوليد ابن رشد (ت ٥٢٠هـ)[٢] يسأل فيه صاحبه عن رأي ابن رشد في أئمة الأشعرية، أمثال أبي الوليد الباجي وأبي المعالي الجويني ونظرائهما ممن انتحل طريقة الأشعري، ورأيه فيمن يسبهم وينتقص من قدرهم، ونص السؤال كما يلي: «ما يقول الفقيه القاضي في الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام، ويتكلم في أصول الديانات، ويصنف في الرد على أهل الأهواء، أهم أئمةُ إرشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما يقول في قوم يسبونهم وينقصونهم ويسبون كل من ينتمي إلى الأشعرية ويكفرونهم ويتبرؤون منهم، وينحرفون بالولاية عنهم ويعتقدون أنهم على ضلالة وخائضون في جهالة، ماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد؟ أيتركون على أهوائهم أم يكفون من غلوائهم؟»، وورد إليه السؤال ذاته من أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين.

وبغض النظر عن جواب أبي الوليد ابن رشد عن السؤال، فإن مضمونه يشير إلى وجود اتجاه في المغرب كان أصحابه ينقمون على علماء الأشعرية خصوصاً، ومن ينتحل

(١) المعجب (٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٢) السؤال انظره في فتاوى ابن رشد (٢/ ٩٤٣).

علم الكلام عموماً، وقد أدتهم هذه النقمة إلى سب أئمة كبار كانوا ينتحلون الأشعرية، والانتقاص من قدرهم، مع أنهم أئمة أعلام لا ينبغي أن يؤثر اتجاههم على جهودهم العظيمة في نصرة دين الله ونشر السنة ومقارعة البدعة.

وإلى جانب الاتجاه العام المعادي للأشعرية وعلم الكلام عموماً، وجد اتجاه خاص يتمثل في أفراد أندلسيين كانوا أكثر من شنَّع على الإمام الأشعري وأصحابه، ولعل رأس هذه الطائفة هو الإمام ابن حزم رحمه الله الذي حمل عليهم حملة عنيفة في كتاب له سماه «النصائح والفضائح» ملأه «كذباً وتشانيع باطلة» كما يقول القاضي عياض، وشنَّع عليهم في كتاب آخر له هو كتاب: «اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين»[١].

وهذا الكتاب يقول عنه ابن حزم: «وتقصينا الرد على هذه المقالة الملعونة (يعني الأشعرية) في كتاب لنا واسمه: كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين، تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من أهل القيروان اسمه عطاف بن دوناس في كتاب ألّفه في نصر هذه المقالة[٢]».

وفي الفِصَل في فصل «شنع المرجئة» شنَّع عليهم أيضاً، حيث نسبهم إلى الكفر تارة وإلى الضلال تارة أخرى، وإلى البدعة والجهل والتشبيه، ومرة يصف الأشعرية بالفرقة الملعونة، بل إنه لا يتورع عن لعنهم حيث يقول: «ولعن ابن فورك وأشياعه وأتباعه»[٣].

ويصف السمناني بقوله: «ما أعلم أحداً من غلاة المشبهة أقدم على أن يطلق ما أطلق هذا المبتدع الجاهل الملحد المتهور»، ويقول في موضع آخر: «هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد»، ويصف الإمام الباقلاني بالجهل فيقول: «لقد كذب هذا الجاهل وأفك»[٤].

ولكن الذي يجب التنبيه عليه هو أنَّ ابن حزم في مناقشته لهم، خلط بين الصحيح والسقيم وبين الصواب والخطأ، وتقوَّل على القوم ما لم يقولوا، فمن أقوال الأشعري التي نسبها إليه كذباً وزوراً قوله فيما نقله عنه: «والأشعري يقول: إن الإيمان عقد بالقلب

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٠٧).

(٢) الفصل (٤/ ٢٠٧).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٢٢١).

(٤) الفصل ٢: (١/ ١ ـ ١١٢).

فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية»[(١)]، وهو كلام لا يقوله مسلم عادي بل إمام من أئمة الدين، ولذلك يقول السبكي: «والذي تحققته بعد البحث أنه (أي: ابن حزم) لا يعرفه ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقده، وإنما بلغه أقوال نقلها الكاذبون عليه، فصدقها لمجرد سماعه إياها، ثم لم يكتف بالتصديق لمجرد السماع حتى أخذ يشنع»[(٢)].

وبسبب موقف ابن حزم هذا من الأشعرية ورجالها فإننا لا نستغرب أن يقف رجال الأشعرية منه موقفاً معادياً، وتكون ردة الفعل عندهم قوية، ولا شك أنه قام عليه كثيرون في عهده وبعده إلا أن أبرزهم: أبو الوليد الباجي الذي تقدم الحديث عن مناظرته له والتي كانت سبباً في فضحه وإخراجه من بلده، والإمام ابن العربي من بعده الذي تكلم فيه بكلام كبير جاء فيه: «وكان أول بدعة في رحلتي القول بالباطن، فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب بسخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأئمة يضع ويرفع ويحكم لنفسه ويشرع وينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول على العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب عنهم وتشنيعاً عليهم...» إلى آخر كلامه في هذا المعنى[(٣)].

ولكن الإمام الذهبي لم يعجبه هذا الكلام من ابن العربي فأنشأ يقول بحدة: «لم ينصف القاضي أبو بكر رحمه الله شيخ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر على عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ولا يكاد فرحمهما الله»[(٤)].

وقد ألف ابن العربي عدة مؤلفات في الرد على ابن حزم غير الرد الذي ورد في كتابه «العواصم من القواصم» ـ كما أوردت بعضه هنا ـ منها كتاب «الغرة في الرد على كتاب الدرة»[(٥)]، وكتاب «النواهي والدواهي» الذي قال في سبب تأليفه: «وكان قد

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٩٠).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٩٠).

(٣) العواصم من القواصم (٢/ ٣٣٦ـ ٣٣٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩٠).

(٥) كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده، طبع بتحقيق ودراسة الدكتورين أحمد بن ناصر الحمد، وسعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي.

جاءني بعض الأصحاب بجزء لابن حزم سماه: «نكت الإسلام» فيه دواهي فجردت عليه نواهي»[(١)].

وهذا الكتاب الذي ألفه جاء من بعده ممن ألف في نقضه كتاباً: يقول ابن عبد الملك المراكشي: «ولأبي عمر أحمد بن محمد بن حزم كتابٌ سماه «الزوابع والدوافع» تابع فيه القاضي أبا بكر بن العربي على فصوله في كتابه المسمى بـ«الدواهي والنواهي» في الرد على ابن حزم، وحاذاه فيه كلاماً بكلام، وحديثاً بحديث، وفقهاً بفقه، ونظماً بنظم، ونثراً بنثر، وإقناعاً بإقناع والله يجازي الجميع بفضله»[(٢)].

هذه بعض المواقف لأهل المغرب قبل انتشار المذهب الأشعري به، أما بعد ذلك وبعد المهدي ابن تومرت فإن الأمر تغير وأصبح المذهب الأشعري هو المذهب المتبع من أهل المغرب.

## ثالثاً: مقاومة علماء المغرب للإرجاء

**تعريف الإرجاء:**

الإرجاء في اللغة يطلق على معنيين:

**أحدهما**: بمعنى التأخير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، أي: أمهله وأخره، وكما في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٧]، أي: مؤخرون لأمر الله حتى ينزل الله فيهم ما يريد[(٣)].

**والمعنى الثاني**: إعطاء الرجاء.

وكلا المعنيين له حظ في المعنى الاصطلاحي، فعلى المعنى الأول يكون إطلاق اسم المرجئة على الجماعة صحيحاً، لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد، ويجعلون مدار الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والإقرار بوحدانيته، ولا يجعلون الإيمان مرتبطاً بالعمل ويرون أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.

---

(١) العواصم من القواصم (٢/ ٣٣٨)، أزهار الرياض (٣/ ٩٥).

(٢) الذيل والتكملة (١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٣) لسان العرب (١/ ٨٤).

وأما على المعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة[١].

فعلى هذا يكون هناك نوعان من الإرجاء:

**١ـ إرجاء الفقهاء**: وهو القول بعدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو مذهب منسوب إلى أبي حنيفة وأصحابه، وهو شبهة نظرية أخطأ فيها بعض العلماء نتيجة ردود فعل خاصة أو فهم قاصر للنصوص.

**٢ـ إرجاء المبتدعة**: ويطلق على من يقول: الإيمان هو معرفة الله، ويجعل ما سوى الإيمان من الطاعات وما سوى الكفر من المعاصي غير مضرة ولا نافعة، وهو شبهة فلسفية بحتة ليس لها في الأصل أي مستند نصي، ولهذا لم يتردد العلماء في تكفير أصحاب هذا الرأي والتشنيع عليهم[٢]. ولكن يجب الإشارة إلى أنه لا علاقة بين إرجاء السنة وإرجاء البدعة، فأولئك (أي: مرجئة البدعة) يهدرون الأعمال كلية، لكن مرجئة السنة رغم أنهم لا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان، لكنهم لا يهدرونها، بل يهتمون بها ويحرصون عليها، ويجعلونها أسباباً سارية في نماء الإيمان، فهم لم يهدروها هدر المرجئة، وليس هناك خلاف أو تنازع بين السلف ومرجئة السنة، بل النزاع ـ كما يقول ابن تيمية ـ: نزاع لفظي فقط، وقد أشار الإمام الذهبي إلى ذلك بقوله في سير أعلام النبلاء: «مرجئة الفقهاء هم الذين لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان: إقرار باللسان ويقين بالقلب، والنزاع على هذا لفظي إن شاء الله، وإنما غلو الإرجاء من قال: لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض»[٣].

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٣٩) تحقيق محمد سيد كيلاني، ط: مطبعة البابي الحلبي (١٣٨٧/ ١٩٦٧).

(٢) حول مقاومة علماء السلف لظاهرة الإرجاء ينظر رسالة الدكتور سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (ص٢٥٣) وما بعدها.

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣٣).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الأول
## دخول الفكر الإرجائي إلى بلاد المغرب وانتشاره

يستطيع الدارس لتاريخ المذاهب العقدية بالمغرب أن يلاحظ عدم ذكر لمذهب الإرجاء ولا لفرقتهم، ولم يكن للفكر الإرجائي رواج بالمغرب، كما هو شأن الفكر الاعتزالي أو الشيعي أو الخارجي، ولعل ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة هذا المذهب الحياد، وإلى طبيعة أصحابه الخاملين عن الدعوة لمذهبهم.

وتشير المصادر المغربية إلى أنه لم يعرف بالإرجاء في المغرب إلا رجل واحد يدعى معمر بن منصور(١).

وليس غريباً كما تذكر المصادر أن يتبنى هذا الرجل مذهب الإرجاء لما كان عليه من سوء الطوية والأخلاق، فقد كان ألف تأليفاً في تحليل النبيذ، وكان يذهب إلى تقديم علي وتفضيله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً، ويصرح بسب معاوية وعمرو ابن العاص رضي الله عنهما، ويصرح بالإرجاء.

---

(١) ورد اسم معمر بن منصور في طبقات الخشني (ص١١٢ ـ ١١٣) على أنه كان له سماع من ابن فروخ ومن أسد بن الفرات، وكان أصح أصحاب أسد سماعاً من أسد، وكان سحنون يوجه إليه بالعشرة دنانير ونحوها صلة، وهو قريب من أسد بن الفرات في المولد، ثم يستدرك محمد الحارث الخشني (ص١١٣ ـ ١١٤) بقوله: «سمعت ذكر معمر سماعاً مستفيضاً، ولكن على ضد هذه الصفة التي ذكر أبو العرب في كتابه (يريد طبقات علماء إفريقيا) فلست أدري إن كان الذي سمعت ذكره هو ابن مناور أو غيره، سمعت بعض الفقهاء يحكي عن عبد الله بن أحمد طالب قال: «أتاني معمر فشكا إلي أن زوجته نفست وليس معه ما يقيم لها ويصلحها، فأعطيته أربعين مثقالاً لنفسه وعشرة مثاقيل أرسلت بها معه إلى النفساء خاصة، قال ابن طالب: فلقد بلغني بعد هذا أن يوم عزلي عن القضاء كان في داره شبيه بالعرس فرحاً. ثم قال ابن طالب: ومعذور غير ملوم، وكيف لا يكون هذا ونحن نلعنهم على المنابر» قال الخشني: سألت ولد دحمان بن معافى أن يبيح لي تصفح كتب أبيه ففعل، فرأيت فيها، فقال دحمان: سمعت حمديس القطان يقول: سمعت ابن الزعواني يسأل معمراً فقال له: تقول بإمامة علي؟ قال: نعم، قال حمديس: يريد تقديمه على أبي بكر الصديق وعمر، قال: تقول بالإرجاء؟ قال: نعم، فكأن الخشني بإيراده لهذه الروايات يريد أن يفرق بين رجلين يحملان نفس الاسم، فالأول محدِّث سمع من الكبار، وأما الثاني فهو رجل مبتدع، والله أعلم».

ولذلك تناوله علماء المغرب الذين ترجموا له بشدة ووصفوه بما هو أهله، كما فعل الخشني حيث قال: «لعنة الله عليه وعلى شيعته ومتبعيه»[١].

ويذكر ابن حزم الأندلسي في كتابه القيم «الفصل والملل والأهواء والنحل» في فصل: (شنيع المرجئة)[٢]: «أنه كان بالأندلس رجل يدعى محمد بن عيسى الصوفي الأليري[٣] يقول: إن المنافقين مؤمنون، وكان له أتباع».

---

(١) طبقات علماء إفريقيا (ص ١١٤).

(٢) (٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٣) قال عنه ابن حزم: «كان ناكساً متقللاً من الدنيا واعظاً مفوهاً مهذاراً قليل الصواب كثير الخطأ، رأيته مرة وسمعته يقول: «إن النبي ﷺ كان لا يلزمه زكاة، لأنه اختار أن يكون نبياً عبداً، والعبد لا زكاة عليه ولذلك لم يورث»، فأمسكت عن معارضته لأن العامة كانت تحضره، فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل». الفصل (٤/ ٢٠٥).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



## المبحث الثاني
## مقاومة علماء السنة المغاربة للفكر الإرجائي

وبالرغم من أن الإرجاء لم يكن له وجود بالمغرب، ولم يكن له دعاة يحملونه ويدعون إليه بالرغم من ذلك، فقد حدثت حادثة لها دلالة واضحة على بعض علماء السنة المغاربة لكل من ينحرف عن منهج أهل السنة، ومنهم المرجئة ومقاومتهم المقاومة الشديدة وبشتى الوسائل.

هذه الحادثة هي حادثة يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ)(١) الذي كان من كبار علماء السنة وخيارهم، والذي قامت ضده ضجة عنيفة بسبب شبهة الإرجاء التي حامت حوله، وقاطعه طلبة العلم وجرح وطعن في روايته، لكن الله تعالى برأ ساحته من هذه التهمة وظهر أن رَمْيَهُ بالإرجاء كان خطأ، وكم كانت دهشته كبيرة عندما سأله رجل قائلاً: «يا أبا زكريا، إنهم يقولون: «إنك تقول بالإرجاء»، فضرب يده على جدار القبلة وقال: «ورب القبلة ما عبدت الله على شيء من الإرجاء قط، كيف وقد حدثتكم أنه بدعة»(٢).

وأصل هذه التهمة يرجع إلى تقصير الشيخ أبي معاوية الصمادحي في نقل الرواية عنه، وذلك «أنه سأله قائلاً: «يا أبا زكريا ما أدركت الناس يقولون في الإيمان؟»، فقال له: «أدركت مالكاً وسفيان الثوري يقولون: الإيمان قول وعمل، وأدركت مالك بن مغول(٣)

---

(١) هو: أبو زكريا يحيى بن سلام، كان ثقة ثبتاً لقي غير واحد من التابعين، وله مصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ، حيث كان لا يسمع شيئاً إلا حفظه. توفي بمصر سنة ٢٠٠هـ، ودفن بالمقطم، وكان مولده سنة ١٢٤هـ.
مصادر الترجمة: طبقات أبي العرب (ص ١١١ ـ ١١٤)، طبقات علماء إفريقية للخشني (ص ٣٧ ـ ٣٩)، رياض النفوس (١/ ١٨٨ ـ ١٩٢) رقم: ٧٩، معالم الإيمان (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٨) رقم: ٨٥.

(٢) طبقات أبي العرب (ص١١٢)، وتروى هذه القصة بطريقة أخرى كما في رياض النفوس (١/ ١٩٠): «عن أبي القاسم السدري أنه كتب إلى عيسى بن مسكين يقول: «حدثني عون بن يوسف قال: قلت ليحيى بن سلام: إن الناس يرمونك بالإرجاء»، قال عون: «فأخذ لحيته بين يديه وقال: «أحرق الله هذه اللحية بالنار إن كنت دنت الله عز وجل قط بالإرجاء».

(٣) هو: أبو عبد الله مالك بن مِغْول ـ بكسر وسكون المعجمة وفتح الواو ـ بن عاصم الوفي، محدث ثقة ثبت، حدّث عن الشعبي وزبيد اليامي وغيرهما، وعنه: شعبة والثوري وابن عيينة وغيرهم، كان من سادة العلماء، توفي سنة ١٥٩هـ وقيل سنة ١٥٨هـ. =

وفطر بن خليفة[(١)] وعمر بن ذر[(٢)] يقولون: الإيمان قول»، فأخبر أبو معاوية الإمام سحنون ابن سعيد بما ذكر يحيى بن سلام عن عمر بن ذر وفطر بن خليفة ومالك بن مغول من قولهم في الإيمان، ولم يذكر له ما نقل عن غيرهم كمالك وسفيان الثوري، فما كان من الإمام سحنون عندما ذكر له ذلك إلا أن رماه بالإرجاء لظنه أنه ما دام نقل هذا القول وحده وأعرض عن غيره، مع أن هناك قولاً آخر وهو قول أهل السنة، ما دام الأمر كذلك فإنه يتبنى هذا القول ويذهب إليه فقال: «هذا رجل مرجئ».

ولم تقتصر هذه التهمة على أهل المغرب، بل امتدت إلى المشرق حتى بلغت الحجاز كما ذكر ذلك عون بن يوسف الخزاعي، حيث أخبر أنه بينما كان في مجلس عبد الله بن وهب يسمع منه، إذ مر في كتبه حديث يحيى بن سلام، فقال عبد الله بن وهب: «اطرحوه، لأنه بلغني أنه مرجئ»، فقال عون: «فقمت أنا إليه ومعي ثلاثة من أهل إفريقية (تونس) فشهدنا أنه بريء»[(٣)].

وقال أيضاً: «فأنا كاشفته[(٤)] عن ذلك، فقال: «معاذ الله أن يكون ذلك رأيي أو أدين الله به، ولكن أحاديث رويتها عن رجال يقولون: «الإيمان قول»، وآخرين يقولون: «الإيمان قول وعمل»، فحدثنا بما سمعنا، فقال ابن وهب: «فرجت عني فرج الله عنك»[(٥)].

---

= مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٨/ ٣١٤) رقم: ١٣٣٩، الجرح والتعديل (٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦) رقم: ٩٦١، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٨٤ ـ ١٧٦) رقم: ٥٦، تهذيب (١٠/ ٢٢ ـ ٢٣) رقم: ٥٤.

(١) هو: أبو بكر فطر بن خليفة الكوفي المخزومي، الشيخ العالم المحدث الصدوق، حدث عن طاوس ومجاهد وطائفة، وعنه السفيانان والفريابي ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم، كان ثقة لكنه رمي بالتشيع، توفي سنة ١٥٣هـ وقيل ١٥٥هـ.
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٧/ ١٣٩) رقم: ٦٢٥، الجرح والتعديل (٧/ ٩٠) رقم: ٥١٢، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠ ـ ٣٣) رقم: ١٤، تهذيب (٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢) رقم: ٥٤٧، شذرات الذهب (١/ ١٣٥).

(٢) هو: أبو ذر عمر بن ذر الهمداني الكوفي، كان ثقة لكنه رأس في الإرجاء، وكان واعظاً بليغاً، توفي سنة ١٥٣هـ.
مصادر ترجمته: ميزان الاعتدال (٣/ ١٩٣) رقم: ٦٠٩٨، تقريب التهذيب (ص٣١٦) رقم: ٤٨٩٢.

(٣) طبقات أبي العرب (ص١١٢).

(٤) يعني أنه كاشف يحيى بن سلام وناقشه في ذلك.

(٥) رياض النفوس (١/ ١٢٥).

ولما رجع عون بن يوسف إلى القيروان من المشرق تلقاه يحيى بن سلام بحرارة بالغة شاكراً له موقفه مع عبد الله بن وهب وتبرئة ساحته مما رمى به من شبهة الإرجاء قائلاً:

«يا أبا محمد قد بلغني محضرك، فجزاك الله خيراً، والله ما قلت إلا حقاً وما دنت الله به قط»[١].

هذه الحادثة فيها دلالة واضحة على حرص علماء المغرب على سلامة عقيدة من يأخذون عنه، ويتلقون منه وتقصيهم لأحوالهم حتى يكون المصدر سليماً، وأيضاً ليرتدع من رمي ببدعة ويتوب ويرجع عنها، وهذا سلوك تعلموه كما سبق الحديث عنه من إمامهم مالك رحمه الله الذي كان شديداً على أهل الأهواء والبدع.

وقد استمر هذا الحرص وهذا التقصي لأحوال يحيى بن سلام حتى بعد وفاته رحمه الله ويبدو أن ذلك كان لعدم قناعة بعضهم ببراءة يحيى بن سلام مما رمي به من تهمة الإرجاء، كما فعل محمد بن أحمد بن تميم المعروف بأبي العرب، حين سأل يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام[٢] حفيد يحيى بن سلام المذكور عن قول جده في الإيمان فأجابه بقوله: «كان جدي يقول: الإيمان قول وعمل ونية». قال أبو العرب: «وكان يحيى ثقة صدوقاً لا يقول عن جده إلا الحق»[٣].

**المقاومة عبر التأليف:**

ولكن بالرغم من أن الفكر الإرجائي لم تكن سوقه رائجة في المغرب، ولم يكن له دعاة يحملونه ويدعون إليه، فإن علماء المغرب تناولوه بالنقد والرد في مؤلفاتهم أمثال أحمد بن يزيد المعلم ويحيى بن عون ويحيى بن عمر والإمام المازري، فقد ألف الإمام يحيى بن عمر كتاباً في الرد عليهم أسماه: «كتاب في الرد على المرجئة»[٤]، ولكن

---

(١) رياض النفوس (١/ ١٢٥).

(٢) هو: يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام، كان ثقة نبيلاً، قال عنه أبو العرب: «ويحيى بن محمد الذي سمعنا منه كان صالحاً ثقة، صحبته سنين طويلة ما رأيته قط ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة على غلام له، وكان محسناً في علمه متواضعاً فيه، قليل الخوض فيما لا يعنيه»، توفي سنة ٢٨٠هـ، وكان مولده قبل مئتين بسنين.

مصادر الترجمة: طبقات أبي العرب (ص ١١٤)، طبقات الخشني (ص ٣٧ ـ ٣٩).

(٣) طبقات أبي العرب (ص ١١٣).

(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

الكتاب لم يصلنا حتى نعرف ما ينطوي عليه من بحوث ومناقشات.

أما أحمد بن يزيد المعلم فقد تناولهم بالرد في كتابه «السنة»[(١)]، وناقشهم في أهم القضايا التي يقولون بها وهي قضية الإيمان وأنه قول وعمل، ولكنه اكتفى في ذلك بنقل الأحاديث والآثار عن السلف في كون الإيمان قولاً وعملاً، وهو لا يعتبر المرجئة كفاراً كما هو الشأن بالنسبة للمعتزلة والجهمية والروافض الذين أخرجهم جميعاً من دائرة الإسلام، ولكنه يعتبرهم (أي: المرجئة) قوماً خبثاء، ويجوز الصلاة خلفهم[(٢)].

أما يحيى بن عون فقد تناول هو الآخر الفكر الإرجائي بالنقد، ولكن أسلوبه في نقدهم يختلف عن أسلوب أحمد بن يزيد المعلم، فهو لا يكتفي بسرد الأحاديث والآثار عن السلف في كون الإيمان قولاً وعملاً، بل نجده يلجأ إلى استعمال طريقة المناقشة ومقارعة الحجة بالحجة، حتى أنه يلجأ إلى القياس للاستدلال على أن الإيمان قول وعمل، حيث يقيس الإيمان على الشاهد، فالشاهد لا تقبل شهادته حتى يزكيه اثنان، وكذلك الإيمان لا يقبل حتى تشهد له الأعمال، فالأعمال هي المزكية للإيمان والشاهدة على صحته[(٣)].

أما الإمام المازري فقد تناول الفكر الإرجائي بالنقد، وفند مزاعم المرجئة من خلال شرحه على مسلم المسمى بـ «المعلم بفوائد صحيح مسلم»، حيث لم يمر حديث فيه إشارة إلى موضوع الإيمان إلا وجّه من خلاله نقده إليهم وأبطل دعاويهم وأشار إلى فساد مذهبهم.

ومن ذلك قوله عند شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٤)]، وهو حديث يستند عليه الغلاة من المرجئة في الترويج لباطلهم، لأنه يذكر العلم بدون الاعتقاد، ولكن الإمام المازري يجعله حجة عليهم، كما هو حجة على غيرهم من الفرق ـ كالخوارج والمعتزلة ـ وهو ما استنبطه المازري من هذا الحديث.

---

(١) سبق الحديث عن هذا الكتاب في مقاومة الاعتزال.

(٢) السنة والنهي عن البدعة (ص ٢٩٥).

(٣) كتاب الحجة (ص١٧١٤).

(٤) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) رقم الحديث: ٢٦، صحيح مسلم (١/ ٥٥).

ولكن لما كان حديثنا عن مقاومة الإرجاء فسأثبت ما يتعلق بهم وأذكر ما يتعلق بغيرهم من الفرق في موضعه من البحث.

يقول الإمام المازري رحمه الله في الرد على المرجئة بعد أن يحكي مذهبهم في الإيمان: «اختلف الناس فيمن عصى من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان، ثم يرد عليهم قولهم بهذا الحديث فيقول: وفي قوله ﷺ: «**وهو يعلم**. . .» الحديث، إشارة إلى الرد على من قال من غلاة المرجئة: إن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه، قال: وقيد في حديث آخر بقوله: «**غير شاك فيهما**»[(١)] وهذا أيضاً يؤكد ما قلناه»[(٢)].

ويرد عليهم قولهم أيضاً عند شرحه لحديث ابن الدخشم الذي جاء فيه: «**أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**» فقالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، فقال ﷺ: «**لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار**»[(٣)].

يقول المازري: «إن احتجت به الغلاة من المرجئة في أن الشهادتين تنفع وإن لم يعتقد بالقلب، قيل لهم: معناه أنه لم يصح عند النبي ﷺ ما حكوا عنه من أن ذلك ليس في قلبه والحجة في قول النبي ﷺ، وهو لم يقل ذلك ولم يشهد به عليه»[(٤)].

هذا ما توفر لي من خبر الإرجاء في المغرب، وفيه إشارة واضحة إلى ما قلته وأكدته في عدة مواضع من هذا البحث، من أن علماء المغرب كانوا شديدي المقاومة لأهل البدع على اختلافهم، وهذه الشدة هي التي مكنت ـ بفضل الله ـ للمذهب السني بالمغرب وأذنت له بالانتشار، وأن يظل هو المذهب السائد على الساحة المغربية دون منافسة من غيره إلى يوم الناس هذا.

---

(١) هذه الزيادة وردت في حديث لمسلم في كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) ولفظه: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عنه الجنة»، رقم الحديث: ٢٧، صحيح مسلم (١/ ٥٦ ـ ٥٧).

(٢) المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٨٩).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب الدليل على أنه من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً) رقم الحديث: ٣٣، صحيح مسلم (١/ ٦١ ـ ٦٢)، وانظر الحديث بطوله أيضاً في جامع الأصول (٩/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨) رقم الحديث: ٧٠١٠ .

(٤) المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٩٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الثاني
# مقاومة علماء المغرب للتشيع

المبحث الأول : دخول التشيع إلى المغرب

المبحث الثاني : الحديث عن المقاومة

المبحث الثالث : أسباب المقاومة

المبحث الرابع : أساليب المقاومة

# المبحث الأول
# دخول التشيع[1] إلى المغرب

لقد كانت بداية دخول التشيع إلى المغرب وانتشاره به على يد الداعيين اللذين أرسلهما الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ)[2] كما قيل ـ و«أمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد[3] ﷺ وينشروا فضلهم»، ولا ندرى نحن مدى صحة هذه الرواية،

---

(١) تعريف الشيعة :
الشيعة: هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده.
وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليه الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.
ويجمع الشيعة على اختلافهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبرؤ قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حالة التقية.
وهم خمس فرق : كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه.
انظر عنهم : الملل والنحل للشهرستاني (ص١٤٩) من طبعة الدكتور عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة الإنجلو المصرية (الطبقة الأولى ١٩٧٧).
ويعرف ابن حزم "الشيعي" بأنه كل من وافق الشيعة في أن علياً ﷺ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة، وولده من بعده، فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون. (الفصل ٢/ ١٥).

(٢) هو: الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ جميعاً، ولد بالمدينة المنورة سنة ٨٠ أو ٨٣هـ، وكانت أمه فروة حفيدة أبي بكر ﷺ، وهو الإمام السادس عند الشيعة، ولم يقم بدور سياسي، وعاش في المدينة المنورة. وبها توفي سنة ١٤٨هـ ودفن بالبقيع.
مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (ص ٢١٥)، حلية الأولياء (٣/ ١٩٢ ـ ٢٠٦) رقم: ٢٢٦، وفيات الأعيان (١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، و سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥ ـ ٢٧٠) رقم : ١١٧.

(٣) آل النبي ﷺ : هم أهل بيته وقيل: أتباعه تعميماً للدعاء.

فقد وردت في رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ)[١].

وهذه الرسالة يمكن اعتبارها تاريخاً رسمياً للدولة العبيدية، وهي تصور الأئمة العبيديين ودعاتهم أتقياء، يرغبون عن المعاصي وعن كل نقيصة، ولاهم لهم سوى الدعوة إلى حب آل بيت الرسول ﷺ ونشر فضائلهم[٢].

بينما نجد مؤرخاً سنياً وهو ابن عذارى صاحب "البيان المغرب" يذكر أن عبيد الله الشيعي[٣] المهدي عندما دخل إفريقيا "يعني تونس" أظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي ﷺ وأزواجه حاشا علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري ، وزعم أن أصحاب النبي ﷺ ارتدوا بعده غير هؤلاء الذين سميناهم[٤].

---

(١) هو: القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون، كان مالكي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية ، صنف عدة مصنفات منها: "اختلاف أصول المذاهب"، "ابتداء دعوة الموحدين"، وقد طبع تحت عنوان (رسالة افتتاح الدعوة ) تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠م ولها طبعة أخرى بتحقيق فرحات الدشراوي (الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٥م)، وألف لآل البيت عدة مصنفات، وله ردود على المخالفين: "رد على أبي حنيفة" و"رد على الشافعي"، وكتاب "اختلاف الفقهاء" ينتصر فيه لأهل البيت، قال عنه الذهبي: «وتصانيفه تدل على زندقته وانسلاخه من الدين، أو أنه منافق نافق القوم»، ويقول عنه ابن العماد في الشذرات (٣/ ٤٧): «النعمان بن محمد بن منصور القيرواني، أبو حنيفة الشيعي ظاهراً، الزنديق، قاضي قضاة الدول العبيدية، صنف كتاب ابتداء الدعوة وكتباً في فقه الشيعة تدل على انسلاخه من الدين، يبدل فيها معاني القرآن ويحرفها، توفي سنة ٣٦٣هـ».
مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٥/ ٤١٥ ـ ٤٢٣) رقم: ٧٦٦، لسان الميزان (٦/ ١٦٧) رقم: ٥٨٧ النجوم الزاهرة (٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، الشذرات (٣/ ٤٧).

(٢) انظر رسالة افتتاح الدعوة لأبي حنيفة النعمان (ص ٢١٦)، تحقيق وداد القاضي، ط: دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م

(٣) هو: أبو محمد عبيد الله المهدي أول من قام من الخلفاء العبيديين الباطنيين الذين أعلنوا الرفض وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وادعى أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق، وقد امتدت دولته خمساً وعشرين سنة، أتى فيها بالدواهي من تعذيب وقتل، توفي سنة ٣٢٢هـ وله ٦٢ سنة.
مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٣/ ١١٧ ـ ١١٩) رقم : ٣٥٧، النجوم الزاهرة (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٩٤)، سير الأعلام النبلاء (١٥/ ١٤١ ـ ١٥٢) رقم: ٦٥ وغيرها من المصادر.

(٤) البيان المغرب (١/ ١٦٩).

وهذه صورة أخرى ينقلها مؤرخ آخر عن انحراف العبيديين ، وهي صورة تنم عن حقد دفين لهذا الدين، ولرسوله ﷺ ولصحابته الكرام، ولكل من يقتدي بهم ويسير في طريقهم من أهل السنة، يقول القاضي عياض : «كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر كأنهم ذمة[١] تجري عليهم في كثير الأيام محن شديدة، ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسيناً الأعمى السباب ـ لعنه الله تعالى ـ في الأسواق للسب بأسجاع لُقِّنَها يتوصل منها إلى سب الرسول ﷺ في ألفاظ حفظها[٢]، وعلقت رؤوس الأكباش والحمر على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة مكتوب عليها أسماء الصحابة، اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل ومُثِّل به»[٣].

فهذه الصورة والتي قبلها تختلفان تماماً بل وتتناقضان مع الصورة التي قدمها القاضي النعمان عن هؤلاء القوم، وسيأتي فيما يلي من البحث ما يعضد ويؤيد بل ويصدق ما قاله ابن عذارى والقاضي عياض، عندما نتحدث عن المحنة التي تعرض لها علماء المغرب بسبب مواقفهم الجريئة والحازمة من انحرافات بني عبيد.

ولا يفوتنا هنا التنبيه على أن الشيعة على اختلافهم يبيحون الكذب لأنفسهم من أجل تحسين صورتهم وإخفاء وجههم القبيح[٤].

---

(١) المقصود أن أهل السنة إبان الحكم العبيدي الشيعي كانوا يشبهون أهل الذمة في ظل الحكم الإسلامي في ذلهم وصغارهم.

(٢) من تلك الألفاظ التي كان يتلفظ بها عليه لعنة الله: "العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى"، وغير ذلك، والغار المقصود منه غار ثور الذي اختفى فيه الرسول ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه عن أعين المشركين التي كانت تطاردهم في قصة الهجرة، وهذا اللفظ فيه سب للنبي ﷺ وأبي بكر على حد سواء، وكذلك فيه سب لآل البيت الذين حواهم الكساء.
انظر : ترتيب المدارك (٢/ ٣١٨).

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٣١٨).

(٤) وهذا السلوك لا يزال طبيعة بعض الشيعة إلي يومنا هذا، فهذا الخميني يشيد بنصير الدين الطوسي وبأعماله في كتابه "الحكومة الإسلامية" بالرغم مما ارتكبه هذا الرجل من سفك لدماء المسلمين حيث يقول عنه الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٣): «ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولا كو شفى نفسه من أتباع الرسول ﷺ وأهل دينه، فعرضهم على السيف حتى يشفي نفسه وإخوانه من الملاحدة، واشتفى هو فقتل الخليفة (المعتصم بالله آخر الخلفاء العباسين سنة ٦٥٦ هـ) والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد=

من هنا يمكننا القول: إن هذه الرواية المنقولة عن الإمام جعفر الصادق لا ندري مدى صحتها، لأننا ـ نحن أهل السنة ـ نعتقد أن الإمام جعفر الصادق كان من أهل السنة الذين يوالون أصحاب الرسول ﷺ جميعاً ولا يفرقون بين أحد منهم، فلا يعقل أن يرسل داعيين ليمهدا بدعوتهما إلى قيام دولة باطنية ملحدة تضمر الإلحاد، وتظهر الإسلام وحب آل بيت الرسول ﷺ، يقول الإمام الباقلاني عن العبيديين: «هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر»[1].

و على فرض صحة هذه الرواية فلا يعدو أن يكون إرساله لهذين الداعيين، هو دعوة أهل تلك البلاد إلى الإسلام الذي جاء به نبينا ﷺ وسار عليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بعده، ومهما يكن الأمر فإن بجهود هذين الداعيين دخل التشيع إلى المغرب الإسلامي،

= وإنكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره إلى آخر كلامه، وقد توفي نصير الدين الطوسي سنة ٦٧٢ هـ وقد نيف على الثمانين.

(١) انظر: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ١٦٨) نقلاً عن كتاب "كشف الأسرار وهتك الأستار" في الرد على البلاغ الأعظم والناموس الأكبر لبعض قضاة العبيديين، ويكشف لنا الإمام الباقلاني عن وثيقة مهمة، وهي عبارة عن وصية الباطنية لداعيهم الذي يدعو لمذهبهم كيف يكون سلوكه مع جميع أصناف المدعوين على اختلاف أديانهم ومللهم ومذاهبهم، وما هي السبل الذي ينبغي عليه أن يسلكها حتى يستميل الناس لمذهبه الإلحادي، والذي يهمنا في هذا المقام من هذه الوسائل وسيلة التشيع فيقول: «وقالوا لكل داع لهم إلى ضلالتهم ما أنا حاك لألفاظهم وصيغة قولهم بغير زيادة ولا نقصان ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم لسائر الرسل، فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف وقتلهم الحسين وسبيهم نساءه وذريته والتبري من تيم وعدي، ومن بني أمية وبني العباس، وأن تكون قائلاً بالبدء والتناسخ والرجعة والغلو وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، فإنهم أسرع إلى إجابتك بهذا الناموس، فإن آنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً أوقفه على مثالب علي وولده وعرفه حقيقة الحق لمن هو وفيمن هو، وباطل بطلان كل ما عليه أهل ملة محمد رسول الله ﷺ وغيره من الرسل...» إلى آخر كلامه في المعني، ويقول الإمام ابن تيمية تعليقاً على كلام الباقلاني في جعل الملاحدة من الباطنية التشيع مظهراً ومطية للوصول إلى غرضهم الخبيث: «وهذا بين، فإن الملاحدة من الباطنية الإسماعيلية وغيرهم والغلاة النصيرية إنما يظهرون التشيع، وهم في الباطن أكفر من اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن التشيع دهليز الكفر والنفاق» انظر: منهاج السنة (٨/ ٤٧٩ ـ ٤٨٦).

وكان هذان الداعيان هما : أبو سفيان الحسن بن القاسم[١]، الذي نزل بإحدى المدن المغربية واسمها تالة، وأقام بها وابتنى مسجداً واشترى عبداً وأمة، وأظهر من العبادة والنسك والفضل ما اشتهر به بين الناس[٢]، فأقبلوا عليه من جميع الجهات، فكان يروي لهم أحاديث في فضل أهل البيت وعلمهم، وقد تشيع على يديه عدد كبير من أهل هذا البلد[٣]، و نزل الرجل الثاني وهو عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالحلواني[٤] بإحدى المدن التونسية، وفعل كصاحبه، فتزوج وابتنى مسجداً وأظهر من العبادة والنسك ما اشتهر به، ومضى ينشر دعوته في أوساط سكانها، وتشيع به كثير من أهل تلك المدينة، وقد وجد عدد كبير ممن كان يحمل الفكر الشيعي ويدين به، وذلك قبل دخول أبي عبد الله الشيعي، ولعل ذلك كان بتأثير دعوة هذين الرجلين وسريانها في المغرب، فمن هؤلاء : يحيى بن يوسف المعروف بالأصم[٥] وامرأته، وإسماعيل بن نصر المعادي[٦]، وأبو حيون المعروف بابن المفتش[٧]، وموسى بن مكارمة[٨]، ومحمد بن

---

(١) لا نعرف عنه شيئاً سوى أن ابن خلدون ذكر أن أباه أو جده اسمه بكار، انظر العبر (٧/ ٦٥)، والقوى السنة (١/ ١١٤)

(٢) هذه الطريقة في التغرير بالعامة، يلاحظ أنه يستعملها كل مبتدع حتى يستولي على قلوب الناس، ويستطيع بالتالي أن يملي عليهم ما يريد من التعاليم.

(٣) القوى السنية (١/ ١١٩)، وجاء في هامش اتعاظ الحنفاء ما لفظه: «الحلواني وأبو سفيان أنفذهما جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام إلى بلاد المغرب في سنة خمس وأربعين ومئة، وقال لهما: "إنكما تدخلان أرضاً بوراً لم تحرث قط فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع فيه حبه"، فنزل أبو سفيان من أرض المغرب مدينة قرطاجنة ونزل الحلواني بموضع يسمى سوق جمار، فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كبير من كتامة إلى محبة آل البيت وصاروا شيعة لهم إلى أن دخل إليهم صاحب البذر أبو عبد الله الشيعي بعد مئة وخمس وثمانين سنة، وكان من أمره ما كان». اتعاظ الحنفاء (ص٥٣).

(٤) الحلواني: ـ بضم الحاء وسكون اللام ـ، منسوب إلى حلوان وهي مدينة من أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل (عراق الجبل)، ولا يعرف عنه أكثر من ذلك.

(٥) مات قبل دخول أبي عبد الله الشيعي بزمن طويل، وتخلف على امرأته بعده أخوه ياسين، انظر القوى السنية (١/ ١١٩).

(٦) أدرك أبا عبد الله الشيعي ودخل في دعوته هو وجماعة من أهل بيته، المصدر نفسه (١/ ١١٩).

(٧) لحق الحلواني وهو صغير وأخذ عنه بعض الشيء، ثم أخذ بعد ذلك عن رجاله، ولحق أبا عبد الله الشيعي، نفس المصدر (١/ ١١٩).

(٨) انظر القوى السنية (١/ ١١٩ ـ ١٢٠).

عمر المروذي[١]، وعبد الله بن كليب[٢]، ومحمد بن محفوظ القمودي[٣].

ولم يقدر لهذين الداعيين أن يعودا إلى المشرق، إذ ماتا حيث قاما بدعوتهما، وبهما انتشرت الدعوة الشيعية في جزء كبير من بلاد المغرب وأصبحت تلك البلاد مهيأة لقدوم الداعي صاحب البذر التي سيبذر فيها دعوة آل البيت ومذهبهم، هذا الداعي هو أبو عبد الله الشيعي[٤] الذي سيره أبو الشلعلع[٥] إلى المغرب سنة ٢٧٨هـ وأمره بالمرور على ابن حوشب[٦] باليمن ليفيد من علمه، فجاءه ولزمه وأفاد منه حتى صار من كبار أصحابه فعهد إليه ابن حوشب بالذهاب إلى المغرب للدعوة، وقال له: «إن أرض كتامة[٧] من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وليس لها

(١) هو: محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروذي أو المروزي من جند خراسان، أول قاض شيعي بالقيروان، ولاه أبو عبد الله الشيعي قضاء القيروان سنة ٢٩٦هـ، توفي سنة ٣٠٣هـ.
انظر عنه: ابن عذارى (١/ ٢٠٧)، طبقات الخشني (ص٢٣٩)، وقضاة قرطبة وعلماء إفريقية لمحمد الحارث الخشني، تحقيق عزت العطار (ص٣٠٩)

(٢) هو من أهل مجانة، قديم التشيع، قتل سنة ٢٩٥هـ. القوى السنية (١/ ١٢١)، تعليق رقم (١).

(٣) توفي سنة ٣٠٦هـ، انظر القوى السنية (١/ ١٢١) تعليق رقم (٢).

(٤) هو: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا، وأصله من الكوفة ويعرف بالمعلم، ذهب إلى اليمن التي كانت مركزاً هاماً للدعوة الشيعية وهناك اتصل بداعي الشيعة فيها واسمه ابن حوشب، فأخذ يحضر مجالسه ويفيد منه ويمتثل لأمره، ولما وثق به ابن حوشب أرسله للدعوة في المغرب، قتله عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧هـ.
مصادر ترجمته: الكامل في التاريخ (٧/ ٣١ ـ ٣٧)، اتعاظ الحنفا للمقريزي (ص ٧٤ ـ ٧٧)، وفيات الأعيان (٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣) رقم: ١٩٩، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٨ ـ ٥٩) رقم: ٣٠، أعلام المغرب العربي (٢/ ٦٠ ـ ٦٣).

(٥) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ويعرف بالشلعلع، انظر عنه هامش (٣) من النجوم الزهراء (٤/ ٧٥)، وكذلك هامش (٣) من اتعاظ الحنفا (ص٣٠).

(٦) هو: أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار من أهل الكوفة، يعرف بمنصور اليمن صاحب دعوة اليمن من ذرية مسلم بن عقيل بن أبي طالب، قيل توفي سنة ٣٠٢ هـ.
انظر عنه: اتعاظ الحنفاء (ص٥٢) والتعليق رقم (٤)، وأيضاً تاريخ خلفاء الفاطميين بالمغرب لإدريس عماد الدين (ص٥٩).

(٧) كتامة تطلق على قبيلة مغربية تمتد أرضها من حدود جبل أوراس في الجنوب إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة (عنابة حالياً) شمالاً (وهي من أعمال الجزائر اليوم) ومن بلادها سطيف (من أعمال الجزائر اليوم) وقسنطينة (عاصمة الشرق الجزائري اليوم) وبسكرة وجيجل (من أعمال الجزائر اليوم).

غيرك فبادر، فإنها موطأة ممهدة»[١].

وقبل التوجه إلى المغرب ـ كما أمر ـ مر أبو عبد الله الشيعي بمكة المكرمة ـ شرفها الله ـ وذلك أواخر ذي القعدة أو مستهل ذي الحجة من سنة ٢٧٩هـ حيث لقي جماعة كتامة الذين يسروا له الطريق إلى المغرب التي دخلها في ثوب معلم للقرآن[٢]، وعندما تيقن أبو عبد الله من نصرة كتامة لدعوته، أعلن بإمامتهم للرضا من آل محمد ﷺ وقال: «أنتم أنصار أهل البيت وشيعتهم»، وأخبرهم عن نفسه بأنه صاحب البذر الذي ذكر لهم أبو سفيان والحلواني، ثم قال لهم: «أنا لا أدعوكم لنفسي، وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت»[٣].

---

(١) انظر ابن الأثير (٦/ ١٢٧)، القوى السنية (١/ ١٣٢).

(٢) ابن الأثير (٦/ ١٢٧)، ويصف ابن عذارى (١/ ١٢٥) كيفية دخول أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب، وكيف أنه خدع رفقاءه من أهل المغرب الذين التقى بهم في مكة، بلسانه حين «قال لهم عندما سألوه عن أمره: "أنا رجل من أهل العراق كنت أخدم السلطان، ثم رأيت أن خدمته ليست من أفعال البر، فتركتها وصرت أطلب المعيشة من المال الحلال فلم أر بذلك وجهاً إلا تعليم القرآن للصبية، فسألت أين يتأتى ذلك تأتياً حسناً فذكر لي بلاد مصر"، فقالوا له: "ونحن سائرون إلى مصر وهي طريقنا فكن صحبتنا إليها"، فصحبهم وفي الطريق كان يحدثهم ويميل بهم إلى مذهبه، ويلقي إليهم الشيء بعد الشيء إلى أن أشربت قلوبهم محبته، فرغبوا منه أن يسير إلى بلادهم ليعلم صبيانهم فاعتذر لهم ببعد الشقة وقال: "إن وجدت بمصر حاجتي أقمت بها وإلا فربما أصحبكم إلى القيروان"، فلما وصلوا مصر غاب عنهم كأنه يطلب بغيته ثم اجتمعوا به وسألوه فقال لهم: "لم أجد بهذه البلاد ما أريده"، فرغبوه أن يصحبهم فأنعم لهم بذلك (أي: أنه وافق)، فكانوا في صحبته إلى أن وصلوا إلى القيروان».

(٣) انظر: ابن عذارى (١/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، ابن خلدون (٧/ ٦٥)، القوى السنية (١/ ١٢٨).
وقد اختلف العلماء والمؤرخون في صحة نسب أبي عبد الله الشيعي إلى النسب الشريف فذهب جماعة إلى صحة هذا النسب منهم ابن خلدون وابن الأثير (ت ٦٠٣ هـ)، والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ) وغيرهم من القدماء، والدكتور أحمد شلبي في (موسوعة التاريخ الإسلامي) وإبراهيم شعوط في "أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ"، ومن المستشرقين كارل بروكلمان وغيرهم من المحدثين.
وأما الذين ينفون ذلك النسب ويقولون: إن القوم أدعياء ولا صلة لهم بالنسب الشريف. فكثيرون لا يحصون عدداً من الأقدمين والمحدثين، ومن السنة والشيعة على حد سواء، يقول الكوثري رحمه الله «فما دعواهم النسب الزكي إلا إفك وزور عند أمثال الباقلاني وعبد القاهر البغدادي وابن السمناني والإسفراييني وابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن حجر والشمس السخاوي والشمس ابن طولون وغيرهم».انظر: مقدمة "المقدمات الخمس والعشرون في إثبات=

عند ذلك أعلن أهل كتامة طاعتهم له، وبدأ هو في تنظيم مجتمعهم ـ كما زعم ـ على غرار ما فعل النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة من التآخي بين المؤمنين،

= وجود الله ووحدانيته وتنزهه" (ص٥).

نعم هؤلاء وغيرهم أمثال جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ) في "مفرج الكروب" الذي يقول: «إلا أن الذي اعتقدته وحققته من تواريخ كثيرة أن القوم أدعياء، لاحظ لهم في النسب الهاشمي». مفرج الكروب (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الأميرية بالقاهرة (١٩٥٧م).

وبدر الدين ابن قاضي شهبة في "الكواكب الدرية في السيرة النورية" ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ حيث يقول: «وكان هؤلاء الطائفة يدعون شرفاء فاطميين، وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء أنهم لم يكونوا لذلك أهلاً ولا نسبهم صحيحاً، بل معروف أنهم بنو عبيد».

وكذلك ابن خلكان يذهب إلى «أنه ليس بشريف وأنه مدع». النجوم الزاهرة (٤/ ٧٧)، بل حتى بعض المستشرقين نفوا النسب الشريف عن بني عبيد، ونحن نعلم أن المنهج الإستشراقي يسره لو كان نسبهم صحيحاً، لأن حركة باطنية مثل الحركة العبيدية بالإضافة إلى كونها تنتسب لآل البيت هذا يمثل سنداً قوياً لأعداء الإسلام على اختلافهم في الترويج للحركات الهدامة، وأعتقد أنهم لو وجدوا أدنى سند لإثبات هذا النسب لما تلكؤوا لحظة واحدة في ذلك.

فماذا يكون نسبهم إذاً إن لم يكونوا شرفاء؟

تكاد تتفق كلمة من نفى النسب الشريف عن بني عبيد أنهم قرامطة، كما يقول الباقلاني في "كشف الأسرار وهتك الأستار" وأن الذي أحدث لهم هذا النسب هو أبو عبد الله الشيعي.

ويقول بدر الدين بن القاضي شهبة: «بل المعروف أنهم بنو عبيد، وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي، وقيل: كان والد عبيد الله هذا يهودياً من أهل سلمية من بلاد الشام، وكان حداداً». الكواكب الدرية في السيرة النورية (٢٠٥).

ويقول أبو شامة الحافظ في "أزهار الروضتين": «لم يكونوا فاطميين وإنما كانوا ينتسبون إلى عبيد الله وكان اسمه سعيداً، وكان يهودياً حداداً بسلمية بحمص بالشام»، وجمال الدين علي بن ظافر (ت ٦١٣هـ) في كتابه "أخبار الدول المنقطعة" تحقيق أندريه فريه، نشر مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (سنة ١٩٧٢م) حيث يقول: «هذه دولة (الفاطمية) عظم خطب الاختلاف في أحوال أربابها وقويت الشناعة بإبطال ما ادعته من انتمائها إلى العترة النبوية، أما مذهب ملوكها فالكفر الصريح والنفاق الذي خالف الباطن فيه التصريح، وهم أصل القرامطة الذين كان هلاك الدين على أيديهم وظهر خروجهم على أهل ملة الإسلام وتعديهم، وأما النسب فقد ذكر الشريف العابد الحسيني الدمشقي (ت ٣٩٨هـ) (من أولاد جعفر الصادق رضي الله عنه) في كتابه: إن المنعوت بالمهدي منهم الذي هو أولهم كان اسمه سعيداً، وأنه سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي، وأنه من ولد ديصان الثنوي»، ويقول الإمام ابن كثير في =

حيث أنشأ لهم دار هجرة وسماهم المؤمنين وغيرهم الكافرين[١] . . . إلخ وقد دخل في دعوته عدد كبير من الناس، وكان أشد الناس عليهم هم المالكية وسيأتي ذكر الأسباب

= البداية والنهاية (١٢/ ٢٦٧): «وكان أول من ملك منهم المهدي وكان من سلمية حداداً، وكان يهودياً».

والذي يؤكد هذا سلوك بني عبيد وسياستهم المنحرفة في المجالات المختلفة، فقد كان سلوكهم لا يمت إلى الإسلام بصلة حيث تميز حكمهم بقتل العلماء، والعمل على إزالة ملة الإسلام وإشاعة الفاحشة وإباحة الخمر والفروج، ونشر الدعوة الباطنية في الناس، وزاد تعميق هذا الاعتقاد صلتهم المشبوهة باليهود والنصارى، وميلهم إليهم الميل الشديد حيث مكنوهم من المناصب الكبيرة وأغدقوا عليهم العطاء.

هذا فضلاً عن السياسات الدينية والمالية التي كانوا يمارسونها حيث ابتدعوا في دين الله ما لم ينزل به سلطاناً، وسبوا صحابة رسول الله ﷺ وادعوا الألوهية والنبوة، وأما السياسة المالية فقد تميزت بسطو خلفاء بني عبيد على الأموال وصرفها على ذواتهم ومتعهم وحواشيهم، وصرفها أيضاً على الأعياد التي كانوا أحدثوها مدة عهدهم، وقد أدت تلك السياسة إلى إشاعة الفقر في الناس، حيث غلت المعيشة غلاءً فاحشاً حتى أكل الناس الحمير والكلاب، بل حتى أكلوا الصبيان وأكل بعضهم بعضاً، كما يقول ابن تغري بردي في النجوم الزهراء (٥/ ١٥ ـ ١٦).

فهذه السياسة تؤيد المذهب الذي ينفي النسب الشريف، ولكن كيف يخفى مثل هذا الأمر على ابن خلدون وهو من هو في علمه بالتاريخ؟

يؤكد بعض العلماء أن ذلك منه كان لانحرافه عن آل البيت، حيث يقول الإمام السخاوي في "الإعلان بالتوبيخ" (ص ٩٤): «فائدة: كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر وشهروا بالفاطميين إلى علي رضي الله عنه ويخالف غيره في ذلك ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم... ثم نقل عن شيخه ابن حجر قوله: "وابن خلدون كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعى الإلهية، وبعضهم في الغاية من التعصب حتى مثل في زمانهم بجمع من أهل السنة، وكان يصرح بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم، فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي حقيقة، التصق بآل علي العيب، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم نسأل الله السلامة والله أعلم».

وأما ابن الأثير فهو وهم منه، وأما المقريزي فكان يثبت هذا النسب لظنه أنه منحدر منهم كما ذكره السخاوي في ترجمته.

وفي إنباء الغمر بأبناء العمر (٥/ ٣٢٧) هامش (١) كلام جميل حول هذه المسألة أعرضت عن نقله هنا لطوله، ويذكر هنا للعلم أن حكم العبيديين لبلاد المغرب امتد من ربيع الثاني سنة ٢٩٧ هـ إلى رمضان سنة ٣٦٣ هـ، انظر: أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس (ص ١٧٩).

(١) القوى السنية (١/ ١٢٨) تعليق (١).

التي جعلتهم يقاومون هذه الدعوة.

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من الصراع بين علماء السنة المغاربة من جهة، والشيعة العبيديين من جهة ثانية، ذهب ضحيتها عدد كبير من خيرة علماء السنة، وكانت الغلبة أخيراً للمذهب الحق، وخرج العبيديون من هذه الأرض الطيبة بعد أن ضاقت بهم، ليبحثوا عن موطن آخر ينشرون فيه دعوتهم، فحطوا رحالهم في أرض مصر.

**التشيع بالأندلس:**

بعدما عرفنا الطريق التي دخل منها التشيع إلى المغرب من ناحية تونس، أنتقل إلى الحديث عن دخوله إلى الأندلس، وذكر دخول التشيع إلى الأندلس مفصلاً. **لسببين اثنين:**

**الأول:** بعد المسافة بين الأندلس، وتونس.

**أما السبب الثاني:** فإن الطريق التي دخل منها التشيع إلى الأندلس تختلف عن الطريق التي دخل منها إلى تونس، وما وراءها من بلاد المغرب لذلك كان لابد من ذكر كل واحد على حدة.

لقد تبين للشيعة ـ كما تبين لغيرهم من دعاة الأفكار المنحرفة ـ أن جماعات البربر في شمال إفريقية هم أصلح ما يكون لدعوتهم، فلذلك اتجهوا إلى هذه البلاد، وكان أول محاولة قام بها شيعي في الأندلس هي تلك التي قام بها عمر بن حفصون (ت ٣٠٦هـ)(١) الذي ظهر في جنوب الأندلس وقام بثورات دامت لسنوات طويلة، وقد اهتبل فرصة وجود الفاطميين بإفريقية (تونس ) ليقيم دعوتهم بالأندلس.

ومن الرجال الذين ساهموا في نشر التشيع في الأندلس عباس بن ناصح الثقفي الشاعر(٢) الذي أوفده أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم (ت ٢٣٧هـ)(٣) إلى العراق

(١) هو: عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر، كبير الثوار ومنازع الخلفاء بالأندلس أصله من رندة. توفي سنة ٣٠٦هـ. مصادر ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٣٨ ـ ٤٢).

(٢) كان عالماً أثيراً عند الخلفاء المروانيين ولم أعثر على سنة وفاته. مصادر ترجمته: البيان المغرب (١/ ٣٢).

(٣) ولي سلطنة الأندلس ما بين سنتي ٢٠٦ و ٢٣٨هـ، وكانت ولادته سنة ١٧٦ هـ، له من الأولاد أكثر =

لالتماس الكتب القديمة التي تتناول العلوم المختلفة من طب ونجوم، وعاد إلى بلاده بأفكار يشتم منها رائحة التشيع مثل القول بخروج المهدي، والقول بالرجعة والأئمة السبعة إلى غير ذلك.

وكما انتشر التشيع على يد أمثال هؤلاء فإنه انتشر أيضاً بجهود الجواسيس الذين كان الفاطميون يستعملونهم للدعاية لمذهبهم في الأندلس، وكان هؤلاء الجواسيس يسترون أهدافهم الحقيقية تحت ستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم أو السياحة الصوفية.

ومن هؤلاء الجواسيس الذين كان لهم أثر كبير في نشر الفكر الشيعي بالأندلس أبو اليسر الرياضي[1] الذي يعتبره المؤرخون أول الجواسيس المشارقة بالأندلس، ولا تذكر المصادر التي ترجمت له الكثير عنه، وذلك لأنه لما كانت مهمتهم سرية، فإن الأخبار عنهم تكون قليلة[2]، فقد ذكروا عنه أنه كان أديباً محتالاً دخل الأندلس في أيام الأمير

---

= من مئة من الذكور والإناث، كان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة، وكان من أهل التلاوة والاستظهار للحديث، وكان يداخل كل ذي علم في فنه.

مصادره ترجمته : البيان المغرب (٢/ ٨٢)، نفح الطيب (١/ ٣٤٤ ـ ٣٥٠)، بغية الملتمس (ص ١٦)، الكامل في التاريخ (٦/ ٩ ـ ١٢)، وانظر أيضاً : دولة الإسلام في الأندلس لعبد الله عنان (العصر الأول ـ القسم الأول (ص ٢٥٤) وما بعدها

(١) هو: إبراهيم بن محمد الشيباني يكنى بأبي اليسر ويعرف بـ"الرياضي" الكاتب، أصله من بغداد وبها نشأ وقرأ على جلة محدثيها وفقهائها، وتتلمذ على كبار أهل عصره كالجاحظ ودعبل الخزاعي وثعلب، ثم تاقت نفسه إلى الترحال فقصد الأندلس أيام أميرها محمد بن عبد الرحمن ثم قصد إفريقية (تونس) واستقر بها أيام بني الأغلب، وأصبح رئيساً لبيت الحكمة، إلى أن غلب العبيديون على الملك فدخل في خدمتهم وانضم إلى دعوتهم، واستمر في وظيفته تلك إلى أن توفي سنة ٢٩٨ هـ.

مصادر ترجمته : التكملة لابن الأبار (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤) رقم : ٤٥٤ مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد سنة ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م، نفح الطيب (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) رقم: ٧٠، أعلام المغرب العربي (١/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٢) هذه الندرة في الأخبار عن هؤلاء الشيعة تلاحظ منذ بداية الحديث عن التشيع، ولعل ذلك ناتج عن سببين: **الأول**: اختفاء هؤلاء ونشاطهم في السر خوفاً من بأس أهل السنة، وهي طريقة المبتدعة في كل عصر، **والثاني**: عدم اهتمام أهل العلم بالترجمة لهم، لأنهم في اعتقادهم ليسوا علماء.

محمد[١] مفتعلاً كتاباً على لسان أهل الشام، ولكن يبدو أن الأمير محمداً فطن لأغراضه الخبيثة، فاحتفى به وأكرمه دون أن يمكنه من مباشرة نشاطه، فاضطر إلى مغادرة الأندلس[٢].

ولكن إن كان أبو اليسر هذا لم ينجح في مهمته كل النجاح، فإنه بلا ريب استطاع أن ينقل إلى هذه البلاد بعض الثقافة الأدبية الشيعية مثل شعر دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦هـ)[٣] الذي كان من أهم ألسنة الشيعة بالمشرق إلى كثير من رسائل الكتّاب العباسيين[٤].

ولما توفي أبو اليسر خلفه في مهمته ابن هارون البغدادي[٥] الذي قدم هو الآخر متجسساً، وقد تردد على الأندلس أعواماً، ووفق لما لم يوفق له سلفه أبو اليسر، إذ

---

(١) هو: محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، ولد سنة ٢٠٧هـ وتولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٢٣٩هـ، وكان أميراً ذكياً فطناً، وفي عهده بدأت طلائع الثورة التي اضطلع بمقاومتها مدة حكمه الذي امتد خمساً وثلاثين سنة توفي سنة ٢٧٣ هـ.

مصادر ترجمته: دولة الإسلام في الأندلس (١/ ٢٧٧ ـ ٣١٨)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) و(١٣/ ١٧١ ـ ١٧٣) رقم: ١٠٢.

(٢) وذهب إلى مصر، وكان يحكمها أحمد بن طولون الذي كان يتوجس خيفة من الدعوات الشيعية فكشف أمره وسجنه، ولسنا ندري كيف تخلص أبو اليسر من سجنه، لكن الذي نعرفه هو أن أبا اليسر هذا نراه بعد ذلك بالقيروان متولياً على الكتابة في أيام إبراهيم بن أحمد الثاني وعبد الله ابنه، ثم لزيادة الله الثالث آخر ملوك الأغالبة.

ثم لما سقطت دولة الأغالبة سنة ٢٩٦هـ، وقبض عبيد الله الشيعي على ناصية الحكم، استمر أبو اليسر على الكتابة له حتى وفاته سنة ٢٩٧هـ.

انظر: التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية. محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات بمدريد، المجلد ٢/ سنة ١٩٥٤م العدد (١ ـ ٢) ص ١١٢

(٣) هو: أبو علي دعبل بن علي الخزاعي، شاعر زمانه، كان من غلاة الشيعة وله هجو مقذع، وكان خبيث اللسان حتى أنه هجا قبيلته خزاعة، توفي سنة ٢٤٦ هـ.

مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٢ ـ ٣٨٥) رقم: ٤٤٩٠، معجم الأدباء (١١/ ٩٩ ـ ١١٢) رقم: ٢٦، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥١٩) رقم: ١٤١، تهذيب ابن عساكر (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٤٥).

(٤) النفح (٤/ ١٣٠).

(٥) هو: أبو جعفر أحمد بن أحمد بن محمد بن هارون البغدادي، أدخل إلى الأندلس كتب ابن قتيبة وبعض كتب الجاحظ، سمع منه بعض رجال الأندلس، ثم انصرف إلى المشرق بعدما تردد في الأندلس أعواماً.

مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٦١) رقم: ٢٠١.

اكتتبه عبيد الله المهدي بعد أبي اليسر واستعان به على أمر دعوته، وكان له في ذلك رأي جميل ونفع عظيم، وكان له دور هام في إذاعة تعاليم الشيعة العبيديين[١].

ومنهم من تأثر بالدعوة الشيعية وإن لم يكن له إسهام في نشر تعاليمها، فقد ذكر صاحب "البيان المغرب"[٢] أنه كان بالأندلس معلم للقرآن لم تحفظ المصادر اسمه قام في شرق الأندلس سنة ٢٣٧ هـ وادعى النبوة، وكان يتأول القرآن على غير تأويله، وقد قبض على هذا المتنبئ، وحوكم بتهمة الزندقة وعرضت عليه التوبة، فلما رفض إعلان التوبة صلب، وهذه النزعة إلى تأويل القرآن تدل على أنه كان متأثراً بالدعاية الشيعية[٣].

وممن تأثر بالاتجاه الشيعي محمد بن شجاع الوشقي (ت ٣٠١هـ)[٤] الذي كان يرى جواز نكاح المتعة، وهو بدون شك متأثر في ذلك بالشيعة الاثني عشرية، وقد قتل هذا الرجل مصلوباً.

ومنهم أيضاً: محمد بن إبراهيم بن حيون (ت ٣٠٥ هـ)[٥] الذي كان يتهم بالتشيع لشيء كان يظهر منه في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

ومن الذين تأثروا بالتعاليم الشيعية أيضاً : منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)[٦]،

---

(١) التشيع في الأندلس (ص٢٢) .

(٢) (٢/ ١٣٤) .

(٣) البيان المغرب (٢/ ١٣٤)، وانظر تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٣٢٥) للمستشرق آنخل جنثالث بالنثيا، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، ط دار النهضة المصرية (الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥م).

(٤) هو: محمد بن شجاع من أهل وشقة، سمع من يحيى بن عمر، كان حسن العلم بالمسائل، قتل ببرشلونة سنة ٣٠١ هـ.
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٢٤) رقم: ١١٥٨، جذوة المقتبس (ص ٦١)رقم: ٧٣.

(٥) هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون من أهل وادي الحجارة، سمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالأندلس، ورحل إلى المشرق فتردد هناك نحواً من خمس عشرة سنة وسمع بمكة وبغداد وصنعاء ومصر والقيروان، وكان إماماً في الحديث عالماً حافظاً للعلل. توفي سنة ٣٠٥ هـ.
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ٢٦) رقم: ١١٦٦، جذوة المقتبس للحميدي (ص٤٠) رقم: ١٥، بغية الملتمس (ص٥٥) رقم: ٤٢٠، وفيه حنون بدل حيون.

(٦) هو: أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي، سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى وغيره، ورحل حاجاً سنة ٣٠٨هـ، فأقام في رحلته أربعين شهراً أخذ فيها بمكة وبمصر، وولي قضاء قرطبة، وكان عالماً فقيهاً وأديباً بليغاً. توفي سنة ٣٥٥ هـ.

فبالرغم من أن مذهبه في الفروع كان مذهب النظار والاحتجاج وترك التقليد، وكان يميل إلى رأي داود الظاهري ويحتج له، إلا أنه في الأصول كان يذهب مذهب أهل الكلام بصيراً بالجدل لهجاً بالاحتجاج، وقد تأثر ببعض الآراء الشيعية، ومن مظاهر هذا التأثر ما نقل عنه من آراء عمد فيها إلى تأويل القرآن الكريم تأويلات باطنية، وكان في ذلك متأثراً بالتأويلات الشيعية.

ومنهم أيضاً: عبادة بن عبد الله بن عبادة (ت ٤١٩هـ)(١) الذي كان يتشيع ويتعصب ضد بني أمية(٢).

ولم يقتصر التشيع على الأفراد بل تعداهم إلى الدولة، حيث قامت دولة الحموديين(٣) على أصول شيعية إلا أن تشيعهم لم يكن ظاهر المعالم كما هو الشأن بالنسبة للدولة البويهية(٤) في إيران، بل كان تشيعهم أقل تطرفاً ليس في الاعتقاد، ولكن في سلوكهم مع الرعية وسياستهم، حيث إنهم أخذوا من المذهب الشيعي بالقدر الذي يحقق لهم مصالحهم السياسية.

نعم إنهم كانوا يدينون ببعض المبادئ الشيعية مثل القول بأنه "لا تتم ديانة إلا

---

= مصادر ترجمته: الجذوة (ص ٣٤٨/ ٣٤٩) رقم: ٨١١، نفح الطيب (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٦)، البداية والنهاية (١١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، شذرات الذهب (٣/ ١٨)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٦) رقم: ١٢٧.

(١) هو: أبو بكر عبادة بن عبد الله بن عبادة، ينتهي نسبه إلى قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، ويعرف بابن ماء السماء، شاعر ومؤرخ مشهور عاش في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس. من مصنفاته: أخبار شعراء الأندلس، توفي سنة ٤١٩ هـ أو ٤٢١ هـ.
مصادر ترجمته: المقتبس لابن حيان (ص ٥٠١) تعليق رقم: ٢٤٧، جذوة المقتبس (ص ٢٩٣) رقم: ٦٦٢، بغية الملتمس (ص ٣٩٦) رقم: ١١٢٣.

(٢) انظر مصادر ترجمته.

(٣) نسبة إلى خلفاء بني حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن علي بن أبي طالب، وقد امتد حكمهم على مدينة الجزيرة الخضراء وطنجة وسبتة وملقة.
انظر: دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٤) بنو بويه: أسرة فارسية أسسها أبو الشجاع بويه، وكانت تسيطر على جزء كبير من فارس، وفي سنة ٣٣٤هـ، استولت على بغداد وكانت هذه الأسرة شيعية المذهب، وفي عام ٤٤٧هـ دخل طغرل بك السلطان السلجوقي مدينة بغداد وقضى القضاء الأخير على حكم الدولة البويهية.
انظر عن هذه الدولة: دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٨).

بإمام"، وأنه يجب على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه، إلا أنهم لم يحاولوا فرض هذه المبادئ على غيرهم، والسبب في كونهم أقل تطرفاً هو بغض الناس لهم وكراهية الأندلس للاتجاه الشيعي، لأن الاتجاه السني كان هو السائد في الأندلس [١].

ولكن على الرغم من ذلك، فقد انتشرت في عهد الحموديين الدعوة الشيعية وثقافتها انتشاراً واسعاً، وانتشرت كتبهم ومؤلفاتهم عن طريق الرحالة الشيعة الذين قدموا إلى الأندلس من بغداد التي كانت آنذاك مركزاً مهماً من مراكز الشيعة في العالم الإسلامي.

ومن هؤلاء الرجال الذين انتشر بهم المذهب الشيعي والثقافة الشيعية في تلك الفترة: أبو الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرماني القرطبي (ت ٤٥٨هـ)[٢] فهو أول من أدخل رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس، وهي رسائل ذات نزعة شيعية واضحة حتى أنها نسبت إلى بعض الأئمة العلويين[٣]، وكذلك انتشر المذهب الشيعي الذي قوي في عهد بني بويه ببغداد (أواخر القرن الرابع وبداية الخامس) الذي كان أزهى عصور الأدب الشيعي، ففي ظله نشأ بديع الزمان الهمداني (ت٣٩٨ هـ)[٤]، ومن الشعراء

(١) نفح الطيب (١/ ٤١٠)، الذخيرة القسم الأول (٢/ ١٠، ١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) هو: أبو الحكم عمر الكرماني، من أهل قرطبة، من الراسخين في علم العدد والهندسة، دخل المشرق واشتغل بحران، وهو من أدخل رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس، توفي سنة ٤٥٨ هـ.
مصادر ترجمته : نفح الطيب (٢/ ٣٧٦)

(٣) أثبتت المصادر العديدة أن إخوان الصفا ينتسبون إلى الشيعة، وفي رسائلهم ما يدل على الاتجاه الشيعي، فهي مليئة بالنقل عن آل البيت ـ عليهم السلام ـ وعباراتهم تدل على تشيعهم أيضاً مثل قولهم: "صلى الله على النبي الخاتم وعلى الوصي القائم وبنيه وعشيرته آباء الأئمة المهتدين وأمراء المؤمنين الموحدين"، وغير ذلك مما يدل على الاتجاه الشيعي لإخوان الصفا وفكرهم.
انظر : الإنسان في فكر إخوان الصفا (ص ٣٤).
وقد ظهرت جماعة إخوان الصفا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وهي جماعة دينية ذات نزعة شيعية متطرفة، وكان مركزها ومقرها بالبصرة، وهذه الجماعة لا يعرف عن أفرادها شيء، ورسائلهم التي تتضمن اثنين وخمسين رسالة تقريباً انتشرت أول ما انتشرت أواسط القرن الرابع.
انظر : دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٥٢٧ ـ ٥٢٩).

(٤) هو: العلامة البليغ أبو الفضل أحمد ين الحسين بن يحيى الهمداني بديع الزمان صاحب كتاب المقامات، له ترسل فائق ونظم رائق. توفي سنة ٣٩٨ هـ.
مصادر ترجمته : معجم الأدباء (٢/ ١٦١ ـ ٢٠٢)، وفيات الأعيان (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩) رقم: ٥٢، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٧ ـ ٦٨) رقم: ٣٥، شذرات الذهب (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).

الشريف الرضي (ت ٤٠٥ هـ)(١) و مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) (٢).

وبعد، فهذه جملة مختصرة عن دخول التشيع إلى المغرب الإسلامي، أحببت أن أجعلها مدخلاً لمقاومة التشيع من قبل علماء المغرب السنة.

ومن خلال هذا المدخل نعلم أن التشيع كان متركزاً بشكل كبير في تونس وما يليها من البلاد، بحكم وجود الدولة العبيدية الشيعة، والتي فرضت مبادئها بالقوة، واستعملت من أجل تحقيق ذلك كل وسائل الضغط من العسف والتقتيل وغير ذلك، ومن هنا فإن المقاومة السنية للتشيع ستكون في هذا الجزء من المغرب الإسلامي أقوى منها في الجزء الآخر والله المستعان.

---

(١) هو: الشريف أبو الحسن محمد بن الطاهر بن أبي أحمد الحسين بن موسى الحسيني الموسوي البغدادي الشاعر، له نظم في الذروة وهو أشعر الطالبيين، وهو الذي جمع نهج البلاغة المنسوب إلى الإمام علي ﷺ توفي سنة ٤٠٥هـ، وله سبع وأربعون سنة، وكان شيعياً صلداً.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) رقم: ٧١٥، المنتظم (٧/ ٢٧٩ ـ ٢٨٣) رقم: ٤٤٠، وفيات الأعيان (٤/ ٤١٤ ـ ٤٢٠) رقم: ٦٦٧، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) رقم: ١٧٤.

**فائدة:** يقول الإمام الذهبي عن نهج البلاغة المنسوب للإمام علي ﷺ: «كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي ﷺ ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف»؟ انظر السير (١٧/ ٥٨٩).

(٢) هو: أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي، الأديب الباهر، الفارسي كان مجوسياً فأسلم على يد الشريف الرضي، فهو شيخه في النظم وفي التشيع، وكان يسب أصحاب النبي ﷺ، توفي سنة ٤٢٨ هـ. مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (١٣/ ٢٧٦) رقم: ٧٢٣٩، المنتظم (٨/ ٩٤ ـ ٩٥) رقم: ١١٤، وفيات الأعيان (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٣) رقم: ٧٥٥، البداية والنهاية (١٢/ ٤١ ـ ٤٢)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٧٢)رقم: ٣١.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الثاني
## المقاومة السنية للتشيع

### ١ ــ مقاومة الدولة:

في دراسة هذا الموضوع سأحاول إبراز جهود علماء المغرب في مقاومة التشيع بالمغرب الإسلامي، ولست في هذه الدراسة مؤرخاً للأحداث، وإنما أحاول أن أعطي صورة لموقف علماء السنة من هذه البدعة في هذا الجزء من العالم الإسلامي الممتد، كذلك لا أقصد في هذا الفصل إبراز موقف الدولة من هذه الدعوة، لأن ذلك موضوع سياسي لا علاقة له بموضوعنا، ولكن لا بأس أن أشير إلى ذلك إشارة عابرة حتى تكتمل الصورة لدى القارئ فأقول:

لقد كان موقف الدولة الأموية بالأندلس من الدعوات الشيعية موقفاً حازماً متشدداً تمثل في الوقوف في وجه الدعوة الشيعية بكل قوة، إلا أن موقفها القوي هذا لم يلجئها إلى تجريح الأشخاص، بل كان موقفها في هذا الجانب يتميز بالكثير من الاعتدال، حيث لم يتعرض الأمويون لشخص الإمام علي رضي الله عنه بالسب والطعن على المنابر كما فعل إخوانهم بالمشرق، مما أثار عليهم غضب أهل السنة فضلاً عن الشيعة، ولذلك نجد الإمام ابن حزم رحمه الله مثلاً رغم نزعته الأموية يعيب على الأمويين بالمشرق ما ارتكبوه في حق علي وآله رضي الله عنهم بينما نجده يعد من فضائلهم في المغرب امتناعهم عن ذلك(١).

ولكن موقفهم هذا لم يمنعهم من الانتقاص من علي رضي الله عنه بطريقة أو بأخرى في أوقات التوتر السياسي، مثال ذلك ما يقصه الخشني (ت ٣٧١هـ) عن الأمير محمد (٢٣٨ ـ ٢٨٦هـ) في مسألة اشتغاله بتعيين قاض للجماعة في قرطبة، فيذكر أن الأمير محمدًا رأى في منامه كأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين يقدمون فيسلمون على رجل بعينه، ولم يذكر في الخلفاء الراشدين علياً رضي الله عنه (٢).

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب (٢/ ٥٩)

(٢) الخشني، قضاة قرطبة (ص٦).

وعدم ذكر علي في الخلفاء الراشدين كان ظاهرة عند بعض العلماء، ولعل ذلك كان منهم تقرباً لبني أمية وإرضاء لهم، وهذه القصة التي وقعت لمنذر بن سعيد البلوطي ـ سبقت ترجمته ـ تشير =

وقد أخذت مقاومة الدولة الأموية للتشيع أشكالاً متعددة تمثلت في تشجيع المذهب السني على الانتشار، كما كان لها بالأندلس عيون وجواسيس منبثون في جميع أنحاء المغرب، فكان هؤلاء الجواسيس يوافون حكوماتهم بما يهمها من أخبار هذه البلاد أولاً بأول، وقد ساعد هؤلاء الجواسيس في مهمتهم وجود جاليات أندلسية ضخمة في كل مدينة، وكانت هذه الجاليات شديدة التمسك بالمذهب السني، الذي كان قد رسخ بالمغرب، شديدة الكراهية والبغض للمذاهب البدعية على اختلافها، ولا سيما المذهب الشيعي إلى حد الاستماتة في مقاومته، ولعل هذا السلوك هو الذي جعل حياة الدعوة الشيعية بالمغرب قصيرة، فعزموا على إخلاء هذا المكان والبحث عن مستقر آخر أنسب لدعوتهم[1].

لقد استطاع الأمويون أن يصبغوا الأندلس بلون أموي، واستطاعوا أن يبذروا بذور الكراهية للتشيع والشيعة في نفوس الناس، علمائهم و عوامهم ، و إن كان بعض العقائد الشيعية قد تسرب إلى الأندلس إلا أن تأثيرها كان ضعيفاً، وبقيت الأندلس سنية،

---

= إلى جانب من ذلك فقد ذكر المقري في نفح الطيب (٣/ ٢٦٧) عن أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري أن أباه استضاف بطرطوشة منذر بن سعيد البلوطي أيام ولايته للثغور الشرقية، وذلك قبل أن يلي قضاء الجماعة (٣٣٩ ـ ٣٥٥هـ) فكان منذر إذا تفرغ نظر في مكتبة مضيفه، فمر على يديه يوماً كتاب فيه أرجوزة، لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء الراشدين ويجعل معاوية ﷺ رابعهم ولم يذكر علياً فيهم، ثم واصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى الأمير عبد الرحمن بن محمد، فلما رأى ذلك غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب هذين البيتين :

أو ما علي لا برحت معلناً ـ يا ابن الخبيثة ـ عندكم بإمام؟
رب الكساء وخير آل محمد داني الولاء مقدم الإسلام

(١) هناك عدة أساليب أخرى استعملها الأمويون لمقاومة التيار الشيعي غير التي ذكرنا، منها :
١ ـ أن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ) أنشأ أسطولاً بحرياً قوياً، وحصن سواحله ومواننه لصد أي هجوم مفاجئ يقوم به الفاطميون على بلاده انظر : نفح الطيب (١/ ١٧٥).
٢ ـ تحالف مع أعداء الدولة الفاطمية من ملوك أوربا، فعقد معاهدة مع ملك إيطاليا الذي كان يريد الانتقام من الفاطميين بسبب تخريبهم ميناء (جنوة) وكذلك مع أمبراطور الدولة البيزنطية الذي كان يرغب في استعادة جزيرة صقلية من حوزة الفاطميين.
٣ ـ إرسال عشرة آلاف دينار للأخشيديين بمصر لتوزيعها على علماء المذهب المالكي، ولمحاربة الدعاية الشيعية هناك.
انظر حول هذه الأساليب وسياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس مقالاً لأحمد مختار العبادي (مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد) عدد٥ سنة ١٩٦٦.

ويلاحظ ذلك من خلال تراجم الأندلسيين لبعض من نسب إلى التشيع مثل قولهم "كان يميل إلى التشيع "، و"كان يقول بنكاح المتعة"، و"تركه الناس من أجل تشيع كان فيه" إلى غير ذلك من عباراتهم الدالة على اهتمامهم بهذا الجانب اهتماماً بالغاً حتى قال المقدسي (ت ٤١٤هـ) في أحسن التقاسيم(١) عن الأندلس في القرن الرابع : «إن الأندلسيين إذا عثروا على معتزلي أو شيعي فربما قتلوه».

وهناك ملاحظة مهمة تجدر الإشارة إليها، وهي التعاون الذي كان قائماً بين الدولة وبين العلماء، في تتبع المبتدعة ومحاكمتهم وقطع الطريق أمامهم حتى لا ينشروا فسادهم، ولا بأس هنا أن أشير إلى مثال على ذلك، وهو مثال يدل أيضاً على تشدد الدولة الأموية مع الشيعة ومع غيرهم من الزنادقة:

تذكر المصادر أنه كان بالأندلس رجل يدعى أبا الخير الإشبيلي الشيعي، وكان هذا الرجل يسب أصحاب النبي ﷺ ويعلن بذلك، وكان يقول : "إن علياً ﷺ كان أحق بالنبوة من النبي ﷺ"، فشهد عليه كثير من العلماء بذلك وبأشياء أخرى خطيرة؛ كإنكار البعث، وقوله بأن الخمر حلال شربها وغير ذلك من المنكرات، كطعنه في القرآن بقوله: "إن النصف الأخير فيه خرافات"، وزعم أنه يستطيع أن يأتي بمثله.

وبناء على هذه الشهادات أفتى الفقهاء، منذر بن سعيد البلوطي وغيره بأن الرجل ملحد كافر، قد وجب قتله من غير أن يعذر، ورأى جماعة غيرهم أنه يعذر ويستتاب، ورفعوا الأمر بذلك إلى أمير المؤمنين الذي رأى أن الحق والصواب في قول من أشار بقتله بلا إعذار لما استفاض من إلحاده وانتشر ذلك عنه، فأمضى ذلك فيه وأمر بصلبه غضباً لله عز وجل ولكتابه العزيز ولرسوله ﷺ، ليكون تشديداً على من ذهب إلى مذهبه، أو ثبت عليه سبب من أسبابه، ولما نفذ فيه أمر الله تعالى كتب الفقهاء كتاباً رفعوه لأمير المؤمنين يشكرونه على موافقته على فتوى الفقهاء بسفك دم هذا الزنديق، ويذكرون له فيه ما أظهره الناس من السرور والفرح بما أمر به في الملحد من استئصاله وقطع شأفته، حيث كانوا يتلاقون بالتهاني بما أطلعهم الله عز وجل من باطن أمير المؤمنين في الغضب لله عز وجل ولكتابه العزيز ولرسوله ﷺ وللسلف الصالح من صحابته ﷺ ولشدته وبطشه وعزيمته في الانتقام ممن طعن في الدين إلى غير ذلك مما قدموه من فروض الطاعة وآيات الولاء، فجاوبهم الأمير بكتاب نوه فيه بجهود العلماء في كشف المنحرفين

(١) (ص ٢٣٦).

والمبتدعة والزنادقة، وطمأنهم أنه ماض على تلك السياسة مع كل منحرف عن منهج أهل السنة قال : «وقد بلغني أن جماعة على مذهبه، وأمرت الحكام بالتشديد عليهم وإخافتهم»(١)، فهذه القضية توضح مدى اهتمام الدولة الأموية في الأندلس بتتبع الزنادقة والشيعة لقطع الطريق أمامهم ومدى تعاونها مع العلماء في ذلك.

## ٢ ـ مقاومة علماء المغرب للتشيع:

بعد ما عرفنا موقف الدولة الأموية من الدعوة الشيعية، أنتقل للحديث عن العلماء ومواقفهم إزاء هذه الدعوة فأقول :

إن موقف العلماء كان أقوى وأشد من موقف الدولة، لأنهم كانوا يصدرون في مواقفهم من دافع ديني شرعي بحت، أما الدولة فكانت تصدر في كثير من مواقفها من منطلقات سياسية، وقد أخذت مقاومة علماء المغرب للتشيع أشكالاً متعددة وأنماطاً مختلفة، فمرة تكون المقاومة في شكل اعتزال لكل ما هو شيعي وكل ما له صلة بالتشيع، ومرة كانت تأخذ شكل الجدال، فتقع بين أهل السنة وبين الشيعة معارك جدلية عنيفة يقودها جماعة من الفريقين، من أهل العلم والذكاء والشجاعة، وبلغت في بعض الأحيان إلى أن تأخذ شكل المقاومة المسلحة، يحمل فيها علماء السنة السلاح ويحضون العامة على ذلك لمقاومة هذه البدعة، ولا نستغرب ذلك إذا عرفنا السبب الحقيقي لهذه المقاومة، الذي كان يتمثل في سلوك الشيعة المخالف للإسلام، فقد كان القتل والتعذيب من أبرز سمات حكم العبيديين، ومقاومة كل ما هو سني، بالإضافة إلى الإباحية(٢) والشذوذ وغير ذلك من المخالفات التي وقعوا فيها، وتارة تكون المقاومة بأساليب أخرى يأتي الحديث عنها.

---

(١) قضية أبي الخير الإشبيلي الشيعي، لخصتها من نص ورد في كتاب «الإعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير العلماء والحكام لابن سهيل» الذي نشره فرحات الدشراوي ضمن سلسة من (نصوص ودراسات إفريقية والمغرب) نشره في مجلة حوليات الجامعة التونسية الجزء الأول من سنة ١٩٦٤م (ص ٦١ ـ ٦٨) والمجلة يوجد منها أعداد بقسم الدوريات بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى.، بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
وانظر أيضاً : المعيار المعرب، والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٥).

(٢) من مظاهر انحلال العبيديين وإباحتهم للمحرمات ما ذكره ابن عذارى في (البيان المغرب) (١/ ١٨٥) من "أن عبيد الله الشيعي وجه سنة ٢٠٩ هـ دعاته إلى الأطراف ليظهروا بها تحليل المحرمات، وكان =

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الثالث
## الجوانب التي وقع فيها الانحراف

في هذا المبحث أحاول أن ألخص مظاهر انحراف الشيعة العبيديين، والتي أدت إلى قيام علماء المغرب عليهم فضلاً عن الانحراف العقدي الذي كان السبب الأول في هذه المقاومة فيما يلي:

١ ـ إبطال بعض السنن المتواترة والمشهورة والزيادة في بعضها، كما فعلوا في زيادة "حي على خير العمل" في الأذان، وإسقاط صلاة التراويح(١) بعد أن تُرِكَ الناس يصلونها عاماً واحداً، ولهذا ترك أكثر الناس الصلاة في المساجد.

ويا ويح من يسقط عبارة "حي على خير العمل" من الأذان، من ذلك ما روي أن عروس المؤذن (ت ٣١٧هـ)(٢) وكان مؤذناً في أحد المساجد، شهد عليه بعض الشيعة أنه لم يقل في أذانه "حي على خير العمل" فكان جزاؤه أن قطع لسانه ووضع بين عينيه وطيف به القيروان ثم قتل(٣)، إلا أن بعض العلماء فطن لكيد العبيديين وأغراضهم الخبيثة من وراء ذلك وهو إخلاء المساجد من المصلين، ودفعاً لهذه المفسدة أذنوا للمؤذنين أن يزيدوا "حي على خير العمل" لأن تركها يؤدي إلى مفاسد أعظم، ومن هؤلاء العلماء: أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدي الدباغ (ت ٣٥٩ هـ)(٤)

---

= منهم شبيب بن سليمان بجبل ونشريس، أمرهم أن يدخل الرجل على حليلة جاره فيطأها، وزوجها حاضر ينظر إليه، ثم يخرج فيبصق في وجهه ويصفع قفاه ويقول : تصبَّر. فإنْ صَبَرَ عُدَّ كامل الإيمان وسُمِّي من الصابرة، فقام عليهم الناس وقتلوا بعضهم، فكفوا".

(١) والسبب في إسقاطها ـ كما هو معلوم ـ اعتقادهم أن عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي ابتدعها، وهم لا يعترفون لا بعمر ولا بغير عمر من الصحابة ﷺ ولا يوقرونهم، بل يقولون فيهم أقبح الأقاويل، ولست أدري: لو كان علي ﷺ هو الذي جمع الناس على صلاة التراويح، هل كانوا يوافقونه أم يخالفونه؟ الله أعلم.

(٢) مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/ ١٥٢) رقم: ١١١، معالم الإيمان (٣/ ٣) رقم: ١٨٢، طبقات الخشني (ص ٢٣٢)، البيان المغرب (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

(٣) انظر : المعالم (٣/ ٣) البيان المغرب (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣) .

(٤) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ، كان من أهل العلم والورع والتعبد والصيانة والإخبات، ثقة حسن التقييد، إماماً في الحديث والفقه. توفي سنة ٣٥٩ هـ. مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٨) .

الذي كان من أهل الورع والعبادة والخشوع ، فقد فطن لغرض العبيديين ، فكان أن قال للمؤذنين: «أذنوا على السنة في أنفسكم فإذا فرغتم فقولوا: "حي على خير العمل"، فإنما أراد بنو عبيد إخلاء المساجد، لَفِعلُكم هذا ـ وأنتم معذورون ـ خير من إخلاء المساجد»[١].

٢ ـ غلو بعض دعاتهم في المهدي حتى أنزله منزلة الإله وأنه يعلم الغيب، وأنه نبي مرسل، يقول بدر الدين بن قاضي شهبة[٢]: «وكان له (أي المهدي) دعاة بالمغرب يدعون الناس إليه، وإلى طاعته، ويأخذون عليهم العهود ويلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم، فمنهم من يلقون إليه أن المهدي ابن رسول الله وحجة الله على خلقه، ومنهم من يلقون إليه أنه الله الخالق الرازق»[٣].

أما زعمهم بأنه إله فيظهر من أفعال دعاته وأقوالهم وأشعارهم؛ فقد كان هناك رجل يدعى أحمد البلوي النحاس[٤] «يصلي إلى رقادة أيام كون عبيد الله بها، وهي منه إلى المغرب فلما انتقل إلى المهدية وهي منه إلى الشرق صلى إليها"[٥] باعتبار أنها مثل مكة المكرمة ـ شرفها الله ـ وهذا الاعتقاد كان سائداً عند كثير من الناس يومها، فهذا أحد شعراء بني عبيد يقول في المهدية بعد انتقال المهدي إليها[٦]:

ليهنك أيها الملك الهمام ... قدوم فيه للدهر ابتسام
لقد عظمت بأرض الغرب دار ... بها الصلوات تقبل والصيام
هي المهدية الحرم الموقى ... كما بتهامة البلد الحرام

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٦).

(٢) هو: أبو الفضل بدر الدين محمد بن أحمد الأسدي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي شهبة، فقيه مؤرخ، من آثاره: الكوكب الذرية في السيرة النورية، كفاية المحتاج إلى توجيه المنهاج. توفي سنة ٨٧٤ هـ.
مصادر ترجمته: معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٢)، كشف الظنون (ص ١٥٢١ ـ ١٥٢٢)، إيضاح المكنون (١/ ١٦٩) (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٨٥)، الضوء اللامع (٧/ ١٥٥ ـ ١٥٦) رقم: ٣٨٦.

(٣) الكواكب الدرية في السيرة النورية (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) بتحقيق الدكتور: محمد زايد، دار الكتاب الجديد بيروت١٩٧١م.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) انظر البيان المغرب (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٦) البيان المغرب (١/ ٢٢١).

كأن مقام إبراهيم فيه ثرى قدميك إن عدم المقام
وإن لثم الحجيج الركن أضحى لنا بعراص قصركم التثام
لك الدنيا ونسلك حيث كنتم فكلكم لها أبداً إمام

ومن الشعر أيضاً في تأليهه ما مدحه به محمد البديل[١] حيث يقول :

حل برقادة[٢] المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصفى حل بها الكبش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح[٣]

(١) انظر عنه : حوليات الجامعة التونسية، من مقال لمحمد البعلاوي، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية (١٠/ ١٦٥)

(٢) رقادة : بلد بتونس بينها وبين القيروان أربعة أيام أكثرها بساتين ، بناها إبراهيم بن الأغلب، وبنى بها قصوراً عجيبة، وانتقل إليها ولا زالت دار ملك بني الأغلب حتى غلب عليها الشيعة فتركوها وسكنوا المهدية بعد ما بنوها .
انظر عنها : معجم البلدان (٣/ ٥٥ ـ ٥٦)، الروض المعطار (ص٢٧١).

(٣) البيان المغرب (١/ ١٦٠)
وقد استمر هذا التأليه حتى بعد ترك الفاطميين المغرب وذهابهم إلى مصر، ولابن هاني شاعر المعز الفاطمي أشعار في مدحه هي الكفر بعينه، من ذلك قوله فيه :

وعلمت من مكنون علم الله ما لم يؤت جبريلاً وميكائيلاً
لله فيك سريرة لو أعلنت أحيا بذكرك قاتل مقتولاً
لولا حجاب دون علمك حاجز وجدوا إلى علم الغيوب سبيلاً

وقوله أيضاً :

والنور أنت وكل نور ظلمة والفوق أنت وكل فوق دون
لو كان رأيك شائعاً في الأمة علمت بما سيكون قبل يكون

وقوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

وقوله أيضاً :

ولك الجواري المنشئات مواخراً تجري بأمرك والرياح رخاء

انظر مقال : مع ابن هانئ والقاضي النعمان، مقال بقلم أحمد خالد مجلة الفكر التونسية (سنة ٢١ ، عدد ٧، أبريل ١٩٧٦م ص ٢٩) وانظر حسن المحاضرة (١/ ٥٩٩). =

وأما زعمهم أنه كان يعلم الغيب فيظهر من أيمان بعضهم حيث كان إذا أقسم يقول: "وحق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي برقادة"[١]، وقد سخر بعض أحداث القيروان من تلك الدعاوي، وكتب هذين البيتين إلى المهدي وأرسلهما إليه في بطاقة يقول فيها:

الجور قد رضينا لا الكفر والحماقة

يا مدعي الغيوب من كاتب البطاقة

٣ ـ التسلط والجور وإعدام كل من يخالف مذهبهم، هذا بالإضافة إلى كل ما ذكرناه آنفاً على لسان القاضي عياض من طعنهم في الصحابة وتعليق رؤوس الأكباش الدالة ـ في زعمهم ـ على أسماء الصحابة وغير ذلك من الأفعال القبيحة والشنيعة التي كانوا يقومون بها.

٤ ـ منعوا الفتاوى بمذهب مالك وقصروها على مذهب أهل البيت، فبقي من يتفقه لمالك إنما يتفقه خفية[٢]، كما منعوا تعليم أصول الشريعة على مذهب أهل السنة، ومنعوا شيوخ القيروان من إلقاء دروسهم في جامع عقبة، اللهم إلا دروس اللغة العربية وما ليس له صلة بالعقائد، الأمر الذي جعل شيوخ القيروان يركنون إلى إقراء تلاميذهم تلك العلوم في بيوتهم ودكاكين حرفهم.

يقول الدباغ: «كان ربيع القطان (ت ٣٣٣هـ) ملتزماً الإقراء في الحانوت الذي يبيع فيه القطن، وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة أو من يسأله ويستفتيه»[٣].

٥ ـ فرض المهدي على الخطباء أن يدعوا له على المنابر بهذا الدعاء: فبعد الصلاة على النبي ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي وعلى فاطمة والحسن والحسين ﷺ وعلى الأئمة من أولادهم بعد هذا أمرهم أن يقولوا: «اللهم صل على عبدك وخليفتك العالم

---

= قال السيوطي "وابن هانئ هذا كفّره غير واحد من العلماء، منهم القاضي عياض في الشفا لمبالغته في مدائحه.

وانظر عن ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣١ ـ ١٣٢) رقم: ٨٨، وكذلك مصادر ترجمته في الهامش، وانظر عنه وعن أشعاره أعمال الأعلام (القسم الثالث) ص ٥٥ ـ ٥٧، وانظر أيضاً: ديوان ابن هانئ الأندلسي طبعة دار بيروت (١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م).

(١) ابن عذارى البيان المغرب (١/ ٢٢١)

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١٦)

(٣) معالم الإيمان (٣/ ٣٠)

بأمر عبادك في بلادك، أبي محمد عبيد الله الإمام المهدي بالله، أمير المؤمنين كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون، اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعماداً، ولبريتك موكلاً وملاذاً، فانصره على أعدائك المارقين، وافتح له مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته وأيدته على العصاة الضالين، إنك أنت الحق المبين»(١).

وكرد فعل على هذا السلوك وهذه الأعمال المنافية لعقائد الإسلام وأخلاقه، نجد مواقف علماء المغرب متباينة، فمنهم من ترك البلاد خوفاً أن يفتن في دينه، ومنهم من قاوم وصبر وتحدى، ومن هذا الصنف ذهب جمع كبير إلى ربهم شهداء.

ومنهم من أقام بينهم يداريهم ويداهنهم طمعاً في عطاياهم ومناصبهم التي كانوا يغدقون وينعمون بها على من يواليهم، ولكن هذا الصنف من الناس ـ وإن كان أمن مكر العبيديين ـ فإنه أصبح منبوذاً من قبل علماء السنة.

والذي ينبغي الإشارة إليه هو أن علماء المغرب ـ وسداً للذريعة ـ أفتوا بكفر من يعتنق مذهب العبيديين ولو مكرهاً وكان قلبه مطمئناً للإيمان، فقد جاء في "معالم الإيمان"(٢) فتوى فيمن دخل مذهب العبيديين بإكراه هل يكفر بذلك أم لا؟ فأجاب الشيوخ أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني وأبو القاسم بن شبلون(٣) و أبو الحسن القابسي وغيرهم :

«لا يعذر أحد في ذلك، لأنه أقام بعد علمه بكفرهم، وكفرهم ارتداد وزندقة بخلاف غيرهم».

ولما حمل أهل طرابلس لبني عبيد أظهروا أن يدخلوا في دينهم عند الإكراه ثم ردوا من الطريق سالمين فقال ابن أبي زيد القيرواني : «هم كفار لاعتقادهم ذلك»(٤).

---

(١) انظر : أعمال الأعلام (القسم الثالث ص ٥١) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي، والأستاذ محمد إبراهيم الكتامي ، نشر وتوزيع : دار الكتاب الدار البيضاء سنة ١٩٦٤م. وانظر : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب لإدريس عماد الدين (ص ١٧٠ ـ ١٧١).

(٢) (٢/ ٢٦٥) .

(٣) هو: أبو القاسم عبد الخالق بن خلف بن سعيد بن شبلون القيرواني العالم الجليل الإمام الفقيه الفاضل، كان يعتمد عليه في الفتوى بالقيروان بعد ابن أبي زيد القيرواني، ألف كتاب المقصد، وكان يفتي في اللازمة بطلقة واحدة، توفي سنة ٣٩١هـ. مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٧)، شجرة النور الزكية (١/ ٩٨) رقم: ٢٢٧، الديباج المذهب (٢/ ٢٢) رقم: ١.

(٤) معالم الإيمان (٢/ ٢٦٥).

وقد تعقب صاحب المعالم[١] هذه الفنوى بقوله: «الأقرب أنهم ليسوا بكفار، وإنما صرح أبو محمد بما ذكر مبالغة لتنفير العامة، لأن المطلوب سد هذا الباب وأما فيما بينهم وبين الله فما قلناه، والله أعلم».

وهذا الذي قاله صاحب المعالم هو الحق الذي دل عليه القرآن، فقد قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]، وسبب نزول هذه الآية ـ كما ذكر المفسرون[٢] ـ أن المشركين أخذوا عمار بن ياسر رضي الله عنه فعذبوه حتى قاربهم (أي: وافقهم) في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: **«كيف تجد قلبك»**؟، قال: مطمئناً بالإيمان، قال ﷺ: **«إن عادوا فعد»**، فكانت رخصة في مثل هذه الحال[٣].

من هنا جاءت مواقف العلماء متباينة، فمن خاف أن يفتن في دينه هرب وتحول إلى بلد آخر، ولكن عدد الذين هربوا وتركوا البلاد كان قليلاً إذا قورن بالذين أقاموا وجاهدوا وصبروا، ولو كان العدد كبيراً لأثر ذلك على المواجهة، لذلك يقول صاحب المعالم[٤] مُشيداً بمشيخة القيروان: «وجزى الله مشيخة القيروان خيراً، هذا يموت وهذا يضرب وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون، ولو فرّوا لكفرت العامة دفعة واحدة رحمهم الله ورضي عنهم».

---

(١) (٢/ ٢٦٥).

(٢) انظر ابن كثير (٤/ ٥٦٥) حيث يقول: " ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاءً لمهجته " وقد أخرج قصته ابن سعد (٣٣/ ١/ ١٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٠)، و الطبري في تفسيره (١٤/ ١٢٨)، والحاكم(٢/ ٣٥١) وصححها ووافقه الذهبي.
قال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥٠٥): واتفقوا أنها نزلت فيه هذه الآية.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو الرقي عن عبد الكريم بن مالك الجوزي عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تُرِكت حتى نلت منك و ذكرت آلهتهم بخير، قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالايمان، قال: " إن عادوا فعد" وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه و أقره الذهبي، وذكره ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢٧٨) وقال: هو مرسل ورجاله ثقات وذكره من عدة طرق مرسلة وقال: و هذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً.

(٤) (٢/ ٢٩٢).

**النوع الأول : العلماء الذين هربوا بدينهم :**

ومن هؤلاء الذين تركوا البلاد هرباً بدينهم: أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي (ت ٣١٣هـ)[١] فقد انتقل من القيروان إلى سوسة حيث استوطنها، ومنهم: أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس السوسي (ت ٣٣١ هـ)[٢]، وكذا أبو محمد عبد الله التاهرتي (ت ٣١٣هـ )[٣]، وأبو محمد يونس بن محمد الورداني (ت ٢٩٩هـ)[٤] الذي كان يتستر وراء رعي البقر في برية القيروان حتى مات، وكان قد خير أهله بين ترك إفريقية (تونس) والفرار بدينه من فتنتهم فلا يرونه أبداً، وبين أن يتركوه يرعى البقر فقالوا له : "إن ما ذكرت يشق علينا فكونك معنا نرى وجهك أحب إلينا من هروبك وانقطاع خبرك عنا"، فأقبل على رعي البقر، فكان إذا أصبح أخذ مصحفه وأخذ عصاه وساق البقر بين يديه، وأبعد بهما عن العمارة، وأقبل على قراءة القرآن النهار أجمع، فإذا أمسى واختلط الظلام أقبل بالبقر إلى منزله فكان هذا دأبه حتى لقي ربه[٥].

ومن الذين خرجوا من ديارهم فارين بدينهم: ابن الخزاز المليلي (ت ٣٣٠هـ)[٦] الذي كان قاضياً بمليلة، وهرب إلى قرطبة سنة ٣٢٥ هـ خشية من جنود الشيعة، وكان

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي ، كان عابداً زاهداً ألف عدة كتب بخطه ، توفي سنة ٣١٣ هـ . مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ١٨١ ـ ١٨٦) رقم : ٢٠١ ، طبقات الخشني (ص ١٦٨) ، البيان المغرب (١/ ١٩٠).

(٢) هو أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس السوسي ، كان صالحاً، وكان من الخاشعين العاملين المجتهدين ، توفي سنة ٣٣١ هـ
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) رقم : ٢٢٣ ، ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٣ـ ٣٥٤).

(٣) هو: محمد أبو عبد الله التاهرتي ، نسبة إلى تاهرت ( من مدن الجزائر اليوم ) كان فاضلاً عابداً سكن مدينة سوسة يحرس فيها المسلمين . توفي سنة ٣١٣ هـ .
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ١٨٥) رقم ٢٠٨ .

(٤) مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ٤٥ ـ ٤٦) رقم: ١٧٦ ، الحلل السندسية ( ١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).

(٥) انظر : رياض النفوس (٢/ ٤٦)

(٦) هو : أبو جعفر أحمد بن الفتح المليلي و يعرف بابن الخزاز ، كان عظيم القدر جليلاً ،وكان آية في الرواية و الشعر وحفظ الأخبار. توفي رحمه الله سنة ٣٣٠ هـ . مصادر ترجمته :ابن الفرضي (ص٦١).

فقيهاً شاعراً فأجاره الناصر(١) وسجل له قضاء ناحيته(٢).

ومنهم أيضاً: أحمد بن نصر الداودي الأسدي (ت ٤٠٢هـ)(٣) فقد كان ينكر الإقامة في مملكة بني عبيد باعتبارهم كفاراً(٤)، وقد أنكر عليه علماء المغرب ذلك، لأنهم كانوا يرون في مكوثهم بين ظهراني الشيعة تثبيتاً للعامة(٥).

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن نظيف البزاز الفقيه (ت ٣٥٥هـ)(٦) الذي خرج إلى المشرق لما ظهر سب السلف بالمغرب عند اشتداد أمر بني عبيد.

**النوع الثاني :العلماء الذين صبروا وجاهدوا:**

ومن العلماء من آثر مقاومة الشيعة والموت في سبيل الله على الهرب، ومن هذا الصنف من العلماء ذهب عدد كبير إلى ربهم شهداء، على يد عبيد الله وبنيه، يقول أبو الحسن القابسي: «إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر في العذاب من عالم وعابد، ليردهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت»، يقول سهل الشاعر:

وأحل دار النحر في أغلاله ... من كان ذا تقوى وذا صلوات(٧)

---

(١) هو: الأمير عبد الرحمن الناصر أمير الأندلس ، بويع بالإمرة سنة ٣٠٠ هـ بعد وفاة والده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، و كان عمره آنذاك ثلاثاً و عشرين سنة ، وكان قد درس القرآن و السنة وهو طفل لم يتجاوز العاشرة، وبرع في النحو و الشعر والتاريخ ومهر في فنون الحرب والفروسية دامت دولته خمسين سنة ، توفي سنة ٣٥٠ هـ و له اثنان وسبعون عاماً .

(٢) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ص ٢١)

(٣) هو : أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة (كلاهما من أرض الجزائر اليوم ) كان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً ، له مصنفات جيدة منها : «الواعي في الفقه» و«النصيحة في شرح البخاري» و «القاضي في شرح الموطأ» ، وغيرها ، توفي سنة ٤٠٢هـ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٤/ ٦٢٣).

(٤) انظر مصادر ترجمته.

(٥) نفس المصدر .

(٦) كان من الفقهاء البارعين و الأئمة المعدودين ، وكانت له هيبة عظيمة لم تكن لأحد من أهل وقته، تخلى عن الدنيا وانقطع إلى الله عز وجل ، اشتهر بالحفظ والفهم والفقه والدين والورع، توفي رحمه الله سنة ٣٥٥هـ .
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) رقم : ٢٦٩ ،المدارك (٢/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(٧) انظر : معالم الإيمان (٣/ ٣٤) ،سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٤٥).

وكان الذي تولى مهمة تعذيب العلماء المعارضين للدولة العبيدية وتقتيلهم: محمد بن عمر المروذي الذي كان معتقداً لمذهب الشيعة معروفاً بذلك، فلما دخل الشيعي بادر إليه ودخل في دعوته ولزمه، فولاه قضاء إفريقية وتصلب وتكبر وتجبر، وكانت أيامه صعبة جداً وأخاف أهل السنة، وعذب العلماء وقتلهم وأخذ أموال الأحباس و الحصون.

ولكن الله تعالى انتقم منه وقتله على يد من كان يخدمهم ويتقرب إليهم، قال الخشني: «تطاول على رجال صالحين فضربهم وحبسهم ولما تمادى في التنكيل بالعلماء كثر منه التشكي إلى المهدي فعزله، وعذبه ثم قتله»[١].

من هؤلاء الذين قتلهم الشيعة بسبب مواقفهم الصلبة، نذكر ابن البردون (ت ٢٩٩هـ)[٢]، وابن الهذيل الفقيه (ت ٢٩٩هـ)[٣] فقد قتلا معاً، وكان السبب في قتلهما أن الإمام ابن البردون كان يقول: «كان علي بن أبي طالب ﷺ يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب[٤] ﷺ، ويعينه في أموره، فلو لم يكن عنده إمام هدى مستحقاً للتقدمة

(١) انظر : طبقات الخشني (ص ٢٣٩) ، وانظر عن خبر قتله معالم الإيمان (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢).

(٢) هو: الإمام الشهيد المفتي أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن البردون الإفريقي، كان من كبار العلماء ، وكان بارعاً في العلم يذهب مذهب النظر . سمع من ابن مسكين ويحيى بن عمر وجماعة ،قتله الشيعة سنة ٢٩٩ هـ.
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٥) رقم : ١٥٠ ،سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١٥ ـ ٢١٧) رقم: ١١٨ ، الديباج المذهب (١/ ٢٦٦/ ٢٦٥) رقم: ٩ .

(٣) هو: أبو بكر بن الهذيل الفقيه ، سمع عيسى بن مسكين ويحيى بن عمر وجبلة بن حمود وغيرهم ، كان فقيهاً زاهداً صالحاً متقشفاً ، وكان عيشه من غزل امرأته ، قتله الشيعة مع ابن البردون سنة ٢٩٩ هـ .
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، رياض النفوس (٢/ ٤٨ ـ ٥١) ، أعلام المغرب (١/ ٢٢٥).

(٤) وكذلك بين يدي عثمان ﷺ كما أخرج ذلك البخاري في كتاب مناقب الأنصار ( باب هجرة الحبشة ) وفي فضائل الصحابة (باب مناقب عثمان ﷺ ) من حديث عبيد الله بن عدي ابن الخيار أنه كلم عثمان في شأن الوليد بن عقبة حينما شرب الخمر وصلى الفجر بالناس أربعاً فقال عثمان ﷺ: "أما من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله، ثم دعا علياً ﷺ فأمره أن يجلده فجلده ".
انظر : الفتح (٧/ ٨٧) رقم الحديث: ٣٨٧٢ ،و(٧/ ٥٣) رقم: ٣٦٩٦ .

مافعل»، فبلغ قوله أبا العباس الشيعي[١] فقال: «كان يوسف الصديق عليه السلام من أعوان العزيز بمصر يعينه في أموره، فما كان فيه نقص ليوسف ولا زيادة في مقدار العزيز»[٢].

وكان الإمام ابن الهذيل يروج قول ابن البردون وينشره في الناس، فأرسل عبيد الله الشيعي من يأتيه بهما، فلما أدخلا عليه وجداه على سرير ملكه جالساً، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي، وأبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه، قال لهما أبو عبد الله وأبو العباس: «نشهد أنّ هذا رسول الله ـ وأشارا إلى عبيد الله الشيعي ـ، فرد عليهما ابن البردون وابن الهذيل بلفظ واحد: والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان: نشهد إنه رسول الله، ما قلنا: إنه رسول الله»[٣]، فأمر عبيد الله عند ذلك بقتلهما وأمر بربطهما إلى أذناب البغال، وقيل: إن ابن البردون لما جرد للقتل، قال له قاتله: أترجع عن مذهبك؟ فقال: أعن الإسلام تستتيبني»[٤].

ومن هذا الصنف من العلماء ـ أيضاً ـ: أبو جعفر المعافري (ت ٣٠١هـ)[٥] الذي أمر

---

(١) هو: أبو العباس المخطوم، أخو أبي عبد الله الشيعي داعية بني عبيد ومؤسس دولتهم بإفريقية، اسمه محمد بن أحمد، ولكنه لايعرف إلا بكنيته، دخل المغرب صحبة عبيد الله المهدي عام ٢٨٩هـ، فسجنه الأغالبة وبقي سجيناً حتى سرحه أخوه أبو عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦هـ، ولما تولى عبيد الله المهدي أنعم على الأخوين ورفع منزلتهما على منازل الناس، ولكنها حظوة لم تطل إذ سرعان ما انقلب عليهما وأمر بقتلهما لما بلغه خبر كيدهما له وعزمهما على خلعه وقتله، وكان ذلك سنة ٢٩٩هـ، وكان أبو العباس هذا ضعيف العقل عجولاً شديد البطش والفتك، وهو الذي أراد أن ينفي من القيروان جميع الفقهاء الذين يذهبون مذهب مالك، ولم يحل بينه وبين ما أراد إلا أخوه الذي كان أبعد منه نظراً.

مصادر ترجمته: العبر (٢/ ٨٠)، الحلة السيراء (١/ ١٩٤)، دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٥٢٩)، أعلام المغرب العربي (٢/ ٥٤)، وانظر أيضاً: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (ص١٨٠ ـ ١٨٧).

(٢) معالم الإيمان (٢/ ٢٦٢).

(٣) معالم الإيمان (٢/ ٢٦٤).

(٤) معالم الإيمان (٢/ ٢٦٤).

(٥) هو: أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون الأندلسي المنشأ والدار، القيرواني القرار، رحل إلى العراق فسمع ببغداد من محمد بن مضر صاحب ابن معين وغيره، ودخل القيروان بقراءة نافع فعلمها أهل القيروان، وكان الغالب عليهم قراءة حمزة، كما أنه كان أول من أدخل مذهب داود الظاهري إلى القيروان، وبنى بالقيروان مسجداً يدعى بمسجد "ثلاث بيبان". توفي سنة ٣٠١ هـ. =

عبيد الله المهدي بقتله، فطرح على الأرض ورفسه السودان بأرجلهم حتى قتلوه، وكان السبب في قتله انحرافه عن العبيديين[١].

وممن قتل على أيديهم بسبب مواقفه الجريئة: الزاهد الشذوني (ت٣٠٩هـ)[٢] الذي أمر عبيد الله المهدي بقتله، وذلك لتفضيله بعض الصحابة على علي رضي الله عنه.

ومنهم أيضاً: عروس المؤذن الذي ذكرت قصته من قبل، وممن امتحن على أيديهم أيضا أبو القاسم الطرزي (ت٣١٧هـ)[٣] فقد ضرب بالسياط عند الجامع نكاية في أهل السنة وبغضاً لهم وعداوة لعلماء المسلمين[٤].

ومنهم الإمام: أبو بكر اللباد (ت٣٣٣هـ)[٥] الذي سجنوه، ثم أطلقوه ومنعوه من الفتوى ولكنه لم يثنه منعهم عن أداء رسالته التعليمية فكان يقوم بذلك سراً، وكان ابن أبي زيد القيرواني وابن التبان «يأتيان إليه خفية، وربما جعلا الكتاب في أوساطهما حتى تبتل بأعراقهما خوفاً من بني عبيد أن ينالوهما بمكروه»[٦]، واستمر على هذه الطريقة حتى

---

= مصادر ترجمته: البيان المغرب (١/ ١٦٩)، جذوة المقتبس (ص٥٤) رقم: ٤٦، معالم الإيمان (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٢) رقم: ١٥٦، تراجم المؤلفين التونسيين (٢/ ٢٦٤).

(١) معالم الإيمان (٢/ ٢٨٨).

(٢) ابن عذارى (١/ ٢٦٥) (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٣) هو: أبو القاسم محمد بن محمد بن خالد القيسي، المعروف بالطرزي، القاضي الزاهد، سمع كثيراً، وكان شديد الضبط مغيراً للمنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، توفي سنة ٣١٧ هـ في شهر رمضان. مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٣/ ٩ ـ ١١) رقم: ١٨٤.

(٤) انظر: المعالم (٣/ ١١).

(٥) هو: أبو بكر محمد بن محمد اللباد الفقيه، سمع من يحيى بن عمر، وابن طالب القاضي وحماس بن مروان وغيرهم، كان رحمه الله فقيهاً فاضلاً جليل القدر عالماً صالحاً إماماً في الدين كثير البكاء والخشية، توفي سنة ٣٣٣ هـ.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٣/ ٢١ ـ ٢٧) رقم: ١٩١، رياض النفوس: (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٩٢) رقم: ٢٢٧، طبقات الخشني (ص ٢٣٢).

(٦) معالم الإيمان (٣/ ٢٩ ـ ٣٠) وممن كان يعلم سراً فنفع الله به محمد بن الفتح المرجي، وهو ممن عزم الخروج لقتال بني عبيد، ولكنه لم يفعل لضعفه وكبر سنه " وكان يخرج إلى المقبرة فيستتر بحائط يقرأ على أصحابه هناك للخوف من بني عبيد، لأنهم منعوا من بث العلم وسجنوا العلماء في دورهم.

توفي رحمه الله، وقد رثاه ابن أبي زيد بقصيدة طويلة منها قوله فيها :

يا طول شوقي إلى من غاب منظره وذكره في جوى الأحشاء قد سكنا
لهفي على ميت ماتت به سبل قد كان أحيا رسوم الدين والسننا
كم محنة طرقته في الإله فلم يحزن لذلك إذ في ربه امتحنا(١)

ومنهم أيضاً : أبو العباس بن السندي (ت٣٢٠هـ)(٢) فقد كان ممن ضربه الشيعي وعذبه وأخذ نعمته(٣).

ومنهم الإمام: إبراهيم بن عبد الله الزبيري (ت٣٥٩هـ)(٤) فقد امتحن على يد أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي(٥)، حيث ضربه سبعمئة سوط وحبسه أربعة أشهر وذلك لتأليفه: "كتاب الإمامة"، و"كتاب الرد على الرافضة"(٦). ومنهم: حكم بن محمد بن

---

(١) معالم الإيمان (٢/ ٢٧) ومنها أيضاً:

حتى استنار به الإسلام في بلد لولاه مات به الإسلام واندفنا
الفقه جلته والعلم حليته والدين زينته والله شاهدنا
أب لأصغرنا كهف لأكبرنا وفي النوازل ملجأنا ومفزعنا

(٢) هو : أبو العباس بن السندي ، كان مذهبه مذهب الشافعي ، توفى سنة ٣٢٠هـ وقيل قبل ذلك.
مصادر ترجمته : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية لأبي عبد الله محمد بن حارث الحشني تحقيق عزت العطار الحسيني (ص٢٨٣).

(٣) نفس المصدر، والمقصود بالنعمة : المال .

(٤) هو: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري ، المعروف بالقلانسي القيرواني ،سمع من حماس بن مروان ومحمد بن عبادة السوسي وغيرهما ، توفي رحمه الله سنة ٣٥٩ هـ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٤/ ٥٢٤) ،شجرة النور الزكية (ص ٩٤) رقم: ٢١٦ ، تراجم المؤلفين التونسيين (٢/ ٤١١ ـ ٤١٢) .

(٥) هو: أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي بويع بولاية إفريقية يوم مات أبوه سنة ٣٢٢هـ وتلقب بالقائم بأمر الله ، وتوفي يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة ٣٣٤هـ ، فكانت دولته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر وعمره خمس وخمسون سنة .
انظر عنه : البيان المغرب (١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) ،وانظر : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (ص٢٤٥) و ما بعدها ، والمؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار تحقيق محمد شمام (ص٥٧ ـ ٦١) .

(٦) تراجم المؤلفين التونسيين (٢/ ٤١٢) .

هشام المقرئ (ت ٣٧٠هـ)[(١)] فقد صلبه هو الآخر أبو عبد الله الشيعي من أجل صلابة كانت فيه، وإنكار شديد على أهل البدع.

ومنهم ـ أيضاً ـ: أبو علي بن خلدون (ت ٤٠٧هـ)[(٢)] فقد كان هو الآخر شديداً على أهل البدع سيما الروافض منهم، يستند منه أهل السنة إلى ملجأ ووزر، فضجر منه الرافضة وحملهم ذلك على قتله[(٣)]، وقد رثاه عدد كبير من العلماء، منهم ابن الوراق الذي قال فيه:

مضرج بدم الإسلام مهجته ... من بين أحشاء دين الله تنتزع

ويقول فيه ابن جرمون:

جفوني إلا تَدرِي الدموع بأسحم ... ونفسي إلا تلتظي فتضرمي
فلا وجد إلا أن تفيضي من الأسى ... ولا دمع إلا أن يكون من الدم[(٤)]

وممن قتلهم عبيد الله الشيعي: أبو علي حسن بن مفرج الفقيه[(٥)] لتفضيله بعض الصحابة على علي رضي الله عنه[(٦)].

---

(١) هو: الإمام أبو القاسم حكم بن محمد بن هشام المقرئ، من أهل القيروان، قرأ القرآن بالقيروان على الهواري، ثم رحل إلى مصر وسمع بها، ثم حج ودخل العراق وسمع بها من جماعة من أصحاب القراءات، وقدم الأندلس في أول ولاية المستنصر رحمه الله، توفي ليلة الأحد ١١ ربيع الآخر سنة ٤٧٠هـ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ١٢١) رقم: ٣٧٧.

(٢) هو: أبو علي بن خلدون، من فقهاء إفريقية وعلمائها وصلحائها، نشأ بإفريقية، وكان جليل القدر مطاعاً، شديداً على أهل البدع و لا سيما الشيعة.
توفي رحمة الله عليه سنة ٤٠٧ هـ.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٦٢٤ ـ ٦٢٧).

(٣) انظر خبر موته في ترتيب المدارك (٢/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦).

(٤) انظر: ترتيب المدارك (٢/ ٦٢٦).

(٥) لم أعثر له على ترجمة.

(٦) انظر عنه البيان المغرب (١/ ١٨٧).

ومن امتحن على أيديهم أيضاً أحمد بن نصر[١]، وأحمد بن زياد (ت ٣٧٨هـ)[٢] وغير هؤلاء كثير ممن يطول ذكرهم.

هذه جملة من العلماء الذين رضوا بمقاومة تيار التشيع، وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس، فكانت عاقبتهم أنهم عذبوا وسجنوا، ومنهم من قتل تحت التعذيب وما نقموا منهم إلا أنهم رفضوا الكفر والارتداد عن دين الله الحق احتساباً عند الله تعالى.

**النوع الثالث: العلماء الذين رضوا بالعيش تحت حكم بني عبيد:**

ومن العلماء من رضي بالواقع، وعمل بالمدارة والمداهنة من أجل العيش آمناً بين ظهراني الشيعة، وهؤلاء العلماء ـ كما قلت ـ وإن أمنوا مكر الشيعة، فإنهم أصبحوا مهجورين من قبل علماء السنة، وهذا الصنف من العلماء سيأتي ذكره في المقاومة السلبية، وهي إحدى أنواع المقاومة التي سلكها علماء السنة في مقاومة التيار الشيعي.

(١) هو: أبو جعفر أحمد بن نصر، سمع من سحنون ومحمد بن عبدوس وغيرهما، كان عالماً متقدماً بأصول العلم حاذقاً بالمناظرة، وامتحن على يد الشيعة سنة ٣٠٨هـ فحبسوه، ثم أطلق، فلزم بيته حتى مات.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ١٥٩ ـ ١٦٠)،(٢٣١).

(٢) هو: أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد، صحب محمد بن عبدوس، وسمع من محمد بن يحيى بن سلام، ألف عدة كتب في أحكام القرآن وغيره من العلوم، وكان بليغاً بصيراً باللغة، وكان مذهبه النظر ولا يرى التقليد، قوي العارضة في المناظرة، توفي سنة ٣١٨هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ١٦٨ ـ ١٦٩)، (٢١٦)، (٢٣٠ ـ ٢٣١).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



## المبحث الرابع
## أساليب المقاومة السنية لبدعة التشيع

لقد سلك علماء السنة المغاربة في مقاومة التشيع أساليب عديدة، ذكرنا منها في معرض حديثنا المقاومة السلبية أي اعتزال كل ما هو شيعي وكل ما يمت إلى التشيع بصلة، وإلى دولتهم بسبب، والمقاومة الجدلية والمقاومة المسلحة، وكانت هناك أنواع أخرى من المقاومة مثل المقاومة عن طريق التأليف، والمقاومة عن طريق نظم الشعر، والمقاومة عن طريق مخالفة الشيعة في أعيادهم كيوم عاشوراء مثلاً، الذي يعتبره الشيعة على اختلافهم يومَ حزن، لأن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قتل فيه، فهو إلى يوم الناس هذا يوم حزن وبكاء ولطم للوجوه وتعذيب للنفس، وقد يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى قتل النفس فداء للحسين ﷺ، أما عندنا نحن ـ أهل السنة ـ فهو يوم له فضل، ولذلك أمرنا بصيامه(١)، فقد صامه النبي ﷺ وندب الناس إلى صيامه وقال: «**إنه يكفر السنة التي قبلها**».

وفيما يلي من البحث نتطرق للحديث عن وسائل المقاومة واحدةً واحدةً.

**الوسيلة الأولى: المقاومة السلبية:**

أولى الوسائل التي استعملها علماء المغرب السنة في مقاومة التيار الشيعي: الوسيلة السلبية، ونعني بها: المقاطعة الجماعية التي قاطع بها علماء المغرب كل ما له صلة بالتشيع أو بالحكم القائم، وتمثلت تلك المقاطعة في مقاطعة قضاة الدولة وعمالها، ورفض من استطاع منهم دفع الضرائب لها(٢).

---

(١) روى البخاري في كتاب الصوم (باب: الصيام يوم عاشوراء) من حديث بن عباس ﷺ أنه قال: «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: "ما هذا ؟"، قالوا: "هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: "**فأنا أحق بموسى منكم**"، فصامه و أمر بصيامه»، انظر الفتح: (٤/ ٢٤٤) رقم الحديث : ٢٠٠٣، وأخرجه في كتاب التفسير أيضاً في سورة يونس، الفتح (٨/ ٣٤٨) رقم الحديث: ٤٦٨٠، وهو عند مسلم في كتاب الصيام (باب صيام يوم عاشوراء) رقم: ١١٣، صحيح مسلم (٢/ ٧٩٥ ـ ٧٩٦)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام (باب صيام يوم عاشوراء) السنن (١/ ٥٥٢) رقم الحديث: ١٧٣٤.
وروي من حديث أبي موسى الأشعري عند مسلم في كتاب الصوم ولفظه: «كان يوم عاشوراء يوماً تعظمه اليهود وتتخذه عيداً، وقال رسول الله ﷺ: "**صوموه أنتم**"».

(٢) مقدمة حسين مؤنس على رياض النفوس (ص ١٧).

ومن العلماء من اختار العزلة والاختفاء عن أعين بني عبيد، وقد مر ذكر هذا الصنف من العلماء، ومن مظاهر هذه المقاومة مقاطعة حضور صلاة الجمعة التي كانت مناسبة للعن أصحاب رسول الله ﷺ على المنابر: «فتعطلت بذلك الجمعة دهراً بالقيروان»(١).

ومنهم من اكتفى بالدعاء عليهم كما كان يفعل الواعظ عبد الصمد(٢)، وكما كان يفعل أبو إسحاق السبائي الزاهد إذا رقى رقية، يقول بعد قراءة الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين: «وببغضي في عبيد الله وذريته، وحبي في نبيك وأصحابه وأهل بيته اشف كل من رقيته»(٣).

ومن مظاهر المقاومة السلبية أيضاً: مقاطعة كل من يسير في ركب السلطان واعتزاله وكل من كانت له صلة بهذا السلطان أو سعى إلى تبرير وجوده، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢].

فهذا خلف بن أبي القاسم البراذعي (ت نحو ٤٠٠هـ)(٤) قام عليه فقهاء القيروان بصلته بملوك بنى عبيد وقبوله هداياهم وتأليفه كتاباً في تصحيح نسبهم، وزادت النقمة عليه عندما وجدوا بخطه الثناء على بني عبيد متمثلاً ببيت الحطيئة:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

لذلك كله أفتى فقهاء القيروان بطرح كتبه وعدم قراءتها، وإزاء ذلك اضطر هو إلى الهجرة إلى الصقلية حيث حصلت له حظوة كبيرة عند أميرها(٥).

وهذا إبراهيم بن حسن بن إسحاق القيرواني (ت٤٤٣هـ) هو الآخر امتحن بسبب فتواه في تقسيم الشيعة إلى قسمين:

---

(١) انظر: البيان المغرب (١/ ٢٧٧)

(٢) معالم الإيمان (٣/ ٢٣٧).

(٣) معالم الإيمان (٣/ ٧١).

(٤) هو: أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي البراذعي، من كبار فقهاء المالكية بالقيروان، أخذ عن ابن أبي زيد القيرواني و القابسي وغيرهما توفي نحو سنة ٤٠٠ هـ.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٤/ ٧٠٨ ـ ٧٠٩)، تراجم المؤلفين التونسيين(١/ ١٠٢).

(٥) انظر مصادر ترجمته.

**أحدهما**: من يفضل علياً على غيره من الصحابة من غير سب لغيره فليس بكافر.

**ثانيهما**: من يفضله ويسب غيره فهو بمنزلة الكافر لا تحل مناكحته، وقد أنكر عليه هذه الفتوى فقهاء المغرب، وأرسلوا إليه أن يعاود النظر فيها ويرجع عنها فلم يفعل، وإن كان أظهر التوبة أمامهم.

والواقع أن فتواه صحيحة لا غبار عليها كما يقول القاضي عياض: «ولا امتراء عند كل منصف أن الحق ما قاله أبو إسحاق، وأنه جرى على العلم وطريق الحكم، ومع هذا فما نقصه هذا عند أهل التحقيق، ولاحط من منصبه عند أهل التوفيق، وإن رأي الجماعة في النازلة كان أسدّ»(١).

هكذا كان أسلوب علماء المغرب مع كل من سولت له نفسه التقرب من بني عبيد أو مداراتهم، ولو كانت تلك المداراة حقاً، وقد رأينا ـ قبل ـ كيف أنهم أفتوا بكفر من دخل في دين بني عبيد ولو ظاهراً.

**النوع الثاني [الوسيلة الثانية] من المقاومة: المقاومة الجدلية:**

لقد كانت المقاومة الجدلية هي أقوى وأوسع أنواع المقاومة التي قام بها علماء السنة المغاربة ضد الشيعة المنحرفين، وقد سطع في سماء هذه المساجلات العلمية والمناظرات العقدية عدد كبير من العلماء، كانوا لسان أهل السنة الناطق والذاب عن بيضة هذا الدين، وسأحاول في هذا المبحث أن أذكر أبرز الرجال الذين كانوا قائمين على هذا النوع من المقاومة.

---

(١) انظر ترتيب المدارك (٢/ ٧٦٧).

وهذا التقسيم هو الذي كان عليه علماء المغرب المالكية فقد جاء في المعيار المغرب (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) أن أهل البدع ينقسمون إلى قسمين:

قسم منهما كفر صراح لا خفاء فيه، كقول الرافضة ـ لعنهم الله ـ: إن علياً ﷺ إله دون الله، وقول صنف آخر منهم إن علياً نبي مبعوث، وأن جبريل عليه السلام غلط، ومنهم من يفضل علياً ويطعن في غيره من الصحابة.

أما النوع الثاني: فهو ضلال وزيغ عن الحق وعدول عن السنة والجماعة، لا يطلق عليه ولا على معتقده كافر، ومن هذا الصنف قول المختارية من الرافضة: إن علياً إمام، من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، ومن هذا الصنف من يفضل علياً على أبي بكر وعمر، ويطعن على عثمان بأنه غيَّر، فهذه ومثلها كلها بدع خارجة عن رأي جماعة المسلمين، ولا يمتري ذو حس في خفتها عن التي قبلها، ولا في كونها من غير جنسها" .

فمنهم ابن البردون (ت ٢٩٩هـ) الذي كان ـ كما ذكرت ـ قوي الحجة في الجدل، لم يكن في شبابه أحد أقوى على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على المخالفين منه.

ومنهم الإمام محمد الرقادي القيرواني (ت ٤١٦هـ) الذي كان ـ هو الآخر ـ من أئمة هذا الشأن، وكانت له في هذا الميدان مقامات مشهودة، ذب فيها عن مذهب أهل السنة.

وممن لمع نجمه أيضاً في سماء هذه المساجلات عبد الله بن التبان (ت٣٧١هـ)[١] فقد كان هذا الإمام العظيم من أشد الناس على بني عبيد وأكثرهم مقاومة لهم، ومن مواقفه المشهورة التي ذكرتها له المصادر التي ترجمت له، أنه كان يوماً في جمع من أصحابه وكان يوم عاشوراء، فلما «رأى جمع بني عبيد بكى، فقيل له: ما يبكيك؟، فقال: والله ما أخشى عليهم الذنوب، لأن مولاهم كريم، وإنما أخشى عليهم أن يشكوا في كفر بني عبيد فيدخلوا النار»[٢].

وقد اشتهر بسبب مناظرته لبني عبيد حتى ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار المختلفة، لعلمه بالذب عن مذهب أهل السنة، وقد حفظت لنا كتب التراجم بعضاً من هذه المناظرات، نذكر منها ما نقله صاحب المعالم[٣] أنهم سألوه مرة ـ أثناء مناظرة له معهم ـ: «أيما أفضل فاطمة أم عائشة ﵄؟ فقال: عائشة، وذلك لأمرين اثنين: الأمر الأول: أن عائشة إذا مات عنها زوجها فلا يجوز أن تتزوج غيره بعده أبداً، بينما فاطمة لها أن تتزوج عشرين بعده، الثاني: فلأنها مع النبي ﷺ في منزلته يوم القيامة، وفاطمة مع علي ﵄ في منزلته يوم القيامة، ودرجة النبي ﷺ أعلى من درجة علي ﵁»[٤].

---

(١) هو: أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن التبان، كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين، ضربت إليه أكباد الإبل من الأقطار لعلمه بالذب عن مذهب أهل السنة، برع في علوم منها علوم القرآن والفقه والنحو واللغة والطب، وكان مستجاب الدعوة، توفي رحمة الله عليه يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٧١ هـ.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/٥١٧ ـ ٥٢٤)، الديباج المذهب (١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢) رقم: ١٢، شجرة النور الزكية (١/ ٩٥ ـ ٩٦) رقم: ٢٢٥، معالم الإيمان (٢/ ٨٨ ـ ٩٦) رقم: ٢٢٦، تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤) رقم: ٦٤.

(٢) معالم الإيمان (٣/ ٩١).

(٣) نفس المصدر (٣/ ٩٣).

(٤) انظر: معالم الإيمان (٣/ ٩٣).

وكان هذا الإمام ـ فضلاً عن براعته في الجدل و المناورة ـ شجاعاً مقداماً لا يهاب الموت، من ذلك ما ذكره المالكي والدباغ من «أن عبد الله المعروف بالمحتال[(١)]، صاحب القيروان قد شدد في طلب العلماء، فاجتمعوا بدار ابن أبي زيد القيرواني، فقال لهم ابن تبان: أنا أمضي إليه، أبيع روحي لله دونكم، لأنه إن أتى عليكم وقع على الإسلام وهن عظيم»[(٢)] وفعلاً ذهب إليه وأقام عليه الحجة هو وجماعته الذين جاء بهم ليناظروه.

وبعد أن هزمهم في مجلس المناظرة، لم يخجلهم أن يعرضوا عليه أن يدخل في نحلتهم، ولكنه أبى وقال: شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنتين و سبعين فرقة يقال له هذا ؟ لو نشرتموني في اثنتين ما فارقت مذهبي[(٣)].

ولما خرج من عندهم بعد يأسهم منه تبعه أعوان الدولة الظالمة وسيوفهم مصلتة عليه ليخاف من يراه من الناس على تلك الحال، فإذا به وهو تحت الضغط يهدي الناس ويقدم لهم النصيحة، ويقول لهم دون خوف ولا وجل: «تشبثوا، ليس بينكم وبين الله إلا الإسلام، فإن فارقتموه هلكتم»[(٤)].

ومنهم الإمام: عمرو بن هارون الوارق (ت ٣٧٩هـ) فقد كان هو الآخر فارساً من

---

= ولكن هذا الكلام أو هذا الدليل إن كان يصدق على فاطمة ﵂ على خلاف بين العلماء في أيهما أفضل فإنه لا يصدق على الخلفاء الراشدين وبقية العشرة على الرغم من أنها أعلى منهم درجة منهم يوم القيامة ، وهو قول أهل السنة والجماعة، ولم يشذ غير ابن حزم رحمه الله تعالى حيث قدم نساء النبي ﷺ على جميع الصحابة حيث قال في الفصل (٤/ ٢٠٩) : «وسقط بالبرهان الواضح أن يكون أحد من الصحابة ﵁ خيراً من أبي بكر إلا أزواج النبي و نساؤه، ووضح لنا أننا لو قلنا: إنه إجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق».
وقد تعقبه ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع فتاويه (٤/ ٣٩٥) مفنداً هذه الشبهة بقوله : «و أما نساء النبي ﷺ فلم يقل: إنهن أفضل من العشرة إلا محمد بن حزم، وهو قول شاذ لم يسبقه إليه أحد، وحجته التي احتج بها فاسدة، فإنه احتج على ذلك بأن المرأة مع زوجها في الجنة، ودرجة النبي أعلى الدرجات فيكون أزواجه في درجته»، قال: «وهذا يوجب أن يكون أزواجه أفضل من الأنبياء جميعهم» اهـ .

(١) أحد عمال دولة بني عبيد .
(٢) معالم الإيمان (٣/ ١١٣).
(٣) معالم الإيمان (٣/ ١١٥).
(٤) معالم الإيمان (٣/ ١١٥)

فرسان هذا الميدان، ونجماً ساطعاً في سماء هذه المساجلات، وكان هذا الفن من فنون العلم أكثر علمه.

إلا أن بطل هذه المساجلات بلا منازع وفارس حلقتها بلا مدافع هو الإمام: أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢هـ) لسان أهل السنة وابن حنبل المغرب، حتى قال عنه السلمي صاحب طبقات الصوفية: «كان فقيهاً صالحاً فصيحاً متعبداً، أوحد زمانه في المناظرة والرد على الفرق».

وقال عنه الخشني: «كان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة وله في ذلك مقامات مشهودة وآثار محمودة، ناب عن المسلمين فيها أحسن مناب، حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل»(١).

وقال عنه المالكي: «وكانت له مقامات في الدين مع الكفرة المارقين أبي عبد الله الشيعي وأبي العباس أخيه وعبيد الله ـ لعنة الله عليهم ـ أبان فيها كفرهم وزندقتهم وتعطيلهم»(٢).

وقال عنه أبو الأسود موسى القطان(٣): «لو سمعتم سعيد بن محمد في تلك المحافل ـ يعني مناظرته للشيعة ـ وقد اجتمع له جهارة الصوت وفخامة المنطق وفصاحة اللسان وصواب المعاني، لتمنيتم ألا يسكت»(٤)، وكان هذا الإمام مهجوراً من قبل المالكية، لكونه كان يتهكم عليهم ويسمي مدونة سحنون بـ "المدودة" إلا أن مناظرته للشيعة ودحضه لشبهاتهم ردت إليه الاعتبار، وأصبح أكثر من نار على علم في الشهرة والمنزلة العالية، لقد دعي هذا الإمام لمناظرة الشيعة وعقدت بينه وبينهم مناظرات عديدة ذكرها المالكي في "رياض النفوس"، و الخشني في "طبقاته" وغيرهما.

والسبب في هذه المناظرة أن بني عبيد لما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد وأجبروا الناس على مذهبهم بطريقة المناظرة وإقامة الحجة مرة، والتهديد بالقتل مرة أخرى،

---

(١) طبقات الخشني (ص ١٩٩)، معالم الإيمان (٢/ ٣٠٩).

(٢) رياض النفوس (٢/ ٧٥).

(٣) هو: الإمام أبو أسود موسى بن عبد الرحمن القطان، سمع من محمد بن سحنون وأبي العرب وغيرهما، كان فقيهاً حافظاً بارع الحفظ ثبتاً صالحاً، توفي رحمه الله سنة ٣٠٦ هـ، و عمره ٧١ عاماً.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٩) رقم: ١٦٥.

(٤) معالم الإيمان (٢/ ٣٠٩).

فارتاع أهل البلد من ذلك ولجؤوا إلى أبي سعيد وسألوه التقية فأبى وقال: «قد أربيت على التسعين، ومالي في العيش حاجة، ولابد لي من المناظرة عن الدين، أو أن أبلغ في ذلك عذراً، ففعل وصدق، وكان هو المعتمد عليه بعد الله تعالى في مناظرة الشيعة»[١].

وكانت هذه المجالس تنقسم إلى قسمين: **مجالس عامة** يشترك فيها عدد كبير من علماء السنة على اختلاف مذاهبهم الفقهية لمناظرة الشيعة، وعلى الرغم مما كان بين هؤلاء العلماء من حساسيات وخصومات بسبب اختلاف مذاهبهم الفقهية، إلا أن هذه المجالس وحدت كلمتهم، وأزالت كل ما كان بينهم من تطاحن وأحقاد، حتى قال المقدسي في أحسن التقاسيم[٢] ـ وكان قد زار المغرب ـ: «وليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية، قد أقبلوا على ما يعنيهم وارتفع الغل من قلوبهم»، ومن ذلك ما كان بين ابن الحداد وابن عبدون (ت: ٢٩٩ هـ)[٣] من هجران، وذلك لأن ابن عبدون كان قد حبس ابن الحداد أيام توليه القضاء، يقول المالكي: «وكان أبو عثمان مهاجراً لابن عبدون، وذلك أنه حبسه إبان قضائه، فقال ابن عبدون لابن الحداد: تقدم يا أبا عثمان»، فلم يجبه، فقال له: «تقدم فليس هذا وقت مهاجرة، فلسانك سيف الله، وصدرك خزانة الله، وإنما أراد بذلك ابن عبدون أن يحرضه على محاورة الشيعة».

وأما القسم الثاني من هذه المجالس فهي **المجالس الخاصة** التي كان يحضرها رجل واحد من أهل السنة، وكان هذا الرجل هو الإمام ابن الحداد، ورجل من الشيعة هو أبو عبد الله الشيعي أو أخوه أبو العباس.

**مواضيع هذه المجالس:**

والمواضيع التي كانت تدور حولها هذه المجالس وهذه المناظرات هي المواضيع التي لا يزال الخلاف فيها قائماً بين أهل السنة والشيعة إلى يومنا هذا، فالشيعة يحاولون جاهدين إثباتها ويحشدون الأدلة والبراهين لها، وأهل السنة والجماعة ينفونها ويفندون تلك الأدلة والحجج.

---

(١) معالم الإيمان (٢/٢٩٨).

(٢) (ص ٢٣٥).

(٣) هو: أبو العباس محمد بن عبد الله بن عبدون الرعيني بالولاء الحنفي، ويعرف بابن عبدون فقيه أصولي، تولى قضاء القيروان. توفي سنة ٢٩٩ هـ.
مصادر ترجمته: تاج التراجم (ص ٦٣) رقم: ١٨٨، معجم المؤلفين (١٠/ ٢٢٥)، كشف الظنون (١٥، ١١٩) طبقات الخشني (ص ٢٣٧).

هذه المواضيع كانت كلها ترتكز حول إمامة علي ﷺ وإمامة المفضول مع وجود الفاضل، وصلاة التراويح و نكاح المتعة والتقية وغير ذلك من المواضيع التي يسعى الشيعة جاهدين من أجل فرضها وإثباتها.

ولقد كانت تلك المجالس كثيرة قدرها بعضهم بأربعين مجلساً، والذي نقل إلينا لا يعدو مجالس معدودة، وسأكتفي هنا بنقل مقتطفات من هذه المجالس تخدم بحثنا وتفي بالغرض والمقصود من نقلها.

وللعلم، أذكر هنا أن هذه المجالس كانت تدور أحداثها في بيت الحكمة(١) التي كان الأغالبة أنشؤوها لتدريس الفلسفة والعلوم العقلية الأخرى.

**ذكر المجالس و مواضيعها(٢):**

أول هذه المجالس كما يذكر ذلك صاحب المعالم كان يدور حول التفاضل بين أبي بكر وعلي ﷺ، فبعد الاجتماع بين ابن الحداد و أبي عبد الله الشيعي، «سأل أبو عبد الله الشيعي ابن الحداد: "أنتم تفضلون على الخمسة أصحابِ الكساء غيرَهم ـ؟ يعني بأصحاب الكساء: محمداً ﷺ وعلياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، ويعني بغيرهم: أبا بكر ﷺ ـ فقال أبو عثمان: "أيما أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل عليه السلام؟(٣) أو اثنان الله ثالثهما؟"(٤) فبهت الشيعي».

(١) يأتي الحديث عن بيت الحكمة عند الحديث عن مقاومة الفلسفة.

(٢) انظر هذه المجالس في معالم الإيمان (٢/ ٢٩٨) وما بعدها، طبقات الخشني (ص ١٩٨) وما بعدها، رياض النفوس (٢/ ٥٩) وما بعدها.

(٣) أصحاب الكساء المقصود منهم: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، فعن أم سلمة: أن النبي ﷺ جلل حسناً وحسيناً وفاطمة وعلياً بكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».
هذا الحديث صحيح بطرقه و شواهده، وقد رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٩٨ ـ ٣٠٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤٧) رقم: ٢٦٦٤، ٢٦٦٥، ٢٦٦٦، و الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٧).
وأخرجه الترمذي رقم الحديث: ٣٢٠٥، ٣٧٨٧ في كتاب التفسير (باب: ومن سورة الأحزاب)(٥/ ٣٥١)، (٥/ ٦٦٣) وفي الباب عن عائشة عند مسلم في فضائل الصحابة (باب فضائل أهل البيت رقم: ٢٤٢٤، وأخرجه الحاكم (٣/ ١٤٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى في قصة الهجرة التي كان فيها أبو بكر ﷺ صاحب رسول الله ﷺ =

**مناظرة أخرى حول موالاة علي رضي الله عنه :**

في هذه المناظرة أراد عبيد الله الشيعي أن يثبت أن الموالاة في قوله عليه الصلاة والسلام : «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»(١) بمعنى العبودية، «قال له : فما بال الناس لا يكونون عبيداً لنا؟، فقال ابن الحداد: لم يرد ولاية رق وإنما أراد ولاية الدين، ونزع بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠]، قال: فما لم يجعله الله لنبي لم يجعله لغير نبي، وعلي رضي الله عنه لم يكن نبياً وإنما كان وزيراً للنبي ﷺ » .

**مناظرة أخرى حول قيام رمضان (التراويح):**

في هذه المناظرة يريد الشيعة أن يقنعوا أهل السنة بأن صلاة التراويح بدعة ابتدعها عمر رضي الله عنه و النبي ﷺ قال: «**إن كل بدعة ضلالة**»(٢)، ولهذا «جمع عبد الله بن عمرو المروزي(٣) علماء السنة وقال لهم: إني أمرت أن أناظركم في قيام رمضان فإن وجبت لكم حجة رجعنا إليكم وإن وجبت لنا رجعتم إلينا، قال أبو عثمان سعيد ابن الحداد: "قلت له: ما تحتاج إلى المناظرة"، فقال: "لا بد منها"، فقال أبو عثمان سعيد الحداد: "فقلت : شأنك وما تريد".

---

= وصاحبه في الغار والتي نزل فيها قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٥].

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه في أبواب المناقب (باب مناقب علي) عن أبي سريحة أو زيد بن الأرقم ، و قال : هذا الحديث حسن غريب، انظر : تحفة الأحوذي (١٠/ ٢١٥) رقم: ٣٧٩٧، وأخرجه أحمد في مواضع من مسنده ، انظر على سبيل المثال (٤/ ٢٨١، ٣٦٨).
قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٤١٨) بعد ذكر هذا الحديث: «فمن أهل الحديث من طعن فيه كالبخاري و غيره، ومنهم من حسنه، فإن كان قاله فلم يرد ولاية مختصاً بها بل ولاية مشتركة وهي ولاية الإيمان التي للمؤمنين، والموالاة ضد المعاداة، ولا ريب أنه يجب موالاة المؤمنين على سواهم ففيه رد على النواصب».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبقت ترجمته.

فقال: "ألستم تعلمون وتروون أن النبي ﷺ لم يقم إلا ليلة واحدة، وأن عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي استن القيام"(١)، قال أبو عثمان سعيد بن الحداد:

(١) **قلت**: إن عمر بن الخطاب ﷺ لم يسن قيام رمضان، لأن قيامه كان موجوداً قبل ذلك، فقد قامه النبي ﷺ وندب المسلمين إلى قيامه فقال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**». أخرجه البخاري في كتاب التراويح (باب فضل قيام رمضان) رقم: ٢٠٠٩، فتح الباري (٤/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح) رقم: ٧٥٩، صحيح مسلم (١/ ٥٢٣).

وروى الإمام مالك في موطئه عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول: **من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»، انظر الموطأ (١/ ١١٣) رقم الحديث: ٢ في كتاب الصلاة في رمضان (باب الترغيب في الصلاة في رمضان).

وانظر مسلم (١/ ٥٢٣) رقم: ٧٥٩، وأبو داود (٢/ ١٠٢) رقم: ١٣٧١ الطبعة الأولى (١٣٨٩/ ١٩٦٩)، أشرف على طبعه محمد رفيق السيد، وهو عند الترمذي في كتاب الصوم (باب الترغيب في الصوم وما جاء فيه من فضل) رقم: ٨٠٨، سنن الترمذي (٣/ ١٦٢) وثبت أن الناس كانوا يقومون رمضان على عهد النبي ﷺ و حتى جمع الناس على قارئ واحد، وقيامهم جماعة، لم يكن عمر بن الخطاب ﷺ فيه مبتدعاً، بل كان متبعاً، لأنه ثبت أن النبي ﷺ قام رمضان وقام الناس بقيامه ثلاثة أيام ولم ينكر عليهم ذلك، ثم ترك ذلك خشية أن تفرض عليهم، ففي الصحيحين من حديث عائشة ﷺ أن النبي ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى صلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطفق رجال يقولون: الصلاة، فلم يخرج عليهم حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر، أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها»، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وذلك في رمضان.

وفي كتاب صلاة التراويح (باب: فضل من قام رمضان) الفتح (٤/ ٢٥١) رقم: ٢٠١٢ وهو في سنن أبي داود في كتاب تفريع أبواب شهر رمضان (باب في قيام شهر رمضان) (٢/ ١٠٤) رقم: ١٣٧٤.

فهذا الحديث يبين أن النبي ﷺ إنما ترك القيام في رمضان جماعة خشية أن تفرض عليهم، وبقي الأمر على الترك حتى توفي النبي ﷺ وفي خلافة أبي بكر ﷺ وصدراً من خلافة عمر ﷺ فلما رأى عمر الناس يقومون رمضان أوزاعاً متفرقين عزم على جمعهم على رجل واحد، ففي الموطأ في كتاب الصلاة في رمضان (باب ما جاء في قيام رمضان) عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه =

فقلت: هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها، فقال: وأين تجد ذلك في كتاب الله عز و جل؟ قال ابن الحداد: قلت: في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد : ٢٧]، فنحن نثابر على هذه البدعة التي هي رهبانية لئلا يذمنا الله عز و جل كما ذمهم».

## مناظرة أخرى حول القياس وحد شارب الخمر:

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: «قال أبو عبد الله الشيعي: من أين قلتم بالقياس؟، قال أبو عثمان: قلنا ذلك من كتاب الله عز وجل، قال: فأين تجد

---

= قال: «خرجت مع عمر ليلة من رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، و يصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر ﷺ: إني لأرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي ابن كعب ﷺ ثم خرجت معه ليلة أخرى و الناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون، يريد بذلك آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله».

انظر: الموطأ (١/ ١١٤) و هو عند البخاري في كتاب صلاة التراويح (باب : فضل من قام رمضان) الفتح (٤/ ٢٥٠) رقم : ٢٠١٠، و قول عمر ﷺ "نعمت البدعة" المقصود منها البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية التي تعني الضلالة التي تفعل بغير دليل شرعي، و لو كان فعل عمر بدعة لما وافقه عليه الصحابة ﷺ حتى أن علياً ﷺ قال في خلافته: "نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا"، و كان ﷺ يأمر الناس بقيام رمضان و يجعل للرجال إماماً و للنساء إماماً". انظر البيهقي في السنن (٢/ ٤٩٤).

ومن هنا قال العلماء: «إن أصل قيام رمضان ثبت على عهد النبي ﷺ بقوله و فعله». انظر الحوادث و البدع للطرطوشي (ص ١٣٢).

و يقول ابن التين وغيره: استنبط عمر من تقرير النبي ﷺ من صلى معه في تلك الليالي، وإن كان النبي كره ذلك، فإنما كرهه خشية أن يفرض عليهم، و قال ابن بطال: قيام رمضان سنة، لأن عمر إنما أخذه من فعل النبي ﷺ وإنما تركه النبي خشية الافتراض. انظر : الفتح (١٣ / ٢٥٤).

وعلى فرض أن عمر هو أول من سن القيام فإن ذلك لا يدخل في نطاق البدعة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»، سبق تخريج هذا الحديث.

هذا، وانظر حول هذا الموضوع أيضاً: منهاج السنة (٨/ ٣٠٤ ـ ٣١٠)، الاستذكار لابن عبد البر (٢/ ٣٣٢).

ذلك؟ قال: قال الله عز و جل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، فالصيد معلومة عينه، والجزاء الذي أمرنا أن نمثله بالصيد المعلوم عينه ليس بمنصوص عليه، فعلمنا بذلك أن الله تعالى إنما أمرنا أن نمثل ما لم ينص ذكر عينه بالقياس والاجتهاد، و منه قوله تعالى: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ الآية، فلم يكله إلى حاكم واحد حتى جعلهما الله اثنين ليقيسا ويجتهدا(١).

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: ثم عطف (أي أبو عبد الله الشيعي) على أبي الأسود موسى بن عبد الرحمن القطان، فقال له: أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله عز وجل؟.

فقال له موسى القطان: قال رسول الله ﷺ: «**من شربها فاضربوه بالأردية، ثم إن عاد فاضربوه بالأيدي، ثم إن عاد فاضربوه بالجريد**»(٢)، فقال له أبو عبد الله الشيعي - على النكير منه -: أين هذا؟ أقول لكم: أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله تعالى تقول: اضربوه بالأردية ثم بالأيدي ثم بالجريد؟ .

فقال أبو عثمان سعيد بن الحداد: فقلت له: إنما أخذ قياساً على حد القاذف، لأنه إذا شرب سكر و إذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فوجب عليه ما يؤول الأمر إليه و هو حد القذف»(٣).

---

(١) معالم الإيمان (٢ / ٣٠٣) .

(٢) الحديث بهذا اللفظ لم أعثر عليه في كتب الحديث التي بحثت فيها، و لكن وردت أحاديث فيها ذكر للجريد و النعال في حد الشارب، مثل الحديث الذي أخرجه البخاري في الحدود (باب ما جاء في ضرب شارب الخمر بالجريد و النعال) رقم: ٦٧٧٣، ٦٧٧٦، الفتح (١٦ / ٦٣، ٦٦)، ومسلم في الحدود (باب حد الخمر) رقم: ١٧٠٦، و الترمذي في الحدود: (باب ما جاء في حد السكران) رقم: ١٣٤٣، وأبو داود في الحدود (باب حد الخمر) رقم: ٤٤٧٩ من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد و النعال.

و الحديث الذي أخرجه البخاري في الحدود (باب الضرب بالجريد و النعال) رقم: ٦٧٧٩، الفتح (١٢/ ٦٦) من حديث السائب بن يزيد أنه قال: «كنا نؤتى بالشارب على عهد الرسول ﷺ وإمرة أبي بكر و صدراً من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا و أرديتنا حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين حتى إذا عتوا و فسقوا جلد ثمانين».

(٣) هذا القياس قاسه الإمام علي رضي الله عنه ففي الموطأ في كتاب الأشربة (باب الحد في الخمر) من طريق ثور بن زيد الديلي أن «عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل فقال له علي: نرى أن =

## مناظرة أخرى حول ولاية المفضول مع وجود الفاضل ومبدأ النص والاختيار:

«قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: "قال لي أبو العباس الشيعي (أخو أبي عبد الله الشيعي): "أليس قولك إجازة تقديم المفضول على الفاضل"، فقلت: "أعزك الله بتوفيقه، أنا متبع في ذلك لكتاب الله و سنة نبيه عليه الصلاة و السلام، و ذلك لا يخفى على ذي لب نظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا يعدوهما إلى غيرهما"(١)، قال لي: "وأين تجد ذلك في كتاب الله؟" قلت: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ

---

= تجلده ثمانين، فإنه إذا شرب سكر، و إذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فجلد عمر في الخمر ثمانين» انظر الموطأ (٢/ ٨٤٢) رقم الحديث: ٢.

لكن هذا الحديث في صحته نظر ـ كما يقول ابن حجر ـ «لما ثبت في الصحيحين عن أنس أن النبي جلد في الخمر بالجريد و النعال، وجلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف : أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر رضي الله عنه».

قال: ولا يقال: يحتمل أن يكون عبد الرحمن وعلي أشارا بذلك جميعاً لما ثبت في صحيح مسلم رقم: ١٧٠٧ من طريق حضين بن المنذر قال : شهدت عثمان بن عفان و أتي بالوليد بن عقبة قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: "أزيدكم؟"، فشهد عليه رجلان ـ أحدهما حمران ـ أنه شرب الخمر، و شهد الآخر أنه رآه يتقيأ، فقال عثمان: "إنه لم يتقيأ حتى شربها"، فقال: "يا علي قم فاجلده"، فقال علي: "قم يا حسن (لابنه) فاجلده"، فقال الحسن: "وَلِّ حَارَّها من تولى قارَّها"، فكأنه وجد عليه، فقال: "قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده"، فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال: "أمسك"، ثم قال: "جلد النبي ﷺ أربعين وجلد أبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين، وكلٌّ سنة، وهذا أحب إلي"، انظر : كلام ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٧٥).

(١) طبعاً، جواب الشيخ أبي عثمان هنا فرضي إلزامي مجاراة للخصم وليس حقيقة، أي على فرض التسليم بأن علياً أفضل من أبي بكر رضي الله عنه كما تقول الشيعة، فالجواب كذا وكذا، وإلا فإن أهل السنة متفقون على أفضلية أبي بكر رضي الله عنه على سائر الصحابة، ثم يليه في الفضل عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، و إنما وقع الخلاف من بعضهم في علي وعثمان، وبعضهم توقف، والصحيح ـ كما يقول الإمام القرطبي ـ أن فضلهم حسب ترتيبهم في الخلافة حيث يقول: «فالمقطوع به بين أهل السنة بأفضلية أبي بكر و عمر، ثم اختلفوا فيمن بعدهما، فالجمهور على تقديم عثمان، وعن مالك التوقف، و المسألة اجتهادية و مستندها أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه و إقامة الدين، فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة، والله أعلم».

انظر : كلام القرطبي هذا في فتح الباري (٧/ ٣٤) نقلاً عن المفهم في شرح مسلم للقرطبي.

أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ﴾ [البقرة : ٢٤٧]، فقال عند ذلك كالمغضب: "ليس القصة كما توهمت"، فقلت له: "والأمر الذي لم أتوهمه وفيه الحق عندك هل إلى ذكره من سبيل؟" فقال: "نعم، ذكرت خبر طالوت واحتججت فيه بقول نبيهم؟" فقلت له: قال الله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾ لما كان خروج طالوت من فوق إذن نبيهم ثبت أن الله قدم المفضول على الفاضل إذ كنا لا نشك نحن ومن خالفنا أن نبيهم أفضل من طالوت، و طالوت هو المفضول، فقال لي: "وهكذا اعتقادك؟"، فقلت: "نعم أيها الأمير"، فقال: "إنما كان خروج طالوت من تحت يد نبيهم، لا كما توهمت أنه من فوق إذنه، لأن نبيهم هو الذي أخبرهم أن طالوت مقدم على الجيش، فلما كان هذا هكذا كان الفاضل بعد هو المفضول، فقد تبين فساد قولك وتناقضه".

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: "فقلت له: نفس الآية شاهد ولا تكون الحجة من غيرها، وذلك أن الله أخبر عن نبيهم أنه قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾ الآية، ولم يقل: إني بعثته لكم، فلما جاء الخبر من نبيهم و أضافه إلى الله تعالى لا إلى نفسه وجب بهذا أن أمر طالوت من فوق إذن نبيهم وكذلك قالت الآية".

قال: "ثم قلت: وهذه سنة رسول الله ﷺ فانظر فيها إلى تقديم المفضول على الفاضل وهو ما لا ينكره أحد، من ذلك أن رسول الله ﷺ أمر على جيش عمرو بن العاص، فكان يقسم الفيء ويأمر وينهى فيطاع، ويصلي لهم الصلوات ويشاورونه ويستأذنونه في جميع شأنهم، وتحت يديه في الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهما(١) وهما جميعاً أفضل منه، ولا يشك في ذلك أحد.

و أيضاً أن النبي ﷺ أمر على جيش زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان يفعل في ذلك وفيمن تحت يديه من المسلمين كفعل عمرو بن العاص رضي الله عنه فيمن تحت يديه من المسلمين،

(١) كان ذلك في غزوة ذات السلاسل، و هي تقع وراء وادي القرى بينها و بين المدينة عشرة أيام، وكانت الغزوة في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة و قيل غير ذلك، وكان من خبرها أن جماعة من قضاعة يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواءً وبعثه في ثلاثمئة من سراة المهاجرين و الأنصار، انظر عنها: ابن سعد (٢/ ١٣١)، فتح الباري (٨/ ٧٤).

وتحت يديه من الجيش جعفر بن أبي طالب ﷺ وهو أفضل من زيد بن حارثة، فلما ثبت عندنا وقام مقام العيان جاز للأمة تقديم المفضول على الفاضل»[١].

هذه بعض المناظرات التي وقعت بين علماء السنة و الشيعة، و هي جزء صغير من مجموع المناظرات التي دارت بين الفريقين.

**النوع الثالث [الوسيلة الثالثة] من المقاومة : المقاومة المسلحة:**

لم يكتف علماء المغرب بالمقاومة السلبية والمقاومة الجدلية، بل منهم من حمل السلاح وخرج ليقاتلهم، فهذا جبلة بن حمود الصدفي ترك سكنى الرباط ونزل القيروان، فلما كلم في ذلك قال: «كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر، والآن حل هذا العدو بساحتنا، و هو أشد علينا من ذلك»، وقال: «جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك»[٢]، واستدل بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾[التوبة : ١٢٣].

و منهم الإمام: أبو القاسم الحسن بن مفرج (ت ٣٠٩هـ)[٣] الذي كان من أوائل من

(١) قصة تأمير زيد بن حارثة كانت يوم مؤتة التي كان فيها زيد بن حارثة أميراً، وفي الجيش جعفر بن أبي طالب الطيار ﷺ و عبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد ﷺ، حمل الراية زيد بن حارثة، فلما استشهد حملها جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد حملها عبد الله بن رواحة، فلما استشهد حمل الراية خالد بن الوليد ﷺ و انسحب بالجيش ونجى الله على يديه الجيش المسلم من كارثة محققة.

عن هذه الغزوة ينظر: كتاب "الاكتفاء في مغازي رسول الله و الثلاثة الخلفاء" لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (٢/ ٢٧٥) وما بعدها، تحقيق : د.مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي (١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)

(٢) معالم الإيمان (٢/ ١٨٥).

(٣) اختلف في اسمه، فالخشني يسميه "أبو القاسم مولى مهرية"، والمالكي في رياض النفوس سماه "أبو القاسم بن مفرج"، والقاضي عياض يسميه "أبو القاسم حسن بن مفرج مولى مهرية بنت الأغلب"، وابن عذارى "أبو علي حسن بن مفرج الفقيه"، وصاحب المعالم يسميه "أبو القاسم الحسن بن مفرج مولى مهرية بنت الأغلب بن إبراهيم"، قال عنه القاضي عياض: «كان ذا عناية بالعلم، قتله عبيد الله المهدي سنة ٣٠٩هـ».

مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) رقم : ١٩٦، طبقات الخشني (ص ٢٣٠)، البيان المغرب (١/ ١٨٧)، معالم الإيمان (٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

خرج على الشيعة ومات شهيداً، قتله عبيد الله المهدي وصلب هو ورجل يدعى أبا عبد الله السدري[١] الذي كان من الصالحين، وكان قد بايع على جهاد عبيد الله وجعل يحث الناس على جهاده، فبلغ خبره عبيد الله فدعاه وأمر بقتله[٢].

ثم إن العلماء خطوا خطوة أكبر بإصدار فتوى بوجوب قتال العبيديين، وكان ذلك بعد اجتماع و تشاور بين علماء السنة، وهم :

- أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء القرشي النوفلي المعروف بربيع القطان (ت ٣٣٣هـ).

- وأبو العرب محمد بن تميم بن تمام التميمي (ت ٣٣٣هـ).

- وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي المتعبد (ت ٣٥٦هـ)[٣].

- وأبو عبد الملك مروان بن نصر الخياط الزاهد (ت ٣٤٠هـ)[٤].

- وأبو عبد الله محمد بن الفتح المؤدب (ت ٣٣٤هـ)[٥] الذي كان أحد من عقد الخروج على بني عبيد، لكنه لم يفعل لزمانته وضعفه.

---

(١) كان من العباد و الزهاد المريدين العاملين، كثير الحج والأسفار، كان لا يخشى في الله لومة لائم، قتل مع ابن مفرج سنة ٣٠٩هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/ ١٦٦ ـ ١٧٥) رقم : ١٩٧، معالم الإيمان (٢/ ٣٥٣).

(٢) انظر قصة قتله بطولها في رياض النفوس (٢/ ١٦٩ ـ ١٧٢).

(٣) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي من فقهاء المالكية بتونس، صحب أحمد بن نصر الداودي وأبا جعفر القصري ومطر بن بشار التونسي وأضرابهم، وكان العلماء يتذاكرون بحضرته أمثال ابن أبي زيد القيرواني والقابسي وابن شبلون، واشتهر بالصلاح والعلم الغزير، توفي يوم الثلاثاء ١٥ رجب سنة ٣٥٦هـ.
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٣/ ٣٧٦ ـ ٣٨٩)، معالم الإيمان (٣/ ٧٧ ـ ٩٢)، شجرة النور الزكية (١/ ٩٤)، الديباج المذهب (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤) رقم : ٦، رياض النفوس (٢/ ٤٦٩ ـ ٥٠٦) رقم : ٢٧٠.

(٤) هو : أبو عبد الملك مروان بن نصر بن حبيب بن نصر بن مروان بن علقمة الأنصاري الزاهد، سمع من عيسى بن مسكين و ابن عون و غيرهما و كان من أهل الاجتهاد في العبادة والزهد، توفي سنة ٣٤٠هـ.
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/ ٤٧ ـ ٤٩) رقم : ١٩٩.

(٥) هو : أبو عبد الله محمد بن الفتح المؤدب المرجي، المعروف بابن الصواف، كانت له أوصاف جليلة، وكان يعلم طلبة العلم خلف حائط خوفاً من بني عبيد الذين منعوا بث العلم، وسجنوا=

ـ وأبو محمد عبد الله بن فطيس (ت ٣٣٩هـ)[١]، و أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي المتعبد إمام جامع القيروان (ت ٣٤٤هـ)[٢].

ـ وأبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال (ت ٣٤٣هـ)[٣] و غيرهم كثير.

ـ وكان رئيس هذا الاجتماع و المرجع الذي يرجع إلى رأيه في الملمات هو أبو الفضل عباس بن عيسى بن العباس المميسي (ت ٣٣٣هـ)[٤]، و دارت في ذلك الاجتماع المناقشات والمناظرات بشأن شرعية الخروج مع أبي يزيد مخلد بن كيداد ـ أو صاحب الحمار ـ الذي كان قد سيطر على معظم البلاد، و استنفر الناس لقتال بني عبيد، وزعم أنه سني، وكان يتحلى بنسك عظيم، ويلبس جبة صوف قصيرة الكمين ويركب

---

= العلماء، وقد امتحن على يد ابن عبدون القاضي الحنفي، توفي سنة ٣٣٤هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ٣١٣ ـ ٣١٦) رقم: ٢٣١، معالم الإيمان (٣/ ٣٧ ـ ٣٩) رقم: ١٩٥.

(١) هو : أبو محمد عبد الله بن فطيس المتعبد، سمع من يحيى بن عُمر وغيره، وكان أحد الذين عقدوا الخروج على بني عبيد، وكان زاهداً كثير البكاء، توفي سنة ٣٣٩هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٢) رقم : ٢٤٥.

(٢) هو : أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي، سمع من محمد بن بسيل ومن غيره، وسمع بمصر وبمكة، ودخل الشام ولبنان، وكان ممن عقد الخروج على بني عبيد، توفي سنة ٣٤٤هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ٤١٤ ـ ٤١٨) رقم : ٢٥٥، معالم الإيمان (٣/ ٥٢ ـ ٥٤) رقم: ٢٠٣.

(٣) هو: أبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال الفقيه، كان فقيهاً عظيماً مع ورع شديد، وقد جمع الله له خصال الخير، فكان صواماً قواماً، حافظاً لكتاب الله، عالماً بسنة رسوله، لم يعمر طويلاً. توفي سنة ٣٤٣هـ وسنه نحو أربعين سنة.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ٤١١ ـ ٤١٣) رقم : ٢٥٤، ترتيب المدارك (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢)، معالم الإيمان (٣/ ٥١ ـ ٥٢) رقم: ٢٠٢.

(٤) هو: أبو الفضل عباس بن عيسى بن العباس المميسي الفقيه، كان فاضلاً، عالماً صواماً قواماً ورعاً، وكان في جملة من استشهد في جهاد بني عبيد، سمع من موسى القطان وغيره، حج سنة ثمان عشرة و ثلاثمئة، استشهد سنة ٣٣٣ هـ.
مصادر ترجمته : طبقات الخشني (ص ١٧٩)، رياض النفوس (٢/ ٢٩٢ ـ ٣٠٥) رقم الترجمة: ٢٢٨، معالم الإيمان (٣/ ٢٧ ـ ٣٥) رقم : ١٩٢، ترتيب المدارك (المجلد الثاني ص: ٣١٣ ـ ٣٢٣).

حماراً وكان يبطن رأي الصفرية ويتمذهب بمذهب الخوارج[١]، و خرجوا من هذا الاجتماع بوجوب الخروج لقتال بني عبيد «لعل الله أن يكفر بجهادنا تفريطنا وتقصيرنا عما يجب علينا من جهادهم»، كما قال أبو إسحاق السبائي.

لكن بعض العلماء بقي متردداً ولم يقتنع إلا بعد أن روى لهم أبو العرب حديثاً في قتال الرافضة، يقول عليه الصلاة و السلام فيه : «**يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فإذا أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار**»[٢]، فما كاد يتم الحديث حتى كبر الناس وعلت أصواتهم في الجامع حتى ارتج.

وهكذا لم يجد العلماء بداً من مباركة الخروج وتأييده، ولم يتخلف منهم أحد، وطفقوا بعد ذلك يحضون العامة ويحرضونهم على الخروج لقتال بني عبيد، وقد اتخذوا المساجد مواطن لذلك من أجل تهيئة النفوس وتشجيعها على الخروج على العبيديين، وخرج العلماء لقتال الشيعة ورفعوا الألوية والرايات، وقد أخذت الفرحة ربيع القطان لما رأى ألوية الجهاد معقودة وصفوف المجاهدين مرصوصة مدججة بالسلاح، فقال عند ذلك : «الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصابة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك و أعداء نبيك يا رب»[٣].

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٣١٨).

(٢) الحديث بهذا اللفظ لم أعثر عليه، و إنما الموجود عن علي ﷺ، أن النبي ﷺ قال : «**يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام**»، رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧) رقم الحديث : ٨٠٨ بتحقيق أحمد شاكر.

قال الشيخ أحمد شاكر فيه : «إسناده ضعيف: يحيى بن المتوكل أبو عقيل ضعفه أحمد و ابن معين و قال : "منكر الحديث" و قال ابن حبان : "ينفرد بأشياء ليس لها أصول لا يرتاب الممعن في الصناعة أنها معمولة" . إبراهيم بن حسن ذكره ابن حبان في الثقات و هو أخو عبد الله بن الحسن وعم محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن اللذين خرجا على المنصور، و ترجم له البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، أبوه حسن بن حسن : ذكره ابن حبان في الثقات وترجم له البخاري أيضاً (١/ ٢/ ٢٨٧) ولم يذكر فيهما جرحاً.

وهذا الحديث ذكره البخاري في التاريخ الكبير في ترجمة إبراهيم بن حسن بلفظ : "يكون قوم نبزهم الرافضة، يرفضون الدين" ، رواه عن محمد بن الصباح عن يحيى بن المتوكل، و كأنه لم يره ضعيفاً، فإنه لم يجرح أحداً من رواته، و ذكره الحافظ في التعجيل (ص ١٤) فلم يذكر له علة، و لم يشر إلى رواية البخاري في التاريخ»اهـ كلام الشيخ أحمد شاكر.

(٣) معالم الإيمان (٣/ ٤٠).

وكانت الألوية المعقودة مكتوباً على كل لواء منها عبارة يظهر فيها العداء الشديد للشيعة، من هذه العبارات كتب: "لا إله إلا الله محمد رسول الله لا حكم إلا لله وهو خير الحاكمين"، و"بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله"، و"نصر من الله و فتح قريب على يد الشيخ أبي يزيد"، و"اللهم انصر وليك على من سب نبيك و أصحاب نبيك ﷺ" و"بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾" [التوبة: ١٢]، و "﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾" [التوبة: ١٤]، وغيرها من العبارات التي تدل على العداوة الواضحة للشيعة.

لقد كان انضمام العلماء إلى أبي يزيد لأسباب كثيرة، منها:

١ ـ أنه خدعهم بلسانه وسحرهم بخطابه الحماسي، ثم بما أظهره من تسنن وترض عن أصحاب النبي ﷺ حين دخل القيروان حيث «أظهر لأهلها خيراً و ترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما و دعا الناس إلى جهاد الشيعة وأمرهم بقراءة مذهب مالك، فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي ﷺ وعلى أصحابه وأزواجه»[(١)]، ثم بما أظهره من عداء للشيعة حين صعد إلى المنبر حيث: «خطب خطبة أبلغ فيها وحرض الناس على جهاد الشيعة وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب، ثم لعن عبيد الله وابنه...»[(٢)].

٢ ـ والسبب الآخر: أن علماء المغرب كانوا يرون أن العبيديين كفار يجب قتالهم، وكانوا يرون أن الخوارج من أهل القبلة وهم أقل ضرراً، يقول أبو إسحاق السبائي ـ وهو يشير إلى أبي يزيد و أصحابه ـ: «هؤلاء من أهل القبلة، و هؤلاء ليسوا من أهل القبلة ـ يريد بني عبيد ـ فعلينا أن نخرج مع هذا الذي من أهل القبلة لقتالهم»[(٣)]، ومن هنا فقد رأوا "أن الخروج معه متعين"[(٤)].

وكان أبو الفضل المميسي يرى في الخروج مع أبي يزيد الخارجي، وقطع دولة بني عبيد واجباً، لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام ويرثون ويورثون، وبنو

(١) البيان المغرب (١/ ٢١٧).

(٢) البيان المغرب (١/ ٢١٧).

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٣١٨).

(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٣١٨).

عبيد ليسوا كذلك، لأنهم مجوس زال عنهم الإسلام، فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون إليهم[١]، بل كان يرى أن قتالهم أفضل من قتال المشركين، لأنهم متصلون ببلاد الإسلام و يحكمون فيهم بما يريدون من قتل أو ضرب أو سجن بخلاف كفار منفصلين عن بلاد الإسلام[٢].

ويدلل ربيع القطان الذي كان جعل على نفسه ألا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد على كفرهم، حينما عوتب في الخروج مع أبي يزيد الخارجي، بأنه «حضر أحد المجالس و كان فيه جمع كبير من أهل السنة ومشارقة[٣]، وكان بالقرب منه أبو قضاعة الداعي[٤] فأتى رجل مشرقي (أي: شيعي) آخر، فقام إليه رجل مشرقي وقال: "إلى ههنا يا سيدي، إلى جانب رسول الله ﷺ - يعني أبا قضاعة الداعي - "، ويشير بيده إليه، فما أنكر أحد شيئاً من ذلك فكيف ينبغي أن يترك القيام عليهم»[٥]، و مع ذلك فإن خروجهم معه لا يعني أنهم يوالونه، أو يدخلون في طاعته، ولكن لما اتحدت وجهة الجميع وكان الغرض واحداً من الخروج فإنهم آزروه «ولئن كان انتصار أبي يزيد بهم ليحقق بهم وبقوتهم أوطاره، فإنهم كذلك لبوا دعوته ليحققوا أملاً يستحثهم على مقاتلة الكفرة المغيرين» فإذا ما تحقق الغرض من الخروج، و ظفروا بهم لم يدخلوا تحت طاعة أبي يزيد، بل كانوا يتمنون أن يسلط الله عليه إماماً عادلاً يخرجه عنهم[٦].

ومع ذلك، ورغم كل هذه الدواعي للخروج فإن علماء المغرب لم ينضموا إلى صفوف أبي يزيد إلا بعد تشاور طويل وبعد أن ألقى أحمد بن أبي الوليد[٧] خطبة بليغة نبه

---

(١) معالم الإيمان (٣/ ٢٩).

(٢) معالم الإيمان (٣/ ٣٠).

(٣) المشارقة كانت تطلق على الشيعة، لأنهم قدموا إلى المغرب من المشرق و أول من اشتهر به أبو عبد الله الشيعي و نسب إليه من اتبعه فسموا مشارقة، وكان إذا دخل الواحد منهم في دعوته قيل: قد تشرق.
انظر: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (ص ١٩٤).

(٤) هو أحد الدعاة العبيديين.

(٥) معالم الإيمان (٣/ ٢٣).

(٦) ترتيب المدارك (٢/ ٣١٨ - ٣١٩).

(٧) هو: أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن أبي الوليد كان يتولى الخطبة بالجامع الأعظم بالقيروان، وكان خطيباً بليغاً، وكان صالحاً عدلاً في أحكامه، توفي سنة ٣٤٥هـ.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٣/ ٦١) رقم: ٢١٢.

فيها إلى خطر الشيعة، وحذر العامة من أفعالهم الخبيثة وحث فيها على مقاتلتهم حيث قال: « ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥] وقال: "يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله و زعم أنه رب من دون الله وغير أحكام الله عز وجل، وسب نبيه وأصحاب نبيه و أزواج نبيه"، ثم شرع في الدعاء عليهم فقال: "اللهم إن هذا القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن عبيد الله المدعي الربوبية من دون الله جاحدًا لنعمتك، كافرًا بربوبيتك طاعناً على أنبيائك، ورسلك مكذباً لمحمد نبيك وخيرتك من خلقك، ساباً لأصحاب نبيك وأزواج نبيك أمهات المؤمنين سافكاً لدماء أمته مستهتكاً لمحارم أهل ملته، افتراء عليك، اللهم فالعنه لعناً وبيلاً وأخزه خزياً طويلاً واغضب عليه بكرة وأصيلاً و أصله جهنم وساءت مصيراً" »[(١)].

وحتى بعد هذا بقي بعضهم متردداً في الخروج إلى أن حسم أبو العرب الأمر بروايته لحديث الروافض ـ كما سبق بيانه ـ بعد ذلك كبر الناس وعلت أصواتهم في الجامع حتى ارتج، ثم خرجوا لقتال بني عبيد[(٢)].

ويبدو أن ترددهم هذا لم يكن سببه اختلافهم حول مجاهدة الشيعة، لأنهم كانوا مجمعين على ذلك، وإنما يرجع إلى اختلافهم في شرعية الخروج مع أبي يزيد، الذي لم يستطع خداعهم رغم إعلانه التوبة وأنه سني.

وفي الموعد المحدد خرج العلماء ومن ورائهم وجوه القوم وعامتهم في أعداد غفيرة لا يحصيهم عد، ولم يتخلف من العلماء والصلحاء أحد إلا العجزة، ومن ليس عليهم حرج، وكان ربيع القطان في طليعة الصفوف راكباً فرسه، وعليه آلة الحرب متقلداً مصحفه وهو يقول: «الحمد لله الذي أحياني حتى أدركت عصابة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك و أعداء نبيك»[(٣)].

وقد أبلى العلماء في تلك المواجهة بلاءً حسناً، وقدموا صورة حقيقية لجهاد السلف لأعداء الإسلام، واستشهد منهم ما لا يقل على الثمانين عالماً، منهم ربيع القطان

---

(١) معالم الإيمان (٣/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٢) المعالم (٣/ ٤٤).

(٣) معالم الإيمان (٣/ ٣٧ ـ ٤٢).

والمميسي وغيرهما، وأظهروا شجاعة نادرة وتفانياً لا مثيل له في قتال عدوهم و حققوا انتصاراً باهراً وكادوا يستولون على المهدية، لولا أن ساعة الغدر حلت، ورجعت الكرة عليهم، حين خدعهم أبو يزيد و أسفر عن وجهه القبيح المناوئ لأهل السنة، وأمر جنده أن ينكشفوا عنهم بقوله: «إذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم لا نحن فنستريح منهم»[(١)]، وكان غرضه من تلك الفعلة الشنيعة والخدعة المنكرة «الراحة منهم لأنه فيما ظن إذا قتل شيوخ القيروان وأئمة الدين تمكن من أتباعهم فيدعوهم إلى ما شاء الله فيتبعونه»[(٢)].

ولكن الله كان له بالمرصاد وخذله كما خذل هو أولياءه، فهزم شر هزيمة حيث انضم عدد غير قليل من جنده إلى صفوف عدوه ولم يبق له من الجند إلا قليل، وقتل شر قتلة، وكانت نهايته يوم ٣٠ محرم سنة ٣٣٦هـ.

وقد أثرت هذه المواجهة بين السنة والشيعة على الساحة المغربية فيما بعد، حيث استمرت المقاومة فيمن جاء بعدهم حتى بعد خروج بني عبيد من المغرب، فكانوا يبحثون عن مراكز وجود الشيعة، فإذا عثروا عليهم قتلوهم وسلبوا أموالهم، فقد ذكر ابن عذارى في "البيان المغرب"[(٣)] أنه «كان بمدينة القيروان قوم يتسترون بمذهب الشيعة من شرار الأمة انصرفت العامة إليهم من فورهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً رجالاً ونساءً وانبسطت أيدي العامة على الشيعة وانتهبت دورهم وأموالهم».

و يصف القاضي عياض هذه الحادثة بقوله: «وكان ابتداء ذلك يوم الجمعة منتصف المحرم، قتلت العامة الرافضة أبرح قتل بالقيروان وحرقوهم وانتهبوا أموالهم، وهدموا دورهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم، وجروهم بالأرجل، وكانت صيحة من الله سلطها عليهم، وخرج الأمر من القيروان إلى المهدية وإلى سائر بلادهم فقتلوا وأحرقوا بالنار فلم يترك أحد منهم في إفريقية (تونس) إلا من اختفى»[(٤)].

وهكذا كان هذا النوع من المقاومة هو أشد الأنواع وأنكاها، طهر الله به أرض المغرب من بدعة التشيع.

(١) البيان المغرب (١/ ٢١٨).
(٢) البيان المغرب (١/ ٢١٨).
(٣) البيان المغرب (١/ ٢٦٨).
(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٦٢٥).

**أنواع أخرى من المقاومة:**

وإلى جانب هذه الأنواع من المقاومة ـ التي ذكرتها ـ كانت هناك أنواع أخرى، والتي فعلت فعلها هي أيضاً في نفوس الشيعة، وجعلتهم يتيقنون بأن أهل المغرب يرفضونهم ولا يحتملون وجودهم بينهم، نذكر منها:

**١ ـ إبداء السرور والفرح في أيام حزن الشيعة:**

من مظاهر ذلك الاحتفاء بيوم عاشوراء وإبداء الفرح والسرور فيه، ومن المعلوم لدى الجميع أن يوم عاشوراء هو اليوم الذي فجعت فيه الأمة الإسلامية بالحسين بن علي رضي الله عنهما أحد سبطي رسول الله ﷺ و سيد شباب أهل الجنة، و هذا اليوم عند الشيعة على اختلاف طوائفهم يوم حزن وحداد، حيث «أحدثوا فيه من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي وما يفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنهم، حتى يسب السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرع الحسين رضي الله عنه التي كثير منها كذب»[(١)].

أما عند أهل السنة فهو يوم صامه النبي عليه الصلاة و السلام وندب المسلمين لصيامه؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «كيف تصوم»؟ وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أنه يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أنه يكفر السنة التي قبله»[(٢)].

ولكنهم زادوا على ذلك فزعموا أنه ورد في التوسعة على العيال فيه أحاديث مثل حديث إبراهيم بن محمد بن المنتشر[(٣)] عن أبيه[(٤)] أنه قال: "بلغنا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته" رواه عنه ابن عيينة.

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام (باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر) رقم: ١١٦٣، صحيح مسلم (٢/ ٨١٨ ـ ٨١٩)، و هو في إرواء الغليل (٤/ ١١١ ـ ١١٢) بلفظ: «**صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية و مستقبلة وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية**»، وقال الألباني: «رواه الجماعة إلا البخاري ولم يخرجه النسائي في سننه و الظاهر أنه في سننه الكبرى».

(٣) هو: إبراهيم بن محمد بن المنتشر الأجدع الهمداني الكوفي، ثقة، أخرج له الستة. انظر عنه: تقريب التهذيب (١/ ٤٢) رقم: ٢٦٨.

(٤) ترجمة محمد بن المنتشر في تقريب التهذيب (٢/ ٢١٠) رقم: ٧٣٣.

هذا الحديث سئل عنه الإمام أحمد فقيل له: هل سمعت في الحديث أنه من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة، قال: نعم، شيء رواه سفيان عن جعفر الأحمر[١] عن إبراهيم بن محمد المنتشر، قال سفيان ـ وكان من أفضل من رأينا ـ أنه بلغه أنه من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته[٢].

هذا الحديث طعن فيه كثير من العلماء مثل الإمام ابن تيمية الذي قال فيه:

«حديث موضوع مكذوب»[٣]، وقال: «وقد روي في التوسيع على العيال فيه آثار معروفة، أعلى ما فيها حديث إبراهيم بن محمد المنتشر عن أبيه قال، وهذا بلاغ منقطع لا يعرف قائله، والأشبه أن هذا وضع لما ظهرت العصبية بين الناصبة[٤] والرافضة، فإن هؤلاء (أي: الرافضة) اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً، فوضع أولئك فيه آثاراً تقتضي التوسعة فيه واتخاذه عيداً، وكلاهما باطل»[٥].

ويقول في موضع آخر: «وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه هو من البدع المقابلة للرافضة، و قد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه من الاغتسال والاكتحال وغير ذلك، وصححها بعض الناس كابن ناصر[٦]

١) هو: أبو عبد الله جعفر بن زياد الأحمر، روى عن الأعمش و عطاء بن السائب و غيرهما و عنه ابن عيينة و وكيع و غيرهما، كان رجلاً صالحاً وكوفياً، وكان يتشيع، توفي سنة ١٦٧هـ.
مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ٩٢ ـ ٩٣) رقم: ١٤٢، تقريب التهذيب (ص ١٤٠) رقم: ٩٤٠، ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٧) رقم: ١٥٠٣.

٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٢)، هامش (٦)، نقلاً عن مسائل الإمام أحمد للنيسابوري (١/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠٠).

٤) الناصبة: هم قوم يبغضون علياً و ينصبون له العداء.
انظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠١).

٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٢)، ومنهاج السنة (٤/ ٥٥٤ ـ ٥٥٦).

٦) هو: أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي المعروف بالسلامي من علماء القرن السادس، سمع الحديث والفقه على مذهب الشافعي، وكان كثير الحفظ والعناية والأدب والنحو واللغة، انتقل آخر عمره إلى مذهب الإمام أحمد في الأصول و الفروع، توفي سنة ٥٥١هـ، وكانت ولادته سنة ٤٦٧ هـ.

وغيره وليس فيها ما يصح، لكن رويت لأناس اعتقدوا صحتها، فعملوا بها ولم يعلموا أنها كذب فهذا مثل هذا»[١].

ويقول الإمام السيوطي: «وأحدث بعض الناس في هذا اليوم أشياء مبتدعة من الاغتسال والاختضاب والكحل والمصافحة، وهذه أمور منكرة مستندها حديث مكذوب على رسول الله ﷺ، وإنما السنة صوم هذا اليوم لا غير، وقد روي في الفضل في التوسعة فيه على العيال حديث ضعيف، قد يكون سببه الغلو في تعظيمه من بعض النواصب لمقابلة الرافضة»[٢].

ولعل علماء المغرب كانوا من الصنف الذي يعتقد صحة هذه الأحاديث، فجعلوا يتحينون قدوم هذا اليوم لإبداء الفرح والسرور فيه، نكاية في الشيعة وتنغيصاً لهم، من هنا نجد بعض العلماء يؤكد على ضرورة الاحتفاء بهذا اليوم، فهذا الإمام عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ) كبير فقهاء قرطبة في أيام عبد الرحمن الأوسط، تروى عنه أبيات يخاطب فيها الأمير الأموي يحثه فيها على ذلك مستنداً على مثل هذه الأحاديث التي ذكرتها فيقول[٣]:

لا تنس ـ لا ينسك الرحمن ـ عاشورا ... واذكره، لا زلت في التاريخ مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله ... قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في الإنفاق موسمه ... ألا يزال بذاك العام ميسورا

**٢ ـ حضور المجالس العامة التي تغيظ الشيعة:**

و من مظاهر المقاومة السنية للتشيع ـ أيضاً ـ: حضور المجالس التي كان يمنعها

---

= مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) رقم : ٦٢٤، الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٩) رقم: ١١٣.

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤)، مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٧).

(٢) انظر : الأمر بالاتباع و النهي عن الابتداع (ص ١٨٩).

و قال الفيروزآبادي في "سفر السعادة" (ص ١٥٠) : «و باب فضائل عاشوراء ورد استحباب صيامه وسائر الأحاديث في فضله وفضل الصلاة فيه والإنفاق والخضاب والادهان والاكتحال وطبخ الحبوب وغير ذلك مجموعه موضوع ومفترى، قال: قال أئمة الحديث: الاكتحال فيه بدعة ابتدعها قتلة الحسين»، وانظر موضوعات ابن الجوزي (٢/ ٢٠٤).

(٣) انظر هذه الأبيات في نفح الطيب (٢/ ٦).

الشيعة خشية من تأليب الناس عليهم، فكان كثير من العلماء المغاربة يحضرونها بقصد إثارة الشيعة، وإغاضتهم من ذلك حضور مسجد السبت[(١)] الذي كان يحضره المتصوفة، يقيمون فيه حلقات للقرآن والذكر وإنشاد الرقائق، وكان هذا الاجتماع يخيف العبيديين ويؤرقهم ويقض مضاجعهم، فلذلك كان يحضره هؤلاء العلماء نكاية في الشيعة، ومن هؤلاء العلماء: أبو بكر محمد بن اللباد الفقيه، فقد كان يحضر إلى هذا المسجد ويخوض في الطين والمطر التي كانت بينه وبين المسجد، فلما سألوه كيف تفعل ذلك وأنت تعلم أن هذا الاجتماع من البدع المنكرة وقد أنكرها كثير من العلماء أجاب بقوله: «قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة: ١٢٠]، وحضور هذا المسجد يغيض بني عبيد، ولو وجدت شيئاً أغيض لهم منه لفعلته»[(٢)].

### ٣ ـ المقاومة عبر التأليف:

وكانت المقاومة عبر التأليف و نظم الشعر ـ أيضاً ـ من الوسائل المجدية والنافعة في مقاومة الشيعة، والتي كان لها أثر طيب في إقلاقهم وقض مضاجعهم وإعلانهم الحرب على من يفعل ذلك، كما كان لها أثر في تبصير العامة بالحق وإرساء دعائم السنة، وكانت هذه المؤلفات تنقسم إلى نوعين:

**النوع الأول**: المؤلفات التي تتناول مسائل العقيدة جملة وفق منهج أهل السنة والجماعة: ومن بين المسائل التي تتناولها مسألة الإمامة عند أهل السنة وأفضلية أبي بكر وعمر وعثمان على علي ﷺ جميعاً، وشرعية خلافة الثلاثة خلافاً للشيعة، والترضي عن أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً من غير تفريق بينهم، واعتبارهم جميعاً عدولاً خلافاً للشيعة الذين يكفرونهم ويفسقونهم عدا نفرٍ قليل منهم سبق الحديث عنهم.

فهذا النوع من التأليف كان له أثر عميق في تبصير الناس بدينهم ونشر المذهب الحق فيهم، حتى أصبحوا يعتبرون كل من خالف هذه العقيدة مخالفاً للإسلام وخارجاً عن

(١) سيأتي الحديث عنه بتوسع في الفصل الذي عقدته لمقاومة علماء المغرب للاتجاه الصوفي، و هذا المسجد يقع بناحية الدفة خارج سوسة (بتونس) قريباً من تربة الصحابي أبي زمعة البلوي.
انظر عنه : ورقات من الحضارة العربية الإسلامية بتونس لحسن حسني عبد الوهاب (٢/ ٤١٢).

(٢) معالم الإيمان (٣/ ٢٤).

جماعة المسلمين يجب فيه كل ما يجب في الكافر من المعاداة والقتال والمقاطعة وغير ذلك من المعاملة، لعله يرتدع ويرجع و يتوب.

**النوع الثاني**: المؤلفات التي ألفت للرد على الشيعة خاصة وعلى عقائدهم الباطلة: وهذا النوع من التأليف ـ كما سبق الحديث عنه ـ جاء نتيجة ظروف خاصة أوجبت على أهل السنة الرد عليهم وتفنيد شبههم ودحض باطلهم.

من هذا الصنف من المؤلفات نذكر كتابي "الإمامة" اللذين ألفهما الإمام محمد بن سحنون، وقد سبق الحديث عنهما، وهما أعظم ما ألف في هذا الفن، يقول عيسى بن مسكين: «وما ألف في هذا الفن مثلهما»[١]، وكتاب "الإمامة" للإمام إبراهيم بن عبد الله الزبيري، وكتاب "الرد على الرافضة" له أيضاً، واللذان كانا السبب في محنته وسجنه وضربه من قبل الدولة العبيدية الشيعية، فهذا النوع كان له أثره في المقاومة، ولعله كان أشد على الشيعة من النوع الأول وأنكى.

إلى جانب وسيلة التأليف كانت هناك وسيلة أخرى تدخل في باب التأليف أيضاً، هذه الوسيلة هي نظم الشعر لهجو بني عبيد وذمهم، وقد برز في هذا الميدان كثير من الشعراء أذكر منهم : أبا القاسم الفزاري[٢].

و سهل الوراق[٣]، فمن شعر أبي القاسم الفزاري في هجو بني عبيد قوله في وصفهم

---

(١) القاضي عياض: تراجم أغلبية (ص ١٧٥) تحقيق د.محمد الطالبي، ط المطبعة الرسمية بالجمهورية التونسية (١٩٦٨م).

(٢) هو: أبو القاسم محمد الفزاري ولد بالقيروان ونشأ بها واختلف في اسم أبيه فقيل هو عامر بن إبراهيم الفزاري، الذي كان عاملاً للفاطميين على الخراج، فهرب بالمال إلى مصر الأخشيدية وأن جده إبراهيم هو الذي قتل على ما شهد عليه من التعطيل، وكان من أهل الجدل والمناظرة، وقد هجاه على نسبه هذا علي بن محمد الأيادي المعروف بمحمد التونسي أحد شعراء بني عبيد فقال:

دعـي فـزارة مـن لـؤمـه ... إلـى طـلـعـة الـلـؤم مـا أسـبـقـه
أب هـارب بـخـراج الإمـام ... وجـد قـتـيـل عـلـى الـزنـدقـه

و قيل: هو أبو القاسم محمد بن علي الفزاري القيرواني و الله أعلم، توفي سنة ٣٤٥هـ.

مصادر ترجمته : طبقات النحويين و اللغويين للزبيدي (ص ٢٧٢) ط القاهرة بروكلمان، (ملحق (١) (ص ١٤٨)، وانظر حوليات الجامعة التونسية (١٠/ ١٢٩ ـ ١٤١) ضمن مقال لمحمد اليعلاوي، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية.

(٣) هو: سهل بن إبراهيم الوراق أدرك خلافة المعز الفاطمي، وكان معاصراً لأبي القاسم الفزاري ولا =

ووصف سلوكهم:

عبدوا ملوكهم و ظنوا أنهم نالوا بهم سبب النجاة عموما
وتمكن الشيطان من خطواتهم فأراهم عوج الضلال قويما
رغبوا عن الصديق والفاروق في أحكامهم لا سلموا تسليما
و استبدلوا بهما ابن الأسود نابحاً و أبا قدارة واللعين تميما
تبعوا كلاب جهنم و تأخروا عمن أصارهم الإله نجوما
أمن اليهود؟ أم النصارى؟ أم هم دهرية جعلوا الحديث قديما
أم هم من الصابئين أم من عصبة عبدوا النجوما وأكثروا التنجيما
أم هم زنادقة معطلة رأوا أن لا عذاب غداً ولا تنعيما
أم عصبة ثنوية قد عظموا النورين عن ظلماتهم تعظيما
سبحان من أبلى العباد بكفرهم وبشركهم حقباً وكان رحيما
يا رب فالعنهم و لقهم بأبي يزيد من العذاب أليما(١)

و هو هنا ينتصر لأبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي و يدعو له، شأنه في ذلك شأن معظم فقهاء القيروان الذين ظنوا أن ثورة صاحب الحمار ناجحة لا محالة في تخليصهم من حكم بني عبيد.

ويقول في قصيدة أخرى طويلة أختار منها هذه الأبيات، لأن فيها بياناً لعقيدة أهل السنة في صحابة رسول الله ﷺ من الترضي والموالاة والسكوت عما شجر بينهم وردّ ذلك إلى الله تعالى، وهي النقاط التي يختلف فيها أهل السنة المحبون لرسول الله ﷺ وأصحابه مع الشيعة المبغضين لهم، يقول:

و إنا بعد من خوف و أمن نحب إذا تشعبت الأمور
رسول الله و الصديق حباً به ترجى السعادة و الحبور
و بعدهما نحب القوم طراً و ما اختلفوا فيه فربهم غفور

---

= تذكر المصادر شيئاً عن وفاته أو سنة ميلاده.
مصادر ترجمته: ياقوت الحموي: معجم الأدباء (١١/ ٢٦٧)، رحلة التيجاني (ص ٢٨) نشر حسني عبد الوهاب، حوليات الجامعة التونسية المرجع السابق (١٠/ ١٤٢ ـ ١٥٣).

(١) انظر الأبيات في رياض النفوس (٢/ ٤٩٤)، حوليات الجامعة التونسية (١٠/ ١٢٢ ـ ١٢٤).

ألا بأبي و خالصتي و أمي محمد البشير لنا النذير
سأهدي ما حييت له ثناء مع الركبان ينجد أو يغور[١]

و لسهل الوراق ـ هو الآخر ـ قصائد في ذم الشيعة وهجوهم ووصفهم بما هم أهله من الكفر و الظلم، أختار منها ما له صلة بالبحث حتى يعرف القارئ أن أهل السنة المغاربة لم يتركوا وسيلة يمكن أن تحقق هدفها في مقاومة التشيع و الشيعة إلا ابتغوها ولا سبيلاً إلا سلكوه.

فمن ذلك قوله في ادعائهم النبوة:

غضب الإله على نبي لم يزل حيران مغروراً أخا سكرات
منهمكاً في خمره و سماعه متردداً في الغي و الشبهات
يا ابن الأراذل و المجوس أيا ابن من هتك الفروج و ضيع الصلوات

و يقول في ظلمهم و ما نال البلاد منهم من جور وظلم :

فلقد كسا طول البلاد و عرضها من جوركم ما فاق كل صفات
قوم إساءتهم إليك بقدر ما أحسنت، لا بل مثله مرات
ما قص في التنزيل سوءة أمة إلا وفيهم ضعفها سوءات

و يقول متمنياً أن ينتقم الله منهم على يد أبي يزيد مخلد بن كيداد، كما هو شأن أهل السنة في تلك المرحلة:

فلتقرعن عصاه كل مضلل عادى النبي وحرف السورات
و لتطهرن الأرض من ذي ردة بالمقربين و كل طاغ عات

و يقول و هو يحكي كفرهم و ظلمهم :

الطاعنين على النبي محمد والقائلين بأسخف المقالات
إن الإمام هو النبي وإنه رب، تعالى الله ذو العظمات
هدم المساجد و ابتناها منزهاً لمضارب العيدان و النايات

ثم يختم القصيدة بلعنهم فيقول :

فعليه ما لبى الحجيج و طوفوا وعلى ذويه خوالد اللعنات[٢]

---

(١) رياض النفوس (٢/ ٤٩٤).

(٢) القصيدة بطولها انظرها في رياض النفوس (٢/ ٤٩٦ ـ ٤٩٨).

هذا، وعندما هدد عبيد الله المهدي علماء المغرب بالانتقام منهم إن لم يدخلوا في طاعته بقوله:

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم  وإن تعدلوا عني أر قتلكم عدلا
و أعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم  وأدخلها علواً و أملؤها قتلا

أجابه شاعر سني بأبيات قال فيها :

كذبت ـ وبيت الله ـ لا تعرف العدلا  ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا
وما أنت إلا كافر و منافق  تميل مع الجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد  وقد جعل الرحمن همتك السفلى[1]

و هذه الأبيات لشاعر مجهول يهجو فيها العبيديين، و لعله أخفى اسمه حتى يسلم من بطشهم، يقول فيها[2]:

الماكر الغادر الغاوي لشيعته  شر الزنادق من صحب وتباع
الناكثين عهود الله كلهم  قوم إلى سفه في الناس أوضاع
العابدين إذا عجل يخاطبهم  بسحر هاروت من كفر وتبداع
لو قيل للروم: أنتم مثلهم لبكوا  أو اليهود لسدوا صمغ أسماع
و لو عزونا إلى إبليس ما مكروا  لقال إبليس : ما هذا من أطباعي

هذا ما تيسر الوقوف عليه من أمر مقاومة أهل السنة المغاربة للفكر الشيعي في المغرب، ولعل فيه غنية في إعطاء صورة عن هذا الجانب من جهاد المغاربة ضد المبتدعة على اختلافهم، الأمر الذي جعل المغرب الإسلامي يبقى سليماً من المبتدعة، ويظل سنياً إلى يوم الناس هذا.

---

(١) انظر الأبيات في البيان المغرب (١/ ١٧٨ ).

(٢) انظر هذه الأبيات في رياض النفوس (٢/ ٣٤٦)، وانظرها أيضاً في حوليات الجامعة التونسية (١٠/ ١٦٣) ضمن مقال: "شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية" لمحمد اليعلاوي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الثالث

# مقاومة علماء المغرب للفكر الخارجي

المبحث الأول: دخول الفكر الخارجي إلى المغرب.

المبحث الثاني: ذكر المقاومة ورجالها ووسائلها وأسبابها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الأول
## دخول الفكر الخارجي إلى المغرب وانتشاره به

لقد كانت أول وسيلة لدخول الخوارج(١) إلى المغرب هي الوسيلة التي تقدم الحديث عنها في فصل مقاومة الاعتزال، وفصل مقاومة التشيع من قبل علماء المغرب، عند حديثنا عن دخول هذين المذهبين إلى المغرب، وهي وسيلة إرسال الدعاة للتبشير بهذا المذهب والدعوة له.

---

(١) **تعريف**: الخوارج جمع خارج، وخارجي مشتق من الخروج، والخروج في اللغة وضع لعدة استعمالات، انظر على سبيل المثال: تهذيب اللغة (٧/ ٤٩ ـ ٥٠)، لسان العرب (١/ ٨٠٨).
وأما الخوارج في الاصطلاح فيطلق على طائفة من أهل الآراء والأهواء لخروجها على الدين أو على الإمام علي رضي الله عنه، وعلى هذا فهو ذم لهم، وأما هم فيطلقونها على أنفسهم على سبيل التمدح لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.
ويعرفهم ابن حزم في الفصل (٢/ ١١٣) بقوله: «ومن وافق الخوارج في إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة في غير قريش فهو خارجي».
ويلقب الخوارج بعدة أسباب منها:
ـ **الحرورية**: نسبة إلى الموضع الذي خرج فيه أسلافهم حروراء حينما انشقوا عن علي.
ـ **الشراة**: وهو من الشري الذي ذكره الله في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١]، وهم يتمدحون بهذا اللقب ويفتخرون به.
ـ **المارقة**: وهو لقب أطلقه عليهم خصومهم أخذاً من قوله عليه الصلاة والسلام: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**».
ـ **المحكمة**: وهو من أوائل الألقاب التي أطلقت عليهم لإنكارهم تحكيم المحكمين وقولهم «**لا حكم إلا لله**».
هذه بعض الألقاب التي أطلقت عليهم.
وقد اختلفوا في تحديد تاريخ نشأتهم وظهورهم إلى عدة أقوال، فمن قائل: إنهم نشؤوا على عهد الرسول ﷺ على يد ذي الخويصرة الذي اعترض على قسمة رسول الله ﷺ الفيء، وقول النبي ﷺ لعمر حين قال له: «دعني أضرب عنقه»، قال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم إلى صلاته» الحديث في البخاري (٨/ ٥٢ ـ ٥٣)، ومن قائل: إن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه في تلك الفتنة التي انتهت بقتله، شرح الطحاوية (ص ٤٧٢)، ومن قائل: إن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش علي، وهو الرأي الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء. =

وكانت البصرة هي المركز والمنطلق الذي انطلق منه هؤلاء الدعاة، حيث كان يقيم زعيم المدرسة الإباضية بها وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة(١)، وهو أحد أقطاب المدرسة الإباضية الأوائل، وإن لم يكن طرفاً في النشأة الأولى فهو مدعم المذهب وناشره، وعنه أخذ خلق كثير، ولا سيما من سيكون لهم شأن بإفريقية (تونس) والمغرب عامة، هذا الرجل كان يقوم بتعليم تلاميذه في مدرسة سرية بالبصرة، ومنها كان يرسل دعاته إلى النواحي المختلفة «وقد أخذ عنه خلق كثير، وعنه حمل العلم إلى المغرب والمشرق»(٢).

ولكن يجب التنبيه هنا إلى أن المصادر على اختلافها مشرقية كانت أو مغربية، لا تسعفنا بتحديد تاريخ لدخول الخوارج إلى المغرب، والسبب في ذلك على ما يبدو، هو اختفاء هؤلاء الدعاة عن الأعين واشتغالهم في السرية والخفاء خوفاً من بطش الخلفاء، الأمويين والعباسيين على حد سواء الذين ناصبوهم العداء، وكانوا يطاردونهم أينما وجدوا وحيثما حلوا، الأمر الذي حملهم على التخفي والاشتغال في السر، والبحث عن أماكن نائية صعبة المنال يحتمون بها وينشرون فيها مذهبهم، وإذا أضيف إلى هذا الوصف وصف آخر وهو طبيعة الشعب الصعبة وشديدة المراس، ويكون هذا الشعب بالإضافة إلى ذلك شديد النقمة على الحكم القائم، فإن ذلك هو المبتغى الذي ليس وراءه مبتغى.

---

= انظر عن الخوارج ونشأتهم: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦ ـ ١٣١)، الملل والنحل (١/ ١٩٥ ـ ٢٥٥)، الفرق بين الفرق (٤٥ ـ ٦٦)، التبصير في الدين (ص ٤٦ ـ ٥٩)، الفصل لابن حزم (في شنع الخوارج) (٤/ ١٨٨ ـ ١٩٢)، وانظر رسالة غالب بن علي عواجس، المقدمة لنيل الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها (٢ ـ ٢٨).

(١) هو: أبو عبيدة بن أبي كريمة مولى بني تميم من أشهر علماء الإباضية توفي سنة ١٣٥هـ وقيل: ١٤٥هـ في خلافة أبي جعفر المنصور.
انظر عنه وعن نشاطه في الدعوة لمذهبه كتاب الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، تأليف صالح بن أحمد الصوافي، طبع وزارة التراث القوس والثقافة بسلطنة عمان (١٤٠٣ ـ ١٩٨٣) رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الأزهر (ص ١٦٩) وما بعدها.

(٢) الخلافة والخوارج في المغرب العربي (ص ٢٧) تأليف: رفعت فوزي عبد المطلب الطبعة الأولى (١٣٩٣/ ١٩٧٣).

وهذه الأوصاف مجتمعة وجدوها في المغرب الإسلامي، فهو يقع من الناحية الجغرافية بمنأى عن مركز الخلافة التي سامتهم العذاب والاضطهاد، وهو من حيث صعوبة أرضه وشدة أهله أيضاً يقع في القمة، يقول ابن الأثير: «فاتجه بعضهم إلى إفريقية والمغرب برغم بُعد المسافة، لعلهم يجدون في البربر الذين وسموا - أيضاً - بالتردد والتمرد الأمل الذي يبعث فيهم الأمل من جديد»[١].

وهناك وصف آخر كان يميز المغرب عن المشرق في بعض الفترات، هو الاستقرار، في الوقت الذي كان المشرق يعاني فيه من الانقسامات وضعف الخلافة، يقول القاضي عياض: «كما نزح بعض أهل المشرق إلى القيروان والأندلس بعدما قرفوا من ضعف الخلافة العباسية وتقسيمها إلى دويلات وكثرة الانتفاضات المذهبية، أقول: نزحوا باحثين عن الاستقرار في بلد إسلامي ليس فيه إلا دين واحد، مذهب واحد وعقيدة واحدة»[٢].

إذاً فالخوارج وجدوا في المغرب بغيتهم، ووجدوا في البربر تربة صالحة لبذر دعوتهم، ولما كان البربر لم يتمكن الإيمان من قلوبهم كما ينبغي، حيث كانوا كالورقة في مهب الريح، يميلون مع كل دعوة ويلبون أي نداء، فإنهم لم يترددوا في قبول دعوة الخوارج والانضواء تحتها.

وإذا كان الخوارج قد وجدوا بغيتهم في البربر، فإن البربر - هم أيضاً - وجدوا ضالتهم في المذهب الخارجي، من حيث إنه مذهب ثوري يتلاءم مع طبيعة البربر الثورية، والذي زاد حدة هذه الطبيعة تصرفات بعض الأمراء الخاطئة وتجاوزات بعض الولاة، فقد ذكر المؤرخون عن إغراق هؤلاء الولاة والأمراء في الفساد شيئاً كثيراً، وإن كان صاحب «أخبار مجموعة» اجتهد في دفع هذه التهم عنهم، وجعل السبب الحقيقي في الثورة عليهم هو طبيعة المذهب الخارجي الناقمة على جميع الأوضاع حيث يقول: «وقد يقول من يطعن على الأئمة: إنهم خرجوا ضيقاً من سير عمالهم، وإن الخليفة وولده كانوا يكتبون إلى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية، قال: وهو يقول البغض للأئمة فإن كانوا صدقوا فما بال التحكيم فشا فيهم ورفع المصاحف وحلق الرؤوس اقتداء بالأزارقة وأهل النهروان»[٣].

---

(١) الكامل لابن الأثير (٤/ ٦٤).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٥).

(٣) أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أجزائها لمؤلف مجهول، طبع مجريط سنة ١٨٦٧م.

وفي الواقع لسنا نبرئ هؤلاء الولاة من هذه الهنات مما حمل البربر على الثورة[١]، وكان وجود الخوارج فرصة لإذكاء هذه الثورة على هؤلاء الولاة والأمراء، ونذكر هنا بعض النماذج من هذه التجاوزات كالتي ذكرها ابن عذارى من «أن الخلفاء بالمشرق كانوا يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها إلى عامل إفريقية، فيبعثون لهم البربريات السنيات، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب[٢] مَنَّهُمْ بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة فحينئذ عدت البرابر على عاملهم فقتلوه وثاروا جميعاً على ابن الحبحاب»[٣].

وصورة أخرى للظلم والاستبداد الذي كان يمارسه الولاة: ما يذكره ابن عذارى أيضاً من أن «عمر بن عبد المرادي[٤] عامل طنجة وما والاها، أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر «أي يأخذ الخمس من البربر كرقيق) وزعم أنه فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمسون ما لم يُجبَ للإسلام، فكان فعله الذميم سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة»، كل هذه التجاوزات ساعدت على إذكاء روح الثورة في البربر، الأمر الذي جعل الخوارج يستغلون هذه الروح لصالحهم وتوجيهها الوجهة التي يريدونها، وأخذوا ينشرون في البربر تعاليمهم المنحرفة، وفي ذلك يقول السلاوي: «إلى أن حدثت فيهم بدعة الخارجية لأول المئة الثانية من الهجرة، نزع إليهم بها بعض أهل النفاق من خوارج العراق، وبثوها فيهم فتلقوها منهم بالقبول، وحسن موقعها لديهم بسبب ما كانوا يعانونه من ثقل وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عمالها، فلقنهم أهل البدع أن الخلافة لا تشترط فيها القرشية بل ولا العربية، وإن كل من كان أتقى لله كان أحق بها ولو عبداً حبشياً على ظاهر الحديث».

---

(١) عن ثورات البربر ينظر: عصر هشام بن عبد الملك لعبد المجيد الكبيس، فصل: انتفاضات وثورات البربر في شمال إفريقية والأندلس بين سنتي ١٠٦ ـ ١٣٦هـ (ص ٢٠٩) وما بعدها، وكذلك «ثورات البربر في إفريقيا» لحسين مؤنس: مجلة كلية آداب القاهرة (١٠/١٤٣ ـ ٢٠٦).

(٢) هو: عبيد الله بن الحبحاب كان عامل هشام على مصر فأمره بالسير إلى إفريقية وولاه إياها في ربيع الآخر سنة ١١٠هـ، وكان رئيساً نبياً وأميراً جليلاً وكاتباً بليغاً حافظاً لأيام العرب، وهو الذي بنى الجامع بتونس ودار الصناعة سنة ١١٤هـ وكان قفوله إلى المشرق سنة ١٢٣هـ.
انظر عنه: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لمحمد بن أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار، تحقيق وتعليق: محمد شمام، طبع المكتبة العتيقة بتونس (سنة ١٣٨٧ الطبعة الثالثة).

(٣) ابن عذارى (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

وقد رسخت هذه البدعة الخارجية في البربر زماناً طويلاً إلى أن اضمحلت في أواخر المئة الثانية وما بعدها، ومع ذلك فقد بقيت منها آثار في أعماقهم»[١].

هذا النص كما نرى لخص لنا الأسباب التي دعت البربر إلى قبول دعوة الخوارج، وأيضاً فيه إشارة إلى بداية دخول الفكر الخارجي إلى المغرب وانتشاره به، وهو بداية القرن الثاني، وأيضاً بداية اضمحلاله وهو نهاية القرن الثاني.

كما يشير إلى النقطة التي كان يركز عليها الخوارج في دعوتهم لإثارة البربر على نظام الحكم في البلاد وهو عدم حصر الخلافة في قريش ولا في العرب، بل كل من توفرت فيه شروطها من التقوى والدين كان صالحاً لها، ولا شك أن هذا الأمر أطلق العنان لشهوة البربر للقضاء على الخلافة القرشية والانقضاض على الحكم، وهذا ما كان يسعى إليه الخوارج.

وقبل الحديث عن الدعاة الذين حملوا بذرة الخوارج إلى المغرب والعمل على رعايتها، أحب أن أشير إلى أن الفرق الخارجية التي دخلت المغرب اثنتان فقط: **الإباضية**[٢] **والصفرية**[٣].

---

(١) الاستقصاء (١/ ٦٠ ـ ٦١).

(٢) **الإباضية**: فرقة من فرق الخوارج، انقسمت عليهم لاختلافها معهم في فهم بعض القضايا العقدية، تنسب هذه الفرقة إلى عبد الله بن إباض المري التميمي، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ولم يشترك في ثورات الخوارج على الأمويين، اللهم إلا في ثورة قامت في أواخر حكم مروان الثاني (١٢٧ ـ ١٣٢هـ) وعندما ضيق عليهم بالمشرق انتقلوا إلى المغرب ـ كما ذكرت أثناء البحث ـ.

وتختلف الإباضية مع جمهور الخوارج في كونهم لا يحكمون بتكفير مخالفيهم من المسلمين، ويعتبرون التزاوج والميراث معهم حلالاً، ولا يستبيحون قتل غيرهم من المسلمين، وهم يعترفون بخلافة أبي بكر وعمر فقط من الخلفاء الراشدين، وبخلافة عثمان إلى أن بدل السيرة وبخلافة علي قبل التحكيم.

انظر عنهم: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٨٣) وما بعدها، دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين (١/ ١٣ ـ ١٤)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص ٩) وما بعدها، وانظر: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (١/ ٣/ ٣٨٥).

(٣) **الصفرية**: فرقة من فرق الخوارج، اختلف في نسبتها: هل تنسب إلى عبد الله بن صفار أم زياد بن الأصفر، أم النعمان بن صفر، أم المهلب بن أبي صفرة؟

وأرجح الأقوال أنها تنتسب إلى عبد الله بن صفار التميمي، الذي كان مع نافع بن الأزرق في بداية =

كان أول الدعاة إلى المذهب الخارجي، الداخلين إلى المغرب ـ كما تقول المصادر الإباضية نفسها ـ هو سلمة بن سعيد[(١)]، حيث تقول هذه المصادر: «إن أول من جاء يطلب مذهب الإباضية بالمغرب سلمة بن سعيد، قدم من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس على بعير سلمة يدعو إلى مذهب الإباضية، وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية»[(٢)].

فإلى هذين الرجلين يرجع الفضل في ظهور المذهب الخارجي بالمغرب الإسلامي، ويذكر المؤرخون في هذا الصدد أن عكرمة مولى ابن عباس الذي كان أصله من البربر من سبي إفريقية، غادرها رقيقاً وعاد إليها شيخاً مبجلاً، كانت له حلقة درس في آخر مسجد القيروان ينشر فيها العلم والمذهب الخارجي، وعنه انتشرت نحلتهم وآراؤهم في القيروان، وفي بقية أنحاء المغرب، واستطاع أن يكون مدرسة صفرية نفذت تعاليمها إلى قلوب البربر[(٣)].

وأما سلمة بن سعيد فقد كان شديد الحماس لدعوته حتى أثر عنه أنه قال: «وددت أن يظهر هذا الأمر ـ يعني مذهب الإباضية ـ بالمغرْب يوماً واحداً من الغدوة إلى الليل، فما أبالي بعد ذلك إذا ضربت عنقي»[(٤)].

وكانت الوسيلة الأولى التي ركز عليها دعاة الخارجية في نشر مذهبهم ونحلتهم التعليم، حيث كانت لهم حلق يعقدونها في مسجد القيروان ينشرون فيها مذهبهم وعقائدهم.

وما لبث أن نفر من تلاميذ سلمة بن سعيد طائفة لتعلم أصول المذهب الإباضي بالبصرة والعودة إلى المغرب لنشره به، وكانت هذه الطائفة تتكون من خمسة شباب

---

= عهده ثم انفصل عنه سنة ٦٥هـ بسبب اختلافه معه في قتل أطفال المخالفين وسبي نسائهم، كما اختلف معه في القعدة فلم يكفرهم ـ كما تقول الأزارقة ـ ما داموا موافقين له في النحلة، وكذا اختلف الصفرية مع الأزارقة في مرتكب الكبيرة.

انظر عنهم: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٨٢ ـ ١٨٣)، دائرة المعارف الإسلامية (١٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور أحمد محمد جلي، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦/ ١٩٨٦) (ص ٥٩ ـ ٦٢).

(١) انظر عنه: كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص ١٥) وما بعدها.

(٢) الخوارج في بلاد المغرب لمحمود إسماعيل (ص ٤٦).

(٣) علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة (ص ١٦٥).

(٤) سير الأئمة وأخبارهم (ص ٤١) طبعة دار الغرب الإسلامي (ط ٢/ ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م).

متحمسين هم: عبد الرحمن بن رستم[(١)] مؤسس الدولة الرستمية[(٢)].

وأبو داود القبلي النفزاوي، وأبو الخطاب المعافري، وعاصم السدراتي، وإسماعيل بن ضرار الغدامسي[(٣)] فبهؤلاء وبغيرهم انتشرت الإباضية بالمغرب.

وإذا كانت الإباضية استمرت في الوجود مداداً طويلة، وإلى يومنا هذا في مناطق مختلفة من المغرب فإن الصفرية لم تكن كذلك، إذ سرعان ما انقرضت أو ذاب رجالها في مذهب الإباضية.

وتشير بعض المصادر إلى أن بعض شيوخ القيروان من أهل السنة تأثروا بآراء الخوارج، وإن كان أصحاب هذه المصادر اجتهدوا في نفي ذلك عنهم.

فأبو العرب مثلاً يروي في شأن معاوية الصمادحي أنه «كان ثقة، ولكنه رمي بالصفرية، ولعله لا يصح عنه»[(٤)].

وكان أبو الخطاب الكندي (ت ١٦١هـ)[(٥)] الذي روى عن سفيان الثوري وغيره

---

(١) هو: عبد الرحمن بن رستم بن مهران بن كسرى، أصله من العراق، توجه أبوه إلى المغرب، نشأ بالقيروان ثم توجه إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بإشارة من رجل من أهل الدعوة الإباضية، فالتقى مع النفر ـ الذين ذكرت ـ فمكثوا عنده، ثم انصرفوا عائدين إلى المغرب لينشروا مذهبهم، وهو مؤسس الدولة الرستمية الإباضية بالجزائر.
انظر عنه: كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص ٥٤ ـ ٥٧)، وانظر مصادر أخرى في الهامش رقم (٥) من الصفحة (٥٤).

(٢) تأسست سنة ١٤٤هـ على يد عبد الرحمن بن رستم الذي كان قد فرَّ إلى المغرب وأسس مدينة تاهرت سنة ١٤٤هـ بعد أن غلب محمد بن الأشعث على القيروان، وقد تعاقب على هذه الدولة من بعده ستة من أفراد أسرته، ورغم الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب فقد ظلت قائمة مئة سنة وخمسين عاماً.
انظر عنها: دائرة المعارف الإسلامية (مادة بني رستم: ١٠/ ٩٢ ـ ٩٥).

(٣) انظر عن هذه البعثة مقدمة كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص ١٤) وما بعدها.

(٤) طبقات أبي العرب (ص ٨٠)، ورياض النفوس (١/ ١٥٦)، معالم الإيمان (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨).

(٥) هو: أبو الخطاب محمد بن أبي الأعلى الكندي، روى عن مالك والليث وابن لهيعة وغيرهم، كان من مشايخ أهل إفريقية، وكان ثقة في علمه وما حمل عنه، وممن أخذ عنه البهلول بن راشد، توفي سنة ١٦١هـ.
مصادر ترجمته طبقات أبي العرب (ص ٨٧)، رياض النفوس (١/ ٢٥١) رقم: ١٠٠.

«يرمى بهوى الصفرية»[١]، ولم يكن التأثر بالمذهب الخارجي مقتصراً على علماء المغرب بل ـ كما يقول المقريزي ـ: «دخل في دعوة الخوارج خلق كثير، ورمي جماعة من أئمة الإسلام بأنهم يذهبون إلى مذهبهم وعد منهم غير واحد من أئمة الحديث»[٢].

وقد قامت للخوارج في المغرب عدة دول منها: دولة بني أفلح الرستمية، وهي دولة تنتمي إلى المذهب الإباضي كانت تمد حكمها على المغرب الأوسط، وكذلك دولة بني مدرار، وهي دولة خارجية أيضاً بربرية، كانت تمد سلطانها على منطقة سجلماسة من جنوب المغرب الأقصى، واستمر حكمها من منتصف القرن الثاني حتى منتصف القرن الرابع وهي تنتسب إلى أبي القاسم أو سمكوا أو سمعون الزناتي الصفري الملقب بدرار، وكان ـ على ما يذكر ابن الخطيب ـ حداداً أندلسياً ممن اشتركوا في ثورة الربض بقرطبة أمام الحكم بن هشام، نزل سجلماسة فقدمه الصفرية بها، فلما مات أورث بنيه من بعده[٣].

---

(١) طبقات أبي العرب (ص ٩٧).

(٢) خطط المقريزي (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر التعليق رقم: ٢٨٠ (ص ٥١٢) على كتاب المقتبس لابن حيان.

## المبحث الثاني
## مقاومة علماء المغرب لمذهب الخوارج

قبل الشروع في الحديث عن مقاومة علماء السنة المغاربة لمذهب الخوارج يتعين علي أن أشير إلى الأسباب التي دعت إلى هذه المقاومة وهي كثيرة نذكر منها أهمها:

**السبب الأول:** لقد ذكرت في مواضع مختلفة من هذا البحث أن أهل السنة المغاربة كانوا يقاومون كل منهج منحرف عن منهج الإسلام الصحيح، وليس هناك انحراف أكثر من انحراف الخوارج الذين يرون تكفير مخالفيهم ووضع السيف على رقابهم، ولذلك لم يقر قرار المسلمين أينما وجد الخوارج وحيثما حلوا، بفعل ثوراتهم المتكررة والمتصلة، هذه الثورات التي كان من المفروض أن توجه سهامها ونصالها ضد أعداء الإسلام الحقيقيين، فإذا بها توجه إلى المسلمين الموحدين.

**السبب الثاني:** هو انحرافهم في الجانب العقدي عن منهج أهل السنة، حيث كان منهج الإباضية في هذا الجانب يشبه إلى حد كبير منهج المعتزلة، فقد كانوا يوافقونهم في القول بالوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]، كما وافقوهم في اعتبار صفات الله تعالى هي عين الذات، وفي إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة، وتأويل كل ما يوحي بالتشبيه تأويلاً مجازياً، كاستواء الله على العرش والصراط والميزان، ووافقوهم في مرتكب الكبيرة إذا لم يتب قبل موته، فهو مخلد في النار تخليداً أبدياً لا تنفعه شفاعة الرسل، لأن الله صادق في وعده ووعيده[٢].

وإن كانوا يختلفون معهم في هذه المسألة بالذات اختلافاً شكلياً حيث يقول المعتزلة: إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولكنه في الآخرة مخلد في النار كما هو عند الإباضية، وهذا أصل من أصولهم التي يقوم عليها مذهبهم، فالإباضية ينكرون هذه المنزلة، ويحسمون الموقف مع مرتكب الكبيرة، فهو عندهم في الدنيا كافر كفر نعمة، وأما في الآخرة فهو في النار كما هو الحال بالنسبة لكافر كفر الملة.

---

(١) للمعتزلة رأيهم المخالف لأهل السنة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يرون ـ حسب مبدئهم ـ ضرورة إنكار المنكر ولو بالثورة على الحكام . . . إلخ.

(٢) الصلة بين المعتزلة ومذهب الإباضية المقيمين في إفريقية الشمالية، طبعة دار النهضة المصرية. ط٣ سنة ١٩٦٥ (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦).

والنقطة الأخرى التي يختلفون معهم فيها هي مسألة القدر، فالمعتزلة يرون أن الإنسان حر في إرادته وأفعاله، أما مذهب الإباضية فهو يشبه مذهب الأشاعرة في الكسب[١].

**السبب الثالث**: ما قام به هؤلاء الإباضية من فساد، حيث كان وجودهم بالمغرب عبارة عن ثورات متصلة ـ كما قلت ـ وكانت أفعالهم لا تمت إلى الإسلام بصلة، حيث يصف لنا ابن عذارى في البيان المغرب[٢] ما فعله هؤلاء الإباضية بقيادة عاصم بن جميل حين دخولهم القيروان، من استحلال للمحارم وهتك للأعراض، واستهتارهم بالمقدسات الدينية بربطهم دوابهم في مسجد عقبة وفعلهم المناكير فيه، وكأنه حنق على العرب ودينهم الإسلام، فاشتد البلاء على أهل القيروان، وما فعله مخلد بن كيداد من تخريب للقيروان «فكل مدينة مر بها خربها وسبى ذريتها وغنم أموالها كفعل نافع بن الأزرق، بل قد زاد عليه وأربى، وفعل في إفريقية من المعاصي والفجور ما لم تفعل الفراعنة والأكاسرة والقياصرة والجبابرة»[٣].

لهذه الأسباب ولغيرها كانت مقاومة أهل السنة للمذهب الإباضي ولأهله، ومن خلال مطالعاتي حول موضوع المقاومة أمكنني أن أعثر على وسائل عديدة اتخذها علماء السنة في مقاومة الفكر الخارجي بالمغرب الإسلامي، فقد كانوا يلجؤون إلى السلاح والقوة إذا لم تجد معهم الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، ومرة يلجؤون إلى تفنيد آرائهم والتشهير بهم وإعلام الناس بسوء مذهبهم وفساد معتقدهم، عبر الفتوى والدرس والتأليف إلى غير ذلك مما سأتحدث عنه فيما يلي من البحث.

لقد كانت وسيلة القوة ورفع السلاح في وجه الخوارج والمشاركة في حربهم مع جيوش الخلافة السنية هي أقوى الوسائل وأمضاها وأنكاها التي اتخذها علماء المغرب في إخماد جذوة الخارجية والقضاء على شرها حيث شاركوا في جميع الحملات التي شنها خلفاء بني أمية على مواقع الخوارج المعارضين لخلافتهم، بالرغم من إنكارهم الشديد على انحرافاتهم، إلا أن كل ذلك لم يمنعهم من الالتحاق بصفوفهم وضم

(١) انظر: الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر وإسبانيا من خلال الإباضية، مجلة الأصالة (عدد ٤٦ ـ ٤٧)، جويلية (ص ١٩).

(٢) (١/ ٨٠ ـ ٨١) وانظر الإباضية في الجريد (ص ٣٤).

(٣) الإباضية في الجريد (ص ١١٩ ـ ١٢٠)

جهودهم إليهم، لأن خطر الخوارج أعظم من خطرهم، وشرهم أكبر من شرهم، لأنهم مبتدعة يرون فيما يذهبون إليه من البدع والانحرافات قربة يتقربون بها إلى الله.

ولما كان الهدف من خروجهم قد اتحد مع هدف خلفاء بني أمية فلماذا لا يضمون جهودهم إليهم ويحققون بالتالي الهدف المنشود لكليهما، وهو القضاء على هذه النحلة الخطيرة، وبالتالي يفسحون الطريق لأهل السنة لنشر مذهبهم.

وقد كان هؤلاء العلماء يشكلون أهمية كبيرة للخلافة الأموية حيث كانوا هم الذين يقودون العامة، يأمرونهم فيأتمرون وينهونهم فينتهون، مما جعل الخلافة السنية تعتمد عليهم في دفع العامة، وتحميسهم للجهاد ضد الخوارج بتنبههم إلى الخطر الذي ينطوي عليه هؤلاء المبتدعة.

لقد كانت أول موقعة شارك فيها علماء المغرب السنة جيش الخلافة، وتعاونوا معه في مقاومة الخوارج هي: موقعة بقدورة[١] سنة ١٢٤هـ، حيث شاركوا مشاركة فعالة، ولم يتخلفوا عن داعي الجهاد، بل كان لبعضهم دور قيادي في المعركة وأبلوا بلاءً حسناً رغم الهزيمة التي مني بها جيش الخلافة[٢].

ولم تفت هذه الهزيمة في عضد العلماء، بل زادتهم قوة وإصراراً على مواجهة القوم، فنهضوا بقيادة عبد الرحمن بن عقبة بن نافع، والتقوا بالخوارج الصفرية في موضع يعرف بالفحص الأبيض[٣]، فهزموهم وقتلوا عامتهم[٤].

ولم يتوقف جهاد العلماء عند هذا الحد، بل استمروا في تحريك العامة وتوعيتهم بخطر الخوارج وانحرافهم، وعاودوا المشاركة مع جيش الخلافة عندما جهزوا جيشاً جديداً للمهمة ذاتها، فخرجوا مع الجيش تحت قيادة القاضي عبد الرحمن بن عقبة، وهزموا الخوارج الصفرية في موقعتين متتاليتين[٥].

---

(١) بقدورة: هي بلدة واقعة على وادي سبو بالقرب من مدينة تيهرت.

(٢) أخبار مجموعة (ص ٢٤).

(٣) الفحص ـ بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره صاد مهملة ـ: هو كل موضع يُسكَن فيه، جبلاً كان أو سهلاً بشرط أن يزرع، وهناك بالمغرب عدة مواضع تسمى الفحص، أما الفحص الأبيض فلم أعثر على موضعها. انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٣٦).

(٤) ابن عبد الحكم: الفتوح (ص ٢٩٨).

(٥) ابن عبد الحكم: الفتوح (ص ٢٩٨).

وإزاء هذا الوضع تجمع الصفرية لقتال عبد الرحمن بن عقبة فخرج إليهم في أهل القيروان وقاتلهم حتى قتل سنة ١٢٤هـ(١).

وقد أدرك الخلفاء أهمية العلماء وجهودهم في تعبئة العامة ضد الخوارج في المراحل الحرجة فشاوروهم وأخذوا برأيهم، ولما أحس العلماء بهذه العناية من قبل الخفاء لم يبخلوا عليهم بنصائحهم المخلصة ومعاونتهم الجليلة في التصدي لنشاط دعاة الخارجية.

وبرز دور علماء السنة المغاربة ضد الخوارج في مواقع أخرى، وظهر تأثيرهم الكبير على العامة عندما أقبل الخوارج الصفرية في جموع كبيرة نحو القيروان، وتوقع الناس سوء المصير، وظنوا أنهم سيسبون، فسرى الفزع والرعب في المدينة.

هنا برز دور العلماء واضحاً عندما رفضوا الاستسلام، وطفقوا يذكرون الناس بفضل الجهاد في سبيل الله، ويبينوا لهم سوء مذهب الخوارج في المسلمين السنة من سبي نسائهم وقتل أطفالهم وهتك حريمهم وسفك دمائهم، عند ذلك هش الناس للجهاد وتحمسوا له وبلغت شدة الحماس عندهم حتى أن النساء عزمن على الخروج للجهاد وحلفن لأزواجهم: «لئن انهزم أحد منكم إلينا مولياً عن العدو لنقتلنه»(٢).

واستطاع العلماء أن يعبئوا نفوس الناس حماسة وشجاعة ويملؤوها حمية وفتوة وساهموا بقدر كبير في رفع معنويات الجيش، وبعد أن بلغ الحماس مداه اتجهوا نحو الجيوش الصفرية فقضوا عليها وهزموها شر هزيمة.

وتعجب من ذكاء هؤلاء ودهائهم حين تراهم يرتبون الأولويات، فهم دائماً يسعون إلى دفع أشد الضررين ثم يتفرغون لأخفهما، فعندما غلبت الصفرية على القيروان بعد معركة وادي أبي كريب(٣) سنة ١٣٩هـ وقتل فيها نحو من ألف من الفقهاء(٤)، وأساء

---

(١) نفس المصدر (ص ٢٩٨).

(٢) انظر: الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقية حتى قيام دولة المرابطين: د: السيد محمد أبو العزم داود (ص ٩٧).

(٣) نسبة إلى أبي كريب جميل بن كريب المعافري من أهل العلم والفضل، قتل في قتال الخوارج عند الوادي المنسوب إليه سنة ١٣٩هـ، ويعرف أيضاً بوادي السراويل كما يقول ابن ناجي في العالم (١/ ٢٢٩)، وانظر عنه: رياض النفوس (١/ ١٧٢) في ترجمة أبي كريب.

(٤) المالكي: رياض النفوس (١/ ١٧٢).

هؤلاء الصفرية السيرة فاستحلوا المحارم وعاثوا في الأرض فساداً، ولم يعد بإمكان الجيوش السنية القضاء عليهم، عند ذلك علم العلماء أن جيوش الإباضية تتجه للقضاء على الصفرية، فما كان منهم إلا أن اهتبلوا هذه الفرصة حيث عمدوا إلى استعمال الحيلة، فجعلوا يحثون الناس للانضمام إلى الصفرية، حتى إذا اشتد القتال بينهم وبين الإباضية انكشفوا عنهم وتركوهم يلاقون مصيرهم وحدهم، وكانت هذه الحيلة فعلاً مجدية حيث هزم الصفرية هزيمة بشعة(١).

بعد القضاء على الصفرية وقع أهل السنة تحت وطأة الإباضية، وهم خصومهم أيضاً، فهم يجتمعون في البدعة ومحاربة السنة، ولذلك كان من الواجب على هؤلاء العلماء أن يواصلوا رسالتهم الجهادية ضد الإباضية، حتى يقضوا عليهم كما قضوا على الصفرية من قبلهم، فكان لهم ما أرادوا عندما انقسم الإباضية على أنفسهم، فثاروا على الوالي الإباضي وولوا مكانه عمرو بن عثمان القرشي حتى جاء مبعوث الخلافة إلى القيروان(٢).

هذه نماذج من جهاد علماء السنة ضد الخوارج، ونماذج من مقاومتهم للفكر الخارجي بالقوة.

ولم يقتصر جهادهم ومقاومتهم لهذا الفكر على هذا الجانب، بل سلكوا مسالك أخرى مثل توعيتهم بخطر الخوارج وكشف عوراتهم وتحذيرهم من مغبة الوقوع في حبائلهم، وفي ذلك يقول الإمام ابن حبيب الذي كان يكفر الإباضية «أي: أن يشهر فساد ما يعتقدونه لئلا يلبسوا على أحد، ولئلا يسكن في قلب أحد من ضلالتهم شيء»(٣)، ويبين أن خطرهم أشد من خطر اليهود والنصارى، لأن هؤلاء «قد عرف الناس أنهم كفار فلا يلبس على الناس أمرهم ولا يخشى على الناس أن ما عندهم حق» بخلاف الخوارج الذين يظهرون الإسلام وهم براء منه وهو بريء منهم(٤).

وفي سؤال ورد عليه (أي: ابن حبيب) عن قوم من الإباضية، سكنوا بين أظهر المسلمين يظهرون بدعتهم، فاستولى الآن على من أخمد ذكرهم وغلب عليهم، فأرادوا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٥/ ١٥٠).
(٢) ابن عذارى: البيان المغرب (١/ ٧٢).
(٣) المعيار المعرب (٢/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧).
(٤) نفس المصدر (٢/ ٤٤٧).

الآن هدم مسجد كانوا يصلون فيه وفسخ أنكحتهم من النساء السنيات، وأراد هذا المتولي ضربهم وسجنهم فهل له ذلك أم لا؟ أجاب ابن حبيب:

«أما هدم المسجد الذي بنوا فحق، وجميع ما يتألفون فيه أنهم يقصدون الضرار، وفي هدمه مذلة لأهل دينهم، وبقاؤه ركن لهم وملجأ، وهدمه يؤسس في قلوب الناس فساد ما هم عليه، لأنهم إذا علموا أن ذلك فعل بقول أهل العلم، يتيقنون أن ذلك لفساد ما هم عليه واجتنبوا قربهم»[١].

فانظر إلى هذا التشديد الذي كان له الأثر الطيب في القضاء على هذه النحلة، والتضييق على غيرها من النحل المنحرفة، وانظر أيضاً إلى الوعي الذي بلغه الناس من خلال هذا السؤال الذي بعثوا به إلى ابن حبيب وإلى غيره.

ويُسأل السؤال ذاته أبو القاسم السيوري، فيفتي بعدم هدم المسجد ولكنه يخلى من أهل البدعة ويعمر بأهل السنة، وأما «النكاح الذي أحدثوا من نسائنا فيفسخ، وسجنهم وضربهم إن لم يتوبوا»[٢].

وكانت وسيلة إخراج هؤلاء المبتدعة من المسجد وتفريق حلقهم من الوسائل المجدية التي سلكها علماء المغرب في مقاومة الفكر الخارجي.

يقول القاضي عياض: «وكان بالقيروان في مسجدها حلق الصفرية والإباضية المغيرية إلى أن جاء سحنون بن سعيد، ففرق حلقهم ومنعهم من بث مبادئهم»[٣]، وقد توب كثيراً منهم، منهم رجل يدعى نصر بن رواج الذي كان غالباً في مذهبه الخارجي، وقد اتفقت كلمة المؤرخين وأصحاب الطبقات، أن سحنوناً كان أول من فرق حلق أهل البدع من المسجد الجامع بالقيروان وشرد أهل الأهواء منه، وكانوا فيه حلقاً يتناظرون ويظهرون زيغهم، فعزلهم أن يكونوا أئمة للناس ومعلمين لصبيانهم، وأدب جماعة منهم بعد أن خالفوا أمره.

ومن ذلك الحين تمحص جامع عقبة لتعليم أصول الشريعة لجماعة السنة دون سواهم، بل حتى لما تأسست دولة خارجية إباضية وهي الدولة الرستمية، لم يتوقف

(١) المعيار (٢/ ٤٤٧).
(٢) المعيار (٢/ ٤٤٦).
(٣) ترتيب المدارك (١/ ٦٠٠).

علماء المغرب عن الدعوة ونشر السنة ونقد المذهب الإباضي، وقد اغتنموا في ذلك جو الحرية الذي وفرته الدولة الرستمية التي سمحت حتى بالمناظرة بين أهل السنة والإباضية أنفسهم، وقد نبغ من أهل السنة في ظل هذه الدعوة علماء كثيرون من أشهرهم: أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي وهو أحد ثقات المحدثين المأمونين وأحد تلاميذ سحنون[١].

وكان شاعراً، عارض دعبل من متعصبة الشيعة، وعمران بن حطان[٢] من متعصبة الخوارج، وقصيدته في معارضة هذا الأخير مشهورة[٣] أنقل منها هذه الأبيات:

(١) هو: أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي، نشأ بتيهرت وارتحل إلى المشرق في حداثته سنة ٢١٧هـ، فسمع الحديث من ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر واجتمع بأدبائها مثل أبي تمام وعلي بن الجهم ودعبل وغيرهم، ثم عاد إلى القيروان وسمع من سحنون وغيره، وجلس بها للتحديث، ثم ارتحل إلى تيهرت ومعه ولده عبد الرحمن، فاعترضه لصوص جرجروه وقتلوا ولده، وكانت وفاته سنة ٢٩٦هـ بمدينة تيهرت وهو ابن ست وتسعين سنة، وكان ثقة مأموناً حافظاً للحديث.
وكان إلى جانب ذلك نابغة في الأدب، واشتهر بالشاعر، وله القصائد الطويلة الجيدة في الأغراض المختلفة.
مصادر ترجمته: تاريخ الجزائر القديم والحديث لمبارك الميلي، طبعة دار الغرب الإسلامي (٢/ ٨٠).

(٢) هو: أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، رأس القعدة من الخوارج (وهم الذين يرون الخروج ويحسنونه لغيرهم ولا يباشرون بأنفسهم القتال) وخطيبهم وشاعرهم، وهو تابعي مشهور كان قبل انتحاله لمذهب الخوارج من رجال العلم والحديث من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه، وأخرج له البخاري واعتذر له بأنه إنما خرّج له ما حدّث به قبل أن يبتدع، وأخرج له أبو داود أيضاً واعتذر بأن الخوارج أصح أهل الأهواء حديثاً عن قتادة.
وكان السبب في خروجه أنه تزوج ابنة عمه التي كانت على دين الخوارج ليردوها إلى الصواب فأضلته، وكان الحجاج بن يوسف قد طلبه، فهرب إلى الشام، ومنها إلى عمان حيث مات عند الإباضية سنة ٨٤هـ.
مصادر ترجمته: الإصابة (٣/ ١٧٧ ـ ١٧٨) رقم: ٦٨٧٧، تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٧ ـ ١٢٩) رقم: ٢٢٢، سير إعلام النبلاء (٤/ ٢١٤ ـ ٢١٦) رقم: ٨٦، النجوم الزاهرة (١/ ٢٢١)، شذرات الذهب (١/ ٩٥).

(٣) وهي قصيدته في مدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على فعلته الشنعاء تلك.

قل لابن ملجم[١] ـ والأقدار غالبة ـ ... هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس إسلاماً وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن الرسول لنا شعراً وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفاً صارماً ما ذكرا ... ليثاً إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرتُ قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب الناس سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد[٢] إذا عدت قبائلها ... وآخر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل محترماً ... ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
«يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا[٣]

(١) هو: عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري، من أشد الفرسان، أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر وقرأ على معاذ، كان من القراء وأهل الفقه والعبادة، وكان أسمر حسن الوجه في جبهته أثر السجود، شهد فتح مصر وسكنها وكان من شيعة علي وشهد معه صفين، ثم خرج عليه واتفق مع البرك وعمر بن بكر ـ كلاهما من الخوارج ـ على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة، فتعهد البرك بقتل معاوية، وعمر بن بكر بقتل عمرو بن العاص، وابن ملجم بقتل علي فقتله وكان له ما أراد، ثم قتله الحسن عليه السلام، وقيل: إنه أحرقه بعد قتله.
مصادر ترجمته: الكامل لابن الأثير (٣/ ٣٨٨ ـ ٣٩٢)، النجوم الزاهرة (١/ ١٢٠)، لسان الميزان (٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) رقم: ١٧١٤.

(٢) المقصود منها قبيلة ابن ملجم المرادي.

(٣) هذا بيت من القصيدة التي مدح بها ابن ملجم ـ عليه لعنة الله ـ والتي عارضه العلماء عليها، والتي منها هذه الأبيات.

إني لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا
لله در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق إنسانا =

بل ضربة من شقي أورثته لظىً ... مخلداً قد أتى الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصداً بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا[١]

إلى جانب هذه الوسائل التي ذكرتها هناك وسيلة أخرى اتخذها علماء السنة المغاربة في مقاومة الفكر الخارجي هي وسيلة التأليف، حيث تناولوا أفكارهم من خلال مؤلفاتهم بالنقد والتفنيد.

فهذا الإمام ابن عبد البر قد تناولهم بالنقد، وتناول أفكارهم وعقائدهم بالتفنيد من خلال مصنفاته في السنة، وبين سوء معتقدهم وانحرافهم عن منهج السنة، فهو يعرفهم مثلاً بقوله: «قوم استحلوا بما تأولوا من كتاب الله دماء المسلمين وكفروهم بالذنوب، وحملوا عليهم السيف وخالفوا عامتهم»[٢].

وقال في موطن آخر: «كان للخوارج من خروجهم تأويلات في القرآن ومفارقة لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين أخذوا الكتاب والسنة عنهم وتفقهوا عليهم، فخالفوا في تأويلهم ومذاهبهم الصحابة والتابعين فكفروهم، وكفروا المسلمين بالمعاصي واستحلوا بالذنوب دماءهم، وكان خروجهم ـ فيما زعموا ـ تغييراً للمنكر ورداً للباطل، وكان ما جاؤوا به أعظم المنكر وأشد الباطل، فهذا أمر أصل الخوارج وأول خروجهم كان على علي بن أبي طالب رضي الله عنه».

ثم يقول: «وكان للقوم صلاة بالليل وصيام، يحقر الناس أعمالهم عندها، كانوا يتلون القرآن أثناء الليل والنهار، ولم يكن يتجاوز حناجرهم ولا تراقيهم، لأنهم كانوا يتلونه بغير علم، وكانوا قد حرموا فهمه والأجر على تلاوته، وهذا ـ الله أعلم ـ معنى

---

= أمسى عشية غشاه بضربته ... مما جناه من الآثام عريانا
انظر هذه الأبيات في طبقات الشافعية (١/ ٢٨٨)، خزانة الأدب (٢/ ٣٥٢) وفي غيرهما من المصادر.

(١) انظر هذه الأبيات في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، خزانة الأدب تحقيق عبد السلام هارون (٥/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، وفي تاريخ الجزائر القديم والحديث لمحمد بن المبارك الميلي تقديم وتصحيح محمد الميلي طبع دار الغرب الإسلامي (٢/ ٨٠) وقد عارضه كثير غيره: منهم أبو الطيب الطبري، والإسفراييني في كتابه (التبصير في الدين) وغيرهما.
انظر عن ذلك: خزانة الأدب (٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤)، طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٢) انظر عقيدة ابن عبد البر (ص ١٢٠) نقلاً عن الاستذكار (ق ٧٣).

قوله: «لا يجاوز حناجرهم»[١] يقول: لا ينتفعون بقراءته كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب إلا بما يجاوز حنجرته، وقد قيل: إن معنى ذلك أنهم كانوا يتلونه بألسنتهم ولا تعتقده قلوبهم، وهذا إنما هو في المنافقين»[٢].

وقد انتقدهم في مسائل أخرى غير هذه كإنكارهم للحوض، مثلهم في ذلك مثل المعتزلة حيث يقول: «والإيمان بالحوض عند جماعة المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة»[٣].

كما انتقدهم في مسائل الفروع كإيجابهم الصلاة على الحائض ونفيهم لرجم الزاني المحصن وغير ذلك من المسائل التي خالفوا فيها الأمة[٤].

وممن تناولهم بالرد أيضاً الإمام المازري في شرحه لمسلم المسمى بـ «المعلم في فوائد مسلم» وقد ذكرت المسائل التي انتقدها عليهم عند الحديث عن مقاومة الاعتزال، وقد رد على الخوارج بخاصة في تكفيرهم بالذنب عند شرحه لحديث: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**» الذي استدلوا به على ما ذهبوا إليه، حيث يقول: «يحتمل أن يكون قال ذلك في المسلم مستحلاً فيكفر باستحلاله، وإذا احتمل ذلك لم تكن فيه حجة لمن كفر بالذنب»[٥].

هذا ما كان من أمر مقاومة علماء المغرب للفكر الخارجي، ولعل فيه غناء في رسم صورة حقيقية عن جهود العلماء في مقاومة البدعة ونشر السنة، والله الموفق.

---

(١) سبق تخريج الحديث.
(٢) انظر: عقيدة ابن البر (ص ١٢٠).
(٣) التمهيد (٢/ ٢٩١).
(٤) عقيدة ابن عبد البر (ص ١١٩) وانظر حول هذه المسائل: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ١٩٠ ـ ١٩٢).
(٥) المعلم لفوائد مسلم (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الرابع
# مقاومة علماء المغرب للتصوف

المبحث الأول: في تعريف التصوف وظهوره .

المبحث الثاني: بداية انحراف التصوف .

المبحث الثالث: المقاومة.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



## المبحث الأول
## تمهيد في نشأة التصوف

### تعريف التصوف :

عرف ابن خلدون التصوف بقوله: «هو محاسبة النفس على الأفعال والتروك والكلام في الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات، ثم تستقر للمريد مقاماً ويترقى منها إلى غيرها، وللصوفية آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم، إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف، اصطلح على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه، فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس يوجد لغيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه»[١].

و قد سبق الحديث عن اشتقاق لفظ التصوف، هل هو من لبس الصوف أم من غيره، فلا داعي لإعادة ذكره هنا.

كما أشرت أيضاً ـ فيما سبق من البحث ـ إلى أن التصوف نشأ نشأة طبيعية ـ وهي الزهد في الدنيا ومتعها والإقبال على الآخرة وبذل الجهد لها، وكان هذا السلوك نتيجة طبيعية لما آل إليه أمر المسلمين بعد فتحهم البلاد، وإقبال الدنيا عليهم، حيث امتدت هذه الفتوحات حتى شملت بلاد العجم التي كانت تزخر بكنوز لا قبل للعرب بها من قبل، فأصبحت تلك الكنوز بأيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا[٢]، فافتتن بها الكثير منهم وهو ما كان حذر منه رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري وغيره من «أن رسول الله ﷺ، بعث أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان الرسول الله ﷺ هو الذي صالح أهل البحرين وأمّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فلما

(١) المقدمة (٣/ ١٠٦٥).

(٢) لكن هذا لا يعني أن الصحابة والفاتحين كان همهم جمع المال، ولا يعني أنهم إنما خرجوا من بلادهم لمقصد آخر غير نشر الإسلام، لكن أعداء الإسلام يرون غير ذلك، يرون أنهم إنما خرجوا لأنهم كانوا متعطشين لحياة مادية أقل شظفاً من تلك التي تهيئها لهم حياة الصحراء، هذا ما توصل إليه شيوخ الاستشراق وأذنابهم من أبناء الإسلام بعد دراسة معمقة ومجردة كما يدعون.
انظر على سبيل المثال: الفرق الإسلامية للشمال الإفريقي لألفرد بل، ترجمة عبد الرحمن بدوي (ص ٧٨).

انصرف تعرضوا له، فابتسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال : «**أظنكم سمعتم أبا عبيدة قدم بشيء ؟**» قالوا : أجل يا رسول الله، قال : «**فأبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**»[1].

وإزاء هذا الافتتان كان طبيعياً أن تنشأ حركة الزهد للوقوف في وجه هذا السيل الجارف، حيث ظهرت جماعة الزهاد كجماعة متميزة لها خصائص معينة، وإذا بحثنا في أصل هذه الجماعة نجد أن طريقتهم ـ كما يقول ابن خلدون ـ: «لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»[2].

فهذا النص يبين أن التصوف في بدايته نشأ بقصد الزهد في الدنيا وزينتها والإقبال على الآخرة والعمل لها، وهذا ما دعا إليه القرآن والسنة، وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرة الصحابة والتابعين كانت تطبيقاً عملياً لهذا.

ولقد كانت هذه الطائفة في بداية نشأتها غاية في الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة الصحابة ﷺ الذين كانوا أزهد الناس وكانت أقوالهم تحث على الدعوة الخالصة للعودة إلى الكتاب والسنة.

وقد أشرت من قبل إلى طائفة من أقوال أئمة التصوف من أهل المشرق حول هذا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في المغازي رقم: ٤١٥، الفتح (٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) وفي كتاب الجزية (باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب) رقم : ٣١٥٨، الفتح (٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) وأخرجه في الرقاق (باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس عليها) رقم: ٦٤٢٥، الفتح (١١/ ٢٤٣).
وأخرجه مسلم في كتاب الزهد رقم الحديث ٢٩٦١، صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٣ ـ ٢٢٧٤)، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة، رقم الحديث: ٢٤٦٢، انظر : سنن الترمذي (٤/ ٦٤٠ ـ ٦٤١).

(٢) مقدمة ابن خلدون (٣/ ١٠٦٣)، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، طبعة لجنة البيان العربي (١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م).

الموضوع، ولما كان البحث يتعلق بعلماء المغرب فإنه يحسن أن أشير أيضاً إلى طائفة من أقوال علمائهم، لعلها تبرز هذا الجانب عندهم حتى تكتمل الصورة لدى القارئ.

فهذا أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي (ت ١٧٢ هـ)[١] الذي كان من الزهاد القانتين المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة، وكان يوصي بكتاب الله وينصح بالالتزام به، ففي رسالته إلى البهلول بن راشد يقول له: «واستعن بكتاب الله عز وجل وكثرة ذكره وتلاوته فإنه الشفاء والرحمة للمؤمنين»[٢].

وهذا الزاهد أبو خالد عبد الخالق المعروف بالقتاب[٣] الذي كان من المجتهدين في العبادة راغباً في الآخرة، كثير الخوف دائم الحزن، كثير المعروف قليل الهيبة للملوك، وكان يوصي بالقرآن الكريم والالتزام به والإكثار من تلاوته، ويوصي بالصلاة بالليل وبحفظ اللسان وذكر الموت[٤].

وغير هؤلاء كثيرون، ممن كانوا قائمين على كتاب الله قراءة ومدارسة وامتثالاً لأوامره ونواهيه، ودعوة لما فيه من الزهد والورع والتعفف.

وكانت العبادة والإقبال على الله تعالى والانقطاع إليه والبكاء عند قراءة القرآن أو سماع الموعظة، من أبرز سمات الزهاد الأوائل، وكانت لهم في هذه الميادين مقامات عالية، فيها دلالة على عظيم زهدهم، وخوفهم وخشيتهم من الله تعالى واليوم الآخر.

لقد كان منهم من يقطع الليل كله في العبادة ومناجاة الله تعالى، كما كان يفعل عبد

---

(١) هو: أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي، كان رجلاً صالحاً متعبداً مستجاباً مشتهراً بالفضل والزهد، روى عنه سمعان وعبد الرحمن بن عمر والأوزاعي وغيرهم، توفي سنة ١٧٢ هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ٤٥ ـ ٥٢)، رياض النفوس (١/ ٣٠٠ ـ ٣١٢) رقم: ١١٨، معالم الإيمان (١/ ٢٥٣ ـ ٢٦٣) رقم: ٧٦.

(٢) رياض النفوس (١/ ٣٠٦).

(٣) هو: أبو خالد عبد الخالق المتعبد، يعرف بالقتاب وقيل: القتات، كان من طبقة المجتهدين في العبادة من أصحاب البهلول بن راشد، لم تذكر مصادر ترجمته سنة وفاته.
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (١٤٠ ـ ١٤٥) رقم: ١٤، رياض النفوس (١/ ٣٢٤ ـ ٣٣١) رقم: ١٢٢، معالم الإيمان (٢/ ٢٧ ـ ٢٩) رقم: ٨٨ .

(٤) انظر مصادر ترجمته.

المالك بن أبي كريمة الزاهد (ت ٢٠٤ هـ)[١]، الذي كان يقوم الليل كله، فإذا أقبل السحر جعل يدعو بصوت محزون: "إليك قطع العابدون دجى الليل بتبكير الدلج، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك وحدك إلهي لا بغيرك أسألك أن ترفعني إلى درجة المقربين وتجعلني في زمرة السابقين"، فلا يزال كذلك حتى ينادي بالفجر[٢].

و هذا أبو عبد الله حمدون بن عبد الله العسال (ت ٢٤٤ هـ)[٣] الذي كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد في العبادة، كان يصلي ثلث الليل وينام ثلثه ويبكي ويدعو ثلثه[٤].

وهذا عيسى بن دينار (ت ٢١٢ هـ)[٥] ناشر مذهب مالك في الأندلس، روي عنه أنه ظل أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة.

وكان عبد الرحيم المستجاب (ت ٢٤٧هـ)[٦] غاية في الزهد في الدنيا ومتاعها رغم

---

(١) هو: أبو يزيد عبد الملك بن أبي كريمة الزاهد الأنصاري، كان ثقة خيراً، ويقال: كان مستجاباً، سمع من أبي مالك وعمرو بن لبيد وغيرهما، وحدث عنه سحنون وداود بن يحيى وغيرهما، ألف كتاباً في الزهد، توفي سنة ٢٠٤ هـ وقيل سنة ٢١٠ هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ٢١٥ ـ ٢١٧) رقم: ١٤٨، رياض النفوس (١/ ٣٢٣) رقم: ١٢١، تهذيب التهذيب (٦/ ٤١٨) رقم: ٨٧٠.

(٢) رياض النفوس (٢/ ٣٢٣).

(٣) هو: أبو عبد الله حمدون العسال، كان أحد المجتهدين في العبادة، كثير الصدقة، من أهل الفضل والصدق، توفي رحمه الله سنة ٢٤٤ هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤١٠ ـ ٤١١) رقم: ١٣٩، معالم الإيمان (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٨) رقم: ١٠٩.

(٤) مصادر ترجمته.

(٥) هو: أبو عبد الله عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، أصله من طليطلة وسكن قرطبة، رحل فسمع من أبي القاسم وصحبه وعول عليه، وانصرف إلى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد، وكان عابداً فاضلاً ورعاً، توفي سنة ٢١٢ هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٣١) رقم: ٩٧٥.

(٦) هو: أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد المعروف بعبد الرحيم المستجاب، سمع من سحنون، ومن أسد بن الفرات، وطلب العلم وعني به، وكان أول أمره تاجراً في القيروان ثم ترك ذلك، توفي سنة ٢٤٧ هـ.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ١١٢)، رياض النفوس (١/ ٤٢١ ـ ٤٣٠) رقم: ١٤٥، ترتيب المدارك (المجلد الثاني: ٩٥ ـ ٩٩).

الأموال الكثيرة التي كان ورثها عن أبيه، وكان آية في العبادة والإقبال على الله تعالى حيث تذكر مصادر ترجمته أنه كان إذا جن الليل قام إلى محرابه فهو راكع وساجد إلى أن ينادي بالفجر، وكان السهر وطول القيام وسرد الصيام قد غيره، حتى كان يبدو كأنه مبهوت ، ولما توفي رثاه بعض الشعراء بمراث، جاء في بعضها :

ما كان أتقاه وأحسن أمره    في الله يسعى قد تشمر واتزر
أما النهار فصائم متهجد    و الليل يهتف بالقرآن إلى السحر[1]

أما بكاؤهم عند سماع القرآن أو الموعظة أو الرقيقة، فكانت لهم أيضاً مقامات عالية فيه، ومصادر تراجمهم تنقل لنا صوراً رائعة عن سلوك هؤلاء عند سماعهم للقرآن أو الموعظة، من ذلك ما ورد في ترجمة أبي عبد الله حمدون بن عبد الله العسال الذي ذكرته آنفاً، أنه قرأ ليلة قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٨٦]، فسقط على وجهه في المحراب فأقام ساعة وهو على تلك الحال[2].

وكان سبب موت أبي يوسف حجاج بن أبي يعقوب السرتي (ت ٣٤٩ هـ)[3] أنه سمع قارئاً يقرأ آية الكرسي فلم يزل يرددها وهو يبكي حتى حمل إلى بيته ففاضت نفسه.

وكان حمدون بن مجاهد الكلبي[4] (ت ٣٢١هـ) من أهل الزهد والورع والعبادة، كثير

---

(١) انظر عن هذين البيتين وغيرهما : رياض النفوس (١/ ٤٣٠)، ترتيب المدارك (٢/ ٩٩)، وانظر تراجم أغلبية للقاضي عياض (ص ١٦٣).

(٢) انظر مصادر ترجمته.

(٣) هو: أبو يوسف حجاج بن أبي يعقوب السرتي الدقاق القيرواني، كان من خيار عباد الله، كان يقال: ما كنا نظن إفريقية أخرجت مثل حجاج في يقينه وثقته وتصحيح معاملته، انتقل إلى مصر فمات بها ودفن بالمقطم وذلك سنة ٣٤٩ هـ.
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/ ٦١ ـ ٦٣) رقم: ٢١٣.

(٤) هو : حمدون بن مجاهد الكلبي من أصحاب عيسى بن مسكين، سمع ابن سحنون وكانت له رحلة، كان من أهل الفضل والدين، يحسن الفقه ويتكلم فيه وألف عدة مصنفات في أبواب العلم، توفي سنة ٣٢١هـ وقيل: ٣١٩ هـ.
مصادر ترجمته: تراجم أغلبية للقاضي عياض (ص ٤٢٠) رقم الترجمة: ٨٧٣ بتحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية سنة ١٩٦٨م، رياض النفوس (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) رقم: ٢١٢.

البكاء عند قراءة القرآن، كان إذا انصرف من المحراب، يوجد موضع سجوده قد ابتل من دموعه، وروي عنه أنه صلى بالناس التراويح، فلما ختم بهم ليلة سبع وعشرين أخذ في الدعاء والبكاء والناس حوله يبكون، فتاب تلك الليلة ممن يشرب المسكر وغيرهم نحو سبعين رجلاً»[١].

وكان منهم من يكثر البكاء والنحيب إذا سمع ما يخوفه من عذاب الله أو يذكره بالآخرة، فهذا إبراهيم بن محمد القصري الزاهد (ت ٣٣٤هـ)[٢] الذي كان إذا قرأ القرآن بكى وإذا صلى بكى، فقد نقل صاحب معالم الإيمان عن أبي محمد بن التبان أنه قال: «قال أبو الحسن الزعفراني[٣]: بتنا ليلة ومعنا أبو إسحاق القصري فقال قائل:

من كان يرجو بأن يلقى سلامته ... يوم الحساب ولا يفزعه مورده

فليحفظ الله في أسرار خلوته ... و لا يغيب عن الإجلال مشهده

فجثا أبو إسحاق على ركبتيه بين يديه يبكي وينتحب حتى هجم الصبح»[٤].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن محمد بن عيسى القصري المؤدب الزاهد من أهل العلم والقرآن والاجتهاد، وكان له حزن وخشية وورع، حسن الصوت بالقرآن، وتوفي في السجن سنة ٣٣٤هـ من أجل كلمة حق في دين الله قالها.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٩) رقم: ٢٣٢، معالم الإيمان (٣/ ٣٩ ـ ٤١) رقم: ١٩٦.

(٣) هو: أبو الحسن الزعفراني فقيه متعبد، له محبة في أهل العلم والصلاح، توفي سنة ٣٦٢هـ، وهو ابن أربع وسبعين سنة.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٣/ ٨٠) رقم: ٢٢٠.

(٤) رياض النفوس (٢/ ٣١٩).
انظر القصة في ترجمته في معالم الإيمان (٣/ ٤١)، وهي تذكرني بقصة أخرى وقعت للإمام أحمد رحمه الله ذكرها ابن الجوزي رحمه الله وهي «أن الإمام أحمد قال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار، أي شيء تقول فيها؟ فقال الإمام أحمد: "مثل أي شيء؟"، قال: يقولون:

إذا ما قال لي ربي ... أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب عن خلقي ... بالعصيان تأتيني

فقال الإمام أحمد: "أعد علي"، قال: فأعدت عليه، قال: فدخل بيته ورد الباب، فسمعت نحيبه =

وكان أبو خلف الخياط واسمه مطروح بن قيس (ت ٢٤٦ هـ)[١] غزير العبرة دائم البكاء، كان جالساً مرة مع بعض أصحابه يداعبهم، ثم سرعان ما انقلبت مداعبته لهم حزناً عندما ذكر له قول عبد الله بن المبارك:

و عبرة في سواد الليل جارية      على الخدود لحر النار قد دمعوا

فاندفع أبو خلف في البكاء وهو يقول: "واحسرتي، وامصيبتي في نفسي"[٢].

و كان لأحمد بن معتب بن أبي الأزهر[٣]، صلاة طويلة بالليل، وبكاء حتى يسمع جيرانه بكاءه، وكان سبب وفاته أنه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فخر صعقاً وحمل إلى بيته فلم يلبث أن توفي، وسمع ذات مرة قائلاً يقول :

العفو أولى لمن كانت له القدر      و لا سيما عن مصر ليس ينتصر

أقر بالذنب إجلالاً لسيده      وقام بين يديه وهو يعتذر

فجعل يبكي وينتحب من شدة تأثره[٤].

وهذا أبو عمرو بشير بن عمروس العابد[٥] كان من الزهاد العابدين المنقطعين إلى

---

= من داخل البيت وهو يقول:

إذا ما قال لي ربي      أما استحييت تعصيني

انظر : تلبيس إبليس (ص ٢١٨).

(١) هو: أبو خلف مطروح بن قيس الخياط، كان فاضلاً جليلاً مشهوراً بالعبادة سمع من بهلول بن راشد والفضيل بن عياض وغيرهما وصحب جماعة من العلماء والمتعبدين. توفي سنة ٢٤٦ هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤٠٨ ـ ٤١٠) رقم: ١٣٨، معالم الإيمان (٢/ ١٠٩ ـ ١١١) رقم: ١٠٧، البيان المغرب (١/ ١١٣).

(٢) انظر رياض النفوس (١/ ٤١٠).

(٣) هو: أحمد بن معتب بن أبي الأزهر الأزدي، كان نبيلاً معدوداً من أصحاب سحنون وكان له رحلة إلى المشرق وسمع سماعات كثيرة. توفي سنة ٢٧٦ هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/ ٤٧٠ ـ ٤٧٢) رقم: ١٥٢، معالم الإيمان (٢/ ١٧٧ ـ ١٨٤) رقم : ١٢٦، الديباج المذهب (١/ ١٤٧) رقم: ٧.

(٤) انظر تراجم أغلبية (ص ٢٥٨).

(٥) هو: أبو عمرو بشير بن عمروس العابد، كان من المتعبدين الزهاد، وكانت له قريحة جيدة في العلم وكان يحسنه إلا أن العبادة غلبت عليه، وكان قد حج ودخل الشام وطرسوس ولقي جماعة من الصالحين وانتفع بهم، لم أعثر على سنة وفاته.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) رقم: ١٤٣.

الله وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً، أقام على ذلك ستين سنة، وكان غزير الدمع، دخل عليه يوماً جماعة من أصحابه، فجعل أحدهم يقول:

قل لمن جاء يخطب حوراً لاعباً    أنت في الخطبة عندي كاذباً

فجعل بشير يبكي وينتحب من شدة تأثره بهذا القول[١].

وكان أبو علي شقران بن علي الفرضي[٢] وكان يقال: إنه مستجاب نشأ على طهارة مع كثرة صيام وصلاة وكثرة حزن وخشية، وكان رقيق القلب غزير الدمعة[٣].

وهذا الإمام أبو الوليد يونس بن مغيث (ت ٤٢٩هـ)[٤] الذي كان من أهل العلم بالفقه والحديث، كثير الرواية، قائلاً للشعر النفيس في معاني الزهد وما شابهه، وكان كثير الخشوع لا يتمالك من سمعه عن البكاء، مع الخير والفضل والزهد في الدنيا والرضى منها باليسير، وكان إذا ذُوكِرَ في شيء من أمور الآخرة، اصفر وجهه ودافع البكاء ما استطاع وربما غلبه فلا يستطيع أن يمسكه، وكان الدمع قد أثر في عينيه وخديه لكثرة بكائه[٥].

وهكذا كان زهدهم في الدنيا ومتاعها، وتقللهم منها والاكتفاء منها باليسير وإيثارهم

---

(١) انظر: رياض النفوس (١/ ٤١٩).

(٢) هو: أبو علي شقران بن علي الفرضي كان رجلاً صالحاً وكان ضريراً، عالماً بالفرائض وله فيها كتاب، روى عنه سحنون وعون بن يوسف، نشأ على طهارة مع كثرة صلاة وصيام وكثرة حزن وخشية، وكان يرد الناس إلى عبادة ربهم بالموعظة الحسنة.
مصادر ترجمته (١/ ٣١٢ ـ ٣٢١) رقم: ١١٩، معالم الإيمان (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٨) رقم: ١١٩٠.

(٣) رياض النفوس (١/ ٣١٣).

(٤) هو: أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها يعرف بابن الصفار، روى عن أبي بكر محمد بن معاوية القرشي وأحمد بن ثابت التغلبي وغيرهما، ولي القضاء والخطبة، ثم انصرف عن كل ذلك ولزم بيته، ثم قلد مرة أخرى قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطبة بجامعها سنة ٤١٩هـ وبقي قاضياً إلى أن توفي سنة ٤٢٩هـ وكان مولده سنة ٣٣٨ هـ له مؤلفات عدة في الزهد والرقاق منها: كتاب "التسلي عن الدنيا بتأميل خير الآخرة"، وكتاب "فضائل المجتهدين"، وكتاب "المستصرخين بالله عند نزول البلاء" وغيرها.
مصادر ترجمته: تاريخ قضاة الأندلس للنباهي (١/ ٤١٠ ـ ٤١١)، الصلة (٢/ ٦٨٤) رقم: ١٥١٢.

(٥) انظر مصادر ترجمته.

على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وكرم النفس ووصل الضعفاء والمحتاجين بما يصلحهم كل ذلك كان من أخلاقهم أيضاً، فكثير منهم كان لا يدخر من ماله إلا بالقدر الضروري لحياته، أما غير ذلك فكان ينفقه في سبيل الله ومن اطلع على تراجمهم في هذا الجانب رأى العجب.

تلك كانت بداية التصوف، وهكذا كان حال الزهاد قبل الانحراف، أجملناها في هذه المقدمة المقتضبة لتكون لدينا صورة عن الموضوع حين نشير إلى مقاومة هذا الجانب من قبل علماء المغرب بعد تغير الأحوال، وجنوح التصوف إلى الانحراف والانحلال.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

## المبحث الثاني
## بداية الانحراف

ثم بدأ الانحراف بالزهد إلى غير طريقه الذي رسم له، وكانت بداية هذا الانحراف من العبادة نفسها حين زاد هؤلاء الزهاد على القدر الذي حدده النبي ﷺ ظناً منهم أنهم بذلك يتقربون إلى الله أكثر، وما دروا أن التقرب إلى الله لا يكون تقرباً، إلا إذا كان موافقاً لسنة النبي ﷺ، كما يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني: «ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»(١).

وكما يقول الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك : ٢]، «قال: "أخلصه وأصوبه"، قيل: "يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟، قال: "إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة»(٢).

والآيات والأحاديث في الحث على اتباع النبي ﷺ والالتزام بسنته وعدم الزيادة عليها لا حصر لها، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور : ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»(٣).

وقد تناولت هذا الموضوع بالحديث بما يكفي في موضعه من هذا البحث عندما تحدثت عن موقف مالك من البدعة، قلت: من هنا بدأ الانحراف عند الزهاد المغاربة، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم بالمشرق، الذين كانوا سباقين في كل شيء للأسباب المعروفة.

لقد بدأ الانحراف أول ما بدأ بالتعمق في العبادة والمغالاة فيها وإجهاد النفس بكثرة

---

(١) رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص ٧٩).

(٢) الاستقامة للإمام ابن تيمية (١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٣) هذا جزء من حديث طويل سبق تخريجه.

العبادة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وقلة أكل وتبتل وامتناع، عما أحله الله تعالى لعباده من الطيبات وامتناع عن المباحات والمبالغة في ذلك، ورعاً وتزهداً وتقرباً إلى الله[١] على حسب ظنهم، فهذا أبو حفص بن عبد الله الفتال[٢] جعل على نفسه ألا يضحك أبداً ولا ينام مضطجعاً أبداً، ولا يأكل سميناً أبداً فما رئي فعل ذلك حتى مات[٣].

وهذا أبو السري واصل العابد الجمي (ت ٢٥٢هـ)[٤] أقام أربعين سنة لم يدخر شيئاً من الدنيا، وإنه ليقيم الأيام لا يطعم شيئاً، فإذا أجهد خرج فأكل من الأرض ثم عاد إلى مصلاه.

وكان منهم من يسرد الصيام طول عمره كما كان يفعل يوسف بن مسرور[٥] (ت ٣٢٥ هـ) جاء في ترجمته أنه أقام أربعين سنة ما طبخ قدراً، وأنه جلس ثلاثين سنة ما أكل عسلاً ولا سمناً، وكان يقول: «إنما يريد البقاء في الدنيا من يتلذذ بالطعام والنساء والنوم، وأنا والله عدمت هذه الثلاث».

---

(١) يقول الإمام ابن تيمية في "مختصر الفتاوى المصرية" (ص ٥٦١): «ومن تعبد بالصمت أو بالقيام في الشمس أو الجلوس أو بالعرى ونحو ذلك فهو ضال يجب أن ينكر عليه»، قال: «وكذلك من ترك أكل الخبز أو شرب الماء تزهداً في الدنيا وتقرباً إلى الله فهو جاهل مبتدع ضال، عاص لله ورسوله ناقص العقل مخادع، وفي مقابل ذلك نجد كثيراً من المنكرين لبدع العبادات والعادات مقصرين في فعل السنن والأمر بها ولعل "حال كثير منهم كما يقول الإمام ابن تيمية يكون أسوأ من حال من يأتي بتلك العبادات المشتملة على نوع من الكراهية». اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٧).

(٢) هو: أبو حفص عمر بن عبد الله الفتال، صاحب سحنون، كان من العباد، لم أعثر على سنة وفاته. مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ١٩٧ ـ ١٩٨) رقم: ٨٣، معالم الإيمان (١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) رقم: ٧٥.

(٣) رياض النفوس (١/ ١٩٧).

(٤) هو: أبو السري واصل بن عبد الله الجمي (نسبة إلى قصر جمه الذي كان يرابط فيه) يعبد الله، وجمة شبه جزيرة أقيمت فوقها مدينة المهدية، كان من أهل الزهد والعبادة، طلب العلم على سحنون وعون بن يوسف. توفي سنة ٢٥٢ هـ.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ٤٣١ ـ ٤٤١) رقم: ١٤٦، ترتيب المدارك (المجلد الثاني/ ١٠٠ ـ ١٠٤)، تراجم أغلبية (ص ١٦٤ ـ ١٧٠) رقم: ٣٣.

(٥) هو: أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي، كان رجلاً صالحاً ثقة كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم، سمع من يحيى بن عمر وتوفي سنة ٣٢٥ هـ.
مصادر ترجمته: تراجم أغلبية (٤١٦ ـ ٤٢٩) رقم: ١٧٢، رياض النفوس (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٥١) رقم: ٢١٦، معالم الإيمان (٣/ ١١٣ ـ ١١٥).

ثم ظهرت المبالغات والأساطير التي بدأت تحوم حول هؤلاء الزهاد وكثرة عبادتهم وكأنهم من غير بني البشر، فيذكرون عنهم أنهم كانوا يختمون القرآن مرات عديدة في ليلة واحدة، كما جاء في ترجمة أبي عبد الله محمد بن نصر المتعبد (ت ٣٠٩هـ)[١] أنه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث مرات وفي بعضها خمس مرات[٢].

ومن المبالغات غير المعقولة أيضاً، ما ورد في ترجمة بعضهم أنه كان يقوم الليل بخمسمئة ركعة، كما جاء عن أبي يوسف بن مسرور الزاهد الفقيه أنه كان يقوم الليل بخمسمئة ركعة يختم فيها القرآن[٣]، وهذه المبالغات غير معقولة ألبتة، فغير معقول أن يختم الرجل في ليلة واحدة خمس ختمات أو ثلاث ختمات، أو أن يقوم الليل بخمسمئة ركعة.

طبعاً هم سيجيبون أنه غير معقول بقياس البشر، أما بقياس الله فليس للزمن قيمة، لأن الله هو رب الزمن، وهو الذي يملك أن يمده إلى أضعافه، وهو الذي ينعم على عباده بالكرامات فيسخر لهم الزمن إلى آخر كلامهم، ونحن نجيبهم بدورنا: إنه على فرض التسليم بأن ذلك ممكن، إلا أنه ليس فيه فضل ولا زيادة أجر لمخالفته هدي نبينا ﷺ، لأن كثرة الختمات لا تكون إلا مع الإسراع، وهدي نبينا محمد ﷺ في قراءة القرآن هو الترتيل امتثالاً لأمره تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] ليحصل بذلك التدبر، يقول الإمام ابن عبد البر: «والترتيل: التمهل والترسل ليقع مع ذلك التدبر وكذلك كانت قراءته ﷺ حرفاً حرفًا فيما حكت أم سلمة وغيرها»[٤]، ويقول الإمام النووي: «و قد اتفق العلماء رضي الله عنهم على استحباب الترتيل»[٥]، وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها: «أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً»[٦]، وذكر الإمام الزهري

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن نصر المتعبد المعروف بابن الغني، من رجال محمد بن سحنون، كان فقيهاً زاهداً عابداً، توفي سنة ٣٠٩ هـ.
مصادر ترجمته معالم الإيمان (٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٣) رقم: ١٧٣.

(٢) معالم الإيمان (٢/ ٣٥١).

(٣) المعالم (٣/ ١٣).

(٤) انظر التمهيد (٦/ ٢٢٢).

(٥) انظر التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٧٥).

(٦) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب استحباب الترتيل في القرآن) رقم الحديث: ١٤٦٦، انظر السنن (٢/ ٧٤) والإمام الترمذي في كتاب فضائل القرآن (باب ما جاء: كيف قراءة النبي ﷺ) =

رحمه الله أن قراءته ﷺ كانت آية آية[1]، ولذلك يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «لأن أقرأ سورة أرتّلها أحبّ إلي من أن أقرأ القرآن كله»[2].

وعن مجاهد «أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما واحد؟ فقال: "الذي قرأ البقرة وحدها أفضل»[3].

وكما استحب ترتيل القرآن فقد نهي عن الإفراط في الإسراع في قراءته وهو ما يسمى بالهذ[4] كما ثبت ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أن رجلاً قال له: "إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة"، فقال عبد الله بن مسعود: هذّاً كهَذِّ الشعراء، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم»[5].

وإنما استحب الترتيل ـ كما قلنا ـ لأن تدبر القرآن وفهم معانيه العظيمة الجليلة لا يكون إلا معه، ولذلك قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[6].

---

= رقم: ٢٩٢٣، السنن (٥/ ١٦٧)، والإمام النسائي في كتاب صلاة الليل (باب ذكر صلاة رسول الله ﷺ) انظر سنن النسائي (٣/ ١٧٤)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٩٤ ـ ٣٠٠).

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (١/ ٣٣٧).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٧٠).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٧٠).

(٤) الهذ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة هذّ القرآن يهذّه هذًّا: يقال هو يهذ القرآن هذاً، ويهذ الحديث هذاً أي يسرده.
انظر لسان العرب (٣/ ٥١٧) مادة: هذذ ـ طبعة: دار صادر بيروت (١٣٨٨ ـ ١٩٦٨).

(٥) الأثر عن ابن مسعود أخرجه الإمام البخاري في الأذان (باب الجمع بين السورتين في الركعة) رقم: ٧٧٥، الفتح (٢/ ٢٥٥) وفي كتاب فضائل القرآن (باب الترتيل في القراءة) رقم: ٥٠٤٣، الفتح (٩/ ٨٨).
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب ترتيل القرآن واجتناب الهذ) رقم: ٢٧٥ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، انظر صحيح مسلم (١/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ـ ٥٦٥)، وأخرجه أبو داود في الصلاة (باب تحزيب القرآن) رقم: ١٣٩٦، سنن أبي داود (٢/ ٥٦) وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٨٠، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٦٢). ومعنى لا يجاوز تراقيهم: أي أن القرآن لا يجاوز تراقيهم ليصل إلى قلوبهم فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم والتراقي: جمع ترقوة: وهي العظم الذي بين النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين.

(٦) الحديث أخرجه أبو داود في الصلاة (باب تحزيب القرآن) رقم: ١٣٩٤، انظر السنن (٢/ ٥٦)، =

ولم يرخص لعبد الله بن عمرو بن العاص حين راجعه في المدة التي يختم فيها القرآن أن يقرأه في أقل من سبع، فقال عليه السلام: «**اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك**»[١]، فكيف لا يفقه من قرأه مرة في أقل من ثلاث، وهم الصحابة الذين نزل فيهم القرآن الكريم، ويفقه من يقرؤه من دونهم ثلاث أو خمس مرات في اليوم، ومن هنا قال الإمام الذهبي رحمه الله عند ترجمته لسعيد بن جبير رحمه الله الذي روي عنه أنه كان يختم بين المغرب والعشاء في شهر رمضان، قال: «هذا خلاف السنة وقد صح النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث»[٢]، وقال الإمام الترمذي: «قال بعض أهل العلم: لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث للحديث الذي روي عن النبي ﷺ»[٣].

وتدبر القرآن وفقه معانيه كل ذلك مقصود من القراءة؛ لأن هذا القرآن لا يفعل فعله ولا يؤدي دوره في النفس البشرية إلا إذا أقبل عليه القارئ يتدبره ويتفكر في معانيه ومقاصده، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال أيضاً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ثم ترجمة هذه المعاني إلى واقع عملي، وهذا ما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ وقد كان النبي ﷺ ترجمة عملية للقرآن الكريم بأخلاقه وسلوكه، كما قالت عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه عليه الصلاة والسلام: «**كان خلقه القرآن**»[٤]، وكان هذا دأب السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، كما يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لقد

---

= وأخرجه الترمذي في كتاب القراءات رقم: ٢٩٤٩، سنن الترمذي (٥/ ١٨٢) بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(١) الحديث أخرجه البخاري في فضائل القرآن (باب قول المقرئ للقارئ حسبك) رقم: ٥٠٥٤ انظر الفتح (٩/ ٩٥)، ومسلم في كتاب الصيام (باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم) رقم: ١٨٢ ـ ١٨٤ صحيح مسلم (٢/ ٨١٣ ـ ٨١٤)، وأخرجه أبو داود في الصلاة (باب تحزيب القرآن) رقم: ١٣٩٥، سنن أبي داود (٢/ ٥٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥)، والأثر عن ابن جبير انظره عند الترمذي (٥/ ١٨١)

(٣) سنن الترمذي (٥/ ١٨٠).

(٤) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم في كتاب المسافرين (باب جامع صلاة الليل ومن نام عنها أو مرض) رقم: ١٣٩، صحيح مسلم (١/ ٥١٢ ـ ٥١٤)، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة (باب في الصلاة في الليل) رقم: ١٣٤٢، سنن أبي داود (٢/ ٤٠ ـ ٤١)، وأخرجه النسائي في قيام الليل (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣) والإمام أحمد في المسند في عدة مواضع (٦/ ٥٤، ٩١، ١١١).

عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها»[١].

ويقول أحدهم: كنا نقرأ العشر آيات لا نتعداها إلى غيرها حتى نعمل بها فكنا نتعلم العلم والعمل معاً، وهذا هو المقصود والغاية من نزول القرآن وقراءته، ولذلك كان الجيل الأول لا نظير له ولا مثيل له في الأجيال التي تلته[٢]، وليس الغرض من قراءة القرآن تحقيق أكبر عدد من الختمات، ولو أدى ذلك إلى تضييع التدبر والتفكر، وكذلك نقول في قيام الليل، فقد بين عليه الصلاة والسلام أن أفضل القيام هو قيام النبي داود على رسولنا وعليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، فقد كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه[٣] وكذلك كان يفعل النبي ﷺ حيث يقول: «**وأصلي وأنام**»[٤].

وقد جاءت الأحاديث والآثار بعدد الركعات التي كان يقوم بها ﷺ وهي لا تتجاوز في كل الروايات ـ الخمس عشرة ركعة[٥]، كما أنكر على المرأة التي كانت تقوم في المسجد وقد ربطت نفسها بحبل حتى لا تسقط إذا تعبت، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُم نَشَاطَه فَإِذا فَتَر فَلْيَقعُد**»[٦] وكذلك بين النبي عليه الصلاة

(١) انظر الأثر في إحياء علوم الدين (المجلد الأول من طبعة الشعب ص ٤٩٨).

(٢) حول هذا الموضوع ينظر "معالم في الطريق" للأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله، فصل "جيل قرآني فريد"، وكتاب: "واقعنا المعاصر" للأستاذ محمد قطب.

(٣) أخرجه البخاري في التهجد (باب من نام عند السحر) رقم الحديث: ١١٣١، الفتح (٣/ ١٦).
وأخرجه مسلم في كتاب الصيام (باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به) رقم: ١٨٩، انظر صحيح مسلم (٢/ ٨١٢).
وأخرجه أبو داود في الصوم (باب في صوم يوم وفطر يوم) رقم: ٢٤٤٨، السنن (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، وأخرجه النسائي في فضل صلاة الليل (باب صلاة نبي الله داود عليه السلام) (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٤) جزء من حديث طويل سبق تخريجه.

(٥) روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل» رقم الحديث: ١١٣٨، فتح الباري (٣/ ٢٠) وعن مسروق أنه قال: «سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر»، رقم: ١١٣٩، الفتح (٣/ ٢٠).

(٦) الحديث أخرجه البخاري في التهجد (باب ما يكره في التشديد في العبادة) رقم: ١١٥٠، الفتح (٣/ ٢٦) من حديث أنس بن مالك أنه قال: «دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين =

والسلام أن أفضل الصيام هو صيام النبي داود عليه السلام، «**كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «**أصوم وأفطر**»[٢].

ثم أنتقل إلى أمر آخر مهم وخطير، ألا وهو امتناع المتصوفة عن الزواج، لأن فيه إلهاء عن عبادة الله تعالى ـ على قولهم ـ، وهم متأثرون في ذلك بالنصارى، ولهم في هذا أقوال شنيعة، منها قول السهروردي[٣]: «التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة»[٤].

ونقل الشعراني[٥]عن أحدهم أنه قال: «من ترك النساء والطعام فلابد من ظهور كرامة»[٦]، وكان رياح بن عمرو القيسي العابد[٧] يقول: «لا يبلغ أحد منزلة الصديقين

= الساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ فقيل: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به فقال النبي ﷺ: الحديث، وهو عند مسلم في صلاة المسافرين (باب أمر من نعس في صلاة أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك»، رقم: ٢١٩، صحيح مسلم (١/ ٥٤١ ـ ٥٤٢)، وأخرجه أبو داود في الصلاة (باب النعاس في الصلاة) رقم: ١٣١٢، سنن أبي داود (٢/ ٣٣ ـ ٣٤) وهو عند أحمد في المسند في مواضع (٣/ ١٠١، ١٨٤، ٢٠٤، ٢٥٦).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هو: شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن الحسن بن أميرك السهروردي ولد بسهرورد سنة ٥٤٩هـ وقتل بحلب سنة ٥٧٨هـ وعرف بفلسفته الإشراقية، واتهم بانحلال العقيدة والتعطيل ولذلك أفتى العلماء بقتله.
مصادر ترجمته وفيات الأعيان (٦/ ٢٦٨ ـ ٢٧٤) رقم: ٨١٣، لسان الميزان (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٨)، النجوم الزاهرة (٦/ ١١٤ ـ ١١٥).

(٤) عوارف المعارف (ص ١٠٤)، التصوف: المنشأ والمصدر (ص ٥٧).

(٥) هو: أبو عبد الرحمن عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني الأنصاري الشافعي المصري، فقيه، أصولي، محدث، صوفي ولد في قلقشندة بمصر سنة ٨٩٨هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٩٧٣هـ، من تصانيفه "الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم"، "لوائح الأنوار في طبقات الأخيار".
مصادر ترجمته: شذرات الذهب (٨/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤)، معجم المؤلفين (٦/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٦) انظر التصوف المنشأ والمصدر (لإحسان الهي ظهير ص ٦٠).

(٧) هو: أبو المهاجر رياح بن عمرو القيسي العابد، بصري زاهد، سمع من مالك بن دينار وحسان بن أبي سنان وطائفة، وعنه سيار بن حاتم وعلي بن الحسن بن أبي مريم وغيرهما، وكان قليل الرواية، وهو من زهاد المبتدعة وقال عنه أبو داود: رجل سوء. =

حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب»(١)، وينقل ابن الجوزي عن أبي حامد الغزالي قوله: «ينبغي ألا يشغل المريد نفسه بالتزويج فإنه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة، ومن شغل بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى»(٢).

هذه ـ كما ترى ـ أقوالهم في الزواج وهي ـ بلا ريب ـ مخالفة لهدي نبينا ﷺ بل ومخالفة لكتاب الله تعالى الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

فقد بين الله تعالى في كتابه العزيز أن الزواج من سنن الله في هذا الكون لاستمرار الحياة البشرية وعمارة الأرض، لتحقيق العبودية لله تعالى، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

و قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ورغب في كثير من الآيات في الزواج فقال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾[النور: ٣٢]، وقال عز من قائل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

= مصادر ترجمته: حلية الأولياء (٦/ ١٩٢ ـ ١٩٧) رقم: ٣٦١، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٦٩) رقم: ١٨٨٨، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٧٤ ـ ١٧٥) رقم: ١٩.

(١) لا أدري كيف تنال مرتبة الصديقين بهذا النسك الأعجمي المخالف لهدي النبي ﷺ في معاملة الأزواج مثل قوله: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»، وقوله: «**استوصوا بالنساء خيراً**»، وقوله: «**إن لزوجك عليك حقاً**» وغير ذلك كثير في هذا المعنى. انظر قوله في السير (٨/ ١٧٥).

(٢) انظر: تلبيس إبليس (ص ٢٨٦) وهذه الأقوال يبدو فيها تأثير النصارى واضحاً، فمن أقوالهم مثلاً ما يقوله «هينس» (HANS): إن المسيحيين القدامى كانوا يعدون ترك الزواج من الأمور الواجبة والمحببة إلى الله والمقربة إلى ملكوته»، انظر التصوف: المنشأ والمصدر (ص ٦٤)، وينقلون عن السيد المسيح عليه السلام أنه قال: «و أما من جهة الأمور التي كتبتم عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة» المصدر نفسه (ص ٦٣).

فالعلاقة الزوجية لا يقصد منها اللذة بقدر ما يقصد منها تحقيق سنة الله في هذا الكون، وتحقيق فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[الروم: ٣٠]، وقد أخبر الله تعالى أن أفضل الخلق وأكملهم وهم الأنبياء عليهم السلام كانت لهم أزواج وذرية فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد: ٣٨]، وهؤلاء الصحابة ﷺ وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، كانت لهم أيضاً أزواج وذرية، وهؤلاء هم قدوتنا الذين أمرنا أن نقتدي بهم، حيث يقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وفضلاً عن ذلك الغرض، فهو أيضاً تحقيق لرغبة رسول الله ﷺ في تكثير سواد المسلمين، وقد جاء الحث من النبي ﷺ والتأكيد على هذا الأمر، بل وتفضيل المرأة الولود حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**»(١).

ويقول النبي ﷺ عن نفسه: «**حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٢)، وقال ابن عباس ﷺ: «تزوجوا فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء»(٣).

ومن هنا جاء التحذير من العزوبة والحث على الزواج من قبل السلف الصالح ﷺ يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء، النبي ﷺ تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع، وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل، فمن رغب عن عمل النبي ﷺ فهو على غير حق»(٤).

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب النكاح (باب كراهية تزويج العقيم) (٦/ ٦٥ ـ ٦٦)، وأبو داود في كتاب النكاح (باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء) رقم: ٢٠٥٠، سنن أبي داود (٢/ ٥٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والإمام البيهقي في سننه (٧/ ٨١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، والإمام النسائي في كتاب عشرة النساء (باب حب النساء) (٧/ ٦١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٧٨).

(٣) الأثر عن ابن عباس أخرجه البخاري في النكاح (باب كثرة النساء) رقم: ٥٠٦٩ الفتح (٩/ ١١٣).

(٤) انظر: تلبيس إبليس (ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

ويقول الإمام ابن العربي في كتابه "العواصم من القواصم"[(١)] وهو يرد على المتصوفة: «وكيف يدعي أحد قطع علائق، ربطها الله قبل ولم يأذن بحلها، وكان النبي ﷺ يشدها ويحث على النكاح وعلى انتقاء الأبكار».

فضلاً عن ذلك كله فالزواج فيه منافع أخرى عظيمة مثل غض البصر عن المحرمات كما قال عليه الصلاة والسلام: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**»[(٢)]، وبهذا يكون الزواج في حد ذاته عبادة إذا قصد منه المسلم هذه المعاني، كما جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا : يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته وله فيها أجر ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[(٣)].

ويلتحق بهذا الأمر: التمتع بنعم الله الأخرى التي أحلها الله لعباده وأباحها لهم حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فلا مانع أن يلبس الإنسان أحسن الثياب، ويأكل أحسن الطعام، ويشرب أحسن الشراب، لا مانع من ذلك كله لكن بشرط عدم الإسراف والتبذير لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

---

(١) (٢/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في النكاح (باب من لم يستطع الباءة فليصم) رقم: ٥٠٦٦ الفتح (٩/ ١١٢) وأخرجه في الصوم أيضاً (باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة) رقم: ١٩٠٥، الفتح (٤/ ١١٩)، وأخرجه مسلم في النكاح (باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة) رقم: ٣ صحيح مسلم (٢/ ١٠١٩)، وأخرجه أبو داود في النكاح (باب التحريض على النكاح) رقم: ٢٠٤٦، السنن (٢/ ٢١٩).

و أخرجه الترمذي في النكاح (باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه) رقم: ١٠٨١، السنن (٣/ ٣٩٢) ومعنى الباءة : الجماع، ومعنى الوجاء : نوع من الخصاء والمراد : أنه يقطع شهوة الجماع.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة (باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) رقم الحديث : ١٠٠٦، صحيح مسلم (٢/ ٦٩٧).

وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٠]، وقال سبحانه مخاطباً الرسل عليهم السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

و يقول سبحانه مخاطباً المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

هذا القرآن، أما السنة فقد كانت سيرة النبي ﷺ تطبيقاً عملياً للقرآن الكريم، فقد كان عليه الصلاة والسلام يلبس ما تيسر له من اللباس، «لبس ﷺ البرود اليمانية ولبس الجبة والقميص والسراويل والإزار والرداء والخف والنعل وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة» فلا بأس إذا لبس الإنسان ما طاب له من اللباس، لكن بدون تكبر ولا خيلاء لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء**»[(1)]، وقوله عليه الصلاةُ والسلام: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»، فقال رجل: "يا رسول الله، إني أحب أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك؟"، فقال: "**لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس**"»[(2)]، بل بين عليه

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب اللباس ( باب من جر ثوبه من الخيلاء) رقم: ٥٧٨٣، الفتح (١٠/ ٢٥٣)، وفي ( باب من جر إزاره من غير خيلاء ) رقم: ٥٧٨٤، الفتح (١٠/ ٢٥٤)، وفي (باب من جر ثوبه من الخيلاء) رقم: ٥٧٨٨، الفتح (١٠/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) بلفظ: بطراً بدل الخيلاء.

و أخرجه في فضائل أصحاب النبي ﷺ ( باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٦٦٥، وأخرجه مسلم في كتاب اللباس (باب تحريم جر الثوب خيلاء) رقم الحديث: ٣٠٤٢، ٣٠٤٤، صحيح مسلم (٣/ ١٦٥٧ ـ ٦٣) والإمام الترمذي في كتاب اللباس ( باب ما جاء في كراهية جر الإزار ) رقم الحديث: ١٧٣، ١٧٣١ سنن الترمذي ( ٤/ ١٩٥).

والإمام النسائي في كتاب الزينة (باب التغليظ في جر الإزار) ( ٨/ ١٨٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان (باب تحريم الكبر) بلفظ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» رقم الحديث: ٩١ صحيح مسلم (١/ ٩٣)، وأبو داود في اللباس ( باب ما جاء في الكبر) رقم الحديث: ٤٠٩١ سنن أبي داود (٤/ ٥٩)، وابن ماجه في الزهد (باب البراءة من=

الصلاة والسلام أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده[١].

وكذلك كان هديه عليه الصلاة والسلام في الطعام: «لا يرد موجوداً ولا يتكلف مفقوداً، فما قرب إليه من الطيبات أكله إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وأكل الحلوى والعسل وأكل لحم الجزور والظأن والدجاج والأرنب وطعام البحر وأكل الشواء وأكل الرطب والتمر وشرب اللبن خالصاً ومشوباً وشرب نقيع التمر، وأكل الدباء المطبوخة، وكان يحبها وأكل الجبن وأكل الخبز بالزيت»[٢]، إلى غير ذلك.

و كذلك كان هديه عليه الصلاة والسلام في المال، فلم نسمع أنه قال لمن اتبعه: انخلع عن جميع مالك واتبعني، بل كان يأمر أصحابه بالإمساك على جزء من أموالهم، لأن المال هو عصب الحياة، كما قال لسعد بن أبي وقاص حين عزم أن يتصدق بجميع ماله فراجعه النبي عليه الصلاة والسلام حتى بلغ به الثلث ثم قال له: **«الثلث والثلث كثير، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس»**[٣]، وقال لكعب بن مالك حين أراد أن ينخلع عن جميع ماله، شكراً لله على توبته عليه حين تخلفه

---

= الكبر والتواضع) رقم: ٤١٧٣، السنن (٢/ ١٣٩٧) والإمام أحمد في المسند(١/ ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٦، ٤٥٦). بطر الحق: دفعه ترفعاً وتجبراً، وغمط الناس: احتقارهم.

(١) أخرج الإمام الترمذي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» انظر سنن الترمذي كتاب الأدب (باب ما جاء: (إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) رقم الحديث: ٢٨١٩، السنن (٥/ ١١٤) وقال: هذا حديث حسن. وهو عند الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٧٣).

(٢) انظر زاد المعاد (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨) فإنه عدد أنواع المآكل التي كان يأكلها، والملابس التي كان يلبسها عليه الصلاة والسلام وانظر أيضاً تفسير القرطبي (٦/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الجنائز (باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة) رقم: ١٢٩٥ الفتح (٣/ ١٦٤) وفي مناقب الأنصار رقم: ٣٩٣٦ وفي الدعوات (باب الدعاء برفع الوباء والوجع) رقم الحديث: ٦٣٧٣ الفتح (١١/ ١٧٩ ـ ١٨٠) وفي الفرائض (باب ميراث البنات) رقم: ٦٧٣٣ الفتح (١٢/ ١٤)، وأخرجه مسلم في الوصية (باب الوصية بالثلث) رقم: ١٦٢٨ صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥١) وأبو داود في الوصايا (باب ما جاء فيما لا يجوز للموصي في ماله) رقم: ٢٨٦٤، السنن (٣/ ١١٢ ـ ١١٣)، والترمذي في الوصايا (باب ما جاء في الوصية بالثلث) رقم: ٢١١٦، السنن (٤/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، وابن ماجه في الوصايا أيضاً (باب الوصية بالثلث) رقم: ٢٧٠٨ السنن (٢/ ٩٠٣ ـ ٩٠٤)، والإمام أحمد في المسند (١/ ١٧٩).

عن رسول الله ﷺ يوم تبوك فقال له عليه الصلاة والسلام: **«أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»**[١].

لكن الصوفية المنحرفة ترى أن الإبقاء على جزء من المال يتنافى مع حقيقة التوكل على الله، فحقيقة التوكل تعني الانخلاع عن كل الأسباب الأرضية.

وهو ما يتنافى مع حقيقة الإسلام، لذلك يقول الإمام ابن عبد البر في شرحه لحديث جابر الطويل في غزوة بني أنمار[٢]: **«في هذا الحديث رد على من قال من الصوفية، لا يدخر لغد»**[٣].

و كان في الصحابة ـ وهم أفضل الخلق بعد الرسل عليهم السلام ـ من كان غنياً يملك الأموال الطائلة، كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ﷺ وكانت أموالهم خيراً للإسلام والمسلمين ودعماً لحركة الجهاد والفتح.

أفبعد هذا البيان الشافي الكافي، يأتي من يضع لنا طرقاً جديدة للتقرب إلى الله تعالى ويقول لنا: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات"[٤]، ويقول لنا: "الفقر أساس التصوف وبه قوامه"[٥]، نعم الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ وقرنه بالكفر[٦] هو أساس التصوف وقوامه عندهم.

---

(١) قصة تخلف كعب بن مالك عن رسول الله ﷺ وتوبة الله عليه أخرجها بطولها الإمام البخاري في المغازي (باب حديث كعب بن مالك) رقم الحديث: ٤٤١٨، الفتح (٨/ ١١٣ ـ ١١٦) وفي مواضع أخرى، انظر على سبيل المثال رقم: ٤٦٧٦، ٤٦٧٧، وأخرجها مسلم في كتاب التوبة (باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه) رقم: ٢٧٦٩، صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٠ ـ ٢١٢٨) وانظر مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٨٧ ـ ٣٩٠).

(٢) عن هذه الغزوة انظر البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة أنمار) رقم الحديث: ٤١٤٠، الفتح (٧/ ٤٢٩ ـ ٤٣١).

(٣) التمهيد (٣ / ٢٥٣).

(٤) هذا القول ينسب لسيد الطائفة الجنيد، وهو في قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٢٦٧) ونقلته عن "التصوف: المنشأ والمصدر" (ص٧٥).

(٥) التصوف: المنشأ والمصدر (ص٧٥).

(٦) أخرج النسائي في سننه في كتاب الاستعاذة (باب الاستعاذة من الدين) من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اللهم إني أعوذ من الكفر والفقر»**، قال رجل: ويعدلان؟ قال: **«نعم»**. انظر سنن النسائي (٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

و«يقول أبو يزيد البسطامي عندما سئل: "بأي شيء نلت المعرفة؟"، قال: "ببطن جائع وبدن عار"»[١].

والعجيب في الأمر أنهم يعترفون بأنهم متأثرون في ذلك بالنصرانية، يقول أبو طالب المكي: «روينا عن عيسى عليه السلام أنه قال: أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل»[٢]، ولذلك يقول المستشرق "فون كريمر": «إن الزهد الصوفي نشأ بتأثير من الزهد المسيحي»[٣]، ويقول المستشرق " جولد سيهر": «إنَّ مدح الفقر وإيثاره على الغنى كان من العناصر النصرانية»[٤]، وأفضل الطرق طريق نبينا ﷺ وخير السنن سنته التي سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها، ولذلك كان السلف ﷺ ينكرون على من خالفها وسلك طريقاً غيرها.

دخل الصلت بن راشد[٥] على محمد بن سيرين[٦] وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف، فاشمأز منه محمد بن سيرين وقال: «أظن أقواماً يلبسون الصوف ويقولون: قد لبسه عيسى عليه السلام، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي ﷺ قد لبس الكتان والصوف والقطن، وسنة نبينا أحق أن تتبع»[٧].

و كان سيد التابعين سعيد بن المسيب[٨] رحمه الله ينكر على من يفعل مثل ذلك،

---

(١) الرسالة القشيرية (ص٨٨).

(٢) التصوف : المنشأ والمصدر (٧٩).

(٣) المصدر نفسه (ص٧٩).

(٤) المصدر نفسه (٧٩)، وحول تأثر التصوف الإسلامي بالرهبانية عند النصارى ينظر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٢/ ٢٠).

(٥) لم أعثر له على ترجمة في ما وقع تحت يدي من المصادر.

(٦) هو: الإمام أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري الأنسي البصري مولى أنس بن مالك، كان أبوه من السبي تملكه أنس ثم كاتبه فوفاه، سمع من أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وعنه: قتادة وأيوب وخالد الحذاء وغيرهم، كان عالماً فقيهاً ورعاً. توفي سنة ١١٠هـ وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ. مصادر ترجمته طبقات بن سعد(٧/ ١٩٣ ـ ٢٠٦)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٠ ـ ٩٢) رقم : ٢٥١، المعارف لابن قتيبة(ص ٤٤٢)، حلية الأولياء (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٨٢) رقم: ١٩٣، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦ ـ ٦٢٢) رقم : ٢٤٦.

(٧) انظر زاد المعاد (١/ ١٤٣) وقال ابن القيم رحمه الله " ذكرها الشيخ أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح ".

(٨) هو: أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة=

كما روى عنه ذلك مسلم بن يسار حيث قال: «سألني سعيد بن المسيب عن إسماعيل بن عبد الله الأنصاري فأخبرته عن صدقه وفعله فقال: " رأيت رجلاً ينسك نسك العجم " ينكر عليه لبس الصوف»(١).

كل هذا يفعله النبي ﷺ حتى يبين لأتباعه أن الدين الذي جاء به هو دين الفطرة، وهو دين يسير وفق النواميس التي جعلها الله في هذا الكون، فهو يراعي طاقة الإنسان واستعداده، فلا يكلفه أكثر مما يطيق: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وكان ﷺ يدرك أن النفس البشرية تتحمس للشيء وتريد أن تستزيد منه، ثم سرعان ما تمل وتضعف، ويبدأ ذلك الحماس يقل ويضمحل حتى يزول تماماً، وقد ينقلب الحماس في كثير من الحالات إلى انتكاس ـ والعياذ بالله ـ ، لذلك ما برح النبي ﷺ ينبه إلى هذا الخطر ويحذر منه، كما جاء ذلك في كثير من الأحاديث كقوله: **«إن هذا الدين يسر فأوغلوا فيه برفق ولن يشادَّ هذا الدين أحد إلاّ غلبه»**(٢).

وسمع النبي ﷺ امرأة تصلي من الليل فقال: "من هذه؟"، فقيل: الحولاء بنت تويت، لا تنام الليل، فكره رسول الله ﷺ حتى عرفنا ذلك في وجهه، ثم قال: **«إن الله لا يمل حتى تملوا اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة»**(٣)، وفي رواية: **«لا يسأم**

---

= وسيد التابعين، رأى عمر وسمع من عثمان وعلي وعائشة وغيرهم ﷺ وروى عنه خلق لا يحصون. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، كان يقال: سعيد بن المسيب فقيه الفقهاء وعالم العلماء. وكان يفتي والصحابة أحياء. توفي رحمه الله سنة ٩٣هـ.

مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٥/ ١١٩ ـ ١٤٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٥١٠ ـ ٥١١) رقم: ١٢٩٨، المعارف لابن قتيبة (ص ٤٣٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ ـ ٢٤٦) رقم: ٨٨، شذرات الذهب (١/ ١٠٢).

(١) طبقات أبي العرب (ص٨٥).

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في الإيمان (باب الدين يسر) رقم: ٣٩، الفتح (١/ ١٩٣)، وأخرجه النسائي في الإيمان (باب الدين يسر).انظر السنن (٨/ ١٠٦).
و هو عند الإمام أحمد في المسند في مواضع انظر (٤/ ٤٢٢) و(٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥١)، يقول ابن التين تعليقاً على هذا الحديث: «في هذا الحديث علم من أعلام النبوة. فقد رأينا ـ ورأى من قبلنا ـ أن كل منقطع في الدين ينقطع. فمنع من الإفراط المؤدي إلى الملال»، انظر سنن النسائي (٨/ ١٠٧) وقد قال النبي ﷺ محذراً عبد الله بن عمرو بن العاص **«يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»** رقم الحديث: ١١٥٢ فتح الباري (٣/ ٣٧).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في التهجد (باب ما يكره من التشديد في العبادة) رقم: ١١٥١ الفتح (٣/ ٣٦)، =

**حتى تسأموا**»[١]، وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل؟**»، فقلت: "نعم"، قال: «**لا تفعل، فإنك إن فعلت ذلك هجمت عينك ونفهت نفسك**»[٢]، أي: أعيت وكلت.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[٣].

فمنهج الإسلام وهدي النبي ﷺ هو الوسط بين الغلو والتقصير، وبين الإفراط والتفريط أو كما قال مطرف بن عبد الله الشخير: «هو الحسنة بين سيئتين»[٤] لأن الغلو في أعمال البر سيئة والتفريط فيها أيضاً سيئة.

ويقول السلاوي عن وسطية هذا الدين ووسطية شريعته ما نصه: «ومن أمعن نظره في نصوص الشريعة من الكتاب والسنة، علم يقيناً أن طريق النجاة إنما هي سلوك الوسط، وأن كلاً من التعمق والإنحلال ضلال»[٥].

وهذا الذي حذر منه النبي ﷺ هو الذي آل إليه أمر التصوف فيما بعد، حيث انقلب

---

= وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين (باب أمر من نعس في صلاة أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك) رقم الحديث: ٧٨٥، صحيح مسلم (١/ ٥٤٢)، وأخرجه النسائي في الإيمان (باب أحب الدين إلى الله عز وجل)، سنن النسائي (٨/ ١٠٧) وانظر الحديث في التمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩١) وبعدها.

ومعنى «لا يمل حتى تملوا»: أي لا يمل من الثواب والعطاء على العمل حتى تملوا أنتم من العمل. انظر التمهيد (١/ ١٩٤)، ويقول الإمام المازري: «اختلف في تأويل: لا يمل حتى تملوا فقيل: إنما ذلك على معنى المقابلة أي لا يدع الجزاء حتى تدعوا العمل» انظر المعلم بفوائد مسلم (١/٤٥٨)، والحولاء بنت تويت: هي الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد القرشية الأسدية، انظر ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٧٥) رقم الترجمة: ٦٨٥٨.

(١) انظر هذه الرواية عند مسلم (١/ ٥٤٢) رقم: ٧٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم (باب صوم داود عليه السلام) رقم: ١٩٧٩، الفتح(٤/ ٢٢٤)، وأخرج مسلم في الصيام (باب النهي عن صوم الدهر) رقم: ١٩٠ صحيح مسلم (٢/ ٨١٦) وانظر الحديث في التمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩٥).

(٣) انظر هذا الأثر في التمهيد لابن عبد البر (١/ ١٩٥).

(٤) التمهيد (١/ ١٩٥).

(٥) الاستقصاء (١/ ٦٠).

الإقبال على العبادة انصرافاً عنها، واستمر الانحراف حتى وصل إلى الوضع الذي وصل إليه فيما بعد، من الانصراف عن القرآن الكريم إلى أوراد ورقائق أحدثوها، وظنوا أنها أهم من القرآن الكريم، إلى القول بوحدة الوجود وتقديس المريد للشيخ حتى بلغ الأمر أن يعتذر له في تفريطه في أنواع العبادات وتعاطيه لأنواع المحرمات(١).

ولكن التصوف لم ينتقل مرة واحدة إلى هذا الوضع، بل مر بمراحل عديدة قبل أن يصل إلى ما وصل إليه، لقد بدأ هذا التحول والانتقال ـ كما سبق الحديث عنه ـ بالغلو في العبادة، ثم انتقل إلى البحث عن الكرامات، وغلا الصوفية في هذا الجانب حتى وقعوا في المحظور من القول برؤية الله حقيقة إلى غير ذلك من الطامات التي وقعوا فيها، وفي ذلك يقول ابن العربي: «نجمت في آثارها أمم انتسبت إلى الصوفية وكان منها من غلا وطفف وكاد الشريعة وحرف وقالوا: لا ينال العلم إلا بطهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق بينه وبين البدن وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والإقبال على الله بالكلية علماً وعملاً مستمراً حتى تتكشف له الغيوب، فيرى الملائكة ويسمع أقوالها ويطلع على أرواح الأنبياء ويسمع كلامهم، هذا ووراء هذا ينتهي إلى القول بمشاهدة الله علناً يدخلونه في باب الكرامات»(٢).

---

(١) في هذا المعنى يقول الشاعر المعاصر محمد الزاهري (أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

و الأبيات منشورة في مجلة الشهاب التي كان يصدرها الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله رئيس هذه الجمعية (الجزء التاسع/ ص ١٠/ سنة ١٩٣٤) يقول:

كانوا طوائف شتى كل طائفة ... تطيع شيخاً لها في كل ما زعما
إن قال: إني ولي صدقوه وإن ... هو ادعى الغيب قالوا: أحكم الحكما
و إن هو ارتكب الفحشاء فاضحة ... فلا محالة معذور وقد أثما
أو احتسى الخمر قالوا: إنها عسل ... و لا غرابة في هذا ولا جرما
أو ادعى أن خير الخلق يخدمه ... فما اعتدى عندهم فيها ولا ظلما
أو لم يصل رأوه حسبما زعموا ... يقيمها إذ يزور البيت والحرما
إذا بكى حسبوا الأيام باكية ... و يضحك الدين والدنيا إذا ابتسما
في كفه المنع والإعطاء عندهم ... و الخير و الشر فيما شاد أو هدما

(٢) العواصم من القواصم (٢/ ٣٠).

وكان الاجتماع بالخضر عليه السلام والتحدث إليه من علامات الصالحين في ذلك الزمان، وكأن الولاية لا تحصل إلا بملاقاة الخضر والاجتماع به، فكثيراً ما نقرأ في تراجم الزهاد أن فلاناً كان له اجتماع بالخضر، فهذا عيسى بن مسكين (ت ٢٧٥هـ)[١] جاء في ترجمته أنه كان يجتمع بالخضر ـ عليه السلام ـ وقال هو عن نفسه: «اجتمعت بالخضر مرتين».

وهذا حماس بن مروان الزاهد (ت ٣٠٣هـ)[٢] ذكروا في ترجمته أنه كان له اجتماع بالخضر، وممن كان يجتمع بالخضر أيضاً، محمد بن محمد بن سحنون (ت ٣٠٧هـ)[٣] فقد جاء في ترجمته هو أيضاً أنه كثيراً ما كان يجتمع بالخضر، وكذلك الحال بالنسبة لمحمد بن القطانية المتعبد (ت ٣١١هـ)[٤] فقد كان يجتمع بالخضر عليه السلام.

وإذا كان الزهاد الأوائل يدفعهم زهدهم إلى بذل النفس في سبيل الله إرضاءً لربهم

---

(١) هو: عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الإفريقي، أصله من العجم، سمع من سحنون وابنه جميع كتبه، وسمع بالشام ومصر من أبي جعفر الآبلي والحارث بن مسكين ومحمد بن المواز وغيرهم. توفي سنة ٢٧٥ هـ.
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/ ٢١٢ ـ ٢٢٨).

(٢) هو: أبو القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمذاني القاضي الزاهد، كان زاهداً ومتعبداً سمع من الإمام سحنون وابن عبدوس، وكان بارعاً في الفقه ولا يهاب سلطاناً، تولى القضاء وكان عادلاً. توفي رحمه الله سنة ٣٠٣هـ.
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٣٠) رقم : ١٦١، رياض النفوس (٢/١١٨ ـ ١٢٢) رقم: ١٧٨، الديباج المذهب (١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤) رقم : ٣.

(٣) هو: أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي، كان ورعاً فاضلاً، لم يسمع من أبيه وسمع من رجال جده، ودارت عليه محنة، ضربه فيها المروزي قاضي الشيعة لأشياء بلغته عنه، توفي سنة ٣٠٧هـ وقيل ٣٠٨هـ وهو ابن أربع وخمسين سنة، وكان مولده سنة ٢٥٦هـ في العام الذي توفي فيه والده.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٥) رقم : ١٩٢، معالم الإيمان (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٩) رقم : ١٦٩.

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن القطانية المتعبد، كان مشهوراً بالاجتهاد في العبادة، وكان زاهداً ورعاً، إلى جانب علمه بالفقه. توفي سنة ٣١١هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس : (٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧) رقم : ١٩٨، معالم الإيمان (٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) رقم: ١٨٠.

ودفعاً للعدو عن حياض المسلمين، ومن اطلع على تراجمهم في هذا الجانب رأى من ذلك العجب، إذا كان الزهاد الأوائل كذلك، فإن المتأخرين منهم كانوا على غير ذلك تماماً، حيث انصرفوا عن الجهاد والبذل إلى البحث في قضايا ليس وراءها أي فائدة تذكر، وانطووا على أنفسهم.

وبدل أن يكونوا عناصر فعالة تقود الناس إلى الخير وترشد إليه أصبحوا عناصر سلبية لا تقدم ولا تؤخر وانصرفوا عن العمل إلى البحث عن المراتب الصوفية، فكثيراً ما نقرأ في تراجم الزهاد أن فلاناً كان من الأبدال(١)، أو كان يجوب الأرض بحثاً عن الأبدال، مثل ما جاء في ترجمة ربيع بن عبد الله الناسك(٢)، أنه كان من أهل الفضل والدين، تخلى عن الدنيا وتجرد منها وسلك طريقة أهل الصدق في الانقطاع إلى الله عز وجل، وكان كثير السياحة والتغريب عن الأوطان وسكن جبل اللكام(٣) وصحب الأبدال.

وهذا معاذ بن عثمان (ت ٢٣٤هـ) (٤) كان عابداً ناسكاً، وكان يقال: إنه من

(١) الأبدال: جمع بديل، وتجمع أيضاً على بدلاء. قال بعضهم: هو لفظ مشترك في عرف الصوفية، فتارة يطلقونه على الذين بدلوا الصفات الذميمة بصفات حميدة، وعددهم لا يدخل تحت حصر، وتارة يطلقونه على عدد معين يبلغ عند البعض أربعين يشتركون في صفة خاصة، ويبلغ عند آخرين سبعة، وسموا بالأبدال السبعة لأنهم حين يغيب واحد منهم يخلفه الذي يليه في المرتبة، وقد استدلوا على وجودهم بحديث موضوع: «بدلاء أمتي سبعة».
انظر حول تعريف البدلاء بتوسع: كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢١٠ ـ ٢١٣) مادة: بدل، ولسان العرب (١٣/ ٥١) مادة: بدل، تاج العروس (٧/ ٢٢٣) وحول أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث وهي كلها باطلة، انظر المنار المنيف (١٣٦) لابن القيم.

(٢) هو: أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك، كان من أهل الفضل والدين تخلى عن الدنيا وتجرد منها، لم تذكر المصادر سنة وفاته.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩) رقم: ٨٤، معالم الإيمان (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) رقم: ١٥٧.

(٣) جبل اللكام: هو امتداد لجبل لبنان عند المصيصة وأنطاكية، كان الصالحون والعباد يأوون إليه. انظر: معجم البلدان (٧/ ٣٢٠).

(٤) هو: أبو عبد الله معاذ بن عثمان الشيباني، كان عابداً ناسكاً وكانوا يعدونه مجاب الدعوة، تقلد القضاء سنة ٢٣٢هـ فعمل فيه ثلاثة أعوام، ومات وهو يليه سنة ٢٣٤ هـ.
مصادر ترجمته: المقتبس (ص ٦٨ ـ ٧١) والتعليق رقم: ١٧٥ (ص ٤٧٩)، الخشني (ص ٨٥ ـ ٨٧).

الأبدال، ومنهم محمد بن سلمة الصدفي[١] الذي يقول عنه ابن الفرضي: «كان حافظاً للمسائل ولي القضاء وكان أحد الأبدال»[٢].

وكذلك كان أبو أيوب سليمان بن حامد الزاهد القرطبي[٣]، الذي يقول فيه ابن الفرضي: «كان أعبد أهل زمانه وكان يقال: إنه مجاب الدعوة وأحد الأبدال».

ولا شك أن اتصال المغرب بالمشرق عبر الرحلات التي كان يقوم بها الصوفية، كان له الأثر الكبير في انتقال الأنماط السلوكية الخاصة بأهل التصوف إلى المغرب، فعبر هذه الرحلات انتقلت كتب المشارقة المحملة بالاصطلاحات الصوفية، مثل البدل والعارف وغير ذلك ـ مما أغنانا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن البحث فيها ـ إلى المغرب.

إلا أن قاصمة الظهر جاءت عندما اختلط التصوف بالفلسفة، عند ذلك انتقل التصوف من كونه مجرد سلوك عملي إلى تأملات عقلية فلسفية، وانتقل من طور الزهد والرياضة والمجاهدة إلى الطور البدعي الفلسفي، والذي ظهرت ثماره كاملة في مذهب ابن عربي الطائي (ت ٦٣٨هـ)[٤] ونتج عن هذا الانتقال تحول في فهم القرآن الكريم.

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصدفي، من أهل تطيلة، تنقل في الأندلس ثم رحل إلى المشرق فسمع به، كان بعيد الصيت في الخير جليلاً، لم أجد سنة وفاته ولكنه استقضاه الأمير سنة ٢٧٢ هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ١٢) رقم: ١١٢٤.

(٢) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٢).

(٣) هو: أبو أيوب سليمان بن حامد الزاهد، من أهل قرطبة كان من أعبد أهل زمانه توفي في سنة ٣٠١هـ مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٨٦) رقم: ٥٥٤.

(٤) هو: الشيخ محيي الدين بن عربي، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الصوفي المشهور، كان على مذهب أهل الظاهر في الفقه ومذهب أهل الباطن في الاعتقاد، ولد بمرسية (بالأندلس) سنة ٥٦٠هـ وانتقل إلى إشبيلية وسمع الكثير بها، ثم ارتحل إلى المشرق وأجازه جماعة، منهم الحافظ السلفي وابن عساكر وابن الجوزي، ودخل مصر والحجاز وبغداد والموصل ودمشق، من مؤلفاته: «الفتوحات الربانية»، وكتاب «الفصوص» وغيرهما. توفي سنة ٦٣٨هـ وقد أتى بالطامات، كفره عليها كثير من العلماء واعتذر له كثير منهم. من أقواله:

يا من يراني ولا أراه ... كم ذا أراه ولا يراني

وهذا الكلام على ظاهره كفر، لأن فيه نسبة صفة النقص إلى الله تعالى الذي لا يجوز في حقه إلا صفات الكمال. وقد اعتذر هو عن كلامه هذا بقوله جواباً لمن سأله عن هذا البيت: =

وفي فهم الشريعة الغراء، فلم يعد القرآن هو هذا المعنى الظاهر الذي يفهمه كل واحد، والذي جاء القرآن من أجله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] لم يعد هذا المعنى الظاهر هو المقصود من كلام الله تعالى، وإنما وراء هذه المعاني الظاهرة معان أخرى باطنة هي المقصودة في الحقيقة، وهذه المعاني لا يدركها ولا يصل إليها إلا من سلك طريقة القوم.

وصار علم الشريعة ـ كما يقول ابن خلدون ـ: «على صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام من العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي فيها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك»[(١)].

ولقد برز في المرحلة التي أنا بصدد دراستها، رجال كثيرون من هذا الاتجاه، أذكر منهم: **محمد بن عبد الله بن مسرة** الجبلي (ت ٣١٩هـ)[(٢)]، الذي كان على طريقة من

---

= يا من يراني مجرماً ... ولا أراه آخذاً

كم ذا أراه منعماً ... ولا يراني لائذاً

ومن هنا قال المقري في نفح الطيب (٢/ ١٦٨): «من هذا وشبهه تعلم أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول ولا يقصد ظاهره، وإنما له محامل تليق به». **قلت**: لقد كان ابن عربي بوسعه أن يقول هذا الكلام المؤول إليه كلامه الأول، ونحن لسنا ملزمين بتأويل كل كلمة ينطق بها، وإنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ولست أدري ماذا يقول المقري وغيره ممن همه الاعتذار لابن عربي، في كلامه الذي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً ولا يمكن تأويله بحال من الأحوال مثل قوله:

الرب عبد والعبد رب ... فليت شعري، من المكلف؟

إن قلت: عبد فذاك رب ... أو قلت: رب، أنى يكلف؟

انظر عن هذه الأقوال ومثلها رسالة العبودية: لابن تيمية (ص ١٣) وما بعدها.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (٣/ ١٠٦٣) تحقيق الدكتور: علي عبد الواحد وافي، طبعة لجنة البيان العربي (١٣٧٩ هـ، ١٩٦٠م).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة، سمع من أبيه ومن محمد بن وضاح والخشني، وخرج إلى المشرق فحرص على لقاء المتكلمين والفلاسفة، وعند عودته إلى الأندلس اختلف فيه الناس إلى فرقتين: **فرقة** تبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد، ومعظمهم ممن غلب عليهم الجهل. **وفرقة** تطعن عليه بالبدع لما ظهر منه من الكلام وخروجه عن العلوم =

الزهد، جمع أصنافاً من المعرفة مما جعل الناس تفتتن به، فقد كان بالإضافة إلى طريقته في الزهد له طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية، أضف إلى ذلك تأثره بالمتكلمين وبخاصة المعتزلة منهم.

فكان يذهب مذهبهم في الاستطاعة وإنفاذ الوعيد إلى غير ذلك، يقول عنه صاعد الأندلسي: «وكان عبد الله بن مسرة الجبلي الباطني من أهل قرطبة كلفاً بالفلسفة دؤوباً على دراستها، وكان أول من ذهب إلى الجمع بين معاني صفات الله تعالى، وأنها كلها تؤدي إلى شيء واحد، وأنه إن وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذو معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة، وإلى هذا المذهب في الصفات ذهب أبو هذيل العلاف»(١).

وكان قد اتهم ـ قبل ذلك ـ بالزندقة «فخرج فاراً وتردد بالمشرق مدة فاشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة، ثم انصرف إلى الأندلس فأظهر نسكاً وورعاً واغتر الناس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر الناس على سوء معتقده»(٢).

وأصبح لهذا الرجل مذهب خاص به، خليط من كل المذاهب والاتجاهات يستمد أكثر آرائه من الفلسفة الشرقية في أمشاج من الأفلاطونية المحدثة والتصوف الغالي إلى القول بآراء المعتزلة، و إلى هذا المذهب ينتسب كثير من المغاربة منهم: محمد بن مفرج المعافري (ت ٣٧١هـ)(٣) الذي كان يعتقد مذهب ابن مسرة ويدعو إليه.

و منهم: محمد بن أحمد بن حمدون (ت ٣٨٠هـ)(٤) الذي كان مشهوراً باعتقاد ابن مسرة لا يتستر بذلك.

---

= المألوفة بأرض الأندلس. توفي سنة ٣١٩هـ. مصادر ترجمته: بغية الملتمس (ص ٧٨) رقم: ١٦٣، تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٣٩ ـ ٤٠) رقم: ١٢٠٤.

(١) طبقات صاعد (ل: ١٠/ب).

(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ٣٩).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري، من أهل قرطبة سمع من قاسم بن أصبغ وغيره، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من ابن الأعرابي، وبمصر من عبد الملك بن محمد بن بحر. توفي في رمضان سنة ٣٧١ هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٨١ ـ ٨٢).

(٤) هو: أبو عبد الله أحمد بن حمدون بن عيسى بن علي بن سابق الخولاني من أهل قرطبة، يعرف بابن الإمام. ولد سنة ٣٠٥هـ، سمع من أحمد بن خالد و محمد بن قاسم والخشني وغيرهم، =

و منهم: محمد بن عبد الله بن خير القيسي (ت ٣٨٧هـ)[١] فقد كان هو الآخر ينسب إلى اعتقاد ابن مسرة، ولذلك ترك أهل الحديث الأخذ عنه.

ومنهم: عبد العزيز بن حكم بن أحمد (ت ٣٨٧هـ)[٢]، فقد كان ينتحل مذهب ابن مسرة فغض ذلك منه وكان يميل إلى الكلام والنظر.

و منهم: عبد الوهاب بن منذر القرطبي (ت ٤٣٦هـ)[٣] وغير هؤلاء كثيرون.

وقد استمرت هذه المدرسة في تخريج دعاتها في عهد الحموديين، فكان من أبرز دعاتها ومفكريها في ذلك العهد: إسماعيل بن عبد الله الرعيني[٤]، الذي عاش في المرية[٥]، وكان أنصاره يدعونه إماماً يؤدون إليه الزكاة، وقد احتفظ لنا الإمام ابن حزم ـ الذي كان معاصراً له ولكنه لم يلقه ـ ببعض آرائه، وهي آراء يبدو فيها تأثير الباطنية واضحاً، وكذا تأثير الشيعة الذين قويت شوكتهم في ذلك العهد.

ويظهر ذلك في قوله بجواز نكاح المتعة[٦]، ويبدو أنه كان شديد التطرف في آرائه،

---

= كان حافظاً للأخبار والأنساب عالماً باللغة لَسِناً. توفي سنة ٣٨٠هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٩٣).

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر بن خير الأندلسي، من أهل قرطبة، سمع من أحمد بن خالد ومحمد بن قاسم وقاسم بن أصبغ وغيرهم، ورحل إلى المشرق سنة ٣٣٢هـ فسمع بمكة من ابن الأعرابي وبمصر من عبد الملك بن بحر الجلاب وغيرهما، ثم قدم الأندلس فمكث بها قليلاً، ثم رحل ثانية إلى المشرق، وكان ضابطاً لما كتب، توفي سنة ٣٨٢هـ، وكانت ولادته سنة ٣٠٣هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٩٦ ـ ٩٧) رقم: ١٣٢٢.

(٢) هو: أبو الأصبغ عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم أمير المؤمنين، من أهل قرطبة، سمع من عبد الله بن يونس والحسن بن سعد وقاسم بن أصبغ وغيرهم، وكان عالماً بالنحو والغريب من الشعر. توفي سنة ٣٨٧هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٧٩).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) لم أجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن حزم عنه في الفصل (٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٥) المرية ـ بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء ـ: مدينة كبيرة في الأندلس، تقع على الساحل، كان يركب منها التجار وفيها تحل مراكبهم، دخلها الإفرنج سنة ٥٤٢ هـ، واسترجعها المسلمون سنة ٥٥٢هـ.
انظر عنها: معجم البلدان (٥/ ١١٩ ـ ١٢٠).

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

الأمر الذي جعل أهل المرية يتبرؤون منه، والسبب في ذلك ـ كما يقول ابن حزم ـ أنه أحدث أقوالاً سبعة منها: «أن الأجسام لا تبعث أبداً وإنما تبعث الأرواح وهي التي تحاسب، وهي التي تدخل الجنة أو النار، ومنها : أن العرش هو المدبر للعالم، وأن الله تعالى أجلُّ من أن يوصف بفعل شيء أصلاً»[(١)]، و هي عين آراء الفلاسفة التي كفرهم العلماء من أجلها.

و **أما الرجل الثاني** : فقد جاء متأخراً عن ابن مسرة، ولكنه كان له هو الآخر دور في تحويل التصوف إلى قضايا فلسفية وتفكير باطني، ذلكم هو ابن برجان (ت ٥٣٦ هـ)[(٢)]، الذي كان من أهل العلم والمعرفة، ألف في التفسير كتاباً على طريقة المتصوفة، وله كتب في شرح أسماء الله الحسنى[(٣)].

وقد ذكروا أن تفسيره استنبطوا من رموزه أموراً، فأخبروا بها قبل الوقوع، من ذلك ما استنبطه ابن الزكي[(٤)] في مدحه للسلطان صلاح الدين حين فتح حلب بقوله:

---

(١) الفصل (٤/ ١٩٩).

(٢) هو: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي المغربي يعرف بابن برجان، روى عن محمد بن أحمد بن منظور، وروى عنه عبد الحق الإشبيلي وغيره. كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف، توفي سنة ٥٣٦هـ مغرّباً عن وطنه بمراكش في سجن علي بن يوسف بن تاشفين.
مصادر ترجمته : لسان الميزان (٤/ ١٤)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) رقم : ١٧٢، النجوم الزاهرة (٥/ ٢٧٠)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٣٤) رقم : ٢٠٤.

(٣) هذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، يقول أبو العلا عفيفي في بحثه عن ابن قسي (مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية المجلد ١١/ سنة ١٩٥٧/ ص ٥٣ : إن التفسير وشرح أسماء الله الحسنى كتاب واحد وليس كتابين كما يزعم بروكلمان، ولكن الصحيح أنهما كتابان وليس كتاباً واحداً كما حقق ذلك الأستاذ محمد السليماني عند تحقيقه لقانون التأويل لابن العربي (ص ٥٧) تعليق (٣).

(٤) هو: أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد، الملقب بمحيي الدين، والمعروف بابن زكي الدين الدمشقي الفقيه الشافعي. كان ذا فضائل عديدة، تولى قضاء دمشق سنة ٥٨٨ هـ، وكانت له عند السلطان صلاح الدين المنزلة الرفيعة والمكانة المرموقة توفي سنة ٥٩٨هـ وكانت ولادته سنة ٥٥٠هـ.
مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣٦) رقم : ٥٩٤، طبقات السبكي (٦/ ١٥٧ ـ ١٥٩) رقم : ٦٧٣، شذرات الذهب (٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)، النجوم الزاهرة (٦/ ١٨١).

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب[١] .

فكان كما قال، فقيل له: من أين لك هذا؟ قال: أخذته من تفسير ابن برجان لقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٢]».

**ورجل ثالث** كان معاصراً لابن برجان، وعلى منهجه في الانحراف هو ابن العريف: (ت ٥٣٦هـ)[٢] **ورجل آخر** هو ابن قسي (ت ٥٤٦هـ)[٣]، كل هؤلاء وكثير غيرهم كان لهم الأثر الكبير والدور الفعال في الانتقال بالزهد من كونه سلوكاً عملياً إلى تفكير فلسفي. وحدث بعد ذلك القول بالباطن كما رأينا من قبل.

---

(١) انظر وفيات الأعيان: (٤/ ٢٢٩).

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى، يعرف بابن العريف، من أهل المرية، نشأ فقيراً وقرأ القرآن ودرس العلوم، ثم توجه إلى الزهد وكثر أتباعه على الطريقة الصوفية، توفي سنة (٥٣٦هـ).
مصادر ترجمته: الصلة (١/ ٨١)، وفيات الأعيان (١/ ١٦٨ ـ ١٧٠)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١١١).

(٣) هو: أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، رومي الأصل، تغرب وتأدب وقال الشعر وعكف على الوعظ، كثر مريدوه فادعى أنه المهدي، ثار على دولة الملثمين وشارك في الأحداث السياسية إلى أن قتل سنة ٥٤٦ هـ.
مصادر ترجمته: الحلة السيراء (٢/ ١٩٢)، لسان الميزان (١/ ٢٤٧).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الثالث
## مقاومة علماء المغرب للتصوف

بعد هذا العرض الذي أشرت فيه إلى نشأة التصوف وتطوره حتى وصل إلى ما وصل إليه من انحراف، أنتقل إلى الحديث عن المقاومة السنية لهذه البدعة.

لكن ـ قبل ذلك ـ أود أن أقدم بين يدي هذا البحث بعض الملاحظات التي أراها مهمة، لعلها تساهم في فهم هذا الموضوع فأقول:

الذي يلاحظ ـ بادئ ذي بدء ـ أن مقاومة علماء المغرب للاتجاه الصوفي بدأت مبكرة جداً بدأت مع بروز هذا الاتجاه إلى الوجود، مما يدل على غيرة هؤلاء العلماء الشديدة على الإسلام، وبغضهم لكل من يحاول أن ينحرف بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة عن مسارها الطبيعي، وهذا الموقف المتشدد ـ في حقيقة الأمر ـ هو الذي جعل التصوف بمعناه المنحرف يتأخر ظهوره وانتشاره بالمغرب، وهو ما يعد من حسنات علماء المغرب، لكن الأستاذ أبو العلا عفيفي يرى ذلك من سيئاتهم، لأن عدم ترك هذه الانحرافات تنتشر معناه الحجر على حرية الفكر حيث يقول:

«إن عدم ظهور هذا النوع من التصوف (الباطني) مبكراً في المغرب يرجع للموقف العدائي الذي وقفه فقهاء المالكية من التصوف والفلسفة على السواء»، قال: «فقد اضطهد هؤلاء المتزمتون كل نوع من أنواع التفكير الحر داخل الدوائر الدينية وخارجها»[1].

ونفس الرأي يذهب إليه الدكتور عبد الله عنان عند حديثه عن حركة ابن مسرة، حيث يقول وهو يدافع بحماس عن هذه الحركة: «هل كانت حقاً جمعية مارقة ملحدة تهدد العقائد والنظام والأمن؟ أم هل كانت حركة تفكير فلسفي حرة لم يتسع لها أفق التفكير المعاصر، وكانت كمعظم الحركات المماثلة ضحية لنقمة المتزمتين الرجعيين من الفقهاء والحكام يدافعون بسحقها عن نفوذهم وسلطانهم المطلق»[2].

---

(١) انظر بحثه عن ابن قسي: أبو القاسم بن قسي وكتابه "خلع النعلين" في مجلة كلية آداب الإسكندرية (المجلد ١١/ السنة ١٩٥٧/ ص٥٣)

(٢) انظر بحثه عن ابن مسرة بعنوان : "اكتشاف السفر الخامس من المقتبس لابن حيان" في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (١٣/ ص ١٣٣).

فانظر كيف يسميان الانحراف في الفكر حرية، ومحاربة هذا الانحراف ومقاومته تزمتاً وتعصباً ورجعية.

**الملاحظة الثانية** الجديرة بالذكر أيضاً: هي أن مقاومة علماء المغرب للتصوف لم تكن موجهة لمبدأ الزهد، لأن هؤلاء العلماء كانوا ـ هم أيضاً ـ قمة في الزهد والانقطاع إلى الله تعالى، ولكن المقاومة كانت موجهة بشكل خاص نحو الانحرافات والبدع التي دخلت هذا الاتجاه، واختلطت به فلوثت صفاءه وكدرت مزاجه، فجاءت هذه المقاومة لتزيل ذلك التلوث والتكدر، وتعيد إلى الزهد صفاءه ونقاءه.

**الملاحظة الأخرى**: هي أن هذه المقاومة كان يتولاها في بداية الأمر الأفراد كالإمام يحيى بن عمر، والإمام ابن أبي زيد القيرواني، ثم تطورت فيما بعد، فأصبحت الدولة هي التي تتولى هذه المهمة، كما كان عليه الأمر أيام الدولة الأموية بالأندلس، إذا استثنينا فترات قصيرة منها، وأيام المرابطين التي كانت شديدة على أهل البدع، وعلى هذا نجد وسائل المقاومة تختلف من مرحلة إلى أخرى، فبينما تكاد تنحصر عند العلماء في المؤلفات التي ألفوها في الرد على هذا الاتجاه وفي الإنكار على أصحابه بالوسائل التي كانت متاحة لهم، وهي وسائل على قوتها كانت محدودة الفعالية، لأنهم لا سلطان لهم على أحد في دولة تكفل الحرية لكل الاتجاهات، نجدها عند الدولة أقوى وأشد وأنكى.

وهي بالإضافة إلى وسيلة التأليف، إحضار من يرى عليه أثر التصوف ومناقشته وحبسه عن الناس، إن كانت أفكاره تشكل خطراً على العقيدة، كما فعلوا بابن العريف وجماعته حين أحضروه إلى السلطان فحبسهم وشدد عليهم حتى يأمن الناس شرهم. نقل ابن الأبار تلك الحادثة فقال: «بعد أن بعد صيته (أي: ابن العريف) في الزهادة والعبادة وكثر أتباعه على الطريقة الصوفية نمي ذلك إلى أمير الملثمين[1] علي بن يوسف بن تاشفين[2]، ويقال: إن فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذاهبه، فسعوا به إلى

(١) الملثمين: أي المرابطين سموا بذلك لأنهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم، وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف، ذلك أن أصل هؤلاء القوم من حمير من سباء، وكانت حمير تتلثم لشدة الحر والبرد، وقيل: كان اللثام لأسباب أخرى.
انظر: وفيات الأعيان (٧/ ١٢٩).

(٢) هو: سلطان المغرب أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين، تولى بعد أبيه سنة ٥٠٠هـ وكان شجاعاً مجاهداً عادلاً ديناً، معظماً للعلماء مشاوراً لهم، وابتلي بنواب ظلمة، وخرج عليه ابن تومرت وأخذ البلاد وولت أيام المرابطين. توفي سنة ٥٣٧هـ. =

السلطان فأمر بإشخاصه إليه من المرية مع أبي بكر محمد بن الحسين الميورقي[١] من غرناطة، وأبي الحكم بن برجان من إشبيلية وكانوا نمطاً واحداً، فسيروا إلى مراكش ولم يقم بها ابن العريف إلا قليلاً، وتوفي في صفر عام: ٥٣٦هـ»[٢].

والوسيلة الأخرى هي قطع الشرايين التي تغذي هذا الاتجاه كما فعلوا بكتاب:

"إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي، عندما أحرقوه لاعتقادهم أنه يشكل خطراً على العقيدة.

بالإضافة إلى وسيلة أخرى، وهي وسيلة نشر السنة وتشجيع من يشتغل بها.

كل هذه الوسائل، كان لها ـ في واقع الأمر ـ نتائج إيجابية في الحد من انتشار التصوف الباطني، نعم إنها لم تقض على الاتجاه الصوفي مرة واحدة، ولكنها استطاعت أن تقضي على الحركات الباطنية الخطيرة، أو على أقل تقدير أن تحد من خطرها، وقد سمعنا كلام ابن العربي وابن جبير عن أحوال المغرب في هذا الجانب بالمقارنة مع المشرق.

**أنواع المقاومة :**

بعد هذه الملاحظات المهمة ـ في تقديري ـ أنتقل إلى الحديث عن أنوع المقاومة السنية لبدعة التصوف وهي تنحصر في نوعين :

**النوع الأول:** ويتمثل في مقاومة علماء المغرب للانحرافات التي دخلت التصوف.

**النوع الثاني:** ويتمثل في مقاومة الأشخاص الذين كان لهم دور في نشر هذه الانحرافات.

---

= مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٢٤ ـ ١٢٥) رقم : ٧٥، وفيات الأعيان (٧/ ١٢٣ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦)، الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٥٨ ـ ٥٩)، نفح الطيب (٤/ ٣٧٧).

(١) هو: أبو بكر بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن بشر الأنصاري الخزرجي الشهير بالميورقي، لأن أصله منها وسكن غرناطة، روى عن أبي علي الصدفي، ورحل حاجاً فسمع بمكة والإسكندرية وعاد إلى الأندلس فحدث في غير بلد تجوله وسمع منه سنة ٥٣٧هـ، ولم أجد سنة وفاته.
مصادر ترجمته : نفح الطيب (٢/ ١٥٥) رقم : ١٠٦.

(٢) انظر : المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ـ طبعة مدريد سنة ١٨٨٥ (ص ١٨ ـ ٢٢)، وانظر: " تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية " للدكتور يحيى هويدي، طبعة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٦، (ص٢٩٩).

و أبدأ بالنوع الأول فأقول : لقد كانت بداية المقاومة السنية للانحرافات الصوفية عندما اتخذ الزهاد موعداً أسبوعياً يلتقون فيه وهو يوم السبت، في أحد المساجد، الذي أصبح يعرف ـ فيما بعد ـ بمسجد السبت[١]، فكان الزهاد والعباد يلتقون فيه ويعقدون حلقاً للذكر وقراءة القرآن وإنشاد أشعار الزهد والرقائق، مثل أشعار ابن معدان[٢]، فكان المتعبدون والصالحون إذا سمعوها استراحوا إليها بقلوبهم وانشرحت نفوسهم وانصرفوا من اللقاء وهم محزونون نادمون[٣] وتقع لبعضهم حالات فيبكي الناس ويفعلون ويفعلون.

من ذلك ما نقله صاحب معالم الإيمان قال: «قال أبو الحسن الزعفراني: حضرت مسجد السبت ومعنا فيه أبو بكر بن اللباد الفقيه، وأبو بكر بن سعدون[٤]، فقال

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) يوجد هناك رجلان بهذا الاسم: **أحدهما**: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن معدان بن سليمان الأصبهاني، ويلقب (بعروس الزهاد) المتوفي سنة ٢٨٤هـ، له أشعار جيدة في الزهد والرقائق منها قوله :

مـر بـدار الـمـتـرفـيـن وقـل لـهـم ... أيـن أربـاب الـمـصـانـع والـقـرى

ومـر بـدار الـعـابـديـن وقـل لـهـم ... ألا قـطـع الـمـوت الـتـنـصـب والـعـنـا

و قوله :

إذا كـنـت فـي دار الـهـوان فـإنـمـا ... يـنـجـيـك من دار الـهـوان اجـتـنـابـهـا

مصادر ترجمته : ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (٢/ ١٧١ ـ ١٧٣)، حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، صفوة الصفوة (٤/ ٨١ ـ ٨٣).

**وثانيهما**: هو محمد بن يوسف بن معدان بن يزيد الثقفي يعرف بابن البناء الصوفي، أصبهاني أقام بمكة وتوفي سنة ٢٨٦هـ .

مصادر ترجمته: ذكر أخبار أصبهان (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، حلية الأولياء (١٠/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) رقم : ٦٨٦، صفوة الصفوة (٤/ ٨٣ ـ ٨٤)، ولم أعثر لهذا الأخير على شعر في معاني الزهد، وعلى هذا فالراجح أن المقصود هو الأول. والله أعلم.

(٣) رياض النفوس (١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦).

(٤) هو: أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي، كان عابداً وحج حججاً مع كثرة الرباط في سبيل الله، سمع بمكة وغزا غزوات، وكان حسن الصوت بالقرآن، توفي سنة ٣٤٤ هـ .

مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/ ٤١٤ ـ ٤١٨) رقم: ٢٥٥، معالم الإيمان (٣/ ٥٢ ـ ٥٤) رقم : ٢٠٣.

بعض القوالة[١]:

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل فإذا فعلت فإن حبك باطل

قال : فتحرك محمد بن أبي سهل الصوفي[٢] واستغرقه الحال، فما بقي أحد بالمسجد إلا بكى لصدقه في حركته»[٣].

وقد أنكر كثير من العلماء هذا العمل وعدوه بدعة منكرة، لأن النبي ﷺ لم يفعله، ولا فعله صحابته ـ من بعده ـ وهم خير القرون، بل ورد عنهم الإنكار عن مثل ذلك، كما رأينا عند الحديث عن البدعة إنكار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره لمثل هذا العمل.

وقد جاء إنكار العلماء لمثل هذا العمل لأمرين:

**الأمر الأول**: تخصيص يوم بعينه ومكان بعينه بعبادة، وهذا لا يجوز فعله إلا بنص من الشارع، وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي: «فإذا خص يوماً بعينه أو أياماً بأعيانها لا من جهة ما خصه الشارع ضاهى به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها دون غيرها، فصار التخصيص من المكلف بدعة؛ إذ هي تشريع بغير مستند، ومثل ذلك تخصيص اليوم الفلاني بكذا من الركعات، وكقيام ليلة معينة دون غيرها، فإن ذلك التخصيص بدعة»، ثم يقول: «ومن نوادرها التي لا ينبغي أن تغفل، ما جرى به عمل جملة ممن ينتمي إلى الطريقة الصوفية من تربصهم ببعض العبادات المشروعة أوقاتاً مخصوصة غير ما وقته الشارع»[٤].

ومن أمثلة ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بنوع مخصوص من العبادة، مثل الاعتمار فيها أو قيامها، ومثل ذلك ـ أيضاً ـ اجتماع الناس عشية عرفة في غير عرفة للذكر وقراءة القرآن، وكذلك ليلة الإسراء، فقد ورد النهي من السلف رحمهم الله عن مثل ذلك.

---

(١) القوالة : جمع قوال. وتجمع على قوالين، وهو المنشد للأبيات الزهدية، انظر رياض النفوس (٢/ ٣١٩) هامش (رقم ٤٠).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن أبي سهل الصوفي كان من أهل الفضل والدين، وكان عابداً. توفي سنة ٣٣٢هـ .
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ٣٠٥) رقم : ٢٢٩، معالم الإيمان (٣/ ٢٠ ـ ٢١) رقم : ١٩٠.

(٣) معالم الإيمان (٣/ ٥٣)

(٤) الاعتصام (١/ ١٣ ـ ١٩).

ذكر محمد بن وضاح في كتابه "البدع والنهي عنها"[(١)] بسنده إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال: «لم أدرك أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم أدرك أحداً منهم يرى لها فضلاً على ما سواها من الليالي»، ونقل بسنده أيضاً عن ابن أبي مليكة أنه قيل له: «إن فلاناً يقول: إن ليلة النصف من شعبان أجرها كأجر ليلة القدر، فقال ابن أبي مليكة: لو سمعته منه وبيدي عصا لضربته بها»[(٢)].

وعن عشية عرفة وتخصيصها بنوع من العبادة، نقل ابن وضاح بسنده عن أبي حفص المدني أنه قال: «اجتمع الناس يوم عرفة في مسجد النبي ﷺ يدعون بعد العصر فخرج نافع مولى ابن عمر من دار آل عمر فقال: أيها الناس إن الذي أنتم عليه بدعة وليست بسنة، إنا أدركنا الناس ولا يصنعون مثل هذا»[(٣)]، ونقل عن إبراهيم النخعي: «أنه سئل عن اجتماع الناس عشية عرفة فكرهه وقال: محدث»[(٤)].

---

(١) انظر (ص ٤٦).

(٢) كتاب البدع والنهي عنها (ص ٤٦)، ولكن بعض العلماء يرى أن ليلة النصف من شعبان ليلة مفضلة، وأن من السلف من كان يخصها بالصلاة، يقول الإمام ابن تيمية: «ومن العلماء من السلف ـ من أهل المدينة ـ وغيرهم من الخلف من أنكر فضلها وطعن في الأحاديث الواردة فيها، وقال: لا فرق بينهما وبين غيرها، لكن الذي عليه كثير من أهل العلم وأكثرهم على تفضيلها، وعليه يدل نص الإمام أحمد لتعدد الأحاديث الواردة فيها، وما يصدق ذلك من الآثار السلفية وقد روي بعض فضائلها في المسانيد والسنن». ثم قال الإمام ابن تيمية: «فأما صوم النصف مفرداً فلا أصل له بل إفراده مكروه، وكذلك اتخاذه موسماً تصنع فيه الأطعمة وتظهر فيه الزينة هو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها». انظر كلامه هذا في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨).
والأحاديث التي أشار إليها منها ما رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان) من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن**» رقم الحديث: ١١٤٠، سنن ابن ماجه، (١/ ٢٣٣). وما رواه الترمذي في كتاب الصوم (باب ماجاء في ليلة النصف من شعبان) من حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر الغنم**» رقم الحديث: ٧٣٩ السنن (٣/ ١١٦).
وانظر حول هذه الليلة كتاب (الحوادث والبدع للطرطوشي) (ص٢٦١ ـ ٢٦٦).

(٣) البدع والنهي عنها (ص ٤٦).

(٤) البدع والنهي عنها (ص ٣٧).

وعن ليلة الإسراء وتخصيصها بنوع من العبادة يقول الإمام ابن تيمية: «ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان بعبادة شرعية»(١).

وما يقال في تخصيص الأزمنة يقال أيضاً في تخصيص الأمكنة، فليس لأحد أن يخص مكاناً بعينه بنوع من أنواع العبادة أو القربة، يقول الإمام ابن تيمية: «بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي، وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده (أي: النبي ﷺ) ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة ولا خص اليوم الذي نزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، ومن خص الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله، كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله، وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعة يتبادرون مكاناً يصلون فيه فقال: "ما هذا؟"، قالوا: "مكان صلى فيه النبي ﷺ"، فقال: "أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا، فمن أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليمض»(٢).

**الأمر الثاني**: الذي أنكره العلماء على هذه الأعمال ما كان يحدث في هذه المجالس أو الحلقات من أمور لم يعهدها السلف رضي الله عنهم ولا فعلوها ولا أمروا بها، مثل سماع المدائح وإنشاد أشعار الرقائق والاهتزاز لها والتحرك عندها، بينما يقرأ القرآن ولا يفعل شيءٌ من ذلك، وهذا أمر خطير للغاية، لأن القرآن يصبح كأنه لا مفعول له في النفوس فيؤدي مع مرور الزمن إلى تركه واستبداله بأمور أخرى لها تأثير على النفوس، وهذا هو الذي حدث بالفعل وهو ما حذّر منه السلف الصالح رضي الله عنهم حيث يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن»(٣)، وكذلك ورد عن أحمد وغيره أنهم كرهوه ونهوا عن

(١) انظر هذا الكلام في زاد المعاد (١/ ٥١).

(٢) انظر كلام ابن تيمية في زاد المعاد (١/ ٥١) وأثر عمر رضي الله عنه رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٨٤/ ١).

(٣) مر ذكر هذا الأثر.

الجلوس مع من يفعله(١).

وكيف يترك القرآن ويستبدل برقائق من وضع البشر، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وذكر أقواماً كانوا إذا تلي عليهم القرآن تأثروا وبكوا فقال سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وقال عن وفد النصارى الذين قدموا على النبي ﷺ وأسلموا بين يديه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٣](٢).

وذكر من صفات المؤمنين أنهم كانوا ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[الأنفال: ٢]، إذاً فالقرآن كاف أن يؤدي في النفس والجوارح ما تؤديه الرقائق ـ على فرض المقارنة ـ وزيادة، وهذه الآيات شاهدة على ذلك، فلماذا إذاً يتركون القرآن ويستبدلونه برقائق من وضع البشر؟

لقد كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يدركون هذه الحقيقة، ولذلك أقبلوا على القرآن قراءة وترتيلاً ومدارسة، وكانت لهم حالات عظيمة عند قراءته فهذا سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، يقول لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**اقرأ عليَّ**»، قال ابن مسعود: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟، قال: "**إني أحب أن أسمعه من غيري**"، قال عبد الله بن مسعود: فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، فقال: "**حسبك الآن**"، فإذا عيناه تذرفان»(٣).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه روي عنه أنه صلى بالناس الفجر، فقرأ سورة يوسف

(١) مختصر الفتاوى المصرية للإمام ابن تيمية (ص ٥٩٢ ٥٩٣)

(٢) نزلت هذه الآية في الوفد الذين بعثهم النجاشي مع جعفر بن أبي طالب، فقدموا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة "يس" إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.
انظر: أسباب النزول للواحدي، تحقيق سيد صقر (ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، تفسير الطبري (١٠/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥) من طبعة محمود شاكر، الدر المنثور (٢/ ٣٠٣)، والقرطبي (٦/ ٢٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ رقم الحديث: ٤٥٧٢، الفتح (٨/ ٢٥٠).

عليه السلام فأخذ في البكاء حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف[(١)]، وقدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق ﷺ فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر: "هكذا كنا"[(٢)].

بل ربما حدث لهم أكثر من ذلك كالصعق مثلاً، فقد ورد عن كثير من السلف أنهم كانوا يصعقون ويغشى عليهم عند قراءتهم للقرآن، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض[(٣)].

وعن زرارة بن أوفى التابعي الجليل[(٤)] أنه أمَّ الناس في صلاة الفجر، فقرأ حتى بلغ قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨ ـ ٩] خر ميتاً، قال بهز بن حكيم[(٥)]: "وكنت فيمن حمله"[(٦)].

---

= وفي كتاب فضائل القرآن (باب قول المقرئ للقارئ: حسبك) رقم: ٥٠٥٠ الفتح (٩/ ٩٤) وفي باب (البكاء عند قراءة القرآن) رقم: ٥٠٥٥، الفتح (٩/ ٩٨).

و أخرجه أحمد في مواضع من مسنده انظر الأرقام: ٣٥٥٠، ٣٥٥١ من طبعة أحمد شاكر، ونقله ابن كثير في فضائل القرآن (ص ٧٧) عن البخاري، ثم قال: وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طريق الأعمش وله طرق يطول بسطها.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٩).

(٢) نفس المصدر (ص ٦٩).

(٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص ١٦٨) طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

(٤) هو: الإمام الكبير أبو حاجب زرارة بن أوفى العامري البصري قاضي البصرة، أحد الأعلام سمع من عمران بن حصين وأبي هريرة وابن عباس، توفي وهو يصلي بالناس الفجر سنة ٩٣ هـ.

مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٠)، تاريخ البخاري (٣/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) رقم: ١٤٦١، الحلية (٢/ ٢٥٨ ـ ٢٦٠) رقم: ١٩١، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥١٥ ـ ٥١٦) رقم: ٢٠٩، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) رقم: ٥٩٨.

(٥) هو: أبو عبد الملك بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري البصري، الإمام المحدث له عدة أحاديث عن أبيه وعن جده وعن زرارة بن أوفى، توفي قبل الخمسين ومئة.

مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣) رقم: ١٩٨٢، الجرح والتعديل (٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣١) رقم: ١٧١٤، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٣) رقم: ١١٤، تهذيب التهذيب (١/ ٤٩٨) رقم: ٩٢٤.

(٦) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٦)، الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٩٢)، حلية الأولياء (٢/ ٢٥٨).

و قد أنكر طائفة من الصحابة والتابعين مثل هذا ظناً منهم أنه تكلف وتصنع، فقال ابن سيرين: =

هذا ومثله كثير عن السلف ﷺ فكيف لا يتأثر المسلم بالقرآن، ويتأثر بما دونه من الرقائق، ولذلك فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن أعظم جناية جنتها الصوفية هي صرف الناس عن القرآن الكريم.

ومن هنا جاء الإنكار على اجتماع الناس بمسجد السبت، وكان رأس المنكرين عليهم الإمام يحيى بن عمر (ت ٢٨٩هـ) الذي كان شديداً في دين الله قامعاً لأهل البدع، ناصراً للسنة، وقد ترك بعد وفاته فراغاً كبيراً، ولذلك كثرت مراثيه والتي جاء في إحداها[١]:

عين ألمّ بها وجد ولم تنم ... تبكي بدمع كنظم الدر منسجم
يا موت أثكلتنا يحيى وكان لنا ... في بلدة الغرب مثل البدر في الظلم
و كان يحيى لنا في الزائغين ـ إذا ... ضلوا ـ لساناً يبين الحق عن أمم
لتبك يحيى عيون بالدموع فإن ... غاضت مدامعها فلتبكه بدم
ما كان أرغبه في سنة درست ... يشيدها ببناء الحاذق الفهم

لقد كان هذا الرجل يرى أن اجتماع الناس في مسجد السبت بدعة، لم تكن في الزمن الأول وكان يحث الناس على مقاطعته وعدم حضوره، بل ألف تأليفاً حسناً في وجوب مقاطعته والإنكار على من يحضره وكان يقول لمن يحضره: «يا قوم هذا القرآن يتلى والأحاديث النبوية تقرأ ولا متعظ، ويسمع بيت من الشعر فيبكي، هذا عجب»[٢].

كما كان يشتد عليه أمر المسجد ويود لو أنه هدمه حتى لا يجتمع فيه أحد، وقد تكلم فيه بكلام شديد كبير[٣].

---

= «بيننا وبين الذين يصعقون عند سماع القرآن أن يقرأ واحد منهم على رأس حائط فإن خر فهو صادق»، والصواب كما يقول الإمام النووي: عدم الإنكار إلا على من اعترف أنه يفعله تصنعاً. انظر: التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٦).

ويقول الإمام ابن تيمية: «والذي عليه الجمهور أنه إذا كان مغلوباً لم ينكر عليه، وإن كان حال الثبات أكمل منه، ولهذا لما سئل أحمد عن هذا قال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد فغشي عليه ولو قدر لدفعه، فما رأيت أعقل منه». انظر: مختصر الفتاوى المصرية (ص ٥٦٦).

(١) انظر: تراجم أغلبية (ص ٢٦٩).

(٢) معالم الإيمان (٢/ ٢٣٢).

(٣) رياض النفوس (١/ ٤٩٥).

**قلت**: لعله استند في رغبته في هدم المسجد إلى فعل النبي ﷺ حين أمر بهدم مسجد الضرار الذي قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة : ١٠٧][(١)].

ومثله في ذلك المساجد التي تقام على القبور، فقد أفتى العلماء بهدمها، لأنها أسست على معصية الله[(٢)].

كما أنكر عليهم رحمه الله رفع أصواتهم بالتكبير ونهاهم عنه، وكان المتصوفة أيام العشر الأوائل من ذي الحجة يكبرون الله تعالى، رافعين أصواتهم بذلك، فكان هو ينكر عليهم ذلك وينهاهم عنه، لأنه بدعة محدثة؛ إذ السنة في الذكر والدعاء الإسرار بهما، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف : ٢٠٥]، أي: اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالسر من القول لا جهراً، وهكذا يستحب أن يكون الذكر خفياً لا يكون نداءً وجهراً بليغاً[(٣)].

---

(١) كان ذلك بعد غزوة تبوك، يقول ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان (بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار) وكان أصحاب مسجد الضرار قد أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله: إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: إني على جناح سفر وحال شغل ـ أو كما قال ـ لو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف رهط مالك فقال مالك لمعن : انظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي فدخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه.
انظر : «الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء». لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي تحقيق : د.مصطفى عبد الواحد.ط : مكتبة الخانجي (١٣٨٩/ ١٩٧٠) (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، وانظر: سيرة ابن هشام بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري (المجلد الثاني/ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠) الطبعة الثانية (١٣٧٥ ـ ١٩٥٥) مصطفى البابي الحلبي.

(٢) انظر : إغاثة اللهفان (١/ ٢٣٧ ـ ٢٤١) فقد فصل ابن القيم القول فيما يجب هدمه وقطعه مما يخشى على الناس أن يكون لهم ذريعة إلى الشرك، ومن ذلك المساجد التي بنيت على القبور.
و يقول الإمام ابن تيمية في فتاويه (١٣/ ٤٦٣): «يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم بناء كل مسجد بني على قبر...».

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٤) طبعة دار الشعب.

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥] أي: خشوعاً وسراً، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الاعتداء في الدعاء أنواع، منها: الجهر الكثير والصياح(١)، وهو ما نهى عنه ﷺ بقوله لقوم رفعوا أصواتهم بالتكبير: **«أيها الناس اربَعُوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»**(٢).

ولما سأل قوم النبي ﷺ بقولهم: "أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟" أنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦](٣)، وقد أثنى الله على زكريا ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٢]، أي: سراً، قال العلماء: "أخفاه لأنه أحب إلى الله".

وهكذا كان هدي السلف ﷺ، يقول الحسن البصري رحمه الله فيهم: «لقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم»(٤).

هذا، وقد أنكر على الإمام يحيى بن عمر كثير من المشيخة لإنكاره عليهم، وضيقوا

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (باب الدعاء إذا علا عقبة) رقم: ٦٣٨٤، الفتح (١١/ ١٨٧) وفي كتاب القدر (باب لا حول ولا قوة إلا بالله) رقم: ٦٦١٠، الفتح (١١/ ٥٠٠) من غير زيادة: «أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء (باب استحباب خفض الصوت بالذكر) رقم: ٢٧٠٤، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٦)، وأخرجه الترمذي في الدعوات (باب ما جاء في فضل الدعاء) رقم: ٣٣٧٤ السنن (٥/ ٤٢٧)، وأخرجه في (باب فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد) من كتاب الدعوات رقم: ٣٤٦١، السنن (٥/ ٤٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في الصلاة (باب في الاستغفار) رقم: ١٥٢٦، السنن (٢/ ٨٧).

ومعنى إربعوا: بهمزة وصل مكسورة ثم موحدة مفتوحة: أي ارفقوا ولا تجهدوا أنفسكم، انظر الفتح (١١/ ١٨٨).

(٣) هذا الحديث يقول فيه العلامة أحمد شاكر رحمه الله بعد دراسة سنده: إنه «ضعيف جداً، منهار الإسناد بكل حال»، انظر تخريجه لأحاديث تفسير الطبري، من الطبعة التي قام هو وأخوه محمود محمد شاكر بتحقيقها (٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨١). طبعة دار المعارف بمصر.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٧٨).

عليه، و«جعلوا له مقرئاً حسن الصوت يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤]، يعني بذلك يحيى بن عمر، فبكى يحيى عندما سمع ذلك وقال: "اللهم إنك تعلم أن هذا لا يريد بقراءته وجهك فلا تمهله بعد ثلاث"، فاستجاب الله لدعائه وتوفي الرجل بعد ثلاثة أيام»[١].

هذه الحادثة تكشف لنا عن بداية الصراع بين السنة والبدعة في هذا الجانب، وهو صراع سيستمر بدون توقف، تظهر فيه السنة تارة وتظهر البدعة تارة أخرى، ولكن ظهور البدعة وغلبة المبتدعة لا يكون إلا عندما يخفت صوت السنة، وما ظهرت بدعة إلا أميتت سنة، ورحم الله من أحيا سنة تركها الناس.

وقد استمر الإنكار من العلماء على من يقوم بمثل هذا العمل الذي أنكره الإمام يحيى بن عمر، من ذلك قراءة القرآن في المسجد جماعة على وجه مخصوص، وفي وقت معلوم، فقد أنكره العلماء إنكاراً شديداً وعدوه بدعة، أمثال الإمام الطرطوشي وغيره[٢]، وقد أنكروا ذلك اقتداء بالإمام مالك ـ الذي تأثروا به في كل شيء ـ كما سبق الحديث عنه، فقد نقل الإمام الشاطبي عنه أن كرهه وقال: «هذا لم يكن من عمل الناس»، ونقل عن العتبية قوله في القراءة في المسجد على وجه مخصوص كالحزب ونحوه: «لم يكن بالأمر القديم وإنما هو شيء أحدث»، يعني أنه لم يكن في زمان الصحابة ولا التابعين قال (أي: الإمام مالك): «ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها»، وقال أيضاً: «أترى الناس أرغب في الخير ممن قضى»[٣].

يقول الإمام الشاطبي تعليقاً على كلام مالك رحمه الله: «لأن قراءة القرآن جماعة وفي وقت معلوم أمر مخترع وفعل مبتدع لم يجر مثله قط في زمان الرسول ﷺ ولا في زمان الصحابة ﷺ حتى نشأ بعد ذلك أقوام خالفوا عمل الأولين وعملوا في المساجد بالقراءة على ذلك الوجه الاجتماعي (أي: الجماعي) الذي لم يكن قبلهم فقام عليه العلماء وأفتوا بكراهيته»[٤].

ثم إن الاتجاه الصوفي لم يتوقف عند هذا الحد من المخالفات، ولو أنه توقف عنده

---

(١) رياض النفوس (١/ ٤٩٥).
(٢) انظر: المعيار المعرب (١٢/ ٣٦٣).
(٣) انظر: المعيار المعرب (١١/ ١١٢)
(٤) المعيار (١١/ ١١٢)

لأمكن معالجته، ولكنه تطور تطورات خطيرة مما جعل العلماء يجمعون على الإنكار عليهم ورميهم بالبدعة والضلالة، هذه التطورات تمثلت في اقتران هذه الأعمال التي ذكرناها آنفاً من الاجتماع في مكان معين، وفي يوم بعينه وإنشاد أشعار الرقائق ورفع الصوت بالذكر إلى غير ذلك، اقتران هذه الأعمال بالرقص والسماع وما يحدث بعد ذلك من الوجد والإغماء، ثم ما يلي ذلك من الانبساط في الأكل والشرب[1]، حتى أصبحت هذه الأمور دأب الصوفية وسنة متبعة عندهم إلى يومنا هذا.

وكان للأغاني الروحية العاطفية شأن عظيم عند الصوفية، يحدثنا المقدسي في أحسن التقاسيم[2] عن حضوره مجالس الصوفية قائلاً: «فكنت أرعن معهم وتارة أقرأ لهم القصائد»، ثم زاد بعد ذلك الرقص إلى جانب الغناء حتى بلغ ببعض العوام أن يظن بأن مذهب الصوفية ليس إلا الرقص، وقد عاب عليهم المعري (ت ٤٤٩هـ) ذلك فقال:

أرى جيل التصوف شرّ جيل    فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه    كلوا أكل البهائم وارقصوا لي؟[3]

وقد أنكر العلماء هذه الأعمال أشد الإنكار وعدوها من رواسب الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية، فهذا الإمام الطرطوشي يسأل عن مذهب المتصوفة في اجتماع جماعة كثيرة يكثرون ذكر الله سبحانه وتعالى والصلاة على النبي ﷺ ومدحه بما هو أهله، ثم يقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه، ثم يحضرون شيئاً من الطعام يأكلونه: هل الحضور معهم جائز أولا ؟

فأجاب رحمه الله بقوله: «مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، فما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص فأول من أحدثه السامري، فإنهم لما عبدوا العجل صاروا يرقصون حوله ويتواجدون، فهذا دين الكفار وعباد العجل»[4]، وبذلك أجاب المازري ـ أيضاً ـ عندما سئل عن رفع الصوت بالذكر فقال: «الاجتماع بالذكر

---

(١) يحدثنا المقدسي أنه دفعته الظروف إلى بعض مجالس الصوفية بشيراز فكان لا يخرج من دعوة حتى يدخل في دعوة أخرى، حيث يقول: «كنت غنياً في وسطي نفقة وافرة وأنا في كل يوم في دعوة وأي دعوة». انظر: أحسن التقاسيم (ص ٤١٥).

(٢) (ص ٤١٥)

(٣) انظر: الحضارة الإسلامية لآدم متز (٢/ ٣٢).

(٤) المعيار المعرب (١/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

والتطريب والتلحين ورفع الأصوات قد نهى العلماء عنه وأنكروه وعدوه بدعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالتواجد وإياكم ومحدثات الأمور، فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(١)، وقد علم أن هذا الفعل لم يكن فيما سبق من الزمن الأول ولا فعله السلف الصالح من الصحابة، مع العلم أنهم أعبد ممن يأتي بعدهم ونقل عنهم بالتواتر أنهم شديدو الحزم في الازدياد من الطاعة حتى يخف عليهم إراقة دمائهم، وقتل أولادهم وآبائهم في الجهاد في ذات الله ورسوله، فلو كان خيراً ما سبق هؤلاء إليه»(٢).

ومن قبيل ذلك ما أحدثه الناس من الاحتفال باليوم الذي ولد فيه النبي ﷺ، وهو أمر لم يكن في الزمن الأول، وإنما هو كما يقول أبو الوليد الباجي: «بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون»، وقد ألف في الإنكار على هذا الأمر في الزمن الذي نحن بصدد الحديث عنه، أبو الوليد الباجي، حيث ألف رسالة صغيرة سماها "حكم بدعة الاجتماع في مولد النبي ﷺ"(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المعيار المعرب (١٢/ ٣٦٣).

(٣) هذه الرسالة نشرتها مجلة الإصلاح (المجلد الأول/ العدد الخامس/ ص ٢٧٨)، ونسبها إليه صاحب الفتح المبين في طبقات الأصوليين (١/ ٢٥٤) ويذكر المؤرخون أن أول من أحدث الاحتفال بالمولد هم الفاطميون الذين اتخذوه من شعائر دولتهم.

و يصور لنا القلقشندي طريقة هذا الاحتفال فيقول: «وكان عادتهم فيه أن يعمل في الفطرة عشرة من السكر الفائق وحلوى من طرائف الأصناف، وتعبأ في ثلاثمئة صينية نحاس، فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرق أرباب الرسوم، ثم يركب القاضي بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر، فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة، ثم يستدعي القاضي ومن معه فيحضرون وهم متشوقون لانتظار ظهور الخليفة، فتفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهه، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء وينبهون إلى فضل ذلك الشهر ويدعون للخليفة، وهكذا ينتهي الحفل وينفض الناس»، انتهى بتصرف من صبحي الأعشى (٣/ ٤٩٣).

و قد استمر الاحتفال بالمولد طيلة العهد الفاطمي، فلما جاء العهد الأيوبي نقض كل ما نسجه خلفاء الدولة الفاطمية من مظاهر شيعية وما أحدثوه من المواسم والأعياد ومنها المولد النبوي.

و لكن رغم نقضه إلا أن الأسر الإسلامية بقيت تحتفل به وبحكم اتصال العالم الإسلامي بعضه ببعض فقد انتقل الاحتفال بهذا الموسم إلى أطرافه كلها.

وظهرت هذه العادة فيما بعد بأشكال مختلفة، فظهرت في بداية القرن السابع بشكل رسمي في مدينة أربل على يد أميرها الملك مظفر الدين بن أبي سعيد كوكبرى بن زيد الدين علي بن سبكتكين =

وهي على صغرها، غزيرة الفائدة بين فيها مؤلفها حكم هذا العمل من جهة الشرع فقال: «إذا أدرنا على هذا العمل الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجباً أو مندوباً أو مباحاً أو مكروهاً أو محرماً، وليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة والتابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت، وهذا جوابي عليه بين يدي الله تعالى إن سئلت عنه، ولا جائز أن يكون مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً».

ثم يبين ـ رحمه الله ـ متى يكون الاحتفاء بهذه المناسبة مكروهاً ومتى يكون حراماً، فالمكروه هو «أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله ولا يجاوزون في ذلك الاجتماع أكل الطعام ولا يقترفون شيئاً من الآثام، وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة

---

= الذي أحدث فيه من الابتهاج ما لا يعقل، يقول ابن الأثير: «إنه كان ينفق على المولد في كل سنة ثلاثمئة ألف دينار، وأحدث فيه من الأغاني والملاهي والطبول الشيء الكثير»، الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٣/ ١٣٧).

و يحدثنا ابن الحاج في المدخل (٢/ ١١ ـ ١٢) عن الفساد الذي دخل الاحتفال بالمولد فيذكر أنه كان في مصر ـ على عهده ـ احتفالان: احتفال للنساء واحتفال للرجال، فعن احتفال النساء يقول: «كن يذكرن جماعة ويرفعن أصواتهن، وأصوات النساء فيها من الترخيم والنداوة ما هو فتنة ـ في الغالب ـ في واحد منهن فكيف إذا اجتمعن، فتكثر الفتن في قلوب من يسمعهن، وتصفيقهن بالأكف فيه فتنة، وكان بعضهن يرقص، ثم إنهن لا يحضرن للمولد الذي احتوى على ما تقدم من المفاسد المذكورة إلا بحضور من يزعمن أنها شيخة على عرفهن، وقد تكون ـ و هو الغالب ـ ممن تدخل نفسها في التفسير فتفسر وتحكي قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وتزيد وتنقص، وربما وقعت في الكفر الصريح وهي لا تشعر بنفسها».

و يذكر الشيخ عبد الحي الكتاني أنه ألف في قصة المولد الكثير في القرن السابع، مثل ابن دحية المتوفى بمصر (سنة ٦٣٣هـ) ومحيي الدين بن عربي المتوفى بدمشق (سنة ٦٣٨هـ) وأحمد العزفي المتوفى (سنة ٦٧٧هـ) وغيرهم.

كما ألف في الإنكار على ما يحدث في هذه المناسبة الفقيه المالكي تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندري المعروف بالفاكهاني (ت ٧٣١هـ) رسالة أسماها: "المورد في الكلام على المولد" أوردها السيوطي بنصها في حسن المقصد.

و انظر أيضاً مقال محمد الفاضل بن عاشور: "كيف نشأ الاحتفال بالمولد في بلاد الإسلام" في كتابه «ومضات فكر» (ص ٢٠٧).

إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، سرج الأزمنة وزين الأمكنة».

ولكن بعض العلماء يخالفونه في كون الاقتصار على ما ذكر، إذا كان صاحبه يقصد تعظيم الرسول ﷺ ـ يكون مكروهاً، بل يكون مأجوراً أجراً عظيماً، حيث يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ... واستدل له بما ورد عن أحمد أنه: "لما سئل عن بعض الأمراء أنه أنفق على مصحف ألف دينار أو نحو ذلك فقال: دعهم فهذا أفضل ما أنفقوا فيه الذهب" قال ابن تيمية عقب ذلك: "مع أن مذهبه (أي: أحمد) أن زخرفة المصاحف مكروهة"»[(١)].

وأما الحرام فهو عند الباجي «أن تدخله الجناية وتقوى به العناية» والجناية المقصود منها «الغناء بآلات الباطل من الدفوف وغيرها واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات والرقص بالتثني والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع المعتاد، وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات فإنا لله وإنا إليه راجعون».

ثم ينبه الباجي في آخر الرسالة إلى أن «الشهر الذي ولد فيه ﷺ وهو ربيع الأول هو بعينه الذي توفي فيه، فليس الفرح فيه أولى من الحزن». انتهت الرسالة.

هذه نماذج من مقاومة علماء المغرب للبدع التي دخلت التصوف، أنتقل بعدها إلى النوع الثاني من أنواع المقاومة، وهو مقاومة الأشخاص الذين كان لهم دور في نشر التصوف.

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٧).

ومن جوز الاحتفال بالمولد إذا جرد مما علق به من الأمور المنكرة: الإمام السيوطي وابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيثمي، وللسيوطي رسالة في هذا الباب أسماها "حسن المقصد في عمل المولد" رد فيها على رسالة الفاكهاني المالكي في الإنكار على عمل المولد.

انظر مقال محمد الفاضل بن عاشور: "كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الإسلام" في كتابه «ومضات فكر» (ص ٢٠٧).

**النوع الثاني: مقاومة الأشخاص:**

لقد بدأ الاهتمام بالكرامات[(١)] مبكراً جداً وهذا أمر بديهي، لأن الكرامات أمر عظيم يتفضل الله به على من يشاء من عباده المؤمنين الصالحين وهي ثابتة لهم بالتواتر، بل إن ابن تيمية يقول: «إن ثبوت الكرامات من جهة النقل أكثر من ثبوت المعجزات»[(٢)]، وفي سير الصحابة والتابعين والعلماء العاملين كثير منها، وهي تدل على أن صاحبها على درجة كبيرة من التقوى والإيمان، وأنه مقتف أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

هذا أمر لا غبار عليه ولا مراء فيه، ولكن عندما يتجاوز هذا الأمر الحدود المعقولة ويصبح معارضاً للنصوص الثابتة التي لا تقبل التأويل، عند ذلك يصبح جديراً بالإنكار على صاحبه وأن تجند كل الإمكانات لمقاومته لأن في تركه دون مقاومة أو إنكار خطراً كبيراً على العامة، والناس سراع إلى كل مبتدع هذا فضلاً عن أنه إقرار لهم على باطلهم، وهذا هو الذي حدث بالفعل، فلقد اهتم الناس بالكرامات وبالغوا في ذلك حتى تجاوزوا الحدود التي حددتها الشريعة الغراء، وجعلت المنطقة التي بعدها محرمة لا يجوز البحث فيها.

لقد ذكرت فيما سبق من البحث قول ابن العربي في هذا الموضوع من أن الناس بالغوا في هذا الأمر حتى قالوا برؤية الله حقيقة، يدخلونه في باب الكرامات، وهو قول عظيم، لأنه يتعارض مع النصوص المتواترة الدالة على عدم جواز رؤية الله حقيقة في الدنيا، وقد سبق ذكر هذه النصوص في موضعها من هذا البحث.

ولما انتشرت هذه المقالة في العصر الذي نبحث فيه، وأصبح كل دعي يثبت هذه الكرامة ـ أي رؤية الله حقيقة ـ لمن شاء، قيض الله من العلماء من يردها ويبطل أدلتها كالإمام ابن زيد القيرواني وغيره، فإنه لما ألف أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد البكري[(٣)] (ت ٣٨٠هـ) كتاباً في كرامات الأولياء أسماه "كرامات الأولياء المطيعين من

---

(١) الكرامة: هي أمور خارقة للعادة، تظهر على يد المؤمن التقي العارف بالله وصفاته غير مقرونة بدعوى النبوة.

انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٥/ ١٣٩٩)، وانظر عن الفرق بينها وبين المعجزة والإرهاص والاستدراج، المرجع ذاته (٢/ ٤٤٤) وما بعدها.

(٢) كتاب النبوات.

(٣) هو: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي ثم القيرواني، سمع من علي بن=

الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان" ، وذكر فيه أشياء تنفر منها العقول، مثل قوله: رأيت كذا وكلمني كذا حتى قال : رأيت الله يقظة، أنكر عليه أهل العلم ذلك، وذكروه للإمام ابن أبي زيد القيرواني الذي أجاب بقوله : "لعله في المنام" فقالوا : "إنه يزعم أن ذلك في اليقظة" ، عند ذلك انبرى الإمام ابن أبي زيد القيرواني لرد هذه المقالة الخطيرة، وألف فيها كتاباً أسماه "الاستظهار في الرد على البكرية" ، وكتاباً آخر أسماه "الكشف والتلبيس" في الرد عليهم أيضاً.

وقد أثار هذان الكتابان غضب المتصوفة، فطفقوا يشنعون عليه بحجة أنه ينكر الكرامات، وقالوا : هذا مذهب المعتزلة، والحقيقة أن الإمام ابن أبي زيد القيرواني لا ينكر الكرامات، ولم يفعل كما يقول القاضي الباقلاني: «بل من طالع كتبه عرف مقصده»[١]، وكيف ينكرها وهو قد ألف في إثباتها كتاباً[٢].

إنما الذي أنكره هو رؤية الله تعالى حقيقة، وهو أمر طبيعي، فأهل السنة مجمعون على إنكاره، لأنه مخالف للنصوص الشرعية الثابتة المتواترة من القرآن والسنة وأقوال السلف ﷺ وقول ابن أبي زيد القيرواني: " لعله في المنام" إشارة إلى مذهب القائلين بجواز رؤية الله تعالى في المنام، وقد ثبت عن غير واحد من السلف أنه رأى الله في المنام، وأما اليقظة فلم يقل به أحد من أهل العلم يعتد بهم، وإن كان قاله فلا يلتفت إليه لشذوذه، ومن جوزها من العلماء فإنما جوزها عقلاً لا على أنها وقعت حقيقة بحجة أنها

---

= محمد بن مسرور الدباغ وحبيب بن نصر الحزري وغيرهما، ورحل إلى المشرق فسمع من الآجري وغيره.
ألف عدة مؤلفات في التصوف منها هذا الكتاب وكتاب "الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار" في التصوف يوجد ضمن مجموعة مخطوطة رقم : ٢٣ تصوف بدار الكتب المصرية، وكتاب "الدلالة على الله تعالى" توجد منه قطعة ضمن المجموع السابق وهو عبارة عن حكايات وأقوال مروية عن الصحابة وكراماتهم وحكايات عن الخضر وشعيب، وكتاب "الشرح والبيان لما أغفل من كلام سهل بن عبد الله التستري" ، وكتاب "صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء".
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٦) رقم : ٢٦٨، شجرة النور الزكية (ص ١٩٨) هدية العارفين (١/ ١٤١)، معجم المؤلفين (٥/ ١٨١)، العرب في صقلية لإحسان عباس ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٩ ـ (ص ١١٥ ـ ١١٩).

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٤٩٤).

(٢) هدية العارفين (ص ٤٤٧).

«لو لم تكن جائزة لكان سؤال موسى ـ عليه السلام ـ مستحيلاً، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز، بل لم يسأل إلا جائزاً غير مستحيل». وممن ذهب إلى هذا القول الإمام القرطبي[١] وأبو حيان.

وقد أثارت هذه المسألة وقتها جدالاً عنيفاً بين علماء المغرب، الأمر الذي حدا بهم إلى أن يرسلوا إلى الإمام أبي الطيب الباقلاني يستفتونه في ذلك، فما كان منه رحمه الله إلا أن برّأ ابن أبي زيد مما رمي به من إنكار الكرامات، وقد ذكر ذلك في كتابه "البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات"[٢].

حيث يقول فيه: «وقد كان بعض أصحابنا المغاربة ذكر لنا من إنكار شيخنا أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني لذلك ما لم يثبت عندنا، ولعله إن كان قال ذلك فإنما أنكر منه ما يجب إنكار مثله، فإننا لا نجيز الكرامات للصالحين بجميع الأجناس وبمثل سائر آيات الرسل عليهم السلام، أو أنكر إغراقاً في ذلك وتجاوزاً لا يجوز المصير إليه، لأن فضل علمه وما نعرفه من دينه وحسن بصيرته واضطلاعه بعلم أصول الدين والانبساط في التوسع في معرفة فروعه وأحكامه يبعد عندنا خلافه في هذا الباب إلا على وجه ما ذكرنا».

فهذه شهادة من الباقلاني على براءة هذا الإمام مما رمي به، وفيها إشارة إلى أن هناك من الكرامات ما يجوز إنكاره، ورؤية الله تعالى حقيقة مما يجوز إنكاره، لأن فيه إغراقاً وتجاوزاً لا يجوز المصير إليه.

و ممن ألف من العلماء ـ أيضاً ـ في الرد على هذه المقالة التي يبدو أنها كانت منتشرة بشكل كبير الإمام أبو عمرو الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ) فقد ألف هو الآخر كتاباً في ذلك رد فيه على الباطنية، يقول الإمام الذهبي: «وألف كتاباً في الرد على الباطنية فقال: ومنهم قوم تعبدوا بغير علم وزعموا أنهم يرون الجنة كل ليلة ويأكلون من ثمارها، وتنزل عليهم الحور العين وأنهم يلوذون بالعرش ويرون الله بغير واسطة ويجالسونه»[٣].

كما تناولهم بالرد ضمن من تناولهم الإمام أبو بكر ابن العربي في كتابه القيم "العواصم من القواصم" حيث ذكر نشأة هذه المقالة وأنكرها إنكاراً شديداً. وقد سبق نقل كلامه في ذلك فليراجع.

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٥٥) من طبعة وزارة الثقافة المصرية (١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م).
(٢) (ص ٥).
(٣) انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٩).

ولما ظهر ابن مسرة واشتهر أمره وبان انحرافه قام عليه علماء السنة وأظهروا زيغه ومروقه وألفوا في الرد عليه كالإمام ابن أبي زيد القيرواني، الذي ألف في الرد عليه كتاباً أسماه: "كتاب الرد على ابن مسرة المارق" وهو كتاب كما شهد له العلماء «منطو على التقاسيم الأصولية والقوانين الحقيقية والبرهانية التي تدل على تبحره في علم أصول الدين» وقد شهد له بذلك الإمام الباقلاني وغيره.

وممن قاوم جماعة ابن مسرة وألف في الرد عليهم القاضي محمد يبقى بن زرب (ت ٣٨٩ هـ) فقد اعتنى رحمه الله بطلب أصحاب ابن مسرة والكشف عنهم واستتابة من علم أنه يعتقد مذهبهم، وأظهر للناس كتاباً حسناً وضعه في الرد على ابن مسرة قرئ عليه وأخذ عنه.

ومن مظاهر مقاومته لهم، أنه قام في سنة ٣٥٠هـ باستتابة جملة منهم جيء بهم إليه، ثم خرج إلى جانب المسجد الشرقي وقعد هناك وأحرق بين يديه ما وجد عندهم من كتب ابن مسرة وهم ينظرون إليه في سائر الحاضرين[(١)].

وممن ألف في الرد على ابن مسرة أيضاً عبد الله بن محمد الأموي النحوي (ت ٤٠٠ هـ)[(٢)] فقد جمع كتاباً في الرد عليه أكثر فيه من الحديث والشواهد، وهو كتاب "كبير حفيل"[(٣)] وكذلك ألف الإمام أبو عمرو الطلمنكي كتاباً في الرد عليه[(٤)]، كما ألف أحمد بن خالد المعروف بالحباب صحيفة في الرد عليه أيضاً[(٥)]، وألف الزبيدي[(٦)] كتاب الرد على ابن مسرة[(٧)].

---

(١) انظر : تاريخ قضاة الأندلس للنباهي المالقي (ص ٧٧ ـ ٨٢).

(٢) هو: أبو أحمد عبد الله بن محمد بن نصر بن أبيض بن محبوب بن ثابت الأموي النحوي من أهل طليطلة، سكن قرطبة واستوطنها، عني بالحديث وجمعه وتقييده وضبطه كان أديباً حافظاً نبيلاً سمع الناس منه، توفي سنة ٤٠٠هـ وكانت ولادته سنة ٣٢٩ هـ .
مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (١/ ٢٤٩) رقم : ٥٦٥.

(٣) الصلة (١/ ٢٤٩).

(٤) ترتيب المدارك (المجلد الثاني ص ٧٥٠).

(٥) الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه لوارد محمد (ص ٤٤)، كما ألف في الرد عليه من المشارقة أبو سعيد بن الأعرابي (ت ٣٤١ هـ) ن م (ص ٤٤).

(٦) هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ).
ترجمته عند الحميدي (ص ٤٦ ـ ٤٩) رقم : ٣٤، ابن سعيد (١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) رقم : ١٧٨.

(٧) انظر مصادر ترجمته.

هذا بالإضافة إلى الإنكار العام الذي نراه عند علماء المغرب على من عرف عنه أنه من أتباع ابن مسرة، فمحمد بن عبد الله القيسي (ت ٣٨٢هـ) ترك أهل الحديث الأخذ عنه، لما علموا أنه ينسب إلى اعتقاد ابن مسرة بالرغم مما عرف عنه من العلم الغزير والضبط لما كتب[(١)]، وكذلك عبد العزيز بن أحمد بن محمد (ت ٣٨٧هـ) فقد غض اعتناقه لمذهب ابن مسرة منه[(٢)] وكذا عبد الوهاب بن منذر القرطبي (ت ٤٣٦هـ)، فقد تكلم فيه علماء المغرب من أجل ذلك[(٣)].

وهناك رجال آخرون تركهم علماء المغرب وقاوموهم ليس من أجل اعتناقهم لمذهب ابن مسرة ولكن من أجل قضايا أخرى، فعطية بن سعيد بن عبد الله (ت ٤٠٣هـ) [(٤)] كان كثير من المغاربة يتحامونه لتأليفه في تجويز السماع على مذهب الصوفية، فتركه الناس لذلك وكان عالماً[(٥)].

وقد أثار أبو بكر يمن بن رزق الزاهد[(٦)] غضب الفقهاء الملتزمين بالكتاب والسنة لتأليفه كتاباً في الزهد، فمنعوا الناس من النظر فيه بدعوى أن مؤلفه صاحب وساوس، ولم تقتصر مقاومة ابن مسرة وأتباعه على العلماء، بل امتدت إلى الدولة التي اتخذت ـ هي الأخرى ـ موقفاً حازماً من هذه الجماعة، الأمر الذي جعلها تجند إمكانات كبيرة من أجل القضاء على هذه النحلة وعلى أتباعها، فكان أن صدر سنة ٣٤٠هـ منشور من الخليفة الناصر قرئ على الناس بالمسجدين الجامعين بالحضرتين قرطبة والزهراء[(٧)] تقضي بتعقب أتباع ابن مسرة ومعاقبتهم.

---

(١) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٩٦ ـ ٩٧).

(٢) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢٧٩).

(٣) الصلة (٢/ ٣٨٠).

(٤) هو: أبو محمد عطية بن سعيد بن عبد الله الأندلسي الحافظ، سمع بالأندلس من أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي وطبقته، وطاف بلاد المشرق سياحة وانتظمها سماعاً وكان يتقلد مذهب التصوف ويقول بالإيثار ولا يمسك شيئاً توفي سنة ٤٠٣ هـ.
مصادر ترجمته: جذوة المقتبس (٣١٩ ـ ٣٢٢) رقم الترجمة: ٧٤١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) ترجمته في تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٢٠٠) رقم: ١٦١٣.

(٧) هي مدينة صغيرة بناها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥هـ، وعملها متنزهاً له وأنفق في بنائها ما تجاوز حد الإسراف، وهي تقع غربي قرطبة على بعد خمسة أميال. =

ومنشور آخر صدر في شعبان سنة ٣٤٦هـ يصب في الاتجاه ذاته، وهو ما يؤكد الاتجاه السني العام لبلاد المغرب في ذلك العهد ـ على أقل تقدير ـ وقد اكتشف هذا المنشور ـ أخيراً ـ [١] والذي جاء فيه بعد البسملة وذكر بداية أمر هذا الدين، وأنه آخر الرسالات، وأنه المهيمن عليها والناسخ لها، وأنه الدين الذي ارتضاه الله للبشرية، فلا يجوز العدول عنه إلى غيره، بعد هذه المقدمة في بيان عظمة هذا الدين جاء ذكر هذه النحلة الملحدة:

«التي لا تبتغي خيراً ولا تأتمر رشداً من طغام السواد، استولى عليهم الخذلان وأحال عليهم بخيله ورجله الشيطان فقالوا بخلق القرآن وآيسوا من روح الله وأكثروا الجدال في آيات الله وحرفوا التأويل في حديث رسول الله ﷺ، فبرئت منهم الذمة بقوله تقدست أسماؤه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٦٩ ـ ٧١]، فهذا أبلغ الوعيد وأفظع النكال لمن جادل في الله بغير علم ولا هدًى ولا كتاب منير: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩].

ثم تجاوزوا في البهتان وأبطلوا الشفاعة وتأولوا محكم التنزيل، فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل الأخبار إلى القدح في الحديث وترك نجح السبيل. فأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح، ولما صار غيهم فاشياً وجهلهم شائعاً (واتصل بأمير المؤمنين) من قدحهم في الديانة وخروجهم عن الجادة، ما أشغل نفسه وأقض مضجعه وأسهر ليله. فأغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيديهم وأوعز إيعازاً، وأنذر إنذاراً فظيعاً وعهد عهداً مؤكداً شافياً كافياً؛ نظر به لوجهه تبارك وتعالى وقدم فيه بين يدي العقاب الشديد، وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته، ليقرع قلب الجاهل ويفت كبد المستهتر الحائر، وينقض عزم المعاند، ويضطر الغواة إلى الإثابة الصحيحة التي يتقبلها الله منهم أو يكشف عن الأذهان سرائرهم، فيكون عليهم شهيداً ويأتيهم عذاب غير مردود.

= انظر عنها: معجم البلدان (٣/ ١٦١)، صفة جزيرة الأندلس للحميري (ص ٩٥)، الآثار الأندلسية الباقية لعبد الله عنان (٣٥ ـ ٤٤).

(١) نشره لأول مرة الدكتور عبد الله عنان في كتابه القيم "دولة الإسلام في الأندلس: العصر الأول" القسم الثاني (ص ٧٠٨) وفي صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (١٣/ ١٣٣) ضمن مقال له بعنوان: "اكتشاف السفر الخامس من المقتبس لابن حيان" أنفذه الخليفة الناصر لدين الله إلى آفاق ملكه بشأن هؤلاء المبتدعة قرئ عليهم بأمصارهم.

ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره[١] ويرسله في بدوه وحضره يقرأ على منابر المسلمين، ولا يحرم القاصي ما عم الداني من تطهير هذا الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهته وفتنته، فلم يهلك الله أمة من الأمم إلا بمثل ما يكشف عن هذه الطغمة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء على القرآن وأحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه وسلم.

وتتبع هذه الطائفة بجميع أعمالك وأثبت فيهم عيونك، فمن قامت عليه البينات بذلك فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم وأسماء الشهود عليهم ونصوص شهاداتهم لنعهد باستجلابهم إلى باب سدته، لينكلوا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى صدره، وإياك أن تهون من أهل الريبة وتتخطاهم إلى ذوي السلامة والأحوال الصالحة، فإن فرطت في أحد الأمرين أو كليهما فقد برئ الله منك وأحل دمك فاعمله واعتد به».

قال ابن حيان: «وتمادى الطلب لهذه الفئة السرية والإخافة لهم، وتخوف الناس من فتنتهم بقية أيام الناصر لدين الله».

وتستمر مقاومة الاتجاه الصوفي وتصل ذروتها في عهد المرابطين، ففي هذا العهد اتخذت المقاومة شكلاً آخر تميز بالتشدد والحزم والعنف في بعض الأحيان، الأمر الذي أوجد اتجاهاً آخر مضاداً يقبل على كتب الصوفية وكما يقال: "فكل ممنوع مرغوب"، وفي رأيي لو سلك المرابطون إزاء هذا الاتجاه سياسة الإقناع ببيان مضار كتب التصوف وما تؤدي إليه من انحراف في العقيدة والسلوك، وما إلى ذلك من تربية الناس على هذه المفاهيم مع تلقينهم العقيدة الصحيحة السليمة، في نظري لو سلكوا هذا المسلك لكان أجدى لهم في إبعاد الناس عن هذه الكتب وتزهيدهم فيها.

أما وقد سلكوا مسلك العنف فإنهم في النهاية لم يقضوا على التصوف ولا على كتبه، فضلاً عن أنهم أحدثوا بتصرفهم ذلك ردة فعل قوية عند الطرف المقابل تمثلت في ذلك الكم الكبير من المؤلفات الصوفية التي ألفت في ذلك العهد، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مؤلفات ابن برجان مثل: "الإرشاد والإشارات"، و"شرح أسماء الله الحسنى"، و"الإلهام".

---

(١) الكور: جمع كورة، وهو الصقع، أو البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال. المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٤).

وألف ابن العريف أيضاً عدة مؤلفات في التصوف منها : "محاسن المجالس"، وكتاب "مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة"، وهنالك مؤلف ذكره له المقري في نفح الطيب[(١)] هو "مطالع الأنوار ومنابع الأسرار"، وألف أبو الحسن بن غالب[(٢)] عدة تواليف في هذا الفن منها كتاب: "الاعتبار" وكتاب "الأيام والحجب" وكتاب "اليقين".

كما ألف الصوفي الكبير أبو العباس أحمد بن معد المعروف بابن الإقليشي (ت ٥٥٠هـ)[(٣)] مصنفات عدة في التصوف، منها : "كتاب النجم في كلام سيد العرب والعجم" وكتاب "الغرر من كلام سيد البشر"[(٤)]، وألف الخراط أبو محمد الإشبيلي (ت ٥٨١هـ)[(٥)] عدة مؤلفات في هذا الفن، منها : "كتاب التوبة" و"كتاب معجزات الرسول" و"كتاب الصلاة والتهجد"[(٦)]، وكذا ألف أبو العباس أحمد بن الصقر السرقسطي (ت ٥٥٩هـ)[(٧)] كتاب "أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد

---

(١) (٤٩٧/٧)

(٢) ترجمته في الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (سفر٥/ قسم ١/ ص ٢٠٩) رقم الترجمة : ٤١٥، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة بيروت (الطبعة الأولى ١٩٧٣).

(٣) هو : أبو العباس أحمد بن عيسى بن الوكيل التجيبي الزاهد، يعرف بابن الإقليشي، سمع بالأندلس من عدد من الشيوخ ورحل إلى المشرق فحج وجاور بمكة سنين وكر راجعاً إلى المغرب، وكان عالماً عاملاً شاعراً مجوداً، وكان متصوفاً توفي سنة ٥٥٠هـ وقيل ٥٥١هـ.
مصادر ترجمته : التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١/ ٦٠ ـ ٦٢) رقم : ١٦٧

(٤) انظر هذه المصنفات في التكملة (١/ ٦١).

(٥) هو : أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعد الأزدي الإشبيلي ويعرف بابن الخراط، كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله، عارفاً بالرجال، مع الزهد والورع والتقلل من الدنيا، ألف عدة مؤلفات في الفقه والحديث والزهد توفي سنة ٥٨١هـ وكانت ولادته سنة ٥١٠هـ.
مصادر ترجمته : الديباج المذهب (٢/ ٥٩ ـ ٦١) رقم : ٩.

(٦) الديباج (٢/ ٦١).

(٧) هو : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي، من سرقسطة، كان محدثاً مكثراً ثقة ضابطاً مقرئاً مجوداً حافظاً للفقه عارفاً بالأصول متقدماً في علم الكلام، وكان زاهداً توفي سنة ٥٥٩ هـ، وكانت ولادته سنة ٥٠٢ هـ.
مصادر ترجمته : الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (١/ ١٨٢ ـ ١٨٦) ـ تحقيق د . عبد الله عنان.

والأبرار"، وألف ابن قسي كتاب "خلع النعلين" وهو كتاب ـ كما يقول أبو العلا عفيفي ـ: «مجموعة من اللمحات الإشراقية»(١).

كما أن موقفهم من كتاب "الإحياء" لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) رحمه الله وَلَّد عند الناس حباً كبيراً لهذا الكتاب وإقبالاً شديداً عليه حتى قال قائلهم :

أبا حامد أنت المخصص بالمجد ... وأنت الذي علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الإحياء يحيي قلوبنا ... وينقذنا من طاعة النازغ المردي
و فيها ابتهاج للجوارح ظاهر ... ومنها صلاح للقلوب من البعد(٢)

و قد وجد لأبي حامد أنصار كثيرون نهجوا منهجه وتأثروا بآرائه، وبرؤوه مما رمي به، وقد حدث القاضي بن حمدين(٣) عن هذا النوع من الناس فقال: «إن بعض من كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد إمام بدعتهم، فأين هو من شنع مناكيره ومضاليل أساطيره المباينة للدين، وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي إلى علم المكاشفة(٤).

ويحدثنا ابن طملوس عن موقف أهل الأندلس من كتب الإمام الغزالي وبخاصة كتاب الإحياء، وكيف انقلب هذا الموقف من العداء الشديد إلى الحب الشديد فيقول: «و لما امتدت الأيام وصل إلى هذه الجزيرة (الأندلس) كتب أبي حامد الغزالي، فقرعت أسماعهم بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها، وكلام خرج عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتد أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم، فبعدت عن قبوله أذهانهم ونفرت عنه نفوسهم وقالوا: "إن كان في الدنيا كفر وزندقة فهذا الذي

---

(١) انظر مجلة الآداب جامعة الإسكندرية (الجزء ١١/ سنة ١٩٥٧/ ص ٥٣).
(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٦/ ٢٥٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٤٠).
(٣) هو: العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي صاحب فنون ومعارف وتصانيف، ولي القضاء ليوسف بن تاشفين سلطان المرابطين، فسار أحسن سيرة، روى عنه القاضي عياض وكان ذكياً بارعاً في العلم، متفنناً أصولياً لغوياً شاعراً وكان يحط على الإمام الغزالي، وألف في الرد عليه توفي سنة ٥٠٨ هـ.
مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (٢/ ٥٧٠) رقم : ١٢٥٤، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٢٢) رقم : ٢٤٤.
(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٣٢).

في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة"، وأجمعوا على ذلك واجتمعوا للأمير إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم إلى ما سألوه، فأحرقت كتب الغزالي، وخاطب الأمير إذ ذاك جميع أهل مملكته يأمرهم بحرقها ويعلمهم أنه هو الذي أدى إليه نظر العلماء، وقرئت مخاطبته على المنابر وامتحن من كان عنده منها كتاب وخاف كل إنسان على نفسه أن يرمى بأنه قرأ منها كتاباً أو اقتناه، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه...».

هذا عن موقفهم أول الأمر، ثم لم يلبث أن انقلب إلى نقيضه وبخاصة أيام ابن تومرت الذي كان شغوفاً بالنحلة الغزالية، فيقول: «ثم لم تكن الأيام تمتد إلا قليلاً حتى جاء الله بالإمام المهدي، فبان به للناس ما قد تحيروا فيه وندب الناس إلى قراءة كتب الغزالي، وعرف من مذهبه أنه يوافقه، فأخذ الناس في قراءتها وأعجبوا بها، ولم يبق في هذه الجهات من لم يغلب عليه حب الغزالي، فصارت قراءتها شرعاً وديناً بعد أن كانت كفراً وزندقةً»[1].

هكذا إذًا كان موقف الأندلسيين من الاتجاه الصوفي، ولعل ذلك كان نتيجة للتشديد الذي تميز به عهد المرابطين تجاه التصوف ورموزه.

والسبيل الأجدى الذي ينبغي للإنسان أن يسلكه في حكمه على الأشياء هو السبيل الوسط بين الإفراط والتفريط. وأحسن من وجدته سلك هذا المسلك مع كتاب الإحياء، الإمام الذهبي حيث قال فيه: «أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً نافعاً، تدري أخي ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه. قال عليه السلام: «من رغب عن سنتي فليس مني»[2]، فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين وسنن النسائي ورياض النووي وأذكاره تفلح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة ووظائف أهل الرياضات وجوع الرهبان. فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا الصراط المستقيم»[3].

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا: ترجمة د.حسين مؤنس (ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦) نقلاً عن كتاب: المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس (١/ ٩ ـ ١٣) طبعة مدريد (١٩١٦).

(٢) سبق تخريجه

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٣٩).

هذا هو المسلك الصحيح والقويم الذي ينبغي للمسلم أن يسلكه في حكمه على الأشياء وتقويمه لها، وهو المسلك الذي دل عليه القرآن والسنة وهو العدل، فنقول لمن أحسن: أحسنت، ولمن أساء: أسأت، ونقول لمن أحسن في جانب وأساء في آخر أحسنت في هذا وأسأت في هذا، أما أن ننسف جميع حسناته ونغض عنها الطرف لمجرد أن صاحبها أخطأ، فهذا الذي لا ينبغي، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة :٨]، أي: «لا يحملنكم بغضكم لقوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً أو عدواً»[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧ ـ ٥٨)، طبعة دار الشعب.

و هذا الكلام ليس جديداً بل هو مسلك العلماء الأكابر الذين هم أغير على الإسلام منا وأشد حباً له، وإنما الجديد هو سب العلماء وثلبهم والتنقص منهم واتهامهم بما لا يليق، هذا فضلاً عن التعالي على مخلوقات الله، واعتبار كل مخالف لنا دوننا، ونحن نسمع قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

قلت: إن هذا الكلام ليس جديداً، بل هو مسلك كبار العلماء قديماً وحديثاً، وهذه نماذج من أقوالهم في الباب تدل على ذلك، فهذا الإمام بن تيمية ـ رحمه الله ـ على الرغم مما نعرفه عنه من حملته الشديدة على المتكلمين وتشنيعه عليهم، نراه لا يغمض الجوانب المضيئة من أعمالهم، وهي دفاعهم عن الإسلام وبلاؤهم في ذلك البلاء الحسن، فيقول مثلاً بعد ذكر دور أبي الوليد الباجي وابن العربي وغيرهما من المتكلمين في نشر المذهب الأشعري: «ثم إنه ما من أحد من هؤلاء إلا وله في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة، والله يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠]»، انظر : درء التعارض (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

و يقول في موضع آخر (٨/ ٢٧٥): «فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره الإسلام، والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول ﷺ فحمدهم والثناء عليهم مما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله، وإظهار العلم الصحيح الموافق لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام والمظهر لباطل من خالف الرسول عليه الصلاة والسلام».

و هذا الإمام الذهبي ـ أيضاً ـ يجلي لنا هذه القاعدة فيقول في ترجمته لابن عبد البر من كتابه القيم: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٨): «وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن أخطأ إمام في اجتهاده لا ينبغي أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه بل نستغفر له ونعتذر عنه».

هذه نماذج من أقوالهم في هذا الباب أوردتها هنا للتنبيه فقط.

كما أن سلوكهم مع كتاب الإحياء جعل الناس تنقم عليهم فعلهم وتشنع، حتى أنه لما آل الأمر إلى الموحدين حرقوا كتب المذهب المالكي المعتبرة، كرد فعل لما فعله المرابطون، يقول المراكشي في معجبه(١) : «وفي أيامه (أي أيام يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين) انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب (أي: المالكي) بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ والقرآن، فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحة ابن حبيب، لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة، الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي ومسند البزار ومسند ابن أبي شيبة وسنن الدار قطني وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها، وكان قصده محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة». انتهى كلامه بتصرف قليل.

**حادثة إحراق إحياء علوم الدين:**

لقد وقعت حادثة إحراق الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي في بداية سنة ٥٠٣ هـ، في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، وكان يوسف بن تاشفين والده على علاقة طيبة مع الإمام الغزالي يستفتيه في القضايا العظيمة، كما كان الغزالي من جانبه يقدر ليوسف نصرته للإسلام حتى قيل: إنه عزم على أن يسير إلى المغرب لرؤيته والاجتماع به، ولكنه حينما وصل إلى الإسكندرية علم بوفاته سنة ٥٠٠هـ فعدل عن الرحلة(٢).

ولكن الأمور تغيرت على عهد ولده علي بن يوسف، الذي كان ـ كما ذكرت غير مرة ـ يتسم بنوع من الزهد والورع ويميل إلى إيثار الفقهاء ومشاورتهم فاشتد نفوذهم حتى أصبح لا يقطع في أمر من الأمور إلا برأيهم، وكان على رأس الفقهاء قاضي قرطبة أبو عبد الله محمد بن حمدين، وكان الفقهاء يهتمون بعلم الفروع ويهملون علم الأصول ـ كما سبق الحديث ـ وكان لا يحظى عند أمير المسلمين إلا من برع في علم الفروع.

فلما وصلت كتب الإمام الغزالي إلى المغرب والأندلس، وفي مقدمتها كتاب "الإحياء" وقرئت وذاع ما فيها، سخط الفقهاء وأنكروا كثيراً من المسائل التي وردت في

---

(١) (ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٢) ابن خلكان (٢/ ٤٨٨).

كتاب الإحياء حتى بلغ ببعضهم أن يكفر من يقرأ كتاب "الإحياء"، ثم رفع الفقهاء الأمر إلى علي بن يوسف بن تاشفين، وطلبوا إليه حرق الكتاب ومطاردته أينما وجد، فأذعن علي بن يوسف بن تاشفين لطلبهم وأخذ برأيهم، وجمعت نسخ الكتاب واحتفل بإحراقها في رحبة المسجد الجامع بقرطبة أمام الباب الغربي بعد أن أشبعت جلودها بالزيت، وعمم الأمر على سائر أنحاء الأندلس والمغرب، وانتزعت نسخه من أصحابها، وتوالى الإحراق، وشدد أمير المسلمين في ذلك حتى أنه توعد بعقوبة الإعدام ومصادرة المال لكل من وجد عنده[١]، واستمرت المطاردة لكتب الإمام الغزالي طوال أيام المرابطين، وجدد المرسوم في أواخر عهد تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٨هـ.

هذه هي قصة إحراق الإحياء باختصار، وهي تدل على معاداة المرابطين ورفضهم لكل اتجاه فلسفي أو صوفي أو عقلاني.

ويذهب بعض المؤرخين المعاصرين إلى أن إحراق الإحياء من قبل المرابطين لا يرجع لأسباب تتعلق بالعقيدة، أو لأنه يخالف الدين في شيء، وإنما يرجع إلى حملة صاحب الإحياء اللاذعة على علماء الفروع واتهامهم بالجهل وسخف مجادلاتهم السطحية وكونهم يجهلون علم أصول الدين الذي ينوه الإمام الغزالي بأهميته وعظيم قدره، وممن يذهب إلى هذا القول الدكتور محمد عبد الله عنان في كتابه: "عصر المرابطين في المغرب والأندلس"[٢]، وكذا الدكتور يحيى هويدي في كتابه "فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية"[٣] وقد سبقهما في ذلك المستشرق اليهودي جولد سيهر في كتابه عن ابن تومرت[٤].

ولكن هذا الكلام يرده ما ذكرناه عن الاتجاه السني العام للمغرب، وأنهم لم يقاوموا كتاب الإحياء فحسب، وإنما كل كتاب يشتم منه رائحة مخالفة المنهج السني كانوا يقفون منه هذا الموقف المتشدد، وقد ذكرت كمثال على ذلك إحراق القاضي يبقى بن زرب لكتب ابن مسرة.

---

(١) انظر: المعجب (ص ٩٦)

(٢) (ص ١٦٠ ـ ١٦٢)

(٣) وما بعدها (١/ ٢٠٤).

(٤) الكتاب مؤلف باللغة الفرنسية وعنوانه: "محمد بن تومرت والعقيدة الإسلامية في المغرب في القرن الحادي عشر الميلادي" (ص٣٥ ـ ٣٦).

وهناك آراء غير هذا الرأي في تحديد الأسباب التي حملت المرابطين على إحراق كتاب "الإحياء" نذكر منها أن المرابطين أنكروا على الإمام الغزالي ما شحن به كتابه المذكور من أحاديث موضوعة، يقول صاحب "بيوتات فاس" : «تكلم فيه فقهاء قرطبة لما فيه من الأحاديث الموضوعة التي لا أصل لها، وقالوا : هذا الكتاب يغر المسلمين، الصواب إحراقه»(١).

وهناك تفسير آخر ذكره بعضهم ـ وهو في رأيي تفسير وجيه ـ وهو أن المرحلة التي كتب فيها الإمام الغزالي كتابه الإحياء الذي يحث فيه على العزلة، كان المسلمون في حاجة إلى من يحمسهم للجهاد ضد الصليبيين الذين كانوا يتربصون بالمسلمين في الشرق والغرب في حرب صليبية قذرة وشرسة، فترك مثل هذا الكتاب في مثل هذه الظروف تثبيط للمسلمين عن أداء واجبهم تجاه دينهم، فلذلك أمروا بإحراقه تفادياً لآثاره السلبية(٢).

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه الحادثة كانت بداية النهاية لعهد المرابطين اعتماداً على حادثة تاريخية غير ثابتة، وهي أن الإمام الغزالي لما سمع بإحراق كتابه الإحياء دعا الله أن يمزق ملك المرابطين كما حرقوا كتابه، فاستجاب الله لدعوته، وكان ابن تومرت جالساً في مجلسه، فقال للإمام الغزالي : "ادع الله أن يجعل ذلك على يدي" فكان ذلك، إلا أن هذه الحادثة لم تثبت من الناحية التاريخية(٣). حيث يقول ابن الأثير : «والصحيح أنه لم يجتمع به»(٤).

هذا موقف دولة المرابطين مع كتب الغزالي عموماً وكتاب الإحياء على وجه الخصوص، ولننظر الآن إلى موقف العلماء من الغزالي، وهو موقف لا يختلف في عمومه عن موقف الدولة، على الرغم من تقديرهم الكبير لشخصه والاعتراف له بالعلم والفهم، كل هذا لم يمنعهم من أن يقيموه التقييم الصحيح ويقولوا فيه كلمة الحق، كما فعل الإمام الطرطوشي الذي قال فيه : «رأيت الرجل وكلمته فوجدته رجلاً جليلاً من أهل العلم، نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره، وكان على ذلك معظم عمره».

(١) انظر مقال محمد اليعقوبي البدراوي : "إحراق كتاب الإحياء في المغرب الإسلامي"، مجلة المنهل المغربية (عدد ٦/ سنة ٤٠/ رجب ١٣٩٧/ يوليو ١٩٧٧/ ص٣٢٠).

(٢) نفس المقال (ص٣١٤).

(٣) انظر : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس لعبد الله عنان (ص١٦٠ ـ ١٦٢).

(٤) الكامل في التاريخ (١٠/ ٥٦٩).

هذه كانت نظرته لشخص الإمام وتقييمه له، ولكن مع ذلك كان يرى أن دخوله في التصوف أفسد عليه كل شيء حيث: «هجر العلوم وأهلها ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين».

هذا عن تقييمه للرجل في مرحلتين: مرحلة ما قبل دخوله في التصوف، وهي المرحلة التي بلغ فيها الغاية من العلوم، ومرحلة ما بعد دخوله في التصوف وهي المرحلة التي سقط فيها من القمة إلى الحضيض.

بعد ذلك ينتقل الرجل إلى تقييم كتاب الإحياء الذي كثر الحديث عنه في ذلك العهد فيقول : «فلما عمل كتابه الذي سماه "إحياء علوم الدين" عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية [إلا أنه لم يوفق في ذلك لأنه] كان غير آنس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر ولا في أحوال الزاهدين استقر»، ثم يأتي إلى خصائص الكتاب فيبين أن صاحبه «شحنه بالكذب على رسول الله ﷺ» وهو يقصد بالكذب الأحاديث الموضوعة التي ملأ بها الغزالي كتابه والسبب في ذلك أن بضاعته في الحديث كانت مزجاة، وقد حاول تدارك ذلك النقص في آخر حياته فأقبل على مطالعة صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما من كتب السنة، ثم يؤكد الإمام الطرطوشي دعوى الكذب هذه بقوله: «فلا أعلم كتاباً على وجه بسيط الأرض أكثر كذباً على الرسول ﷺ منه»، هذا بالإضافة إلى ما ورد في الكتاب من «مذاهب الفلاسفة ورموز الحلاج ومعاني إخوان الصفا وهم قوم يرون النبوة اكتساباً...

وما مثل من ينصر دين الإسلام بمذاهب الفلاسفة والآراء المنطقية إلا كمن يغسل الثوب بالبول، كما أن النزعة الباطنية جلية فيه لأن الإمام الغزالي: «يسوق الكلام سوقاً يرعد فيه ويبرق ويمني ويشوق حتى إذا تشوقت له النفوس قال : هذا من سر الصدر الذي نهينا عن إفشائه، وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدجل في الدين يستقل الموجود ويعلق النفوس بالمفقود، وهو تشويش لعقائد القلوب وتوهين لما عليه كلمة الجماعة، فإن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يبعد تكفيره وإن كان لا يعتقد فما أقرب تضليله».

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن حادثة إحراق كتاب الإحياء، فيؤيد هذا العمل بحجة أنه «إن ترك (أي: الإحياء) انتشر بين ظهور الخلق ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال فيحرق قياساً على ما أحرقته الصحابة ﷺ من صحائف المصحف التي تخالف المصحف العثماني، ألا ترى أنهم لو

لم يحرقوا تلك الصحائف وانتشرت في الخلق لحفظ كل إنسان ما وقع منها إليه وأوشك أن يختلفوا فيتقاتلوا».

ثم ينهي كلامه بالتنبيه على أنه عازم على أن يتفرغ لهذا الكتاب فيستخرج جميع هفواته ويوضح سقطاته ويبينها حرفاً حرفاً ثم ينصح المسلمين بأن «في دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين وطبقات الصالحين، ومعظم من وقع في حب هذا الكتاب رجال صالحون لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات ولا يفهمون الإلهيات»(١).

وممن سلك هذا المسلك ووقف هذا الموقف مع الإمام الغزالي وكتابه "الإحياء" : الإمام المازري حيث ألف كتاباً في الرد عليه أسماه "الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء" بين ما فيه من انحراف وتلفيق فقال: «وفيه (أي: الإحياء) كثير من الآثار عن النبي ﷺ لفق فيه الثابت بغير الثابت، وكذا ما أورده عن السلف لا يمكن ثبوته كله، وأورد من نزعات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يجل موقعه، لكن مزج النافع بالضار كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها».

ورأيه هذا ليس قاصراً على كتاب الإحياء، بل هو عام في كل مذاهب المتصوفة وأصحاب الإشارات والفلاسفة، لأن كتاب الإحياء «متردد بين هذه الطرائق لا يعدوها» وهو بذلك يكشف عما دفن من جبال الغرور ليحذر من الوقوع في حبالة صائده(٢).

وممن انتقد الإمام الغزالي وكتابه الإحياء، الإمام أبو بكر ابن العربي الذي كان على صلة قوية بالإمام الغزالي بحكم تلمذته عليه، هذا الإمام رأيه في الغزالي يشبه رأي الطرطوشي، فقد كان يرى أن الإمام الغزالي ـ قبل دخوله التصوف ـ كان نجماً ساطعاً برده على الفلاسفة الذين كانوا يهزؤون من أهل السنة، لأنهم كانوا يردون عليهم بما ذكر الله في كتابه وعلمه لنا على لسان رسوله ﷺ، كانوا «يهزؤون بتلك الردود ويضحكون منها، فانتدب أبو حامد للرد عليهم بلغتهم ومكافحتهم بلسانهم، والنقض عليهم بأدلتهم فأفاد وأبدع في ذلك كما أراد الله»(٣).

---

(١) انظر هذه الرسالة في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٣٩ ـ ٤٦٣)، وفي المعيار المعرب (١٢/ ١٨٦).
(٢) انظر رده هذا في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٣٠)، وطبقات الشافعية (٦/ ٢٤٠ ).
(٣) العواصم من القواصم (٢/ ١٠١) واستحسان ابن العربي لطريقة الغزالي هذه ليس معناه أنها الطريقة المثلى، فالطريقة المثلى عند ابن العربي في الرد على المخالفين هي الطريقة التي سلكها =

هذه كانت نظرة ابن العربي للغزالي قبل أن يدخل في متاهات التصوف، ولكنه بعد دخوله في التصوف تغير رأيه فيه، فوجه له النقد اللاذع وأبدى الأسف الشديد على أفول نجمه، وفي ذلك يقول: «كان أبو حامد تاجاً في هامة الليالي وعقداً في لبة المعالي، حتى أوغل في التصوف، وأكثر معهم التصرف فخرج على الحقيقة وحاد في أكثر أحواله عن الطريقة، وجاء بألفاظ لا تطاق ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق، فواحسرتى عليه، أي شخص أفسد من ذاته وأي علم خلط منه مفرداته»[1].

وممن ألف في الرد عليه ـ: أيضاً ـ ابن حمدين، الذي كان حاملَ لواء الحملة على كتب الإمام الغزالي. يقول الإمام الذهبي: «وكان يحط على الإمام أبي حامد الغزالي في طريقة التصوف وألف في الرد عليه»[2].

ومنهم: القاضي عياض الذي رد عليه هو أيضاً، كما جاء في كتاب "معجم أصحاب أبي علي الصفدي"[3] إذ يقول: «والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف العظيمة غلا في طريقة التصوف وتجرد لنصرة مذهبهم، وصار داعية في ذلك وألف فيه تواليفه المشهورة أخذ عليه فيها مواضع وساءت فيه ظنون الأمة، والله أعلم بسره ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل لذلك».

هذه هي آراء علماء المغرب في الإمام الغزالي وكتابه "الإحياء" وهي آراء تتفق جميعها في أن دخول الإمام الغزالي ميدان التصوف قضى عليه، ووضعه في موضع حرج، وتتفق أيضاً على أنه كان ـ قبل ذلك ـ في القمة.

بعد هذا وتتمة لهذا البحث، أنتقل إلى نوع آخر من المقاومة، وهي مقاومة التصوف من خلال تفسير القرآن الكريم، حيث يعمد المفسر إلى مناقشة آراء الصوفية وتحريفهم لأدلة الكتاب وإبطالها بصريح الكتاب والسنة.

---

= القرآن حيث يقول: «خذوا مني نصيحة مشحونة بنكت الأدلة، وهي أن الله سبحانه وتعالى رد على الكفار على اختلاف أصنافهم من ملحدة وعبدة أوثان وأهل كتب وصابئة وشركة ويهودية بكلامه، وساق أفضل سياق أدلته وجاء بها في أحكم نظام وأبدع ترتيب فعلى ذلك فعول»، لكن طريقة الغزالي يلجأ إليها في الحالات التي يرفض فيها المخالف أدلة القرآن عند ذلك يرد عليه بلغته.

(١) العواصم من القواصم (٢/ ١٠١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٢٢).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٧).

وأذكر هنا نماذج من هذه التفاسير: لقد قاوم ابن عطية التفسير الصوفي الباطني لآيات القرآن الذي يمسخها مسخاً، وعده إلحاداً في آيات الله حيث يقول في مقدمة تفسيره: «وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله تعالى من مقاصده العربية السليمة في إلحاد أهل القول بالرموز واللغز وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم»(١).

ومقاومته هنا جاءت نتيجة قناعة عنده بأنه لا وجه لإخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر لغير علة تدعو إليه، كما كان يرى أن طريق الرموز والألغاز قد تنزه عنها القرآن وبرئ منها، لأن القرآن يتميز بالوضوح والبيان، والرموز والألغاز فيها لبس وإبهام، فكيف تلصق بالقرآن الكريم الذي أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

ففي تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، يقول: «وقالت فرقة: الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان، قال: وهذا غير جيد، لأنه إخراج لفظ بيّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القرآن منه»(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾[الرعد: ١٧] ينعى على الغزالي وأمثاله من أصحاب الرموز تمسكهم في تفسير القرآن بأقوال لا وجه لها في العربية فيقول: «وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قوله تعالى ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يريد به الشرع والدين، وقوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ يريد به القلوب: أي أخذ النبيه بحظه والبليد بحظه».

قال ابن عطية: «وهذا قول لا يصح - و الله أعلم - عن ابن عباس لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز، وقد تمسك به الغزالي وأهل ذلك الطريق ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو إلى ذلك، والله الموفق للصواب برحمته»(٣).

وهكذا كان شأن ابن عطية في تفسيره، كلما سنحت له الفرصة للتشهير بالصوفية

---

(١) انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن للدكتور عبد الوهاب فايد (ص ١٩٠)

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر: منهج ابن عطية في تفسير القرآن للدكتور عبد الوهاب فايد (ص ١٩٠).

وانتقادهم فعل، وإن كنت ـ **أنا** ـ أخالفه في هذه الآية بالذات، والذي أداه إلى الخطأ فيها هو شدة مخالفته لكل ما يصدر عن الصوفية وإن كان صحيحاً في ذاته، وتفسير الماء بالهدى صحيح ذهب إليه كثير من أهل العلم أمثال ابن تيمية، الذي يقول في "درء تعارض العقل والنقل" :[1] فإن هذا مثل ضربه الله فشبه فيه ما ينزله من السماء من العلم والإيمان بالمطر وشبه القلوب بالأودية، والأودية منها صغار وكبار، فكل يسيل بقدره».

وهو قول ابن كثير أيضاً حيث يقول: «وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علماً كثيراً، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها»[2]، ويؤيد هذا التفسير ما ورد في السنة من قوله عليه الصلاة والسلام في تصنيفه للناس إزاء ما جاء به من العلم والهدى فيقول: «**مثل ما بعثني به الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها بقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[3].

الرجل الثاني هو الإمام ابن العربي، الذي ما فتئ ـ هو الآخر ـ يشنع على الصوفية ويفند آراءهم، وبخاصة تلك التي تتعلق بتفسير القرآن، حيث عمدوا إلى تحريف آيات الكتاب تحريفاً يخل بالمعنى الحقيقي لها، وقد تناول آراءهم هذه بالرد في مواضع مختلفة من كتبه، وسأكتفي ـ هنا ـ بإيراد نماذج منها تحقق الغرض ـ بإذن الله ـ .

ففي تفسيره لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، يقول: «ذهب بعض الغلاة من أرباب الورع إلى أن المال إذا خالطه حرام حتى لم يتميز، ثم أخرج منه مقدار الحرام المختلط به، لم يحل ولم يطب، لأنه لا يمكن أن يكون الذي أخرجه هو الحلال والذي بقي هو الحرام، وهذا غلو في

---

(١) (٥/ ٧٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٩) طبعة دار الشعب.

(٣) أخرجه البخاري في العلم (باب فضل من علم وعلم) رقم الحديث: ٧٩ الفتح (١/ ١٧٥)، ومسلم في الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ به من الهدى والعلم) رقم: ٢٢٨٢، صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٧ ـ ١٧٨٨)، و الإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٩٩).

الدين، فإن كل ما لم يتميز فالمقصود منه ماليته لا عينه، ولو تلف لقام المثل مقامه والاختلاط إتلاف لتميزه كما أن الإهلاك إتلاف لعينه والمثل قائم مقام الذاهب وهذا بين حساً ومعنًى والله أعلم»(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾[هود: ١١٤] يقول: «المسألة الخامسة: قال شيوخ الصوفية: إن المراد بهذه الآية استغراق الأوقات بالعبادات نفلاً وفرضاً، وهذا ضعيف، فإن الأمر لم يتناول ذلك لا فرضاً ولا نفلاً، فإن الأوراد معلومة وأوقات النوافل المرغب فيها محصورة وما سواها من الأوقات يسترسل عليه الندب على البدل لا على العموم فليس ذلك في قوة البشر»(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الرعد: ١٥] يقول: «المسألة الثانية اختلف الناس في تفسيرها على أقوال أربعة: منها: القول الثالث: قالت علماء الصوفية: المخلص يسجد لله محبة، وغيره يسجد لابتغاء غرض أو لكشف محنة فهذا الذي يسجد كرهاً».

فيقول ابن العربي في تفنيد هذا التفسير: «أما من سجد لدفع الشر فذلك بأمر الله هو الذي أمرنا بالطاعة ووعدنا بالثواب عليها ونهانا عن المعصية وأوعدنا بالعذاب عليها، وهذه حال التكليف فلا يتكلف فيها تعليلاً إلا ناقص الفطرة قاصر العلم، وغرض الصوفية ساقط فما عبد الله نبي مرسل ولا ولي مكمل إلا طلب النجاة»(٣).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: ١٢] تقول الصوفية: إن الإشارة فيه إلى خلع الدنيا والآخرة من قلبه، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾[النمل: ١٠] أي: لا يكون لك معتمد ومستند غيري.

فيقول ابن العربي في رد هذه الأقوال وبيان فسادها: «هذه إشارة بعيدة ـ أو قل معدومة ـ، وما أمر بطرح النعل إلا لأحد وجهين: **إما** لأنهما كانا من جلد غير مذكى، كما روي عن ابن مسعود، **أو** لئلا يطأ الأرض المقدسة بنعل تكرمة لها، فأما تفريغ قلبه فعند سماع كلام الله يفرغ ضرورة، وأما إلقاء العصا فقد بين الله تعالى الفائدة منه، وهل من يعتمد على عصا من طول قيام يقال: إنه على غير الله يعتمد؟ هذه خرافة فدع عنك

(١) أحكام القرآن لابن العربي الجزء الأول .
(٢) أحكام القرآن (٣/ ١٠٥٧).
(٣) أحكام القرآن (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

هذا وعَوِّلْ على كتاب الله ومعلوماته»[١].

وهذا مثال آخر عن تحريف المتصوفة للكلم عن مواضعه، ولكن هذه المرة من السنة فينقل ابن العربي عن المتصوفة قولهم في حديث رسول الله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[٢] قالوا: «هو تنبيه على تطهير القلوب عن الحسد والحقد والغضب والبخل والخديعة والمكر وسائر الصفات الذميمة فإنها تمنع من الأعمال الصالحة بالتنفير والإفساد لأسبابها ما تفعله الكلاب في منازلها، وإذا طهرت المنازل الحسية عن أجسام الكلاب الحسية، فتنزيه القلوب عن صفات المكروه أولى».

ويرد ابن العربي هذا التفسير لأنه خروج عن ظاهر النص وهو مذهب من يسعى إلى «تعطيل الشرائع وأن كل ما جاء منها وجرى في ألفاظها ليس على ظاهره، وإنما هو كله مبني على التعبير عن باطن سواه وغرض آخر غيره».

و هذا فاسد وليس هو مراد النبي ﷺ لأن «تطهير القلوب عن هذه الصفات الذميمة كلها جاء منصوصاً عليه، فما الذي يحوجنا إلى أن نأخذه على بعد من لفظ آخر يبعد أو يقرب»، وهذا كله ناتج عن «الاحتكاك بتلك الأغراض الفلسفية، وهي عن منهج الشريعة قصية كادت بهذا الدين طائفة خبيثة»[٣].

هذه نماذج اخترتها من تفسير ابن عطية، ومن مواضع مختلفة من كتب ابن العربي، واكتفائي بهذين الرجلين ليس معناه أن غيرهما من المفسرين لم يتعرض للتفسير الصوفي للقرآن بالنقد، وإنما لأن غيرهما متأخر في الزمن عن العهد الذي أنا بصدد دراسته، وإلا فتفسير القرطبي وأبي حيان عامران بالرد على هؤلاء القوم. كما أن اقتصاري على ذكر من ذكرت من العلماء الذين انتقدوا الغزالي وكتابه (الإحياء)، ليس معناه أنه لم يوجد غيرهم، وإنما لأن غيرهم متأخر عنهم، وإلا فقد ألف في الرد عليه كثير غير هؤلاء.

---

(١) العواصم من القواصم (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في اللباس والزينة (باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب، رقم الحديث: ٢١٠٦، صحيح مسلم (٣/ ١٦٦٥).

(٣) العواصم من القواصم (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# الفصل الخامس
# مقاومة علماء السنة المغاربة للفلسفة

المبحث الأول : دخول الفلسفة إلى المغرب .

المبحث الثاني : جهود العلماء في مقاومة الفلسفة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس


## المبحث الأول
## دخول الفلسفة[١] إلى المغرب

لقد أشرت أثناء حديثي عن التصوف إلى الانحراف الشديد الذي حدث في هذا الاتجاه بسبب اختلاطه بالفلسفة، ولذلك أحب هنا أن أتحدث عن دخول هذا النوع من العلوم إلى المغرب ومقاومة علماء السنة له، ولكن قبل الشروع في ذكر ذلك يجدر بي أن أشير إلى أن هذا النوع من العلوم لم تكن له سوق رائجة في المغرب لمعارضة أهل المغرب له، ولكل محاولة عقلية في مسائل الدين، حيث نظروا إلى من يشتغل بالفلسفة على أنه زنديق.

ولم يبرز في هذا العلم سوى عدد قليل لا يكاد يذكر، وحتى هؤلاء الذين برزوا لم يكن لهم تأثير ظاهر، لأن صوتهم كان خافتاً بحكم اشتغالهم في الخفاء خوفاً من بطش الفقهاء. ولم يكن هذا الظهور إلا خلال القرن الثالث هجري وما بعده، أما قبل ذلك فلم يظهر بين مسلمي المغرب فيلسوف واحد، إنما كان همهم إلى ذلك الحين الدراسات الفقهية واللغوية[٢].

وأصبح هذا النوع من العلوم ـ كما يقول المقري ـ ممقوتاً بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه[٣]، ويقول في موضع آخر عن أهل الأندلس: «وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم، أطلقت عليه اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة»[٤]. ويقول ابن سعيد عن هذا العلم: «وهو علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع

(١) الفلسفة: مشتقة من كلمة (فيلاسوفيا) اليونانية، أي: محبة الحكمة، فالفيلسوف: هو محب الحكمة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم (ص ٧٩).
(٢) انظر تاريخ الفكر الأندلسي للمستشرق آنخل جنثالث بالنثيا، ترجمة الدكتور: حسين مؤنس نشر: دار النهضة المصرية الطبعة سنة ١٩٥٥ (ص ٣٢٤).
(٣) نفح الطيب (٣/ ١٨٦).
(٤) نفح الطيب (١/ ٢٠٥ ـ ٢٢٠).

صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه»[١].

ويقول أحد فلاسفة الأندلس وهو ابن الطفيل (ت ٥٨١هـ)، في وصف حال الفلسفة بالأندلس بشيء من الحرقة والتأسف: «إن هذا الأمر (يعني الفلسفة) أعدم من الكبريت الأحمر، ولا سيما في هذا الصقع (يعني الأندلس) الذي نحن فيه، لأنه من الغرابة إلى حد لا يظفر باليسير منه».

ويقول المستشرق رينان في كتابه عن ابن رشد والرشدية: «ما كادت الفلسفة العربية في الأندلس تبلغ قرنين من الزمان حتى توقفت فجأة بسبب التعصب الديني».

ولم تكن الفلسفة في القيروان وما وراءها من بلاد المغرب بأحسن حالاً من الأندلس، بل كان حالها لا يختلف هنا عن حالها هناك، وهو ما يؤكده الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب[٢] عند حديث عن حال الفلسفة في هذا الصقع من بلاد المغرب ومقاومة علماء القيروان لها بقوله: «وكانت علوماً لفلسفة غير مرموقة بعين الرضى من الفقهاء والمحدثين، فكان علماء السنة أصحاب المدرسة القيروانية ينظرون إليها بتأفف وبشيء من الاشمئزاز، ولذا لم نرها تدرس في مساجد القيروان، وإنما استأثرت بيت الحكمة[٣] بالعناية بها وبدراستها ونشرها بين الراغبين فيها، ومن هنا نشأ شيء من التنافر والتباعد بين مدينتي القيروان ورقادة»[٤].

هكذا كان حال الفلسفة في المغرب، مثلها كمثل جميع العلوم العقلية التي تخالف علوم الشريعة.

هذا، وقد نظر علماء المغرب إلى من يشتغل بالفلسفة على أنه زنديق يجب محاربته بكل الوسائل المتاحة حتى يرتدع ويعود عن غيه، يقول أحمد أمين: «لم يسلم فيلسوف من رمْي له بالزندقة والكفر والإلحاد، ويكاد تاريخ الأندلس يكون سلسلة اتهامات من

---

(١) رسالة ابن سعيد في التذييل على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس (ص ٢٧) نشرها: صلاح الدين المنجد ـ ط: دار الكتاب الجديد (١٣٨٧ هـ، ١٩٦٨م).

(٢) العالم التونسي المعروف ولد سنة (١٣٠١هـ، ١٨٨٤م) وتوفي سنة (١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م). انظر عنه: تراجم المؤلفين التونسيين (٣/ ٣٣٧ ـ ٣٤٤).

(٣) هو بيت أنشئ بغرض تدريس الفلسفة والعلوم العقلية الأخرى أنشأه الأمير إبراهيم بن الأغلب في مدينة رقادة، انظر عنه ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية (١/ ١٩٢).

(٤) انظر ورقات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية في تونس (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

هذا القبيل كالذي حدث لابن باجة»[١].

وأصبح أي شخص يقرأ الفلسفة أو يتناول منها شيئاً ولو يسيراً تطلق عليه العامة لقب «زنديق» ويسلك نفسه طريقاً إلى الهلاك وينتهي به إلى ما لا يحمد عقباه[٢] كما أنهم حرضوا عليه العامة.

وتجدر الإشارة إلى أن المالكية هم الذين كانوا يقودون الحملة ضد الفلسفة، وضد كل حركة ترمي إلى التجديد، ومخالفة كل ما كانوا سائرين عليه، وقد شدت الدولة في ذلك أزرهم.

ولا عجب ولا غرو في أن تنال الفلسفة هذا القسط من المقاومة والكراهية من قبل علماء الأمة الذين سلكوا منهج السلف ﷺ والتزموا بالكتاب والسنة، وكل من سلك هذا السبيل يدرك مدى انحراف الفلسفة عن هذا المنهج بما تشتمل عليه من كفر صريح، كقولهم: إن الله لا يعلم الجزئيات، وقولهم: بقدم العالم، والقول بإنكار البعث الجسدي، وإنكار العذاب والنعيم الماديين يوم القيامة، فكل واحدة من هذه الأقوال تستحق بذل أقصى الجهد للقضاء عليها وعلى من يقول بها بله جميعها.

ولم يكن علماء المغرب هم وحدهم الذين قاموا على الفلسفة وقاوموها بكل الوسائل المتاحة لهم، بل سبقهم في ذلك إخوانهم بالمشرق حيث نشأت الفلسفة الإسلامية متأثرة بالفلسفة اليونانية[٣]، حين أقدموا على التنديد بكل من يشتغل بهذا اللون من العلوم، وتكفيرهم وإغراء الخاصة والعامة عليهم وإحاطتهم بمختلف الشبهات[٤].

---

(١) ظهر الإسلام (٣/ ٢٣٤) ويأتي الحديث عن ابن باجة.

(٢) النفح (١/ ٢٢١)، ظهر الإسلام (٣/ ٢٣٤).

(٣) لقد انتقلت الفلسفة اليونانية إلى العلوم الإسلامية عبر الترجمة في خلافة الرشيد على يد خالد بن يحيى البرمكي (ت ١٩٠هـ)، وكان زنديقاً كما تشير المصادر، وهناك رواية أخرى تعزو انتقالها إلى المأمون الذي كان السبب في ذلك، ولذلك يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ما أظن أن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخاله هذه العلوم الفلسفية بين أهلها».
انظر حول هذا الموضوع: صون المنطق (ص ٧) وما بعدها، الإسلام والمذاهب الفلسفية للدكتور مصطفى حلمي (ص ٩٧ ـ ٩٩).

(٤) عن مقاومة علماء المشرق للفلسفة ينظر «قصة الصراع بين الدولة والفلسفة» لتوفيق الطويل: (ص ١١٧).

وكانت بداية دخول الفلسفة إلى المغرب الإسلامي تحت أقنعة مختلفة ولم تدخل سافرة، دخلت تحت أقنعة العلوم التطبيقية كالطب والفلك والرياضيات لعلم أصحابها بمعاداة أهل المغرب لها، يقول المستشرق آسين بلاثيوس: «إن الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مسفر، وإنما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية ـ الفلك والرياضة والطب ـ أو تسربت إليه متسترة في ثنايا بدع الاعتزال وبعض المذاهب الباطنية، كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب التي كان الناس يتحاشونها في النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء وأهل الدولة، بالظهور في مظهر التدين والنسك»(١).

ويقول صاعد الطيطلي عن إخفاء فلاسفة الأندلس لهذا النوع من العلوم وإبداء غيره للسبب ذاته ما نصه: «لم يزل أولو النباهة من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونه منها (يعني الفلسفة) ويظهرون ما تجوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك إلى أن انقرضت دولة بني أمية من الأندلس»(٢).

هذه كانت حالة الفلسفة في أول الأمر، ولكن بعد ذلك ظهر من الأمراء من دعم هذا الاتجاه وساعد على نشر هذا النوع من العلوم، حيث كان للأمراء الأغالبة بتونس ولا سيما الأمير إبراهيم الثاني (ت ٢٨٩هـ)(٣) أكبر الأثر في نشر الفلسفة بها حيث أنشؤوا لهذا الغرض بيت الحكمة وجلبوا إليه نفائس الكتب من أطراف العالم العربي أين كانت تنتشر الفلسفة، ونقصد بذلك العراق والشام ومصر، فكان إبراهيم بن الأغلب يرسل في كل عام سفارة إلى بغداد لتجديد ولائه للخلافة العباسية، وإلى جانب هذه المهمة كان يكلف هذه السفارة بمهمة أخرى هي اقتناء نفائس ما يوجد في بغداد ودمشق ومصر، مما لا يوجد له نظير في أنحاء المغرب من كتب الحكمة والعلوم القديمة، وكذلك جلب العلماء المبرزين في هذه العلوم ليقوموا بمهمة نشرها في الناس وتعليمهم إياها(٤).

---

(١) تاريخ الفكر الإسلامي (ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

(٢) انظر: طبقات الأمم لصاعد الطيطلي (ل: ٣٨ ب).

(٣) هو: الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلبي الذي بنى مدينة رقادة وانتقل إليها لسكناها، وكان بدء بنائها سنة ٢٦٣هـ، وكملت سنة ٢٦٤هـ، حيث سكنها واتخذها داراً لملكه، وكان ذا فطنة وصاحب معروف، وطالت مدته حيث كانت ولايته ٢٨ سنة امتدت من سنة ٢٦١هـ إلى حين وفاته سنة ٢٨٩هـ.
مصادر ترجمته: المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس (ص ٥٢)، وانظر أيضاً: ورقات من تاريخ الحضارة العربية في تونس لحسن حسني عبد الوهاب (ص ٢٢٢ ـ ٢٢٦).

(٤) انظر: ورقات من تاريخ الحضارة العربية بتونس (٢٢٤).

وتذكر المصادر بعض الأسماء اللامعة في هذا المجال ممن كان لهم نصيب وافر في نشر هذه العلوم في المغرب ممن جلبهم إبراهيم الثاني أمثال: إسحاق بن عمران البغدادي الملقب بساعة (ت ٢٩٤هـ)(١) بغدادي المولد والنشأة، قدم إلى إفريقية سنة ٢٦٤هـ، كان عالماً بالطب إلى جانب إتقانه لعلوم الفلسفة، وإليه يرجع الفضل في ظهور الفلسفة وعلوم الطب بالمغرب، فهو الذي أشاعها وفسر غامضها يقول ابن جلجل(٢): «به ظهر الطب في المغرب وعرفت الفلسفة»(٣).

ويقول صاعد الأندلسي(٤): «وهو الذي ألف بين الطب والفلسفة بديار المغرب»(٥)، وقد أخذ عنه خلق كثير من أهل المغرب(٦).

---

(١) هو: إسحاق بن عمران أصله من بغداد، كان طبيباً حاذقاً مميزاً بتأليف الأدوية المركبة وألف في ذلك عدة مؤلفات، ودارت له مع ابن الأغلب محنة أوجبت الوحشة بينهما حتى صلبه ابن الأغلب سنة ٢٩٤هـ.

مصادر ترجمته: طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود بن حسان الأندلسي المعروف بجلجل، تحقيق سيد فؤاد، طبعة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (سنة ١٩٥٥) (ص ٨٤ ـ ٨٦) رقم الترجمة: ٣٢، ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية لحسن حسني عبد الوهاب (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦) وانظر أيضاً: طبقات الأمم لصاعد الأندلسي (ل: ٣٤ ب ـ ٣٥ أ) من المخطوطة.

(٢) هو: أبو داود سليمان بن حسان ويعرف بابن جلجل، كان طبيباً فاضلاً متعمقاً في صنعة الطب وخبيراً بفن المعالجات، سمع الحديث بقرطبة سنة ٣٤٣هـ وهو ابن عشر سنين، وعني بطلب الطب فغلب عليه وعرف به وبلغ منه الغاية، لم تذكر المصادر سنة وفاته سوى ما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون من أنه توفي سنة ٣٧٢هـ وقيل ٣٧٧هـ.

مصادر ترجمته: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة تحقيق الدكتور نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت) (ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥) وانظر المقدمة التي وضعها فؤاد السيد على كتاب ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء. ففيها ترجمة ضافية لابن جلجل.

(٣) طبقات الأطباء والحكماء (ص ٨٥).

(٤) هو: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسي، مؤرخ باحث أصله من قرطبة ومولده في المرية، ولي القضاء في طليطلة إلى أن توفي سنة ٤٦٢هـ، وكانت ولادته سنة ٤٢٠هـ من مصنفاته: «طبقات الأمم»، «مقالات أهل الملل والنحل»، «تاريخ الأندلس» وغيرها.

مصادر ترجمته: كشف الظنون (٢/ ١٠٩٦)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٨٦) من الطبعة الخامسة ١٩٨٠، معجم المؤلفين لكحالة (٤/ ٣١٧)، الصلة لابن بشكوال (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) رقم: ٥٤٠.

(٥) طبقات الأمم (لوحة: ٣٥ أ).

(٦) ورقات (٢٣٣ ـ ٢٣٦).

ورجل آخر ممن قدم من المشرق وكان له أثر بالغ في نشر علوم الفلسفة بالمغرب هو إسحاق بن سليمان الإسرائيلي أبو يعقوب[١]، المصري المولد والمنشأ، كان يهودياً وهو ما يؤكد الأصول الأجنبية لهذه العلوم التي ما أنزل الله بها من سلطان، وذلك لصد المسلمين عن سبيل الله وعن علوم الكتاب والسنة، وكان قدومه سنة ٢٩٢هـ، وكان متضلعاً في علوم كثيرة إلى جانب إتقانه للفلسفة، يقول عنه ابن جلجل: «كان إسحاق طبيباً فاضلاً متضلعاً مشهوراً بالحذق والمعرفة جيد التصنيف بالعربية، وكان من فضله في صناعة الطب بصيراً بالمنطق (يعني الفلسفة) متصرفاً في ضروب المعارف»[٢]، وكان يهود إفريقية (تونس) يجلونه حتى إنهم أسندوا له رئاستهم الدينية عمراً طويلاً، وتوفي في أواسط القرن الرابع.

كما ألحقوا ببيت الحكمة مجموعة أخرى من القسيسين الذين انكبوا على ترجمة مؤلفات يونانية ولاتينية في موضوعات شتى وأهمها الفلسفة.

وبعد أن قضى الجيل الأول ممن حمل الفلسفة إلى المغرب، تولى تلاميذهم ـ وكان أكثرهم من أبناء اليهود ـ مهمة نشر هذه العلوم وتعليمها لأبناء الإسلام من بعدهم[٣].

والرجل الثاني التي ظهرت في زمانه الفلسفة بالمغرب ولكن بالجانب الآخر منه، أعني الأندلس، هو الأمير الحكم الثاني (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) الذي كان شغوفاً بعلوم الأوائل شديد الحرص عليها وعلى جمع تصانيفها، فكان يبعث في شرائها إلى الأقطار رجالاً من التجار ويرسل معهم الأموال لهذا الغرض[٤].

---

(١) هو: أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، نشأ في مصر وبها تعلم الصناعة الطبية أيام أحمد ابن طولون، قدم إلى القيروان سنة ٢٩٢هـ، فأقام برقادة وانخرط في جملة من يحضر دروس الطب عند الطبيب إسحاق بن عمران ـ السابق الذكر ـ ولم انقضت دولة بني الأغلب التحق بالأمراء العبيديين ولازم خدمتها وقد تتلمذ له جماعة من أبناء البلاد منهم الطبيب الشهير أحمد بن الجزار القيرواني، وألف عدة مؤلفات بالعربية وأخرى بالعبرانية توفي قريباً من ٣٢٠هـ .

(٢) طبقات الأطباء والحكماء (ص ٨٧).

(٣) ورقات (ص ٢٦).

(٤) انظر: الحلة السيراء لابن الأبار بتحقيق الدكتور: حسين مؤنس (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) حيث يقول في ترجمته: «كان حسن السيرة فاضلاً عادلاً مشغوفاً بالعلوم، حريصاً على اقتناء دواوينها، يبعث إلى الأقطار والبلدان ويبذل في أعلاقها ودفاترها أنفس الأثمان حتى غصت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه».

ويحدثنا ابن أبي أصيبعة عن انتشار كتب الفلسفة وتداولها في عهده فيقول: «فإن هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة بالأندلس في زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرائب ما صنف بالمشرق»، فمن هؤلاء الذين أرسلهم في هذه المهمة عباس بن ناصح الثقفي الجزيري، وهو شاعر فقد أرسله إلى العراق في التماس الكتب القديمة فأتاه بها، وقد برز في عهد الحكم هذا وبعده جملة من المشتغلين بهذا الفن من العلوم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أبا القاسم سلمة بن أحمد المجريطي (ت ٣٩٨هـ)(١)، ومن تلاميذه الحاذقين ابن السمح الذي توفي بغرناطة سنة (٤٢٦هـ)(٢) وأبو مسلم عمر بن أحمد المعروف بابن خلدون (ت ٤٤٩هـ)(٣) الذي كان من أشراف إشبيلية وكان متصرفاً في علوم الفلسفة، ووصفه ابن صاعد بالمعرفة الواسعة بالفلسفة إلى جانب علوم أخرى، وغيرهم كثيرون ذكرهم صاعد الأندلسي في طبقاته(٤).

ولكن أشهر تلاميذ المجريطي هذا هو أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني من أهل قرطبة (ت ٤٥٨هـ) الذي رحل إلى المشرق وانتهت به الرحلة إلى حران(٥) ثم رجع إلى الأندلس واستوطن سرقسطة وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، وهو أول من أدخلها إلى الأندلس، يقول صاعد: «وجلب الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا ولا نعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله».

وظهر أيضاً فيلسوف آخر في هذه المرحلة، هو سعيد بن محمد البغونش (ت ٤٤٤هـ)(٦) الذي كان ماهراً في الفلسفة، يقول عنه ابن صاعد: «لقيت منه رجلاً عاقلاً

---

(١) كان إمام الرياضيين في الأندلس في وقته وأعلم أهل زمانه بالفلسفة، (انظر طبقات صاعد (ل: ٣٩: ب).

(٢) انظر عنه طبقات صاعد (ل: ٤٠ أ).

(٣) هو: أبو مسلم عمر بن خلدون الحضرمي من أشراف أهل إشبيلية، كان مشهوراً بعلم الفلسفة والهندسة والطب، وكان يشبه في سمته بالفلاسفة، توفي في بلده سنة ٤٤٩ هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الأمم لصاعد الأندلسي (لوحة: ٤١ أ).

(٤) طبقات صاعد (لوحة: ٣٧ وما بعدها).

(٥) حران: بتشديد الراء وآخره النون، قال ياقوت: «هي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي على طريق الموصل والشام والروم، فتحت في أيام عمر علي يد عياض بن غنم»، وهناك مدينة أخرى بهذا الاسم من قرى حلب، وحران أيضاً: قرية بغوطة دمشق.
انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٦) هو: أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش من أهل طليطلة، رحل إلى قرطبة لطلب العلم، ثم=

جميل الذكر والمذهب، ذا كتب جليلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة، وتبينت منه أنه قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيراً منه، ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها»[١].

ولكن الفلسفة إن كان ظهورها ضئيلاً أيام بني أمية نتيجة لتشددهم اتجاهها إذا استثنينا أيام الحكم، الذي ازدهرت في عهده شيئاً ما كما سبق الحديث عنه، فإن الأمر تغير بعد انقراض دولتهم وتفرق الملك بين الطوائف حيث «اضطرتهم الفتنة إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر، فبيع بأوكس ثمن وأتفه قيمة، وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس ووجد من خلالها أعلاق من العلوم القديمة، وأظهر أيضاً كل من كان عنده من الرغبة شيء مما كان لديه منها، فلم تزل الرغبة ترتفع من حين في طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً»[٢].

ويعزو بعضهم سبب انتشار هذه الكتب وما تحمله من علوم إلى التسامح الذي كان أيام المرابطين، حيث تكلم كل صاحب رأي بما أراد من دون أن يخشى شيئاً، فظهر الفقهاء المتشددون كما ظهر الفلاسفة، ولكن هذا الرأي ينقضه ما قلناه عند حديثنا عن مقاومة علماء المغرب لعلم الكلام وللتصوف من أن أيام المرابطين كانت شديدة على أصحاب العلوم العقلية وعلومهم ولا سيما أيام علي بن يوسف بن تاشفين حيث «دان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام»[٣].

وفي أيامهم أحرقت كتب أبي حامد الغزالي ـ كما رأينا ـ وفي أيامهم وقع التشهير بجماعة ابن مسرة وتتبعهم ومعاقبتهم.

ومهما يكن فإنه برز في أيامهم بعض المشتغلين بعلم الفلسفة كابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)[٤] الذي كانت له عناية واسعة بالفلسفة، ومساهمة هامة في الدراسات

---

= انصرف إلى طليطلة حيث حصلت له حظوة عند أميرها وكان أحد مدبري دولته، توفي سنة ٤٤٤هـ وكانت ولادته سنة ٣٦٩هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الأمم لصاعد الأندلسي (ل: ٤٧ أ ب)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦).

(١) طبقات الأمم لابن صاعد (لوحة: ٤٧).

(٢) صاعد الطليطلي: طبقات الأمم (ص ٧٦).

(٣) المعجب للمراكشي (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (نسبة إلى بطليوس، بفتح الباء والطاء وسكون اللام من إقليم ماردة بالأندلس) أديب نحوي لغوي، شارك في أنواع العلوم، ولد في=

الفلسفية، حيث صنف فيها رسالته المعروفة «الحدائق في المطالب العالية العويصة» وهي مطبوعة، وهي على صغر حجمها غزيرة العلم في هذا الجانب.

وأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (ت ٥٢٨هـ)(١)، ومالك بن وهيب(٢) الذي كان يوصف بـ«فيلسوف المغرب»(٣) وابن باجة (ت ٥٣٣هـ)(٤) وهو أبرزهم، وقد شاع ذكره في الأندلس وشاع مذهبه بين شعراء زمانه الذين فشا في شعر بعضهم لون من ألوان التحرر من قيود الدين، وقد جمع شتات العلوم ونبغ فيها، يقول عنه صاحب

= مدينة بطليوس سنة ٤٤٤هـ وسكن بلنسية وبها توفي سنة ٥٢١هـ، من تصانيفه الكثيرة: «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب»، «شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري»، «الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين».
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٣/ ٩٦ ـ ٩٨) رقم: ٣٤٧، أزهار الرياض (٣/ ١٠١) وما بعدها، الصلة (١/ ٢٨٢)، معجم المؤلفين (٦/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(١) هو: أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، أديب شاعر من أهل دانية، رحل إلى المشرق فدخل مصر وأقام بها عشرين عاماً ثم انتقل إلى المهدية بالمغرب، توفي سنة ٥٢٨ أو ٥٢٩هـ وكانت ولادته سنة ٤٦٠هـ.
مصادر ترجمته: خريدة القصر وجريدة العصر (القسم الخاص بشعراء المغرب والأندلس) (٢/ ١٤٨) تحقيق مجموعة من المحققين، الدار التونسية للنشر (١٩٦٦)، وانظر أيضاً: نفح الطيب (٣/ ٣٤٢).

(٢) هو: مالك بن وهيب، كان مشاركاً في جميع العلوم، إلا أنه لم يظهر إلا ما ينفق في ذلك الزمان، وله تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة، من مؤلفاته «قراضة الذهب في ذكر لئام العرب». ولم أعثر على سنة وفاته.
مصادر ترجمته: المعجب في تلخيص أخبار المغرب (ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، نفخ الطيب (٣/ ٤٧٩ - ٤٨٠) رقم: ٣٤١.

(٣) نفح الطيب (٣/ ٤٧٩).

(٤) هو: أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ السرقسطي الشاعر، كان يضرب به المثل في الذكاء والطب ودقائق الفلسفة، وعنه أخذ ابن رشد الحفيد الفيلسوف توفي بفاس سنة ٥٣٣ وألف عدة كتب منها: «رسالة الوداع»، «كتاب كلام البرهان» وغيرهما.
مصادر ترجمته: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ص ٥١٥ ـ ٥١٧)، المغرب في حلي المغرب (٢/ ١١٩) رقم: ٤٣٥، وفيات الأعيان (٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣١) رقم: ٦٧٠، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤٢) رقم: ٦٤٣، نفح الطيب (٧/ ١٧ ـ ٢٥ ـ ٢٧).

(٥) العماد الأصفهاني: خريدة القصر رقم: ٩٤.

الخريدة[١]: «لم يبلغ درجته من أهل عصرنا ووصف بالتفرد بعلم الهيئة والهندسة العملية والنظرية وسائر العلوم الحكمية والأدبية».

ونسبه صاحب «قلائد العقيان»[٢] إلى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة وقال عنه: «نظر في كتاب التعاليم وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم، ونبذه من وراء ظهره ثاني عطفه، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصر على الهيئة، وأنكر أن يكون لنا إلى الله فيئة، واستهزأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]» إلى آخر كلامه فيه.

وقد تتلمذ لابن باجة كثير من أبناء الأندلس أشهرهم أبو الوليد ابن رشد، وقد برز إلى جانب الفلاسفة المسلمين جماعة كبيرة من الفلاسفة اليهود.

---

(١) (ص ٣٠٠ ـ ٣٠٦).

## المبحث الثاني
## جهود علماء السنة في مقاومة الفلسفة

قد سبقت الإشارة ـ في بداية الحديث عن الفلسفة ـ إلى نظرة علماء المغرب إلى المشتغلين بهذا النوع من العلوم، وهي نظرة مريبة ـ كما رأينا ـ، وفيما يلي أحاول أن أبرز الأساليب التي اتخذوها في مقاومتها وأبرز الرجال الذين قادوا الحملة ضدها.

لقد كان الاتجاه العام لعلماء المغرب هو مقاومة الفلسفة بشتى الوسائل المتاحة، ومن هنا فقد شهروا بمن يشتغل بها، ومنع علماء القيروان أهلها من إلقاء دروسهم في مسجد القيروان، كما أنهم اعتزلوهم، ومنعوا العامة أن تتصل بهم، ونشأ بين مدينة القيروان السنية ومدينة رقادة التي كانت موطن بيت الحكمة، الذي أنشئ بغرض تعليم الفلسفة ونشرها في المغرب، نشأ شيء من التنافر والتباعد بسبب ذلك.

ومما يدل على معاداة علماء السنة المغاربة لهذا النوع من العلوم إهمال أصحاب الطبقات منهم ومؤلفي كتب التراجم، ذكر بيت الحكمة التي كانت موئلاً للمشتغلين بعلم الفلسفة، والتعريف بمن كان يجلس فيه ويتردد عليه، وهذه الأساليب كانت لها ثمرة طيبة، إذ أصبح من الصعوبة بمكان أن تعثر على تعريف مستفيض لبيت الحكمة، وللرجال الذين كانوا يتولون مهمة نشر الفلسفة به.

وكان الأمر أشد في الأندلس إذ شدد علماء السنة على من يشتغل بالفلسفة ويتعاطاها، واتهموه بالزندقة وطالبوا بدمه، ويقول ابن أبي أصيبعة عن السبب الذي جعل مالك بن وهيب الفيلسوف يضرب عن النظر في هذه العلوم والتكلم فيها: «وأضرب الرجل عن النظر ظاهراً في هذه العلوم، وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات في دمه بسببها»(١).

ومما قالوه في هذا الرجل(٢):

دولة لابن تاشفين علي ... ظهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس لها ... من خباياه مالك بن وهيب

---

(١) عيون الأنباء (٣/ ١٠١).

(٢) انظر: نفح الطيب (٣/ ٤٧٩).

وكذلك كان الأمر بالنسبة لابن باجة الذي عاش أيام علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، وكان هذا الأمير مطواعاً للفقهاء منقاداً لأوامرهم، فسعوا إليه بأمر ابن باجة وطالبوه بدمه[١]، وتكرر السعي منهم عدة مرات حتى قيل: «إنه قتل مسموماً».

ولم تقتصر مقاومة الفلسفة على العلماء، بل شاركهم في ذلك بعض الأمراء ورجال الدولة وشدوا أزرهم، حيث تشير المصادر إلى أنه بعد انقضاء أيام الحكم الثاني الذي انتشرت في عهده علوم الفلسفة ـ كما رأينا ـ جاء ابنه هشام[٢] الذي كان له حاجب يدعى المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢هـ)[٣]، وكان هذا الرجل يؤيد الفقهاء ضد الفلاسفة، حيث أقدم على إخراج كتب الفلسفة وعلوم اليونان من مكتبة الحكم المستنصر، وأحرقها وشدد على المشتغلين بها أيضاً، فممن امتحن على يديه بسبب ذلك الفيلسوف سعد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار[٤] الذي كانت له ـ كما يقول ابن حزم ـ «رسائل

(١) انظر: نفح الطيب (٣/ ٤٣٤).

(٢) هو: هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمؤيد بالله، تولى الخلافة بعد موت أبيه سنة ٣٦٦هـ، وهو لما يجاوز الثانية عشرة من عمره، كان ضعيف الرأي، أخرق، محجوراً عليه، فكان صورة، وكان المنصور بن أبي عامر هو الذي تغلب على الملك وبعد موت ابن عامر، أخبر هشام المؤيد على خلعه نفسه، ثم انقطع خبره.
قال الذهبي: «ومن بعد سنة ثلاث وأربعمئة انقطع خبر المؤيد بالله، وانتقل إلى الله وأظنه قتل سراً. فكان له حينئذ خمسون سنة».
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٧١) (١٧/ ١٣٣)، جذوة المقتبس (ص ١٧)، نفح الطيب (١/ ١٨٧).

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد، الملقب بالمنصور بن أبي عامر، ولد سنة ٣٢٦هـ وأصله من الجزيرة الخضراء، قدم قرطبة شاباً لتلقي العلم بها، فبرع فيه واستخلف على قضاء كوره (ريه) ثم تولى النظر في أموال أم هشام بن الحكم المؤيد فارتفعت منزلته بالقصر بذلك، وولي الشرطة والسكة والمواريث كما تولى قضاء إشبيلية، ساهم بقسط وافر في إعادة الهدوء إلى البلاد وقام بعدة غزوات وفتح عدة فتوحات، ووصلت جيوشه إلى جنوب فرنسا، توفي في إحدى غزواته سنة ٣٩٢هـ.
مصادر ترجمته: نفح الطيب (١/ ٣٩٦ ـ ٣٩٩)، الذخيرة في محاسن الجزيرة (المجلد الأول من القسم الرابع (ص ٣٩ ـ ٥٨)، بغية الملتمس (ص ١٠٥)، الحلة السيراء (١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٧)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥ ـ ١٦)، رقم: ٧، دولة الإسلام في الأندلس، عبد الله عنان (القسم الأول/ الطبعة الثانية ص ٥٢٧).

(٤) ترجمته في الجذوة (٢١٦)، البغية رقم: ٨١٣، طبقات الأمم لابن صاعد (٥٣ ب)، الذيل والتكملة (٤/ ٤٠)، وله تأليف في الموسيقى ورسالة «المدخل إلى علوم الفلسفة»، «شجرة=

مجموعة وعيون مؤلفة في الفلسفة دالة على تمكنه في الصناعة»[١]. فناله محنة كانت سبباً في هجرته بعد ذلك إلى صقلية حيث توفي بها.

ومن الفلاسفة الذين هربوا بسبب حملة ابن أبي عامر عليهم ـ أيضاً ـ عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدي، فقد هرب إلى المشرق وتوفي هناك.

يقول ابن أبي أصيبعة: «كان المنصور قصد أن لا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة باقياً في بلاده وأباد كثيراً بإحراقها بالنار، وشدد في أن لا يبقى أحد يشتغل بشيء منها، وأنه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم أو وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحق به ضرر عظيم»[٢].

ويقول صاعد الأندلسي عن دور المنصور بن أبي عامر في القضاء على الفلسفة ما نصه: «وولى بعده (أي بعد الحكم المستنصر بالله) ابنه هشام المؤيد بالله، وهو يومئذ غلام لم يحتلم بعد، فتغلب على تدبير ملكه بالأندلس حاجبه ابن أبي عامر، وعمد أول تغلبه عليه إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة «كتب الفلسفة» وغيرها، وأبرز ما فيها من ضروب التواليف بمحضر خواص من أهل العلم بالدين وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل حاشا كتب الطب والحساب، فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة في النحو واللغة والأشعار والأخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباحات عند أهل الأندلس، إلا ما فلت منها في أثناء الكتب وذلك أقلها أمر بإحراقها وإفسادها فأحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر، وهيل عليها التراب والحجارة تحبباً إلى عوام الأندلس، وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم، إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة، وكان من قرأها متهماً بالخروج من الملة، مظنوناً به الإلحاد في الشريعة، فسكن أكثر من تحرك للحكمة عند ذلك وخملت

---

= الحكمة»، يقول عنه صاعد: «كان متحققاً بعلم الهندسة والمنطق والموسيقى متصرفاً في سائر علوم الفلسفة إماماً في علم النحو واللغة وله تأليف في علم العربية ورسالة حسنة في المدخل إلى علوم الفلسفة سماها شجرة الحكمة ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود وانقسام الجوهر والعرض».

(١) رسائل ابن حزم (٢/ ٧٨).

(٢) طبقات الأطباء (ص ٦٩).

نفوسهم وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم»[١].

من هذا النص يتبين لنا أن سياسة المنصور تلك آتت أكلها حيث توقف تطور الدراسات الفلسفية في الأندلس وتوقفت مسيرتها[٢] أمداً طويلاً.

وقد رأينا في فصل مقاومة التصوف موقف العلماء وموقف الدولة المرابطية من ابن مسرة وأتباعه فلا داعي لإعادة ذكره هنا، إنما أحب أن أشير فقط إلى أسلوب آخر من أساليب مقاومة الفلسفة، وهو أسلوب لم يكن مقتصراً على كتب الفلسفة بل شمل جميع الكتب التي فيها انحراف عن السنة، وهو ما يحدثنا به النباهي حيث يقول: «من وُجد بخطه شيءٌ من المذاهب الفلسفية المخالفة للشريعة أو بمنزلتها في هذا المعنى، حكمها أن ينظر في المكتوب فإن كان فيه تصريح أن كاتبه يقول به ويرتضيه، وهو بلسانه ينكره وينفيه، فإن حلف برئ وإن لم يحلف حبس حتى يحلف أو غير ذلك من إنفاذ ما يوجبه الخط على من أقر بمضمونه بحسب ما يقتضيه، وإن كان الخط بتلك المذاهب نقلاً مرسلاً غير مضاف قولاً لكاتبه ولا مرتضًى له مذهباً من قبله، فبئس من كتب بيده ما هو عرضة للإخلال، وهو رصد للطعن على الدين بسببه، وهو حقيق بالتحريق والزجر عن مثله، وقد قال تعالى في قوم أضلوا غيرهم بمكتوبهم: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٦٩]» انتهى.

ولا شك أن هذه الأساليب كانت مجدية في القضاء على الفلسفة، أو على أقل تقدير الحد من انتشارها، وهكذا بقي المغرب محمياً من التيارات المنحرفة عن المنهج السني بسبب هذا التشدد، وبقي المنهج السني هو السائد في هذا الصقع من العالم الإسلامي.

❁ ❁ ❁

(١) طبقات الأمم لصاعد الأندلسي (لوحة: ٣٨ أ، ب).
(٢) تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٣٢٢).

## الخاتمة

وبعد هذه الرّحلة التاريخية مع علماء أهل السنّة والجماعة في المغرب العربي بما فيها الأندلس، وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية ـ من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس ـ لا يسعني إلّا أن أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ثمّ إن لم يكن لي ثواب في خدمة العلم، والعقيدة الإسلامية سوى أن نلت قصب سبق إلى مثل هذا الجمع المدفون في بطون كتبٍ نُسيت، فقد حزت بمنزلة أتشرّف بها.

وصلى الله على محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدّين.

رَفعُ
عبد الرّحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# فهرس المراجع

## حرف الألف

١ـ ابن حزم و موقفه من الإلهيات ـ للدكتور أحمد بن ناصر الحمد.
طبع على نفقة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة ـ الطبعة الأولى (١٤٠٦) .

٢ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأمة الفاطميين الخلفا، تأليف : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق : الدكتور جمال الدين الشيال ـ طبع : دار الفكر العربي (١٣٦٧/١٩٤٨) .

٣ ـ الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال، تأليف : محمد عبد الله عنان ـ طبع : مؤسسة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨١/ ١٩٦١) .

٤ ـ الأثر السياسي و الحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين للدكتور محمد أبو العزم داود ـ طبع : المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة (١٤٠٥/ ١٩٨٥) .

٥ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية، تأليف : ابن قيم الجوزية، طبع : دار الكتب العلمية لبنان ـ الطبعة الأولى (١٤٠٤).

٦ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف : لسان الدين بن الخطيب ـ تحقيق محمد عبد الله عنان، طبع : مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ الطبعة الثانية (١٣٩٣/١٩٧٣) .

٧ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تأليف : المقدسي المعروف بالبشاري ـ طبع : مطبعة بريل (ليدن ـ هولندا) (الطبعة الثانية ١٩٠٩) .

٨ ـ إحياء علوم الدين، تأليف : الشيخ أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، طبع : دار الشعب (القاهرة) .

٩ ـ أخبار الدول المنقطعة، تأليف : جمال الدين علي بن ظافر، تحقيق : أندريه فريه، طبع : المعهد العلمي الفرنسي الآثار الشرقية بالقاهرة (سنة ١٩٧٣) .

١٠ ـ أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها ـ مؤلفه مجهول، طبعة مجريط (١٨٦٧) .

١١ ـ آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية (العواصم من القواصم)، تأليف : أبو بكر ابن العربي، تحقيق : عمار طالبي، طبع : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ـ الجزائر ـ (١٣٩٤/ ١٩٧٤) .

١٢ ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تأليف : أبي المعالي الجويني، تحقيق : الدكتور محمد يوسف موسى و علي عبد المنعم عبد الحميد، طبع : مكتبة الخانجي (سنة ١٣٦٩/ ١٩٥٠).

١٣ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف : أحمد بن محمد القسطلاني، طبع : المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة السادسة (١٣٠٥هـ) .

١٤ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض ـ لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أشرف على طباعته : اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب و الإمارات بالرباط (١٣٩٨/١٩٧٨).

١٥ ـ أسباب النزول ـ تأليف : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق : سيد أحمد صقر ـ طبع دار القبلة بجدة ـ الطبعة الثالثة (١٤٠٧/ ١٩٨٧).

١٦ ـ الاستذكار لمذهب فقهاء الأمصار، تأليف ابن البر القرطبي، تحقيق : علي النجدي ناصف، نشر : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة (١٩٧٠) .

١٧ ـ الاستقامة، للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم، طبع على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض) الطبعة الأولى (١٤٠٤/ ١٩٨٤) .

١٨ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف : ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) طبع مطبعة الشعب بالقاهرة (١٩٧٠) .

١٩ ـ الإسلام و المذاهب الفلسفية، للدكتور : مصطفى حلمي، طبع : دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع (الإسكندرية) الطبعة الأولى (١٤٠٥/ ١٩٨٥) .

٢٠ ـ الأسماء و الصفات، تأليف الإمام البيهقي، تحقيق : محمد زاهد الكوثري، طبع : دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ .

٢١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة و بهامشه الاستيعاب ـ لابن عبد البر، تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ طبع : دار الكتاب العربي (بيروت) بدون تاريخ .

٢٢ ـ أصول السنة، تأليف : ابن أبي زمنين (مخطوط).

٢٣ ـ أضواء جديدة على المرابطين، تأليف : الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندس، طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الأولى (١٩٩١) .

٢٤ ـ أطلس تاريخ الإسلامي، للدكتور حسين مؤنس، طبع مؤسسة الزهراء للإعلام العربي الطبعة الأولى (١٤٠٧/ ١٩٨٧).

٢٥ ـ الاعتصام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق : الشيخ محمد رشيد رضا، طبع مكتبة الرياض الحديثة (الرياض) بدون تاريخ.

٢٦ ـ الاعتقاد و الهداية إلى سبيل الرشاد، تأليف : أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق : أحمد عصام الكاتب، طبع دار الآفاق الجديدة (بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١/ ١٩٨١).

٢٧ ـ الأعلام، تأليف : خير الدين الزركلي، طبع : دار العلم للملايين (بيروت) الطبعة الخامسة (١٩٨٠).

٢٨ ـ الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، تأليف : عباس بن إبراهيم، طبع المطبعة الملكية للرباط (١٩٧٤م) .

٢٩ ـ أعلام المغرب العربي، تأليف : عبد الوهاب بن منصور، طبع : المطبعة الملكية بالرباط (١٣٩٨/ ١٩٧٨).

٣٠ ـ الإعلام بنوازل الأحكام و فقر من سير القضاة و الحكام، تأليف : ابن سهل، تحقيق : فرحات الدشراوي، نشر في مجلة حوليات الجامعة التونسية الجزء الأول من سنة ١٩٦٤ ـ ضمن سلسلة "نصوص و دراسات في تاريخ إفريقية و المغرب".

٣١ ـ الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تأليف : شمس الدين السخاوي (ت ٦٠٢هـ) ـ نشره : القدسي ـ دار الكتاب العربي (١٣٩٩/ ١٩٧٩).

٣٢ ـ أعمال الأعلام ـ تأليف: الدكتور أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، طبع : دار الكتاب (دار البيضاء بالمغرب) (سنة ١٩٦٤).

٣٣ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تأليف : ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد حامد الفقي، طبع دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى (١٤٠٧/ ١٩٨٦) .

٣٤ ـ الإفادات و الإنشاءات، تأليف : أبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق محمد أبي الأجفان، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

٣٥ ـ اقضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف الإمام ابن تيمية، تحقيق د.ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى (١٤٠٤).

٣٦ ـ الاكتفاء في مغازي رسول الله و الثلاثة الخلفاء، تأليف : سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤هـ)، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، طبع : مكتبة الخانجي بالقاهرة (١٣٨٧/ ١٩٦٨).

٣٧ ـ الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف و المختلف، تأليف : الحافظ ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)، تحقيق : الشيخ المعلمي اليماني، طبع : محمد أمين دمج (بيروت).

٣٨ ـ الإمام ابن تيمية و موقفه من قضية التأويل، تأليف : محمد السيد الجليند، طبع: وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان (١٤٠٢/ ١٩٨٣).

٣٩ ـ الأمر بالاتباع و النهي عن الابتداع، تأليف : جمال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)
تحقيق : مشهور حسين سلمان، طبع دار ابن القيم الطبعة الأولى (١٤١٠/ ١٩٩٠).

٤٠ ـ إنباء الغمر بأبناء العمر، تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق : د.محمد عبد المجيد خان، طبع : دار الكتب العلمية ببيروت ـ الطبعة الثانية (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

٤١ ـ الانتقاد و الرد على أهل الزيغ و الإلحاد، تأليف : محمد بن عبدون الحنفي (مخطوط).

٤٢ ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، تأليف : ابن عبد البر القرطبي تحقيق : محمد زاهد الكوثري، طبع : دار الكتب العلمية ببيروت.

٤٣ ـ الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني (٥١٠-٥٤٦)، تأليف : الدكتورة : عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الأولى (١٤٠٨/ ١٩٨٨).

٤٤ ـ الإنسان في فكر إخوان الصفا، تأليف : عبد اللطيف محمد العبد، نشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة.

٤٥ ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به، تأليف : القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق : محمد بن زاهد الكوثري، طبع : مؤسسة الخانجي (١٣٨٢/ ١٩٦٢).

٤٦ ـ الإيمان ـ تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية، طبع : المكتب الإسلامي الطبعة الثانية (١٣٩٩).

## حرف الباء

٤٧ ـ البداية و النهاية، تأليف : الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق مجموعة من الأساتذة، طبع : دار الكتب العلمية (الطبعة الأولى ١٤٠٥/ ١٩٨٥).

٤٨ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ـ تأليف : محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ـ طبع مطبعة السعادة بالقاهرة الطبعة الأولى (ت ١٣٤٨هـ).

٤٩ ـ البدع والنهي عنها، تأليف : محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق : محمد أحمد دهمان، طبع : دار البصائر (دمشق)، الطبعة الثانية (١٤٠٢/ ١٩٨٠).

٥٠ ـ برنامج المجاري ـ تأليف : أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت ٨٦٢هـ) ـ تحقيق : محمد أبو الأجفان، طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الأولى (١٩٨٢).

٥١ ـ برنامج الوادي آشي، تأليف : محمد بن جابر الوادي آشي، تحقيق : محمد محفوظ، طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الأولى (١٤٠٠/ ١٩٨٠).

٥٢ ـ البرهان في أصول الفقه، تأليف : أبي المعالي الجويني، تحقيق : الدكتور عبد العظيم الديب، طبع وزارة الأوقاف بقطر ـ الطبعة الأولى (سنة ١٣٩٩هـ).

٥٣ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف : أحمد بن يحيى الضبي، طبعة : مدريد (١٨٨٤م).

٥٤ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، للإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية صححه و علق عليه، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبع : مطبعة الحكومة ـ مكة المكرمة الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ).

٥٥ ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تأليف : ابن عذاري المراكشي، تحقيق : ليفي بروفنسال، طبع دار الثقافة (بيروت).

٥٦ ـ البيان و التبيين، تأليف : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، طبع : مؤسسة الخانجي بالقاهرة.

٥٧ ـ بيوتات فاس الكبرى، تأليف : إسماعيل ابن الأحمر، طبع : دار المنصور للطباعة و الوراقة بالرباط (المغرب سنة ١٩٧٢).

## حرف التاء

٥٨ ـ تاج التراجم في طبقات الحنفية، تأليف : زين الدين قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ)، طبع على نفقة مكتبة المتنبي ببغداد (١٩٦٢).

٥٩ ـ تاج العروس ـ تأليف : الزبيدي، طبع المطبعة الخيرية (١٣٠٦).

٦٠ ـ التاج المكلل من جواهر ناثر الطراز الآخر و الأول، تأليف : صديق بن حسن القنوجي، تحقيق : عبد

الحكيم شرف الدين، طبع المطبعة الهندية العربية، الطبعة الثانية (١٣٨٣/ ١٩٦٣).

٦١ ـ تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ـ للدكتور : إحسان عباس ـ طبع دار الثقافة (بيروت-لبنان) الطبعة السابعة (١٩٨٥).

٦٢ ـ تاريخ ابن خلدون، تأليف : عبد الرحمن بن خلدون ـ طبع دار الكتاب اللبناني (بيروت) (١٩٨١).

٦٣ ـ تاريخ بغداد، تأليف : الخطيب البغدادي ـ طبع دار الكتاب العربي (بيروت) .

٦٤ ـ تاريخ التراث العربي ـ للدكتور : فؤاد سزكين ـ نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي ـ طبع : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ بالرياض (١٤٠٣-١٩٨٣).

٦٥ ـ تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تأليف : مبارك الميلي ـ تحقيق : محمد الميلي ـ طبع : دار الغرب الإسلامي (١٩٩٠).

٦٦ ـ تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تأليف : الداعي إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ) تحقيق : محمد اليعلاوي ـ طبع : دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى (١٩٨٥).

٦٧ ـ تاريخ خليفة بن خياط، تأليف : خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ) ـ تحقيق : سهيل زكار ـ طبع بمطابع وزارة الثقافة و السياحة و الإرشاد القومي (١٩٦٧).

٦٨ ـ تاريخ الرسل و الملوك، تأليف : أبي جعفر محمد بن جريز الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم طبع : دار المعارف بالقاهرة ـ الطبعة الرابعة (١٩٧٩).

٦٩ ـ تاريخ علماء المغرب ـ لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ) ـ طبع : الدار المصرية للتأليف و الترجمة (سنة ١٩٦٦).

٧٠ ـ تاريخ فلسفة الإسلام ـ في القارة الإفريقية (الجزء الأول) ـ للدكتور : يحيى هويدي ـ طبع : مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) (١٩٦٦).

٧١ ـ تاريخ الفكر الأندلسي ـ تأليف : أنخل جنثالث بالنتيا ـ ترجمة : الدكتور حسن مؤنس ـ طبع : دار النهضة المصرية ـ الطبعة الأولى (١٩٥٥).

٧٢ ـ تاريخ قضاة الأندلس ـ تأليف : أبو الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي ـ تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ـ طبع دار الآفاق الجديدة (بيروت) (١٤٠٠ / ١٩٨٠).

٧٣ ـ التاريخ الكبير ـ تأليف : الإمام أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) طبع : المكتبة الإسلامية بتركيا.

٧٤ ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ـ للإمام : أبي المظفر الأسفراييني (ت ٤٧١هـ) تحقيق : الشيخ محمد زاهد الكوثري ـ طبع : مطبعة الأنوار (القاهرة) الطبعة الأولى (١٣٥٩).

٧٥ ـ التبيان في آداب حملة القرآن ـ تأليف : الإمام النووي ـ تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ـ مكتبة دار البيان (دمشق) الطبعة الأولى (١٤٠٥/ ١٩٨٥).

٧٦ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام ـ أبي الحسن الأشعري ـ للإمام ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١) تحقيق : محمد زاهد الكوثري ـ طبع : دار الكتاب العربي (بيروت ـ لبنان) (١٣٩٩/ ١٩٧٩).

٧٧ ـ تحفة القادم، تأليف : ابن الأبار ـ تحقيق : إحسان عباس ـ طبع دار الغرب الإسلامي (١٤٠٦).

٧٨ ـ التحف في مذاهب السلف ـ تأليف : الإمام الشوكاني ـ طبع ضمن المجموعة المنبرية.

٧٩ ـ التحف في مذاهب السلف ـ تأليف : الإمام الشوكاني ـ تحقيق : سيد عاصم علي ـ طبع : دار الصحابة للتراث.

٨٠ ـ تذكرة الحفاظ ـ تأليف : الإمام الذهبي ـ طبع دار إحياء التراث العربي.

٨١ ـ تذكرة الموضوعات ـ تأليف : طاهر بن علي الهندي ـ مصورة عن الطبعة الأولى (١٩٥٩) مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

٨٢ ـ تراجم أغلبية ـ تأليف : القاضي عياض ـ تحقيق : د.محمد الطالبي طبع : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية (١٩٦٨).

٨٣ ـ تراجم المؤلفين التونسيين ـ تأليف : محمد محفوظ ـ طبع : الغرب الإسلامي ـ الطبعة الأولى (١٩٨٢).

٨٤ ـ ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذاهب مالك ـ تأليف القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) تحقيق : د.أحمد بكير محمود ـ طبع دار مكتبة الحياة (بيروت ـ ١٣٨٧-١٩٦٧).

٨٥ ـ التصوف ـ المنشأ و المصدر ـ د. إحسان إلهي ظهير ـ طبع إدارة ترجمان السنة (لاهور ـ باكستان) الطبعة الأولى (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

٨٦ ـ تفسير الطبري المسمى : جامع البيان عن تأويل آي القران ـ تأليف : الإمام ابن جرير الطبري ـ جمع : مطبعة البابي الحلبي بمصر الطبعة الثالثة (١٣٨٨).

٨٧ ـ تفسير الطبري ـ تأليف : ابن جرير الطبري ـ تحقيق : أحمد و محمود شاكر طبع : دار المعارف بمصر.

٨٨ ـ تفسير القرآن العظيم ـ تأليف : الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٣هـ) تحقيق : حسين بن إبراهيم زهران طبع دار الفكر (بيروت) الطبعة الثانية (١٤٠٨/ ١٩٨٨).

٨٩ ـ تفسير القرطبي ـ تأليف : الإمام القرطبي ـ طبع : مطبعة وزارة الثقافة المصرية (سنة ١٣٨٧/ ١٩٦٧).

٩٠ ـ التفسير الكبير و مفاتيح الغيب ـ تأليف : الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) طبع دار الفكر (بيروت) الطبعة الثالثة (١٤٠٥/ ١٩٨٥) .

٩١ ـ تقريب التهذيب ـ تأليف : ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق : محمد عوامة طبع دار الرشيد بحلب "سوريا" الطبعة الأولى (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

٩٢ ـ تكملة الصلة ـ تأليف : ابن الأبار ـ تحقيق : السيد عزت العطار الحسيني ـ نشر مكتبة الثقافة الإسلامية ـ القاهرة (١٣٧٥-١٩٥٦).

٩٣ ـ تلبيس إبليس ـ تأليف : عبد الرحمن بن الجوزي ـ نشرة إدارة الطباعة المنيرية (سنة ١٣٦٨) طبع : دار الفكر.

٩٤ ـ تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ـ تأليف : ابن حجر العسقلاني تحقيق : شعبان محمد إسماعيل ـ طبع : مكتبة الكليات الأزهرية (١٣٩٩).

٩٥ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد ـ تأليف : ابن عبد البر القرطبي تحقيق : مجموعة من الأساتذة ـ طبع وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمغرب ـ الطبعة الثانية (١٤٠٢/ ١٩٨٢).

٩٦ ـ تهذيب الأسماء و اللغات ـ تأليف : محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) طبع دار الكتب العلمية (بيروت).

٩٧ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ـ تهذيب : الشيخ عبد القادر بدران الطبعة الثانية (١٣٩٩/ ١٩٧٩). دار المسيرة (بيروت).

٩٨ ـ تهذيب التهذيب ـ تأليف : ابن حجر العسقلاني ـ طبع دار صادر (بيروت) الطبعة الأولى (١٣٣٥).

٩٩ ـ تهذيب اللغة ـ تأليف : الأزهري ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ نشر : الدار المصرية للتأليف و النشر (١٣٨٤/ ١٩٦٤).

١٠٠ ـ تهذيب مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية ـ هذبه : عبد المنعم صالح العلي العزي ـ طبع : المكتبة العلمية (سنة ١٤٠٢هـ).

١٠١ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ تأليف : ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأناؤوط (طبع : مكتبة الحلواني) (١٣٩٨/ ١٩٦٩).

## حرف الجيم

١٠٢ ـ جامع بيان العلم و فضله و ما ينبغي في روايته و حمله ـ تأليف : ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ) طبع : دار الفكر بيروت.

١٠٣ ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام ـ مدينة فاس - تأليف : أحمد بن القاضي المكناسي ـ طبع : دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط (١٩٧٣).

١٠٤ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تأليف : أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨هـ) طبع : الدار المصرية للتأليف و الترجمة (١٩٦٦).

١٠٥ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية طبع : مطابع المجد التجارية.

## حرف الخاء

١٠٦ ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تأليف آدم متز ـ نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ طبع : مكتبة الخانجي القاهرة ـ الطبعة الرابعة (١٣٨٧/ ١٩٦٧).

١٠٧ ـ حكم بدعة الاجتماع في مولد النبي ﷺ، تأليف : أبي الوليد الباجي ـ نشرت في مجلة الإصلاح المصرية ـ المجلد الأول / العدد الخامس.

١٠٨ ـ الحلة السيراء ـ لابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ) ـ تحقيق : الدكتور حسن مؤنس طبع الشركة العربية للطباعة و النشر (القاهرة) الطبعة الأولى (١٩٦٣م).

١٠٩ ـ الحلل السندسية في الأخبار التونسية ـ تأليف : محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج (ت ١١٤٩هـ) تحقيق : د.محمد الحبيب الهيلة ـ طبع : دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة الأولى (١٩٨٥).

١١٠ ـ حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ـ تأليف : الحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) طبع : دار الفكر (بيروت).

١١١ ـ حوليات الجامعة التونسية مجلة تصدرها كلية الآداب و العلوم الإنسانية بتونس.

١١٢ ـ الحياة العلمية في إفريقية (تونس) من إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ـ تأليف : يوسف أحمد حوالة ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة أم القرى (١٤٠٥/ ١٩٨٥).

١١٣ ـ الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ـ تأليف : سعد عبد الله البشري رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة أم القرى في التاريخ الإسلامي (١٤٠٥/ ١٩٨٥).

## حرف الخاء

١١٤ ـ خريدة القصر و جريدة العصر ـ تأليف : العماد الأصفهاني تحقيق : مجموعة من المحققين ـ طبع الدار ـ التونسية للنشر (١٩٦٦).

١١٥ ـ خطط المقريزي ـ تأليف : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ طبع دار التحرير للطبع و النشر عن طبعة دار بولاق (سنة ١٢٧٠).

١١٦ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ـ تأليف : المحبي : طبع : دار صادر (بيروت).

١١٧ ـ الخلافة و الخوارج في المغرب العربي ـ تأليف : رفعة فوزي عبد المطلب الطبعة الأولى (١٣٩٣/ ١٩٧٣).

١١٨ ـ الخوارج في بلد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، تأليف : د.محمود إسماعيل عبد الرزاق ـ طبع : دار الثقافة بدار البيضاء الطبعة الثانية (١٤٠٦).

١١٩ ـ الخوارج : تاريخهم و آراؤهم الاعتقادية و موقف الإسلام منها ـ تأليف : غالب بن علي عواجمي ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى.

## حرف الدال

١٢٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ تأليف : مجموعة من المستشرقين ـ نقلها إلى العربية : مجموعة من الباحثين.

١٢١ ـ دراسات في تاريخ إفريقية في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط ـ تأليف : محمد الطالبي ـ طبع : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية (١٩٨٢).

١٢٢ ـ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ـ تأليف : الدكتور أحمد محمد أحمد جلي طبع : مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية الطبعة الأولى (سنة ١٤٠٦/ ١٩٨٦).

١٢٣ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ـ تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق : محمد سيد جاد الحق، طبع : دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

١٢٤ ـ الدرة فيما يجب اعتقاده ـ تأليف : أبو محمد ابن حزم الأندلسي ـ تحقيق : د.أحمد بن ناصر الحمد، سعيد بن عبد الرحمن القزقي طبع : مكتبة المدني بمصر ـ الطبعة الأولى (١٤٠٨/١٩٨٨).

١٢٥ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ تأليف : جلال الدين السيوطي ـ طبع : دار الفكر ـ الطبعة الأولى (١٤٠٣/١٩٨٣).

١٢٦ ـ درء تعارض العقل و النقل ـ تأليف : الإمام ابن تيمية ـ تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ـ طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة الأولى (١٣٩٩/ ١٩٧٩).

١٢٧ ـ دولة الإسلام في الأندلس – تأليف : د.محمد عبد الله عنان ـ طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ الطبعة الرابعة (١٣٨٩/ ١٩٦٩).

١٢٨ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـ تأليف : ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ) تحقيق : د.محمد الأحمدي أبو النور دار التراث للطبع و النشر القاهرة.

١٢٩ ـ ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت ـ تحقيق : نعمان أمين طه ـ طبع : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ ديوان ابن هاني الأندلسي ـ طبع : دار بيروت (١٤٠٠/ ١٩٨٠).


## حرف الذال


١٣٠ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ تأليف : علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ) تحقيق : د. إحسان عباس ـ طبع دار الثقافة (بيروت) (١٣٩٩/ ١٩٧٩).

١٣١ ـ ذكر أخبار أصبهان ـ تأليف : أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) نشر : الدار العلمية بالهند ـ الطبعة الثانية (١٤٠٥/ ١٩٨٥).

١٣٢ ـ الذهبي و منهجه في كتاب تاريخ الإسلام ـ تأليف الدكتور بشار عواد معروف، طبع دار إحياء الكتب العربية القاهرة- الطبعة الاولى (١٩٧٦).

١٣٣ ـ الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصله - لأبي عبد الله بن عبد الملك المراكشي تحقيق: إحسان عباس و محمد بن شريفه- طبع: دار الثقافة (بيروت ـ لبنان) الطبعة الأولى (١٩٧٣م).


## حرف الراء


١٣٤ ـ رحلة ابن جبير ـ لأبي الحسين محمد بن جبير الكناني الأندلسي ـ طبع دار الكتاب اللبناني (بيروت) ودار الكتاب المصري (القاهرة).

١٣٥ ـ الرد على الرافضة ـ تأليف : أبي حامد محمد المقدسي (ت ٨٨٨هـ) تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، طبعة : الدار السلفية بالهند ( الطبعة الأولى (١٤٠٣).

١٣٦ ـ رسالة افتتاح الدعوة ـ تأليف القاضي النعمان ـ تحقيق : وداد القاضي ـ طبع دار الثقافة (بيروت) الطبعة الأولى (سنة ١٩٧٠).

١٣٧ ـ رسالة ابن سعيد في التذييل على رسالة ابن حزم ـ تأليف : ابن سعيد ـ تحقيق : صلاح الدين المنجد ـ طبع : دار الكتاب الجديد (١٣٨٧/ ١٩٦٨).

١٣٨ ـ رسالة العبودية ـ تأليف : الإمام ابن تيمية ـ تحقيق : محمد حامد الفقي.

١٣٩ ـ الرسالة الفقهية ـ للإمام ابن زيد القيرواني ـ (ت ٣٨٦هـ) ـ تحقيق الدكتور: الهادي حمو، الدكتور محمد أبو الأجفاق طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت ـ لبنان) الطبعة الأولى (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

١٤٠ ـ رسالة في الرد على الرافضة ـ تأليف : الشيخ أبي حامد محمد المقدسي (ت ٨٨٨هـ) تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمن ـ الطبعة الأولى (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

١٤١ ـ الرسالة القشيرية ـ تأليف : أبي القاسم عبد الكريم القشيري ـ تحقيق : الدكتور عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف ـ طبع دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

١٤٢ ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتاب السنة المشرفة ـ تأليف : محمد بن جعفر الكتاني ـ طبع : دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثانية (١٤٠٠).

١٤٣ ـ رسائل ابن حزم الأندلسي ـ تأليف : ابن حزم الأندلسي ـ تحقيق : الدكتور إحسان عباس ـ طبع : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ـ الطبعة الأولى (١٤٠١/ ١٩٨٠).

١٤٤ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ـ تأليف : محمد بن عبد المنعم الحميري ـ تحقيق : د.إحسان عباس ـ طبع : مكتبة لبنان (بيروت ـ ١٩٧٥).

١٤٥ ـ الروضتين في أخبار الدولتين ـ تأليف : الحافظ أبو شامة، تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد ـ نشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر ـ القاهرة (١٩٦٢).

١٤٦ ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية ـ تأليف : أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي ـ تحقيق : بشير البكوش ـ طبع : دار الغرب الإسلامي (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

١٤٧ ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان ـ تأليف : أبي بكر عبد الله بن أبي بكر المالكي ـ تحقيق : حسين مؤنس ـ طبع : مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) الطبعة الأولى (١٩٥١).

## حرف الزاي

١٤٨ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ تأليف : ابن قيم الجوزية ـ تحقيق : شعيب و عبد القادر الأرناؤوط ـ طبع مؤسسة الرسالة (بيروت) الطبعة الأولى.

## حرف السين

١٤٩ ـ السنة، تأليف : أبي بكر عمر بن أبي عاصم ـ تحقيق : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ طبع المكتب الإسلامي الطبعة الولى.

١٥٠ ـ سنن ابن ماجه ـ للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ) - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي طبع : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع (بيروت).

١٥١ ـ سنن أبي داود ـ تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبع دار الفكر.

١٥٢ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح) تأليف : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ـ طبع : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الأولى (١٣٥٦/ ١٩٣٧).

١٥٣ ـ سنن الدارمي ـ تأليف : عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) ـ تحقيق : محمد أحمد دهمان ـ طبع : دار إحياء السنة النبوية (بيروت).

١٥٤ ـ سنن النسائي (المجتبى) ـ تأليف : الحافظ أبي عبد الحمن بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) طبع : مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ـ الطبعة الأولى (١٣٨٣/ ١٩٦٤).

١٥٥ ـ سفر السعادة ـ تأليف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨٢٨هـ) أشرف على طباعته : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ إدارة الشؤون الدينية بقطر ـ مطابع دار الثقافة ( الدوحة ـ قطر) (١٤٠٢/ ١٩٨٢).

١٥٦ ـ سير أعلام النبلاء ـ تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق مجموعة من الباحثين ـ طبع مؤسسة الرسالة ( بيروت) الطبعة الثانية (١٤٠٢/ ١٩٨٢).

١٥٧ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ـ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ طبع دار الفكر (بيروت).

١٥٨ ـ السيرة النبوية ـ تأليف : ابن هشام ـ تحقيق : مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري ـ طبع : مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية (١٣٧٥/ ١٩٥٥).

## حرف الشين

١٥٩ ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ـ تأليف : محمد بن محمد مخلوف ـ طبع دار الكتاب العربي (بيروت).

١٦٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ تأليف : ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) - طبع دار الآفاق الجديدة

١٦١ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة من الكتاب و السنة و إجماع الصحابة ـ تأليف : أبي القاسم هبة الله اللالكائي ـ تحقيق : د.أحمد سعد حمدان ـ طبع : دار طيبة للنشر و التوزيع.

١٦٢ ـ شرح الأصول الخمسة ـ تأليف: القاضي عبد الجبار المعتزلي ـ تحقيق د.عبد الكريم عثمان ـ طبع: مكتبة وهبة بمصر الطبعة الأولى (١٣٨٤).

١٦٣ ـ شرح رسالة ابن زيد القيرواني ـ تأليف: الفاكهاني ـ مخطوط بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

١٦٤ ـ شرح السنة ـ تأليف: الإمام البغوي ـ تحقيق: زهير شاويش و شعيب الأرناؤوط ـ طبع: المكتب الإسلامي -الطبعة الأولى (١٣٩٠/ ١٩٧١).

١٦٥ ـ شرح صحيح البخاري ـ تأليف: ابن بطال ـ مخطوط بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

١٦٦ ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ تأليف: ابن أبي العز الحنفي ـ خرج أحاديثها ناصر الدين الألباني ـ طبع المكتب الإسلامي.

١٦٧ ـ شرح مختصر خليل ـ تأليف: محمد الخرشي ـ طبع دار صادر (بيروت).

١٦٨ ـ الشريعة ـ تأليف: أبي بكر بن محمد بن الحسين الآجري ـ تحقيق: محمد حامد فقي ـ طبع: مطبعة السنة المحمدية(١٣٦٩).

## حرف الصاد

١٦٩ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول ـ تأليف: الإمام ابن تيمية ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبع: مكتبة تاج بطنطا الطبعة الأولى (١٣٧٩/ ١٩٦٠).

١٧٠ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ تأليف: أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٦١هـ) نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

١٧١ ـ صحيح مسلم ـ تأليف: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري بشرح الإمام النووي ـ تحقيق: عبد الله أحمد أبو زيتة طبع : مطبعة الشعب القاهرة.

١٧٢ ـ صحيح مسلم ـ تأليف: الإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبع: دار إحياء الكتب العربية القاهرة ـ الطبعة الأولى (١٣٧٤/ ١٩٥٥).

١٧٣ ـ صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد (المجلد الثاني) ١٩٥٤ العدد (١-٢) عدد (٥) سنة ١٩٦٦ .

١٧٤ ـ الصراع العقائدي في الفلسفة الإسلامية ـ مجموعة محاضرات ألقيت في ملتقى الإمام المارزي (تونس- الدار التونسية للطبع) سنة ١٩٧٨.

١٧٥ ـ الصراع المذهبي بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية ـ للدكتور عبد العزيز المجذوب ـ طبع: الدار التونسية للنشر (١٣٩٥/ ١٩٧٥).

١٧٦ ـ صفة جزيرة الأندلس ـ تأليف: محمد بن عبد الله الحميري (ت٨٦٦هـ) تحقيق: ليفي بروفنصال و محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبع مطبعة لجنة التأليف و التراجم ـ القاهرة ـ (١٩٣٧).

١٧٧ ـ صفة الصفوة ـ تأليف: جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ـ تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي، طبع : دار الوعي بحلب (سوريا) الطبعة الولى (١٣٨٩/ ١٩٦٩).

١٧٨ ـ الصلة ـ لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨هـ) طبع : الدار المصرية للتأليف والترجمة (سنة ١٩٦٦).

١٧٩ ـ الصلةبين المعتزلة و مذهب الإباضية المقيمين في إفريقية الشمالية ـ طبعة دار النهضة المصرية ـ الطبعة الثالثة (سنة ١٩٦٥).

١٨٠ ـ صون المنطق و الكلام عن فن المنطق و الكلام ـ تأليف: جلال الدين السيوطي ـ تحقيق: علي سامي النشار ـ دار الكتب العلمية (بيروت).

١٨١ ـ صيد الخاطر ـ تأليف : ابن الجوزي ـ تحقيق علي الطنطاوي و ناجي الطنطاوي طبع : دار الفكر ـ بيروت.

## جرف الضاد

١٨٢ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ تأليف: الإمام السخاوي ـ طبع دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

## حرف الطاء

١٨٣ ـ طبقات الأمم ـ تأليف: **صاعد الأندلس (مخطوط).**

١٨٤ ـ طبقات الأطباء و الحكماء ـ **تأليف**: **ابن جلجل** ـ **تحقيق**: **فؤاد السيد** ـ طبع المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (سنة ١٩٥٥).

١٨٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ **تأليف**: **تاج الدين السبكي** ـ **تحقيق** : **محمود محمد الطماحي** و عبد الفتاح محمد الحلو طبع مطبعة **عيسى البابي الحلبي و شركاؤه**، **الطبعة الأولى** (١٣٨٣/ ١٩٦٤).

١٨٦ ـ طبقات الصوفية ـ تأليف: **أبي عبد الرحمن السلمي** (ت٤١٢هـ) تحقيق: **نور الدين شريبة** - طبع: جامعة الأزهر للنشر و التأليف ـ **الطبعة الأولى** (١٣٧٢/ ١٩٥٣).

١٨٧ ـ الطبقات الكبرى ـ تأليف: **محمد بن سعد** ـ طبع: **دار صادر (بيروت ).**

١٨٨ ـ طبقات المفسرين ـ **تأليف**: **شمس الدين الذهبي** ـ **تحقيق**: علي **محمد عمر** ـ طبع مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى (١٣٩٢/ ١٩٧٢).

## حرف الظاء

١٨٩ ـ ظاهرة الإرجاء ـ تأليف: **الدكتور سفر الحوالي** ـ **رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه** ـ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

## حرف العين

١٩٠ ـ العبر في خبر من غبر ـ **تأليف**: **الإمام الذهبي** (ت٧٤٨هـ) **تحقيق**: أبو هاجر محمد السعيد زغلول ـ طبع : دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعة الأولى (١٤٠٥/ ١٩٨٥).

١٩١ ـ عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ـ تأليف: الدكتور عبد الله عنان ـ طبع: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى (١٣٨٣/ ١٩٧٤).

١٩٢ ـ عصر هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) تأليف: عبد المجيد محمد صالح الكبيسي ـ طبع سلمان الأعظمي (بغداد) ١٩٧٥.

١٩٣ ـ عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد و الإمام ـ رسالة أعدها الطالب سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن لنيل درجة الماجستير ـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة (١٤٠٩) ـ و لا تزال مخطوطة.

١٩٤ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ تأليف: ابن أبي أصيبعة تحقيق الدكتور نزار رضا ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

## حرف الغين

١٩٥ ـ الغنية ـ فهرست شيوخ القاضي عياض ـ تأليف: القاضي عياض ـ تحقيق ماهر زهير جرار ـ دار الغرب الاسلامي (بيروت) الطبعة الأولى (١٤٠٢/ ١٩٨٢).

## حرف الفاء

١٩٦ ـ فتاوي ابن رشد ـ تأليف : أبي الوليد ابن رشد (ت ٥٢٠هـ) تحقيق : الدكتور المختار بن الطاهر التليلي ـ طبع : دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة (١٤٠٧/ ١٩٨٧).

١٩٧ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير ـ تأليف : محمد بن علي الشوكاني ـ طبع : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

١٩٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني علق عليه الشيخ عبد الله بن باز ـ طبع : رئاسة إدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

١٩٩ ـ الفتح المبين في طبقات الأصوليين ـ تأليف : الشيخ عبد الله مصطفى المراغي طبع : محمد أمين دمج و شركاه (بيروت) الطبعة الثانية (١٣٩٤/ ١٩٧٤).

٢٠٠ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ـ تأليف : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٣هـ) ـ تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ـ طبع : مطبعة العاصمة (القاهرة) (١٣٨٩/ ١٩٦٩).

٢٠١ ـ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ـ تأليف : المستشرق ألفردبل ـ ترجمة د.عبد الرحمن بدوي ـ طبع : دار الغرب الإسلامي الطبعة الثانية (١٩٨١).

٢٠٢ ـ الفرق بين الفرق ـ تأليف : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبع : دار المعرفة (بيروت).

٢٠٣ ـ الفصل في الملل و الأهواء و النحل ـ تأليف : ابن حزم الظاهري ـ طبع : دار المعرفة (بيروت ـ الطبعة الثانية) (١٣٩٥/ ١٩٧٥).

٢٠٤ ـ فضائل الصحابة ـ تأليف : الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) تحقيق : وصي الله بن محمد عباس ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة مركز البحث العلمي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

٢٠٥ ـ فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة ـ تأليف : القاضي عبد الجبار المعتزلي تحقيق : فؤاد السيد ـ طبع : الدار التونسية للنشر (١٣٩٣).

٢٠٦ ـ فضل علم السلف على الخلف ـ تأليف : ابن رجب الحنبلي ـ طبع : إدارة الطباعة المنيرية ـ الطبعة الثالثة (١٤٠٤).

٢٠٧ ـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ـ تأليف : محمد بن الحسن الحجوي تخريج : عبد العزيز القاري ـ طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ـ الطبعة الأولى (١٣٩٦).

٢٠٨ ـ فهرس ابن عطية ـ للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية المجازي الأندلسي (المتوفي سنة ٥٤١هـ) تحقيق: محمد أبو الأجفان و محمد الزاهي ـ طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت ـ لبنان) الطبعة الثانية (١٩٨٣).

٢٠٩ ـ فهرسة ابن خير الإشبيلي ـ تأليف : أبي بكر محمد بن خير بن عمر الإشبيلي طبع : مؤسسة الخانجي، و مكتبة المثنى ـ الطبعة الثانية (١٣٨٢/ ١٩٦٣).

٢١٠ ـ فهرس الفهارس و الإثبات ـ تأليف : عبد الحي الكتاني ـ تحقيق : الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الثانية (١٤٠٢/ ١٩٨٢).

٢١١ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ تأليف : العلامة المناوي ـ طبع : دار المعرفة (بيروت) (١٣٩١/ ١٩٧٢).

٢١٢ ـ في ظلال القرآن ـ تأليف : الشهيد سيد قطب ـ طبع : دار الشروق (بيروت) الطبعة السابعة (١٣٩٨/ ١٩٧٨).

## حرف القاف

٢١٣ ـ قانون التأويل ـ للقاضي أبي بكر ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) تحقيق : محمد السليماني ـ طبع : دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ـ الطبعة الأولى (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

٢١٤ ـ قضاة قرطبة و علماء إفريقية ـ تأليف : محمد بن حارث الخشني ـ تحقيق : السيد عزت العطار الحسيني ـ طبع : مكتبة الخانجي و مكتبة المثنى (سنة ١٣٧٢).

٢١٥ ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان ـ تأليف : الفتح بن خاقان ـ تحقيق : محمد الحبابي ـ طبع : المكتبة العتيقة بتونس.

٢١٦ ـ القوى السنية في المغرب، من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية (٢٩٦ ـ ٣٧١هـ) ـ للدكتور : محمد أحمد عبد المولي ـ طبع : دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية) (الطبعة الأولى ـ ١٩٨٥).

## حرف الكاف

٢١٧ ـ الكافي في فقه أهل المدينة المالكي ـ تأليف : أبي عمر ابن عبد البر ـ تحقيق : محمد محمد أحيد ولد ماديك ـ طبع : مكتبة الرياض الحديثة ـ الطبعة الأولى (١٣٩٨).

٢١٨ ـ الكامل في التاريخ ـ تأليف : ابن الأثير ـ طبع : دار صادر بيروت (١٣٨٥/ ١٩٦٥).

٢١٩ ـ كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات و الكرامات و الحيل و السحر و النارنجات للقاضي أبي بكر محمد الطيب بن الباقلاني ـ تحقيق : الأب رتشرد يوسف مكارتي اليسوعي ـ و هو من منشورات دار الحكمة في بغداد ـ طبع المكتبة الشرقية (بيروت) سنة (١٩٥٨) .

٢٢٠ ـ كتاب التوحيد و إثبات صفات الرب عز و جل ـ تأليف : محمد بن إسحاق بن خزيمة تحقيق : محمد خليل هراس ـ طبع : مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ (١٣٨٧/ ١٩٦٨).

٢٢١ ـ كتاب الجامع في السنن و الآداب ـ و المغازي و التاريخ ـ للإمام ابن أبي زيد القيرواني تحقيق : محمد أبو الأجفان و عثمان بطيخ ـ طبع : مؤسسة الرسالة (بيروت ـ لبنان) الطبعة الثانية (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

٢٢٢ ـ كتاب سير الأئمة و أخبارهم ـ تأليف : أبي زكريا يحيى بن أبي بكر ـ تحقيق : إسماعيل العربي ـ طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الثانية (١٤٠٢/ ١٩٨٢).

٢٢٣ ـ كتاب صورة الأرض ـ تأليف : محمد بن موسى الخوارزمي ـ تحقيق : هانس فورفريك ـ طبع : مطبعة أدولف هولزهوزن (بفينا) (١٣٤٥/ ١٩٢٧).

٢٢٤ ـ كتاب في صفات الله ـ تأليف : الإمام القرطبي (مخطوط)

٢٢٥ ـ كتاب المحن ـ تأليف : محمد بن أحمد بن أبي العرب التميمي (ت ٣٣٣هـ) تحقيق : الدكتور / يحيى وهيب الجبوري طبع : دار الغرب الاسلامي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

٢٢٦ ـ كتاب المشترك وضعا و المفترق صقعا ـ تأليف : ياقوت الحموي ـ طبع : مكتبة المثنى (بغداد).

٢٢٧ ـ الكشاف- تأليف : جار الله الزمخشري- طبع : المكتبة التجارية الكبرى بمصر (سنة ١٣٥٤).

٢٢٨ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ـ تأليف : التهانوي ـ طبع : شركة خياط للكتاب و النشر ـ بيروت.

٢٢٩ ـ كشف الظنون من أسامي الكتب و الفنون ـ تأليف : حاجي خليفة ـ طبع مكتبة المثنى ببغداد.

٢٣٠ ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية ـ تأليف : بدر الدين بن قاضي شهبة تحقيق : الدكتور محمد زايد- طبع دار الكتاب ـ الجديد (بيروت) (١٩٧١).

## حرف اللام

٢٣١ ـ اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ـ تأليف : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ـ طبع : المكتبة التجارية الكبرى (بمصر).

٢٣٢ ـ لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام ـ تأليف : أبي علي السكوني ـ نشر في مجلة الحوليات الجامعة

التونسية (عدد ١٢ سنة ١٩٧٥) ـ تحقيق : سعد غراب.

٢٣٣ ـ لسان العرب المحيط ـ تأليف : ابن منظور ـ طبع : دار صادر بيروت.

٢٣٤ ـ لسان الميزان ـ تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ طبع : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت) الطبعة الثانية (١٩٧١/ ١٣٩٠هـ).

## حرف الميم

٢٣٥ ـ مباحث في علم الكلام و الفلسفة ـ تأليف : علي الشابي ـ طبع دار أبو سلامة تونس (١٩٧٧).

٢٣٦ ـ مجلة الأصالة الجزائرية ـ تصدرها وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية بالجزائر.

٢٣٧ ـ المجلة التونسية.

٢٣٨ ـ المجلة الزيتونية.

٢٣٩ ـ مجلة الشهاب الجزائرية (الجزء التاسع ١٩٣١).

٢٤٠ ـ مجلة الفكر التونسية ـ تصدرها المدرسة القومية للإدارة تونس.

٢٤١ ـ مجلة كلية آداب الإسكندرية ـ تصدرها جامعة الإسكندرية.

٢٤٢ ـ مجلة كلية آداب القاهرة ـ تصدرها جامعة فؤاد الأول القاهرة.

٢٤٣ ـ مجلة المناهل المغربية ـ تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط ـ المغرب.

٢٤٤ ـ مجمع الزوائد و منبع الفوائد ـ تأليف : نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) طبع : مؤسسة المعارف (بيروت).

٢٤٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تأليف : الإمام ابن تيمية ـ جمع و ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ـ طبع : مطابع دار العربية ـ بيروت ـ ١٣٩٨.

٢٤٦ ـ مجموعة الرسائل المنيرية ـ طبع : دار إحياء التراث العربي (بيروت).

٢٤٧ ـ مجموعة الرسائل و المسائل ـ للإمام ابن تيمية ـ تحقيق : الشيخ محمد رشيد رضا ـ طبع : دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) الطبعة الأولى (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

٢٤٨ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) تحقيق : المجلس العلمي بفاس (المغرب) طبع : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمغرب (١٣٩٥/ ١٩٧٥).

٢٤٩ ـ محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء و الحكماء و المتكلمين ـ تأليف : فخر الدين الرازي تعليق : طه عبد الرؤوف سعد ـ طبع : دار الكتاب العربي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٤).

٢٥٠ ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ـ تأليف : ابن قيم الجوزية ـ اختصار : محمد الموصلي ـ طبع : مكتبة الرياض الحديثة.

٢٥١ ـ مختصر العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي ـ اختصره : الشيخ الألباني ـ طبع : المكتب الإسلامي بدمشق ـ الطبعة الأولى (١٤٠١).

٢٥٢ ـ مختصر الفتاوى المصرية ـ تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق : محمد حامد الفقي ـ طبع : دار ابن القيم ـ الطبعة الثانية (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

٢٥٣ ـ مختصر في فضل الجهاد ـ تأليف : ابن جماعة الحموي ـ تحقيق : أسامة النقشبندي ـ طبع : وزارة الإعلام العراقية (١٩٨٣).

٢٥٤ ـ المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية ـ للدكتور : عبد المجيد بن حمده ـ طبع : مطبعة دار العرب بتونس الطبعة الأولى (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

٢٥٥ ـ المدخل ـ تأليف : ابن الحاج ـ نشر دار الفكر.

٢٥٦ ـ مدرسة التفسير في الأندلس ـ تأليف : مصطفى إبراهيم المشنى ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) الطبعة الأولى (١٤٠٦/١٩٨٦).

٢٥٧ ـ المستدرك على الصحيحين في الحديث وفي ذيله تلخيص المستدرك للذهبي ـ تأليف : الحاكم أبو عبد الله النيسابوري ـ طبع : مكتبة النصر الحديثة ـ الرياض.

٢٥٨ ـ المسند ـ تأليف : الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر ـ طبع : دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة (١٣٦٨/ ١٩٤٩).

٢٥٩ ـ مسند الإمام أحمد ـ تأليف : الإمام أحمد بن حنبل ـ الطبعة الثانية (١٣٩٨/ ١٩٧٨) دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٦٠ ـ مسند الحميدي ـ تأليف : عبد الله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٦هـ) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ـ طبع : عالم الكتب ـ بيروت.

٢٦١ ـ المصنف ـ تأليف : ابن أبي شيبة ـ تحقيق : عامر العمري الأعظمي ـ طبع : دار السلفية (الهند).

٢٦٢ ـ المصنف ـ تأليف : عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ـ طبع : المكتب الإسلامي (بيروت).

٢٦٣ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ـ طبع : دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٦٤ ـ المعارف ـ تأليف : أبو محمد عبد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تحقيق : الدكتور ثروت عكاشة ـ طبع : دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية (١٩٦٩).

٢٦٥ ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ـ تأليف : عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ (ت ٦٩٦هـ) تحقيق : إبراهيم سبوح ـ طبع : مكتبة الخانجي بمصر ـ الطبعة الثانية (١٣٨٨/ ١٩٦٨).

٢٦٦ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ـ تأليف : عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ) تحقيق : محمد سعيد العريان ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (لجنة إحياء التراث بالقاهرة) (١٣٨٣/ ١٩٦٣).

٢٦٧ ـ معجم الأدباء ـ تأليف : ياقوت الحموي ـ طبع : مكتبة عيسى البابي الحلبي و شركاه الطبعة الثانية ـ بدون تاريخ.

٢٦٨ ـ معجم البلدان ـ تأليف : ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ـ طبع : دار الكتاب العربي (بيروت).

٢٦٩ ـ المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ـ للإمام محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) طبع في مدينة مدريد بمطبعة روخسي (سنة ١٨٨٥م).

٢٧٠ ـ المعجم الكبير ـ تأليف : سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ـ طبع بمطبعة الزهراء الحديثة بالموصل ـ الطبعة الثانية.

٢٧١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ـ تأليف : الدكتور أ.ي.ونسنك ـ طبع : مكتبة بريل في مدينة ليون ـ سنة ١٩٣٦.

٢٧٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبع : دار إحياء التراث العربي (بيروت-لبنان).

٢٧٣ ـ معجم المؤلفين ـ تأليف : عمر رضا كحالة ـ طبع : مكتبة المثنى (بيروت).

٢٧٤ ـ المعجم الوسيط ـ مجموعة من الأساتذة ـ نشره : الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ طبع : إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر (سنة ١٩٨٥).

٢٧٥ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار ـ تأليف : الإمام الذهبي ـ تحقيق : بشار عواد معروف ـ و شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس مؤسسة الرسالة : الطبعة الأولى (١٤٠٤/ ١٩٨٤).

٢٧٦ ـ المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية و الأندلس و المغرب ـ تأليف : أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٦١٤هـ) حققه جماعة من العلماء ـ طبع : دار الغرب الإسلامي ـ بيروت (١٤٠١/ ١٩٨١).

٢٧٧ ـ المغرب في حلي المغرب ـ لمجموعة من العلماء الأندلسيين ـ تحقيق : الدكتور شوقي حنيف ـ طبعة دار المعارف (القاهرة) الطبعة الثانية (١٩٦٤).

٢٧٨ ـ مفرج الكروب ـ تأليف : جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ) تحقيق : جمال الدين الشيال ـ طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة (سنة ١٩٥٧).

٢٧٩ ـ مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين ـ تأليف : الإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد طبع : مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثانية (١٣٨٩/ ١٩٦٩).

٢٨٠ ـ المقدمات الخمس و العشرون في إثبات وجود الله ووحدانيته و تنزهه ـ تأليف : أبي عمران موسى بن ميمون ـ تحقيق : محمد زاهد الكوثري (١٣٦٩).

٢٨١ ـ المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام و الشرعيات، للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٢٠هـ) ـ تحقيق : الأستاذ سعيد أحمد أعراب ـ طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت ـ لبنان) الطبعة الأولى (١٤٠٨/ ١٩٨٨).

٢٨٢ ـ المقدمة ـ تأليف : ابن خلدون ـ تحقيق : علي عبد الواحد وافي ـ طبع : لجنة البيان العربي (القاهرة) الطبعة الأولى (١٣٧٦/ ١٩٥٧).

٢٨٣ ـ ملتقى الإمام محمد بن عرفة ـ مجموعة من البحوث و المحاضرات ـ طبع : وزارة الشؤون الثقافية (تونس) (١٩٧٧).

٢٨٤ ـ الملل و النحل ـ تأليف : محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) تحقيق : محمد سيد كيلاني ـ جمع : مصطفى البابي الحلبي بمصر (١٣٨٧/ ١٩٦٧).

٢٨٥ ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل ـ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ تصحيح : محمد أمين الخانجي طبع : مكتبة الخانجي بالقاهرة (مصر).

٢٨٦ ـ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ تأليف : ابن الجوزي ـ طبع : دار الكتب العلمية بيروت.

٢٨٧ ـ مناقب الشافعي ـ تأليف ابن أبي حاتم الرازي ـ تحقيق : محمد زاهد الكوثري طبع : مكتبة التراث الإسلامي (سوريا).

٢٨٨ ـ مناقب الشافعي ـ تأليف : أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق : سيد أحمد صقر ـ طبع : مكتبة دار التراث ـ الطبعة الأولى (١٣٩١/ ١٩٧١).

٢٨٩ ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ـ للإمام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ـ تحقيق : الدكتور محمد رشاد سالم ـ طبع : إدارة الثقافة و النشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية ـ الطبعة الأولى (١٤٠٦/ ١٩٨٦).

٢٩٠ ـ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ـ للدكتور ـ عبد الوهاب فايد ـ طبع : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (١٣٩٣/ ١٩٧٣).

٢٩١ ـ المهدي ابن تومرت ـ حياته ـ و آراؤه، تأليف : د.عبد المجيد النجار ـ طبع : دار الغرب الإسلامي ـ الطبعة الأولى (١٤٠٣/ ١٩٨٣).

٢٩٢ ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ـ تأليف : الإمام ابن تيمية ـ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ محمد حامد فقي ـ طبع : مطبعة السنة المحمدية (مصر) (١٣٧٠/ ١٩٥١).

٢٩٣ ـ المواقف ـ تأليف : الإيجي ـ طبع : مطبعة السعادة.

٢٩٤ ـ الموطأ ـ للإمام مالك بن أنس ـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبع : دار إحياء الكتب العربية (القاهرة).

٢٩٥ ـ مؤلفات الغزالي ـ تأليف : عبد الرحمن البدوي ـ طبع : المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب بالقاهرة (سنة ١٩٦٠).

٢٩٦ ـ المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ـ تأليف : ابن أبي دينار ـ تحقيق : محمد شمام ـ طبع : المكتبة العتيقة بتونس ـ الطبعة الثانية (١٩٦٧).

٢٩٧ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ تأليف : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٧هـ) ـ تحقيق : علي محمد البجاوي ـ طبع : دار إحياء الكتب القاهرة ـ الطبعة الأولى (١٣٨٢/ ١٩٦٣).

## حرف النون


٢٩٨ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ـ تأليف : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ) ـ طبع : وزارة الثقافة و الإرشاد القومي (مصر).

٢٩٩ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ تأليف : أحمد بن محمد المقري التلمساني ـ تحقيق : الدكتور إحسان عباس ـ طبع : دار صادر - بيروت ـ (١٣٨٨/ ١٩٦٨).

٣٠٠ ـ نصارى العراق في العصر الأموي (٤٠-١٣٢) ـ تأليف : جاسم صكبان علي الربيع ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة بغداد سنة ١٩٧٤.

٣٠١ ـ النهاية في غريب الحديث و الأثر ـ تأليف : ابن الأثير ـ تحقيق : محمود محمد الطناحي ـ طبع : المكتبة الإسلامية.


## حرف الهاء


٣٠٢ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المصنفين ـ تأليف : إسماعيل باشا البغدادي ـ طبع : وكالة المعارف بإستانبول (١٩٥٥).


## حرف الواو


٣٠٣ ـ الوافي بالوفيات ـ تأليف : صلاح الدين بن أيبك الصفدي ـ تحقيق : هلموت ريتر ـ طبع : دار النشر فرانز ستايز (ألمانيا) (١٣٨١/ ١٩٦٢).

٣٠٤ ـ ورقات من الحضارة العربية الإسلامية بتونس ـ تأليف : حسن حسني عبد الوهاب ـ طبع : مكتبة المنار (تونس) سنة ١٩٦٥).

٣٠٥ ـ وصف إفريقيا ـ تأليف: الحسن بن محمد الوزان الفاسي ـ المعروف بليون الإفريقي ترجمه عن الفرنسية : محمد حجي و محمد الأخضر ـ طبع : دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الثانية (١٩٨٣).

٣٠٦ ـ وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ـ تأليف : أحمد محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق : الدكتور إحسان عباس طبع : دار صادر (١٣٩٨/ ١٩٧٨).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

# فهرس الموضوعات

**المقدمة** ........ ٥

**الباب الأول: العقيدة الإسلامية في المغرب قبل ظهور الانحرافات العقدية** ........ ١٥

**تمهيد** ........ ١٦

التعريف ببلد المغرب وفتح المسلمين لها ........ ١٧

فتح المسلمين للمغرب ........ ١٨

فتح المسلمين للأندلس ........ ٢٤

**الفصل الأول**: أثر الفتح الإسلامي في نشر الإسلام ببلاد المغرب ........ ٢٨

**المبحث الأول**: جهود الفاتحين من الصحابة والتابعين في نشر الإسلام بالمغرب ........ ٢٩

**المبحث الثاني**: بعثة عمر بن عبد العزيز ........ ٣٢

ذكر الفقهاء العشرة الذين أرسلهم عمر لنشر الإسلام ببلاد المغرب وجهودهم في ذلك ........ ٣٢

ذكر غير الفقهاء العشرة في نشر الإسلام بالمغرب ........ ٣٤

**الفصل الثاني**: ظهور الإمام مالك وأثره في التمكين للاتجاه السني بالمغرب ........ ٣٩

ذكر الأسباب لاختيار الإمام مالك لبيان هذا الغرض ........ ٣٩

**المبحث الأول**: الإمام مالك والتزامه بالسنة ........ ٤١

ذكر تأثر أهل المغرب بالإمام مالك في كل شيء ........ ٤١

**المبحث الثاني**: الإمام مالك وآراؤه العقدية ........ ٤٣

موقف الإمام مالك من علم الكلام ........ ٤٥

بيان منهج السلف في عدم الخوض في مسائل العقيدة ........ ٤٦

تحذير النبي ﷺ من البدع ........ ٤٧

تحذير الإمام مالك من الرد على المخالفين لأهل السنة لمن لم تكن له القدرة على ذلك ........ ٤٨

موقف العلماء من الاشتغال بعلم الكلام والرد على أهله ........ ٤٩

ذكر حادثة عمر بن الخطاب مع صبيغ بن حسل ........ ٤٩ ـ ٥٠

ذم علماء الكلام لعلم الكلام لعدم نفعه ........ ٥٠ ـ ٥١

أسباب خصومة أهل السنة لعلم الكلام وأهله ........ ٥٣ ـ ٥٤

ذكر القرآن لنوعين من المجادلة ........ ٥٨

موقف علماء الإسلام من الاشتغال بعلم الكلام بقصد الرد على المخالفين ........ ٥٩

عود إلى الحديث عن آراء الإمام مالك في العقيدة ........ ٦٣
موقف الإمام مالك من البدعة ........ ٦٥
تعريف البدعة ........ ٦٥
تحذير النبي ﷺ من الغلو في الدين ........ ٦٧
ذكر بعض الآثار عن السلف في ذم الابتداع في الدين ........ ٦٨
ما ورد عن الإمام مالك في ذم البدعة والمبتدعة ........ ٦٨ ـ ٦٩
شدة الإمام مالك على المبتدعة من أهل الفرق ........ ٧٠
سكوت الصحابة عن الخوض في مسائل العقيدة ........ ٧٠
ظهور المبتدعة وظهور الخوض في هذه المسائل ........ ٧١
دور عبد الله بن سبأ في ظهور التشيع ........ ٧٢
تقييض الله من العلماء من يرد كيد المبتدعة ........ ٧٤
موقف الإمام مالك من القدرية ........ ٧٥
موقفه من أهل الإرجاء ........ ٧٦
موقفه من الإباضية ........ ٧٧
موقفه من الروافض ........ ٧٨
مذاهب العلماء في تكفير من يسب صحابة رسول الله ﷺ ........ ٧٩ ت
موقف الإمام مالك من التصوف والصوفية ........ ٨٠
بداية ظهور التصوف ........ ٨١
إنكار العلماء على من تحلى بالتصوف ........ ٨٢
موقف الإمام مالك من التصوف ........ ٨٢
موقفه من علم الباطن ........ ٨٢
اختلاف الناس في حياة الخضر عليه السلام وموته ولقاء الناس له ........ ٨٤
تفنيد العلماء لأدلة القائلين بعلم الباطن ........ ٨٥
أئمة التصوف الكبار يرفضون القول بعلم الباطن ويدعون إلى الكتاب والسنة ........ ٨٧
موقف الإمام مالك من الصفات الخبرية ........ ٨٩
قوله في الاستواء ........ ٩٣
قوله في رؤية الله في الآخرة ........ ٩٥
أدلة الكتاب والسنة على رؤية الله في الآخرة ........ ٩٦
الدليل على جواز رؤية الله في المنام ........ ٩٥

ظهور من ينفي الرؤية من المبتدعة وأدلتهم ........ ٩٧
تفنيد أدلتهم ........ ٩٨
الإمام مالك ورده عليهم ........ ٩٨ ـ ٩٩
قوله في القرآن ........ ٩٩
عزوف السلف عن الحديث في القرآن ........ ٩٩ ـ ١٠٠
ظهور من يجادل في القرآن وأنه مخلوق ........ ١٠٠
جهود السلف في رد هذه المقالة وبلاؤهم في ذلك ........ ١٠١ ـ ١٠٢
كلام الإمام مالك في الإيمان ........ ١٠٣
قوله في التفاضل بين الصحابة ........ ١٠٣
السلف لم يؤثر عنهم الحديث فيمن هو أفضل من الخلفاء الراشدين ........ ١٠٤
ظهور من يخوض في ذلك من المبتدعة ........ ١٠٥
قيام علماء السنة بالرد عليهم وبيان حقيقة الأمر في الصحابة ........ ١٠٥
**المبحث الثالث** : تأثير الإمام مالك في علماء المغرب في الجانب العقائدي ........ ١٠٦
علماء المغرب كانوا قليلي الخوض في مسائل العقيدة ........ ١٠٦
معاداة أهل المغرب للمبتدعة ........ ١٠٨ ـ ١٠٩
خطر البدع أشد من خطر المعاصي ........ ١١٠
سلامة المغرب من البدع إذا قورن بالمشرق ........ ١١٤
أثر مذهب الإمام مالك في سلامة المغرب من البدع ........ ١١٤
علماء المغرب يخوضون في مسائل العقيدة بعد ما كانوا محجمين عن ذلك ........ ١١٥
علماء المغرب يؤازرون مخلد بن كيداد الإباضي في قتال العبيدين ........ ١١٥
علماء المغرب يقدرون للحنابلة جهودهم في نصرة السنة بالمشرق ........ ١١٦
المشرق الإسلامي كان سباقاً في كل شيء ........ ١١٦
ذكر مجالس الكلام التي كانت تعقد في المشرق ........ ١١٧
**الباب الثاني : علماء السنة المغاربة وجهودهم في الدفاع عن عقيدة أهل السلف** ........ ١١٩
**الفصل الأول**: علماء المغرب وتمسكهم بالسنة ........ ١٢٢
ذكر العلماء وجهودهم في نشر السنة ........ ١٢٢ ـ ١٢٣
جهود علماء المغرب في نشر السنة عن طريق التأليف ........ ١٢٥
تعصب علماء المغرب لمذهب مالك في الفروع ضد كل من يخرج عن طريقته ........ ١٢٧ ـ ١٢٨
أبرز علماء المغرب في نشر السنة ومقاومة البدعة وذكر مؤلفاتهم في مجال العقيدة ١٢٩ ـ ١٣٠

**الفصل الثاني**: الضوابط التي وضعوها والمصنفات التي ألفوها، والمسائل التي تناولوها في دراستهم للعقيدة ........ ١٤٥
**المبحث الأول**: ذكر المصنفات التي ألفها علماء المغرب في مسائل العقيدة ........ ١٤٦
**المبحث الثاني**: الضوابط التي وضعها علماء المغرب لدراسة مسائل العقيدة ........ ١٤٨
**المبحث الثالث**: ذكر المسائل التي تناولها علماء المغرب بالبحث ........ ١٥٣
معرفة الله تعالى والطريق إليها ........ ١٥٣
الأدلة على وجود الله تعالى ........ ١٥٤
ذكر كلام علماء المغرب في الأسماء والصفات ........ ١٥٤
كلامهم في القرآن ........ ١٦٦
كلامهم في رؤية الله تعالى ........ ١٦٨
كلامهم في الإيمان ........ ١٦٩
مسألة الاستثناء في الإيمان ........ ١٧٣
ذكر الخلاف الذي نشب بين علماء المغرب حول هذه المسألة ........ ١٧٣ ـ ١٧٤
كلامهم في مرتكب الكبيرة ........ ١٧٧
كلامهم في القدر ........ ١٧٩
كلامهم في الغيبيات ........ ١٨٢
كلامهم في الصحابة والتفاضل بينهم ........ ١٨٩
**الباب الثالث: مقاومة علماء السنة بالمغرب للانحرافات العقدية** ........ ١٩٣
**الفصل الأول**: مقاومتهم لعلم الكلام ........ ١٩٤
أولاً: مقاومتهم للاعتزال ........ ١٩٥
**المبحث الأول**: دخول الفكر الاعتزالي إلى المغرب ........ ١٩٥
تعريف المعتزلة ونشأتهم ........ ١٩٥ ت
الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي ساعدت على انتشار الاعتزال في المغرب . ١٩٧ ـ ١٩٨
رجال المغرب الذين تأثروا بالاعتزال ........ ٢٠١
**المبحث الثاني**: المقاومة ........ ٢٠٧
١ـ أسباب المقاومة السنية للاعتزال ........ ٢٠٧
٢ـ أساليب المقاومة ........ ٢٠٩
مبحث في حكم المبتدع وهل يكفر ببدعته ........ ٢١٠
الأسلوب الأول: اعتزال أهل البدع من المعتزلة ........ ٢١٥

الأسلوب الثاني: إعدام مؤلفاتهم ........ ٢٢٢
الأسلوب الثالث: ضرب من عرف عليه الاعتزال ........ ٢٢٣
الأسلوب الرابع: المناظرة وذكر الرجال الذين اشتهروا بذلك ........ ٢٢٥
الأسلوب الخامس: المقاومة عبر التأليف وذكر أشهر رجالها وذكر المسائل التي تناولوها . ٢٣٢
ثانياً: موقف علماء المغرب من الأشعرية ........ ٢٤٥
**المبحث الأول**: دخول الأشعرية إلى المغرب ........ ٢٤٥
الرجال الذين ساهموا في نشر الأشعرية بالمغرب ........ ٢٤٩
أبرز رجال الأشعرية بالمغرب ........ ٢٥١
حملة ابن العربي على المثبتة ........ ٢٦٢ ـ ٢٦٣
**المبحث الثاني**: موقف علماء المغرب من علم الكلام والأشعرية ........ ٢٧٥
اهتمام أهل المغرب برجال الأشعرية وسؤالهم عنهم ........ ٢٧٦
ثالثاً: مقاومة علماء المغرب للفكر الإرجائي ........ ٢٧٩
ذكر العلماء الذين تناولوا الفكر الإرجائي بالنقد ........ ٢٨٠
**المبحث الأول**: دخول الفكر الإرجائي إلى بلاد المغرب وانتشاره ........ ٢٨١
**المبحث الثاني**: مقاومة علماء السنة المغاربة للفكر الإرجائي ........ ٢٨٣
**الفصل الثاني**: مقاومة علماء السنة للتشيع ........ ٢٨٨
**المبحث الأول**: دخول التشيع إلى المغرب وفيه التعريف بالشيعة ونشأتهم ........ ٢٨٩
ذكر الرجال الذين نشروا الفكر الشيعي بالمغرب ........ ٢٨٩ ـ ٢٩٠
التشيع بالأندلس ........ ٢٩٨
نسب العبيديين ........ ٣٠١
**المبحث الثاني**: المقاومة السنية للتشيع ........ ٣٠٥
١ـ مقاومة الدولة وأساليبها ........ ٣٠٥
٢ـ مقاومة العلماء ........ ٣٠٨
**المبحث الثالث**: الأسباب التي جعلت علماء المغرب يقومون على الشيعة ........ ٣٠٩
أساليب المقاومة ........ ٣١٠
مواقف العلماء من فتنة التشيع ........ ٣١٣ ـ ٣١٤
النوع الأول: العلماء الذين هربوا بدينهم ........ ٣١٥
النوع الثاني: العلماء الذين صبروا وجاهدوا ........ ٣١٦
النوع الثالث: العلماء الذين رضوا بالعيش تحت حكم بني عبيد ........ ٣٢٢

اختلاف العلماء في التعامل مع الدولة العبيدية ........ ٣٢٢
**المبحث الرابع**: الحديث عن أساليب المقاومة ........ ٣٢٣
االوسيلة الأولى: المقاومة السلبية ........ ٣٢٣
الوسيلة الثانية: المقاومة الجدلية ........ ٣٢٥
مواضع المجالس بين أهل السنة والشيعة ........ ٣٢٩ ـ ٣٣٠
مسألة التفاضل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما ........ ٣٣٠
مناظرة حول موالاة علي رضي الله عنه ........ ٣٣١
مناظرة حول قيام رمضان (التراويح) ........ ٣٣١
مناظرة حول القياس وحد شارب الخمر ........ ٣٣٣
مناظرة حول ولاية المفضول مع وجود الفاضل ومبدأ النص والاختيار ........ ٣٣٥
الوسيلة الثالثة: المقاومة المسلحة ........ ٣٣٧
انضمام علماء المغرب إلى جيش مخلد بن كيداد الإباضي في مقاومة الشيعة وأسباب هذا الانضمام ........ ٣٤١
أساليب أخرى في المقاومة ........ ٣٤٥
١ـ إبداء السرور والفرح في أيام حزن الشيعة ........ ٣٤٥
٢ـ حضور المجالس التي كانت تغيظ الشيعة ........ ٣٤٧
٣ـ المقاومة عبر التأليف ........ ٣٤٨
**الفصل الثالث**: مقاومة علماء المغرب للفكر الخارجي ........ ٣٥٣
**المبحث الأول**: دخول الفكر الخارجي إلى المغرب ........ ٣٥٤
ويتضمن هذا المبحث تعريف الخوارج وذكر تاريخ نشأتهم ........ ٣٥٤ ت
الفرق الخارجية التي دخلت المغرب ........ ٣٥٨
الرجال الذين ساهموا في نشر الفكر الخارجي بالمغرب ........ ٣٥٩
**المبحث الثاني**: مقاومة علماء المغرب لمذهب الخوارج ........ ٣٦٢
أسباب هذه المقاومة ........ ٣٦٢
ذكر المقاومة وذكر رجالها ووسائلها ........ ٣٦٤
**الفصل الرابع**: مقاومة علماء المغرب للتصوف ........ ٣٧٢
**المبحث الأول**: في تعريف التصوف وفي ظهوره وتطوره ........ ٣٧٣
ذكر الزهاد الأوائل من أهل المغرب والتزامهم بالسنة ........ ٣٧٥
**المبحث الثاني**: بداية انحراف التصوف ........ ٣٨٢

تأثر المتصوفة بالتعاليم النصرانية ........ ٣٨٨
إنكار علماء السلف على من ينسك نسك العجم ........ ٣٩٦
نهي النبي ﷺ عن الغلو في الدين ........ ٣٩٧
بلوغ التصوف قمة الانحراف ........ ٣٩٨
إغراق المتصوفة في قضايا لا طائل من ورائها ........ ٣٩٩ ـ ٤٠٠
اختلاط التصوف بالفلسفة وأبرز الرجال الذين ساهموا في ذلك ........ ٤٠٢
**المبحث الثالث**: المقاومة ........ ٤٠٧
أنواع المقاومة ورجالها ........ ٤٠٩
النوع الأول : مقاومة الانحرافات الصوفية ........ ٤٠٩ ـ ٤١٠
النوع الثاني: من المقاومة: مقاومة الأشخاص وأساليبها ........ ٤٢٤
مقاومة الدولة الأموية لابن مسرة وجماعته ........ ٤٢٧
حادثة إحراق إحياء علوم الدين للغزالي وأسبابها ........ ٤٣٥
آراء علماء المغرب في الإمام الغزالي وكتابه الإحياء ........ ٤٣٧
مقاومة التصوف عبر تفسير القرآن ........ ٤٤١
**الفصل الخامس**: مقاومة أهل السنة المغاربة للفلسفة ........ ٤٤٥
**المبحث الأول**: دخول الفلسفة إلى المغرب ........ ٤٤٦
نقمة علماء المغرب وبعضهم لكل ما يخالف السنة ........ ٤٤٦ ـ ٤٤٧
أسباب تأخر ظهور الفلسفة بالمغرب ........ ٤٤٧
**المبحث الثاني**: جهود العلماء في مقاومة الفلسفة بالمغرب ........ ٤٥٦
الخاتمة ........ ٤٦٠
فهرس المراجع ........ ٤٦١
فهرس الموضوعات ........ ٤٨٢

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس